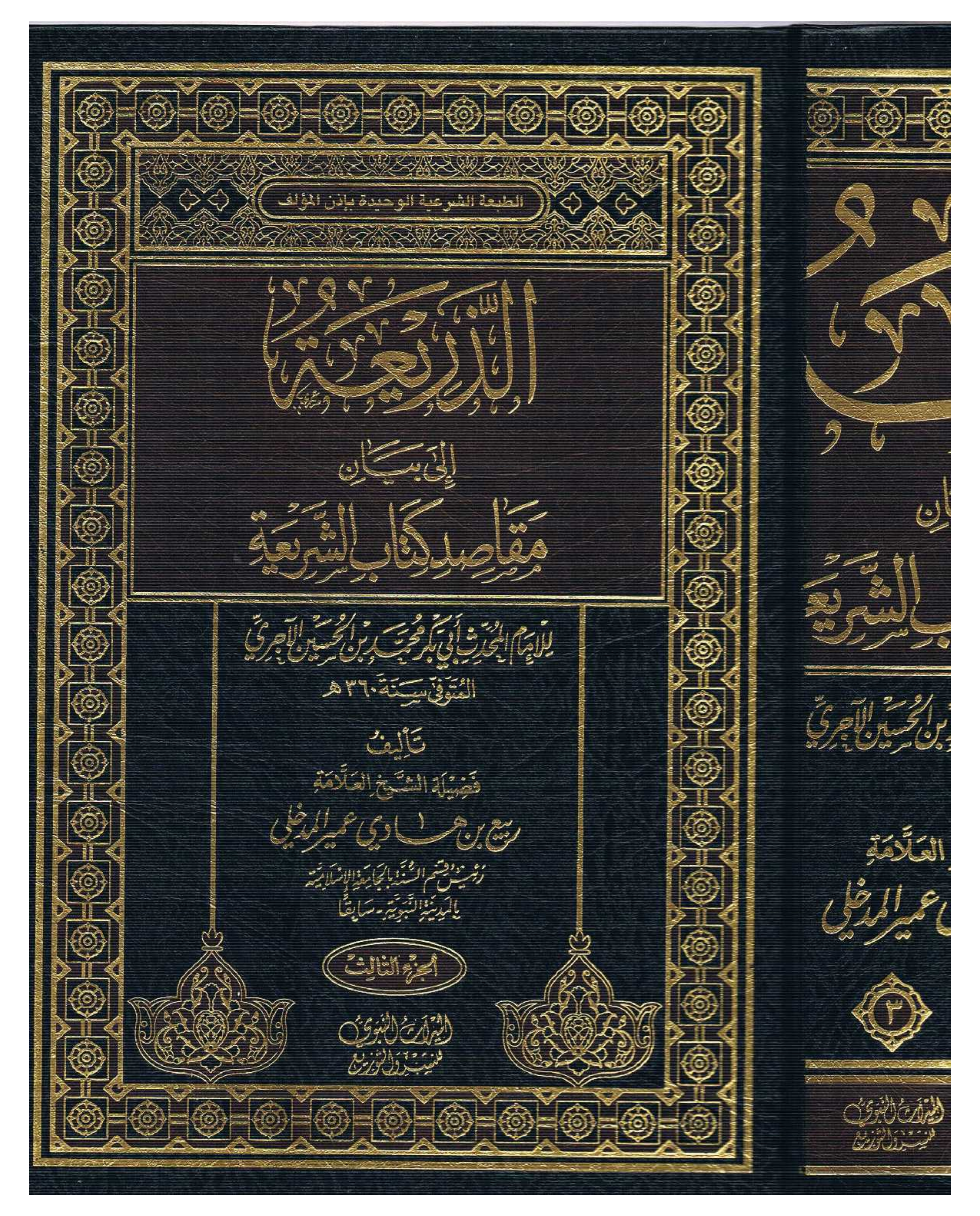


الطبعة الشرعية الوحيدة بإذن المؤلف
الذريعة
إلى بيان
مقاصد كتاب الشريعة
للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري
المتوفى سنة ٣٦٠ هـ
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية سابقاً
الجزء الثالث
الميراث النبوي للنشر والتوزيع



الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا وفقنا الله وإياكم، للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به أن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، كذا روي عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وعن صحابته، ولا ينكر هذا إلا من لا يحمد حالُه عند أهل الحق.

وسنذكر منه ما حضرنا ذكرُه، والله الموفق للصواب، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٦٢٩] حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا معن بن عيسى (١) قال: حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يضحك الله عَزَّوَجَلَّ إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة؛ يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله عَزَّوَجَلَّ على القاتل، فيقاتل في سبيل الله، فيستشهد».

---

(١) معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولاهم، أبو يحيى المدني القزاز ثقة ثبت، قال الذهبي في «الكاشف»: قال أبو حاتم: هو أثبت أصحاب مالك توفي سنة [١٩٨].

[٦٣٠] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري[(١)] قال: حدثنا مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يضحك ربنا عَزَّ وَجَلَّ إلى رجلين يقاتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله تَعَالَى فيقتل، ثم يتوب الله عَزَّ وَجَلَّ على القاتل، فيقاتل في سبيل الله فيستشهد».

[٦٣١] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالوا: حدثنا وكيع، عن سفيان يعني الثوري عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يضحك الله عَزَّ وَجَلَّ إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة: يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل فيستشهد، ثم يتوب الله عَزَّ وَجَلَّ على قاتله، فيسلم، فيقاتل في سبيل الله فيستشهد»[(٢)].

[٦٣٢] أخبرنا الفريابي قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا ابن أبي فديك، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يضحك الله عَزَّ وَجَلَّ إلى رجلين: يقتل أحدهما الآخر، كلاهما داخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله

---

(١) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو عبد الله الزبيري المدني (نزيل بغداد) قال الحافظ ابن حجر: صدوق عالم بالنسب من العاشرة مات سنة [٢٣٦]، قال الذهبي في «الكاشف»: «لين لغلطه»..

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب: «الجهاد» [٢٦٧١]. من طريق مالك عن أبي الزناد... ومسلم في كتاب «الإمارة» [١٨٩٠] من طريق سفيان عن أبي الزناد.. به.

فيقتل فيستشهد، ثم يتوب الله عَزَّوَجَلَّ على هذا فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيقتل فيستشهد»[1].

[٦٣٣] أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا داود ابن عمرو الضبي قال: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يضحك الله تَعَالَىٰ إلى رجلين: يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل فيستشهد ويتوب الله عَزَّوَجَلَّ على هذا فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيقتل فيستشهد»[2].

[٦٣٤] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يضحك الله عَزَّوَجَلَّ إلى رجلين: يقتل أحدهما الآخر وكلاهما يدخل الجنة»[3].

....

(١) عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي مولاهم، أبو محمد المدني، قال الحافظ ابن حجر: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وكان فقيهًا قال ابن معين: هو أثبت الناس فى هشام بن عروة. من السابعة مات سنة [١٧٤].

وابن ابي فديك هو: محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك: دينار، الديلى مولاهم، أبو إسماعيل المدني صدوق من الثامنة مات سنة [٢٠٠] على الصحيح وإبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام القرشي الأسدي الحزامي، أبو إسحاق المدني صدوق تكلم فيه أحمد لأجل القرآن من العاشرة مات سنة [٢٣٦].

(٢) داود بن عمرو بن زهير بن عمرو بن جميل بن الأعرج بن عاصم بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز الضبى، أبو سليمان البغدادى ثقة من العاشرة مات [٢٢٨]، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد أبو عبد الله الصوفي وثقه أبوبكر الخطيب وغيره. مات سنة [٣٠٦]. «السير» (١٤/ ١٥٢).

(٣) أخرجه من هذا الوجه مسلم برقم [١٨٩٠].

[٦٣٥] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا هشيم ابن بشير قال: أخبرنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري يرفع الحديث قال: «ثلاثة يضحك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إليهم: الرجل إذا قام من الليل يصلي، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للعدو»(١).

[٦٣٦] حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: أخبرنا الحسن ابن عرفة قال: حدثنا هشيم بن بشير، عن المجالد بن سعيد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاثة يضحك الله عَزَّوَجَلَّ إليهم يوم القيامة: الرجل إذا قام من الليل يصلي، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للعدو»(٢).

....

(١) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي أبو معاوية بن أبى خازم: ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي من السابعة مات سنة [١٨٣]، ومجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، أبو عمرو و يقال أبو عمير ويقال أبو سعيد، الكوفى ليس بالقوى و قد تغير فى آخر عمره من السادسة مات سنة [١٤٤]، وأبو الوداك اسمه: جبر بن نوف الهمداني البكالي قال فيه الحافظ «صدوق يهم»، وقال الذهبي «ثقة».

(٢) الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى، أبوعليي البغدادي المؤدب «صدوق» من العاشرة مات سنة [٢٥٧]. ومحمد بن مخلد بن حفص أبو عبد الله الدوري العطار ترجمته في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٠)، و«السير» (١٥/ ٢٥٦) قال فيه الدارقطني: «ثقة مأمون». وإسناد هذا الحديث ضعيف فيه مجالد بن سعيد، وله طريق أخرى في «مسند البزار» (١/ ٣٤٤) وفي «ناسخ الحديث ومنسوخه» لابن شاهين [١٩٠]، وفيه محمد بن أبي ليلى، وعطية العوفي. وانظر: «الضعيفة» رقم: [٣٤٥٣].

وللحديث شاهد يتقوى به دون قوله: «والقوم إذا صفوا في الصلاة» من حديث أبي الدرداء أخرجه الحاكم (١/ ٢٥) مختصرًا، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص: (٤٧١-٤٧٢)، بلفظ: «ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذى إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه، والذى له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته فيذكرنى ولو شاء رقد، والذى إذا كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر فى سراء وضراء». وفي إسناده فضيل بن سليمان =

[٦٣٧] وأخبرنا الفريابي قال: نا أبو كريب محمد بن العلاء قال: نا يحيى ابن آدم قال: نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، وأبي الكنود، عن عبد الله ابن مسعود قال: «يضحك الله عَزَّوَجَلَّ إلى رجلين: رجل قام في جوف الليل وأهله نيام، فتطهر، ثم قام يصلي، فيضحك الله عَزَّوَجَلَّ إليه، ورجل لقي العدو فانهزم أصحابه، وثبت حتى رزقه الله الشهادة»(١).

[٦٣٨] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: نا عبد الوهاب الوراق قال: نا يزيد بن هارون قال: أنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن عمه أبي رزين العقيلي قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضحك ربنا عَزَّوَجَلَّ من قنوط عباده وقرب غيره». قال: قلت: يا رسول الله، أو يضحك الرب عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «نعم». قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا(٢).

....

= النميري قال فيه الحافظ «صدوق له خطأ كثير». وقال الهيثمي (٢/ ٢٥٤) «رجاله ثقات»، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: «إسناد حسن»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح وقد احتجَّا بجميع رواته. وحسنه العلامة الألباني؛ انظر: «الصحيحة» [٣٤٧٨]. ويتقوى أيضًا بالأثر الآتي.

(١) أبو الكنود هو: عبد الله بن عامر أو ابن عمران أو ابن عويمر وقيل ابن سعد، وقيل عمرو بن حبشي، قال فيه الحافظ: «مقبول»، وقال الذهبي: «ثقة» من الثانية. وأبو عبيدة هو ابن عبدالله بن مسعود ثقة لم يسمع من أبيه، ومن طريقه فقط أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٠٣-عمل اليوم والليلة) وهو في «عمل اليوم والليلة» له ص: [٤٩٦]، ولهما متابع ثالث وهو أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة «ثقة» كما عند الدارمي في الرد على المريسي ص: [١٨٠] من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي الكنود عن عبدالله بن مسعود به.

وبقية رجاله ثقات معروفون، لكن فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي! فإنه مدلس، وقد حسنه العلامة الألباني كما في الضعيفة عند الحديث رقم: [٣٤٥٣]. فإن ثبت هذا فيكون له حكم الرفع؛ لأن مثل هذا لا مجال للرأي فيه، ويكون شاهدًا لما تقدم. والله أعلم.

(٢) عبد الوهاب الوراق هو: عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع، أبو الحسن الوراق البغدادى، و يقال له ابن الحكم «من خاصة أحمد بن حنبل، نسائي الأصل» ثقة من الحادي عشرة مات سنة [٢٥٠]. =

[٦٣٩] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: أنا زهير بن محمد المروزي قال: أنا علي بن عثمان اللاحقي قال: نا حماد بن سلمة قال: يعلى بن عطاء، عن وكيع ابن عدس، عن أبي رزين العقيلي: أن رسول الله ﷺ قال: «ضحك ربنا عَزَّوَجَلَّ من قنوط عباده وقرب غيره» قال أبو رزين: قلت: يا رسول الله، أو يضحك الرب عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «نعم»، ولن نعدم من رب يضحك خيرًا(١).

[٦٤٠] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا عمي، وإسحاق بن إبراهيم قالا: نا حجاج قال: نا حماد يعني ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن

= وعبد الله بن محمد بن عبد الحميد أبو بكر القطان واسطي الأصل سكن بغداد وحدث بها، ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٠٥) وقال: وكان «ثقة».

(١) علي بن عثمان اللاحقي أبو الحسن البصري، قال أبو حاتم: «ثقة»، مات سنة [٢٢٨]. السير (١٠/ ٥٦٨).

وزهير بن محمد: هو ابن قمير بن شعبة المروزى، أبو محمد، و يقال أبو عبد الرحمن « نزيل بغداد» «ثقة «من الحادية عشرة مات سنة [٢٥٨]، وجعفر بن محمد الصندلي ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٢١١) وقال: «وكان ثقة صالحًا دينًا».

الحديث أخرجه ابن ماجه [١٨١] باب فيما أنكرت الجهمية، وأحمد (٤/ ١١)، وأبو داود الطيالسي ص: [١٤٧] وغيرهم.

وفيه وكيع بن عدس ويقال حدس وثقه ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: «مقبول»، وقال الذهبي في «الكاشف وثق»، وقال في الميزان: «لا يعرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء»، وقال ابن القطان: «مجهول الحال».

وتابعه الأسود بن عبدالله بن حاجب.

أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ١٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» وغيرهما في حديث طويل، والأسود هذا ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي: «محله الصدق» كما في «تهذيب التهذيب»، وقال الحافظ: «مقبول»، وفي الطريق إليه مجهولان، وهما: دلهم بن الأسود بن عبد الله، وعبد الرحمن بن عياش السمعي.

والحديث حسنه العلامة الألباني في «الصحيحة» [٢٨١٠] بهذه المتابعة، والله أعلم.

أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يتجلى لنا ربنا عَزَّوَجَلَّ ضاحكًا يوم القيامة».

[٦٤١] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: أنا الحسن بن موسى قال: نا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يتجلى لنا الرب عَزَّوَجَلَّ ضاحكًا ويقول: أبشروا معاشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا قد جعلت مكانه في النار يهوديًّا أو نصرانيًّا»(١).

[٦٤٢] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا هارون بن أبي بردة قال: نا أبو يحيى الحماني، عن إسماعيل بن عبد الملك، عن علي بن ربيعة الوالبي قال: كنت ردف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جبانة الكوفة فقال: لا إله إلا أنت اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم نظر إلي فضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين استغفارك ربك والتفاتك إلي تضحك؟ قال: كنت ردف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جانب الحرة، ثم قال: «لا إله إلا أنت سبحانك اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ثم نظر إلى السماء، ثم التفت إلي فضحك، فقلت يا رسول الله، استغفارك ربك والتفاتك إلي تضحك؟ قال: «ضحكت لضحك ربي عَزَّوَجَلَّ، يعجب لعبده: يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٤ / ٤٠٧ – ٤٠٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» [١٥٣]. وإسناده ضعيف، عمارة القرشي نقل الذهبي في «الميزان» عن الأزدي أنه قال فيه: «ضعيف جدًّا» له حديث يتجلى لنا ضاحكًا.!
وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف، والظاهر أنه يعتضد بالأحاديث قبله في إثبات صفة الضحك لله عَزَّوَجَلَّ.

(٢) علي بن ربيعة بن نضلة الوالبي، الأسدي و يقال البجلي ثقة من الثالثة، وإسماعيل بن عبد الملك بن =

[٦٤٣] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: نا أبو نعيم قال: نا إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفيرا، عن علي بن ربيعة قال: حملني علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلفه، ثم سار بي في جانب الحرة ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر غيرك، ثم التفت إلي فضحك، فقلت وذكر نحو الحديث.

[٦٤٤] حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: أنا أبو بكر بن زنجويه، وأحمد ابن سفيان قالا: نا محمد بن يوسف الفريابي، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة قال: كنت ردف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال حين ركب: الله أكبر الله أكبر والحمد لله والحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون لا إله إلا أنت سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال: ثم استضحك فقلت: ما يضحكك؟ قال: كنت ردف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعل مثل ما فعلت، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «يعجب ربنا عَزَّ وَجَلَّ من العبد إذا قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(١).

= أبي الصفيراء أو أبي الصفير الأسدي، أبو عبد الملك المكي قال الحافظ في التقريب «صدوق كثير الوهم»، واكتفى الذهبي بنقل قول البخاري فيه «يكتب حديثه»، وعلى هذا فهو يصلح في الشواهد، وأبو يحي الحماني هو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، أبو يحيى الكوفي، لقبه بشمين (أصله خوارزمي، والد يحيى بن عبد الحميد الحماني) قال الحافظ: صدوق يخطئ، ورمي بالإرجاء من التاسعة. وسيأتي الكلام على الحديث.

(١) وأخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد» [٢٦٠٢]، والترمذي في «الدعوات» [٣٤٤٦]، والنسائي «الكبرى» في «السير» [٨٧٤٨] من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحق عن علي بن ربيعة به.
وابن زنجويه هو: محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادي، أبو بكر الغزال ثقة من الحادية عشرة =

[٦٤٥] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: نا يوسف بن موسى القطان(١) قال: نا جرير، عن منصور بن المعتمر، عن أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة الأسدي قال: رأيت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى بدابة فوضع رجله في الركاب فقال: بسم الله،

....

= مات [٢٥٨]، وأحمد بن سفيان النسائي: صدوق، والقاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي، أبو بكر المقرئ، المعروف بالمطرز حافظ ثقة من الثانية عشرة مات سنة [٣٠٥]، والحديث في إسناده من الطريق الأولى- إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفيراء وهو ضعيف. ومن الطريق الثانية الانقطاع؛ فإن أبا اسحاق السبيعي دلسه وأسقط رجلين منه أحدهما رجل مبهم.

قال الإمام البخاري في «التاريخ الأوسط» [١ / ٢٩٠]: «قال عبد الرحمن بن مهدي وذكر عنده حديث علي بن ربيعة الذي رواه يحيى القطان عن شعبة عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال: كنت ردف علي فلما أن ركب قال سبحان الذي سخر لنا هذا. وقال عبد الرحمن: قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: ممن سمعته؟ قال: من يونس بن خباب، قال: فأتيت يونس بن خباب، فقلت: ممن سمعته؟ قال: من رجل رواه عن علي بن ربيعة !». وانظر: «العلل» لابن أبي حاتم رقم: [٧٩٩] «باب علل أخبار رويت في مناسك الحج». وطريق يونس بن خباب أخرجها الطبراني في «الأوسط» (١/ ٦٢) من طريق عبدالله بن لهيعة عنه عن شقيق الأزدي عن علي بن ربيعة به. وشقيق الأزدي اختلف في تعيينه، فقال الطبراني عقب الحديث: لم يرو هذا الحديث عن شقيق الأزدي وهو شقيق بن أبي عبد الله إلا يونس ابن خباب، ولا عن يونس إلا عبد ربه بن سعيد، تفرد به ابن لهيعة.

وقال الدارقطني في «العلل» (٤/ ٦٢): «شقيق بن عقبة»! وهذا الاختلاف لا يضر؛ لأن كليهما ثقة. ولهولاء متابع آخر وهو المنهال بن عمرو عند الطبراني في «الدعاء»، ص: [٢٤٨]، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩٨-٩٩) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وليس كما قالا؛ فإن ميسرة بن حبيب النهدي الراوي عن المنهال ليس من رجال مسلم، وهو «ثقة»، وبقية رجاله ثقات أيضًا. وانظر: «الصحيحة» رقم: [١٦٥٣].

تنبيه: ليس في شيء من هذه الطرق قوله: «ضحكت لضحك ربي عَزَّوَجَلَّ» إلا طريق إسماعيل بن عبد الملك، وقد علمت حاله، وإلا ما جاء عند البيهقي في «الأسماء والصفات»، ص: [٤٧١] من طريق عمرو بن عون عن أبي الأحوص عن أبي اسحاق.. به. وقد علمت القول في طريق أبي اسحاق! على أن أصحاب أبي الأحوص يروونه بدون هذه الزيادة. وبعد هذا فليس في هذا الحديث إثبات صفة الضحك لله عَزَّوَجَلَّ، وإنما فيه إثبات صفة العجب. والله أعلم.

(١) يوسف بن موسى بن راشد بن بلال القطان صدوق من العاشرة توفي سنة [٢٥٣]، وسكت عنه الذهبي في «الكاشف».

فلما استوى عليها قال: الحمد لله ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم حمد الله ثلاثًا وكبر ثلاثًا ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك، إني قد ظلمت نفسي، فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر إلا أنت، ثم استضحك، فقلت: مم استضحكت؟ فقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا مثل ما قلت، ثم استضحك فقلت: مم استضحكت يا رسول الله؟ قال: «يعجب ربنا عَزَّ وَجَلَّ من قول عبده: سبحانك، إني قد ظلمت نفسي، فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنوب».

[٦٤٦] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: نا أبو حذيفة عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الصنعاني قال: نا إبراهيم بن عقيل، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر: عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة الورود قال: «فيتجلَّى لهم ربهم عَزَّ وَجَلَّ يضحك»، قال جابر: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك حتى تبدو لهواته[(١)].

[٦٤٧] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: أخبرنا زهير بن محمد قال: أنا علي بن عثمان اللاحقي قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أنا ثابت، عن أنس ابن مالك، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فهو يكبو مرة ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا

....

(١) إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه وأبوه وثقهما ابن معين. ومحمد بن عبد الكريم الصنعاني ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ١٦٠) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.
وانظر للفائدة: «الصحيحة» للشيخ الألباني رقم [٢٧٥١] فإنه حسن إسناد المصنف.
والحديث أخرجه مسلم في كتاب «الإيمان» [١٩١]، وأحمد (٣/ ٣٨٤) من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يُسأل عن الورود، وفيه: (...فيتجلى لهم يضحك...الحديث).

ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني منها فأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها تسألني غيرها، فيقول: لا يا رب، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه عَزَّوَجَلَّ يعلم أنه سيفعل، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، فترفع له شجرة أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه فلأشرب من مائها ولأستظل بظلها، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم، ألم تعاهدني: أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: أي رب ولكن هذه لا أسألك غيرها، وربه عَزَّوَجَلَّ يعلم أنه سيفعل، فيقول عَزَّوَجَلَّ: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده: أن لا يسأله غيرها، وربه عَزَّوَجَلَّ يعلم أنه سيفعل، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها فترفع له شجرة هي عند باب الجنة أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه لا أسألك غيرها، وربه عَزَّوَجَلَّ يعلم أنه سيفعل وهو يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلني الجنة فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يرضيك مني؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟» فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟، فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ضحك، فقال: «ألا تسألوني مم أضحك؟» فقال: «من ضحك رب العالمين عَزَّوَجَلَّ منه حين يقول: أتستهزئ بي؟ فيقول: لا أستهزئ بك، ولكني على ما أشاء قدير، فيدخله الجنة»[1].

....

(١) صحيح: وأخرجه مسلم بنحوه برقم: [١٨٧] قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس عن ابن مسعود، وأخرجه الإمام أحمد (١/ ٤١٠) قال: حدثنا عفان حدثنا حماد به.

[٦٤٨] حدثنا الفريابي قال: نا محمد بن عثمان بن خالد قال: نا إبراهيم بن سعد، عن أبيه قال: بينا أنا جالس مع حميد بن عبد الرحمن إذ مر شيخ جليل في مسجد رسول الله ﷺ، في بصره بعض الضعف، من بني غفار فبعث إليه حميد، فلما أقبل قال لي: يا ابن أخي، أوسع له بيني وبينك فإنه قد صحب رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأجلسه بيني وبينه، ثم قال الحديث الذي سمعت من رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ينشئ السحاب، فيضحك أحسن الضحك، وينطق أحسن المنطق»(١).

[٦٤٩] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: نا يعقوب الدورقي قال: نا أبو داود الطيالسي قال: نا إبراهيم بن سعد، عن أبيه قال: كنت جالسًا مع حميد بن عبد الرحمن بن عوف وذكر نحوًا من حديث الفريابي(٢).

[٦٥٠] أخبرنا الفريابي قال: نا هشام بن عمار الدمشقي قال: نا إسماعيل ابن عياش قال: أنبأنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن نعيم بن همار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الشهداء أفضل؟ قال: «الذين يقاتلون في الصف، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك عَزَّوَجَلَّ، وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه»(٣).

---

(١) محمد بن عثمان بن خالد القرشي الأموي، أبو مروان العثماني المدني (نزيل مكة) صدوق يخطئ من العاشرة توفي سنة [٢٤١]، وقال الذهبي في «الكاشف»: «وثقه أبو حاتم». ومن فوقه ثقات رجال الصحيح، والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٥) وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٦٦٥].

(٢) وهذا إسناد صحيح، والواسطي ثقة، تقدمت ترجمته عند الحديث رقم: [٦٣٨].

(٣) إسناده حسن رجاله كلهم ثقات، إلا هشام بن عمار الدمشقي قال فيه الحافظ: «صدوق مقرئ كبر =

[٦٥١] وحدثناه أبو بكر بن أبي داود قال: نا محمد بن المصفى قال: نا أبو المغيرة، عن إسماعيل بن عياش، وذكر الحديث بإسناده مثله[(١)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه السنن كلها نؤمن بها، ولا نقول فيها: كيف؟ والذين نقلوا هذه السنن: هم الذين نقلوا إلينا السنن في الطهارة، وفي الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وسائر الأحكام من الحلال والحرام، فقبلها العلماء منهم أحسن قبول، ولا يرد هذه السنن إلا من يذهب مذهب المعتزلة، فمن عارض فيها أو ردها، أو قال: كيف؟ فاتهموه واحذروه.

فقد ساق المصنف في إثبات هذه الصفة -صفة الضحك لله رب العالمين- عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من أحاديث صحيحة وحسنة وفي بعضها ضعف، لكنه ينجبر بالأحاديث الصحيحة والحسنة، وساق عددًا من الأحاديث حديث أبي هريرة وحديث أبي رزين العقيلي وحديث أبي موسى وحديث علي وحديث غيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ممن روى عنهم في هذا الباب استدلالًا بما رووه على إثبات هذه الصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتخللها إثبات التجلي من رب العالمين، فيراه العباد، وإثبات صفة العَجَب وأن الله يعجب جاءت خلال هذه الأحاديث، وهذه الصفات نؤمن بها ونثبتها لله، لكن لا على طريقة التشبيه، ولا نعطلها مسايرة للمعطلة، إنما نؤمن بهذه الحقائق ونثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ من غير تكييف ومن غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

= فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح» وهو من رجال البخاري. والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٧) وأبو يعلى (١٢/ ٢٥٨) وغيرهما من طرق عن إسماعيل بن عياش به. وله شاهد عند الطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٣٠٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني «بإسناد حسن» وهو كما قال. وقال الشيخ الألباني: «حسن صحيح».

(١) محمد بن مصفى بن بهلول القرشي، أبو عبد الله الحمصي، صدوق له أوهام وكان يدلس، من العاشرة، توفي سنة [٢٤٦]. وأبو المغيرة هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، أبو المغيرة الشامي الحمص ثقة من التاسعة توفي سنة [٢١٢].

ومما يلفت النظر أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسأل أصحابه عندما يذكر أن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ضحك من كذا وكذا، ويسألونه فيقولون: مم ضحكت؟ فيقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من ضحك الله** عَزَّوَجَلَّ»، ولا يقول: إن هذه صفات لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ، وإن فيها تشبيهًا، ولا بد من تأويلها، وهو الناصح الأمين، وكذلك الصحابة مثل علي وغيره عندما يروي حديث الضحك يضحك، فيسأل: لماذا ضحكت؟ فيقول: رأيت رسول الله ضحك، ويقول: من ضحك ربنا عَزَّوَجَلَّ.

فالقاعدة أننا نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته الثابتة من غير تحريف ولا تعطيل، فلا نجاري الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المعطلة، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، فلا نجاري المشبهة الذين يقولون: إن أفعال الله وصفاته مثل صفات المخلوقين وأفعالهم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، فمن يعطل يعبد العدم، ومن يمثل يعبد الصنم؛ كما قال سفيان بن عيينة، وصاحب الحق يعبد الله رب العالمين الموصوف بصفات الكمال، وهو الفعال لما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من لوازم حياته وقدرته وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الحي فعال، يقابل الميت[1]، فالميت لا يفعل شيئًا؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ استوى على العرش ويخلق ويرزق ويحيي ويميت ويتكلم وينزل ويجيء ويضحك ويعجب لا يعجزه شيء، وهذه الأفعال تدل على كمال حياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنه فعال لما يريد ويفعل ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والذين ينكرون هذه الصفات إنما يُشبِّهون الله بالمعدومات، بل بالمستحيلات -والعياذ بالله-، فالذي لا يفعل

(١) انظر: «خلق أفعال العباد» للبخاري، ص: [٨٥]، و«نقض الدارمي على بشر المريسي» (١/ ٢١٥، ٣٥٦-٣٥٨)، و«مجموع الفتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣٨)، (٥/ ٥٣٥)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٨٦-شاكر).

شيئًا هو المعدوم أو العاجز أو الميت، وأما الحي الفعال القادر فأفعاله تدل على كماله وهو يفعل ما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هـذا خلاصة مـا نقوله في هذا، والأمـر واضح، ولا داعي للتكلـف أكثر من هذا، ونسـأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنـا وإياكـم لقبول الحق من كتاب الله ومن سـنة رسـول الله وما كان عليه سـلفنا الصالح رضوان الله عليهم، وهذا هو سـبيل المؤمنين الذي يجب أن نسلكه، ولا يجوز لمؤمن أن يحيد عنه فيتابع أهل الكفر أو يتابع أهل الضلال من المنتسبين لهذه الأمة.



الأسئلة

سؤال: الضحك الذي يصدر من البشر عنده دوافع..

جواب: صفات الله وأفعاله كلها تليق بعظمته وجلاله، لا تشابه صفات المخلوقين، فالله يضحك ويعجب لأسباب يحبها ويحب أهلها، وليس ضحكه وعجبه كضحك المخلوقين وعجبهم، والله حكيم لا يفعل إلا لحكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو يفعل ما يشاء، وفعّال لما يريد، وذلك مقتضى حياته وقيوميته وعلمه وحلمه وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تشابه أفعاله أفعال المخلوقين والخطابي عنده نزعة أشعرية فيتأول؛ والأشاعرة يتأولون فلا تسلكوا مسلكهم.

ولو تأول متأول لا يقبل منه، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك يقول له الصحابة: ما أضحكك؟ فيقول: «**من ضحك الله** عَزَّوَجَلَّ»، والصحابة كذلك وأئمة الهدى الذين رووا هذه الأحاديث تلقوها بالقبول، والإيمان بما تدل عليه.

سؤال: يقول: هل كل أهل الجنة يرون الله عَزَّوَجَلَّ؟

جواب: الظاهر من النصوص أن كلهم يرون الله في الجنة ما يحرم أحد، أما الكفار، فقال الله فيهم: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، الكفار والمنافقون يرونه في عرصات القيامة كما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة، ثم يحرمون من الرؤية رؤية النعيم التي يتفضل الله بها على أهل الجنة ويخصهم بها(١).

سؤال: هل يوصف الله أو صفة من صفاته بأنه قديم؟

جواب: على طريق الإخبار باب الإخبار أوسع من باب الصفات، فالله وصف نفسه بالأول والآخر وما وصف نفسه بالقديم، والقديم قد يطلق على المخلوق، لكن هذه

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٦/ ٤٨٥-٥٠٦).

الأولية المطلقة لله كما في الحديث الصحيح: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»(١)، وليس القديم من أسماء الله الحسنى ولا من صفاته وغالب من يقوله هم المتكلمون ما يلتزمون الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»، فالأولى بالمؤمن أن يصف الله بالأولية، ولفظ القديم إذا قاله بعض الناس من باب الإخبار فلا حرج، لكن الأولى ترك هذا.

سؤال: ورد عند ابن ماجه (١): «من شفع لأخيه فأعطاه هدية فقد ارتكب من أبواب الربا»(٢) فهل هذه الشفاعة المحرمة أو جميع أنواع الشفاعة؟

جواب: لا، الشفاعة مطلوبة: «**اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسانه نبيه ما يريد أو ما يشاء أو ما يحب**»(٣). لكن الشفاعة التي يفعلها لأجل الهدية ولأجل المكافأة فهذه هي المذمومة، أما أن تشفع وتنفع المسلمين والعاجزين والضعفاء فهذه فضيلة ومكرمة، وفيها أجر كبير ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾ [النساء: ٨٥]، فالشفاعة لنفع الناس أمر محمود ومطلوب، وقد وعد الله عليها بالجزاء، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فعلها وحث عليها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب «الذكر والدعاء» حديث [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الحديث ليس عند ابن ماجه فهذا خطأٌ من السائل. وأما لفظه فهو: «**من شَفَعَ لأَخِيه بشفاعةٍ، فأهْدى له هديّةً عليها؛ فقَبِلها؛ فقدْ أتَى بابًا عظِيمًا منْ أبوابِ الرِّبا**» أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٦١)، وأبو داود في «البيوع» [٣٥٤١]، والطبراني (٨/ ٢١١/ ٧٨٥٣)، (٨/ ٢٣٨/ ٧٩٢٨)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسَّنه العلامة الألباني في «الصحيحة» [٣٤٦٥]، وفي «صحيح أبي داود» [٣٥٤١].

(٣) أخرجه البخاري في «الزكاة» [١٤٣٢]، وفي «الأدب» (٦٠٢٧، ٦٠٢٨)، وفي «التوحيد» [٧٤٧٦]، ومسلم في «البر والصلة» [٢٦٢٧]، كلاهما من رواية أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

سؤال: هل حصل في زمن النبي بدعة، وهل فِعل الثلاثة نفر الذين سألوا عن عبادة الرسول ﷺ فتقالُّوها في ذلك الزمن من البدع؟

جواب: لا، ما نصفهم بالبدعة، فعلوا ذلك مجتهدين، ولما نبههم الرسول ﷺ تركوا ذلك رضوان الله عليهم، لكن لو استمروا أمر خطير جدًّا، الصحابة قد يجتهد أحدهم فيخطئ، وهؤلاء خطؤهم من باب الاجتهاد، ومع ذلك الرسول أنكر ذلك إنكارًا شديدًا، وقال لهم ﷺ: «**فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١) فهؤلاء سمعوا هذه النصيحة وتركوا ما هم عليه واعتدلوا وصاروا يعملون مثل عمل النبيِّ عليه الصلاة والسلام وسائر الصحابة، فلا يبدعون بهذا.

سؤال: هل هناك تفريق بين رؤية الله والنظر إلى وجهه؟

جواب: لا فرق، نقول: يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة وينظرون إليه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، هذا من أدلة الرؤية ومن أعظم الأدلة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، والأحاديث في ذلك متواترة، ولا ينكر رؤية الله في الدار الآخرة إلا أهل الضلال.

سؤال: ما معنى قوله ﷺ في حديث: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم [وإن دعوتهم تحيط من ورائهم]»(٢)؟

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «النكاح» حديث [٥٠٦٣]، ومسلم في «النكاح» حديث [١٤٠١] من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في «أبواب العلم» حديث [٢٦٥٨] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن ماجه في «المناسك» حديث [٣٠٥٦]، وأحمد (١٦٧٣٨ و١٦٧٥٤-الرسالة)، والدارمي في «العلم» حديث [٢٢٨] عن حديث جبير بن مطعم. وهو حديث صحيح.

جواب: الله أعلم أن معنى هذه الكلمة حسب ما أفهم أن المسلمين تجمعهم دعوة الإسلام تجمع الجميع وتحيط بهم من كل جوانبهم، فلا غل ولا أحقاد ولا فرقة، «**ثلاث لا يغل عليها قلب امرئ مسلم**» كما في هذا الحديث، يعني لا يبقى فيه حقد ولا غش ولا غل على المؤمنين، فلو أن المسلمين جميعًا اتصفوا بهذه الصفات وهي إخلاص الدين لله والنصح للمسلمين ولزوم الجماعة.

الذي ينصح ويبذل النصح للمسلمين ويخلص لله في عبادته وفي نصحه أيضًا وينصح جماعة المسلمين تدينًا وتقربًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا يوجد في قلبه غل؛ لأن وجود هذه الصفات الثلاث يطهر القلب تطهيرًا كاملًا من أدناس الحقد والغل والأخلاق الذميمة، (**وإن دعوتهم دعوة المسلمين تحيط من ورائهم**) ومعناها -والله أعلم- تجمعهم[(١)].

سؤال: هل يجوز للمعلمة أن تحفظ طالباتها بعض الأناشيد المقررة في المنهج الدراسي.

جواب: في المنهج الدراسي مقررة أناشيد؟! أما الأناشيد المعروفة التي نعرفها ويمارسها بعض الناس والتي تُسمى بالأناشيد الدينية التي أصبحت أصلًا من أصول دعوة هذا الصنف من الناس وهم الإخوان المسلمين، فهذه قد تكلم فيها العلماء قديمًا وحديثًا وبينوا أنها من البدع، وأنها من فعل اليهود والنصارى والروافض، فلا يجوز أن

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٧٣-الكتب العلمية): «وقوله: «فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى؛ شبَّه دعوة المسلمين بالسور والسياج المحيط بهم، المانع من دخول عدوهم عليهم، فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام وهم داخلونها لما كانت سورًا وسياجًا عليهم أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الاسلام كما أحاطت بهم، فالدعوة تجمع شمل الأمة وتلمُّ شعثها وتحيط بها، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته» اهـ.

نـربي أبناءنا عليها، أما إذا كانت تعلمهم الأناشـيد التي تقال في الأعراس في حال الفرح لا للتعبُّد كقولهم:

«أتـيـنـاكـم أتـيـنـاكـم فـحـيُّـونـا نحـيـيـكـم»(١)

فـلا بأس بذلك، وأما أن تعلمهم الأناشـيد التي يتقـرب بها هؤلاء الضلال إلى الله ويجعلونها أصلًا من أصولهم ومن أصول دينهم فلا يجوز لا للرجال ولا للنساء؛ ولا يجوز أن نربي أولادنا عليها؛ نربيهم على القرآن والسـنة ومنهج السـلف، وبعض الشعر العربي الذي فيه القوة وفيه الرجولة وفيه الحث على العمل وعلى الجهاد وما شاكل ذلك.

سؤال: يقول: كيف نجمع بين نهي السلف عن مجادلة أهل البدع وبين تبيين الحق لهم؟

جواب: قد تكلمنا على هذا مرات، وأنه يأتي في كلام السلف النهي عن المجادلة وعن المناظرة وما شـاكل ذلك، ولكن السـلف يسـتثنون إذا كان الجدال نافعًا، وإذا كان ممـا تقـوم به الحجـة فلا بأس بذلـك، وإذا كان فيها قمع للمبتدع ونـصرة للحق فلا مانع

---

(١) أخرجـه ابـن ماجـه في «النـكاح» حديـث [١٩٠٠] مـن طريـق جعفـر بـن عـون عـن الأجلـح عن أبي الزبـير عـن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قـال: أنكحـت عائشـة ذات قرابـة لهـا مـن الأنصـار. فجـاء رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أهديتم الفتاة؟» قالوا: نعم. قال: «أرسـلتم معها من يغني؟» قالت: لا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الأنصار قوم فيهم غزل. فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم».

وفي إسناده عنعنة أبي الزبير.

وأخرجـه أحمد في «المسـند» (٣/ ٣٩١) من طريق أبي بكر بـن عياش، والبيهقي (٧/ ٢٨٩) من طريق أبي عوانة، كلاهما عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال الشـيخ الألباني في «الضعيفة» [٢٩٨١]: «وهذا أصح، لاتفاق ثقتين عليه خلافًا لجعفر بن عون، فروايته شاذة، ويحتمل أن يكون قد حفظ، ويكون الاختلاف المذكور إنما هو من الأجلح نفسه فإن فيه ضعفًا...وجملة القول؛ أن علة الحديث عنعنة أبي الزبير، والله أعلم»، وانظر: «الإرواء» (٧/ ٥١).

من ذلك، ومن الأدلة قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] إذا كانت المجادلة بالتي هي أحسن والقصد منها تبيين الحق ونصرة الحق وقمع الباطل وإقامة الحجة فلا بأس بذلك، لكن التمادي فيها إلى درجة المماراة فينصح بترك ذلك؛ إذا رأيت المجادل يجادل بالباطل ولا يستفيد خاصة إذا كان بينك وبينه فاتركه؛ لأن هذا من ترك المراء المحمود يعني تركه للمراء محمود كما قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا**»(١).



(١) أخرجه أبو داود في «الأدب» حديث [٤٨٠٠] من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسناده حسن.

الجزء الثامن

باب ٤٩

التحذير من مذاهب الحلولية

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

أما بعد: فإني أحذر إخواني من المؤمنين مذهب الحلولية: الذين لعب بهم الشيطان، فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم.

مذاهبهم قبيحة، لا تكون إلا في كل مفتون هالك، زعموا أن الله عَزَّوَجَلَّ حال في كل شيء، حتى أخرجهم سوء مذهبهم إلى أن تكلموا في الله عَزَّوَجَلَّ بما ينكره العلماء العقلاء، لا يوافق قولهم كتاب ولا سنة ولا قول الصحابة ولا قول أئمة المسلمين، وإني لأستوحش أن أذكر قبيح أفعالهم تنزيها مني لجلال الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته، كما قال ابن المبارك رحمة الله عليه: إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

ثم إنهم إذا أنكر عليهم سوء مذهبهم قالوا: لنا حجة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإذا قيل لهم: ما الحجة؟ قالوا: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

وبقولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣] إلى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

فلبسـوا على السـامع منهم بما تأولوه، وفسـروا القرآن على ما تهوى نفوسهم فضلـوا وأضلـوا، فمن سمعهم ممن جهل العلـم ظن أن القول كما قالوه، وليس هو كما تأولوه عند أهل العلم.

والذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله عَزَّوَجَلَّ سـبحانه على عرشـه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلا، وبجميع مـا في سـبع أرضين ومـا بينهما وما تحـت الثرى، يعلم السـر وأخفـى، ويعلم خائنة الأعـين ومـا تخفي الصـدور، ويعلم الخطرة والهمـة، ويعلم ما توسـوس به النفوس يسمع ويرى، ولا يعزب عن الله عَزَّوَجَلَّ مثقال ذرة في السموات والأرضين وما بينهن، إلا وقد أحاط علمه به وهو على عرشـه سبحانه العلي الأعلى ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار.

فـإن قـال قائل: فإيـش معنـى قولـه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] الآيـة التي بها يحتجون؟ قيل له: علمه عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ على عرشـه، وعلمه محيط بهم، وبكل شـيء من خلقه، كذا فسـره أهل العلم؛ والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم.

فـإن قـال قائـل: كيـف؟ قيـل: قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى آخر الآية؛ قوله: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧] فابتـدأ الله عَزَّوَجَلَّ الآيـة بالعلـم،

....

وختمها بالعلم، فعلمه عَزَّوَجَلَّ محيط بجميع خلقه، وهو على عرشه، وهذا قول المسلمين.

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين هنا مذهب الحلولية وهم الجهمية، ويحذر من هذا المذهب المغرق في الضلال والشر، فرحمه الله عرف مذهب هؤلاء القوم كما عرفه السلف قبله وحذروا منه؛ ولهذا يقول عبد الله بن المبارك: «إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

لماذا؟ لأن كلامهم شر وهم أضل من اليهود والنصارى، هؤلاء غلاة الجهمية الأولون لأن هذا المذهب مبني على الزندقة، وقد يكون أخذه جهم من الهندوك والمجوس؛ لأن هذا الرجل من ترمذ وهي في خراسان في المشرق بلاد المجوس، وتجاور بلاد الهندوك، وهذه الأمم الضالة أضل من اليهود والنصارى؛ اليهود والنصارى عندهم كتب حرفوها وبقي فيها شيء من الحق رغم التحريف الذي تناولوا به هذه الكتب، ولهذا هؤلاء هم شر من هؤلاء الكتابيين في الدنيا والآخرة، شر منهم -والعياذ بالله-، ولهذا أباح الله الزواج من الكتابيات وأباح ذبائح الكتابيين اليهود والنصارى، ولم يبح الزواج من المشركين: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البَقَرَة: ٢٢١]، وأباح نكاح الكتابيات ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المَائِدَة: ٥]، وفي باب الأسماء والصفات بقيت أسماء الله وصفاته في كتبهم بدون تحريف عندهم -والله أعلم- كما بقي إثبات العلو عندهم، إثبات علو الله وأنه على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا موجود باق عند النصارى، إلا من دخل منهم في القول بوحدة الوجود، فقد يدخل في كثير منهم القول بالحلول ووحدة الوجود فيقولون عن الله في كل مكان -والعياذ بالله-،

لكن كتبهم بقي فيها شيء من الحق؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]؛ لأن فيها ما يبين ضلالهم لأنهم لا يعملون بكتابهم فيخالفونه، فرغم التحريف بقي شيء عندهم من الحق، ولهذا يقول عبد الله بن المبارك: «إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

لأن عندهم من الضلال والقول بالحلول -والعياذ بالله- ما لا يوجد عند اليهود والنصارى، هؤلاء متقدمو الجهمية، أما متأخروهم فقد قالوا بوحدة الوجود، وقالوا بالحلول في الأشخاص، هم يقولون بالحلول العام: الله -في زعمهم- في كل مكان، الله في كل شيء، الله لا يخلو منه مكان، ومع الأسف تابعهم كثير من الأشاعرة وتابعهم المعتزلة في هذا الضلال، لماذا؟ لأنهم ينفون علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلما نفوا علو الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، قالوا: إن الله في كل مكان، وقد يقولون: إن الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار....!! فإما يصفونه بالحلول وإما يصفونه بصفات المعدومات -والعياذ بالله-، وهذا نتيجة لانحرافهم، أبوا أن يلتزموا نصوص الكتاب والسنة، فوقعوا في هذه الضلالات؛ إما الحلول الذي جرهم إلى القول بوحدة الوجود وأن الله حالٌّ في كل شيء حتى قال قائلهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ... وما الله إلا راهب في كنيسة

فهذا قول أهل وحدة الوجود قبحهم الله، الله عندهم في كل شيء، أو الله هو عين كل شيء، ولهذا يقولون:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ... وما الله إلا راهب في كنيسة

قبحهم الله وضُلال الصوفية إلى يومنا هذا وضلال الروافض على هذا المذهب الخبيث، وتجد في مؤلفاتهم ما لا تستطيع أن تحكيه وتجد كثيرًا من مؤلفات الصوفية ترجع إلى ابن عربي، وأنا قرأت في كتب الصوفية لما سافرت إلى السودان عام (١٣٩٢) فاشتريت عددًا من كتب الطوائف، وكنت أقرؤها قراءة مقارنة، فأجدها كلها تلتقي في وحدة الوجود، وفي الشركيات الموجودة في غلاة الصوفية، وأذكر من كلام الشاذلية: «اللهم انتشلني من أوحال التوحيد واغمسني في عين بحر الوحدة».

ويقول إمام المرغنية:

وكنت عين وجود الخلق في أزل ... يسبح الكون تسبيحًا لإجلالي
فالعرش والفرش والأكوان أجمعها ... الكل في سعتي مستهلك بالي
وكل فضل سما للكون مرتفعًا ... فإنما هو من مَنِّي وإفضالي

هذا ما قال بوحدة الوجود، بل زاد على وحدة الوجود، لأنه جعل نفسه هو الله عَزَّوَجَلَّ. فهذا كله منشؤه مذهب الجهمية الذي بدأ بالحلول وانتهى بوحدة الوجود، والعياذ بالله. فهنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى التحذير من هؤلاء لشرهم وخبثهم وذكر شبهتهم التي يتعلقون بها.

ما دليلكم أن الله في كل مكان؟ قالوا: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] إذن هو في اعتقادهم في كل مكان.

أين آيات الاستواء آيات أن الله على العرش استوى؟ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، فهذا من النصوص المتشابهة التي بينتها آيات وأحاديث لا أول لها ولا آخر.

يعني أدلة علو الله عَزَّوَجَلَّ واستوائه على عرشه كثيرة جدًّا، تبلغ المئات من الأدلة، وكلها في القرآن والسنة، والقرآن مليء بها تركوها، وتعلقوا بهذا النص.

هذا النص نفسه سياقه يدل على بطلان احتجاجهم به فيدمغ باطلهم ويبين ضلالهم، كيف؟.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتحدث عن علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإحاطته بكل شيء واطِّلاعه على كل شيء ومشاهدته لكل شيء، بحيث لا يوجد شيء في الكون إلا وهو يعلمه سُبْحَانَهُ من صغيرة وكبيرة، والأشخاص ما من واحد أو اثنين إلا والله معهم بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧] صدَّر الآية بالعلم لأنه يتحدث عن العلم ويبين هذه الصفة العظيمة إحاطة علمه بكل شيء؛ علمه الذي وسع كل شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧] كل شيء في السموات والأرض يعلمه الله عَزَّوَجَلَّ من دقيق وجليل ظاهر وخفي يعلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخفى عليه خافية ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: رقيب عليهم مطَّلع عليهم مشاهد لهم في حركاتهم وسكناتهم وخلجات قلوبهم فلا يخفى عليه شيء ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] في البر، في البحر، في أعماق البحار، في أي مكان، في ظلمة الليل، في وضح النهار، أينما كانوا، في أي زمان، في أي مكان، فإن الله مطلع عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]؛ لأنه قد علم ما عملوا في هذه الحياة الدنيا ينبئهم يوم القيامة بكل ما عملوه، بحيث لا يترك شيئًا من أعمالهم، ولهذا عندما تُقدَّم لهم كُتُب أعمالهم يقولون: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] فهو يعلم وملائكته تكتب ويعلم ما تكتبه ملائكته أكثر من علم الملائكة بما يكتبون، وترفع إليه الأعمال فيما يرفعون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو تَعَالَىٰ أعلم بها ﴿يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [المجادلة: ٧]، ويقول العلماء: إن دلالات السياق أقوى من دلالات الألفاظ، هذا السياق في هذه الآية من أوضح الأدلة على أن الله يريد بهذا بيان علمه وإحاطة هذا العلم بكل شيء[1] لا يريد أن يقول أن الله في كل مكان تَعَالَىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وبالإضافة إلى أن النص يبطل هذه الدعوى، فالنصوص كثيرة جدًّا التي تبيِّن علوَّ الله على خلقه وأنه على العرش استوى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] في سبع آيات من القرآن الكريم، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ورفع الله عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى السماء، وترفع الأعمال إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن الأدلة على علو الله تَعَالَىٰ على جميع مخلوقاته: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]...، في أدلة كثيرة جدًّا تثبت علوَّ الله وأنه في السماء وإذا قال الله «في السماء» ففي هنا بمعنى «على» يعني على السماء وفوق السماء، فمن أراد الحق، فهو واضح أوضح من الشمس في رابعة النهار، ومن أراد الله إضلاله فتخفى عليه هذه البراهين، أو يتجاهلها لهوى وغرض والعياذ بالله.

فالشاهد: تساءل المؤلف أو فرض سؤالًا: ما دليلهم على دعواهم الباطلة؟ قالوا: هذه الآية، ثم رد عليهم: ما معنى الآية؟ الآية المراد بها أن الله عليم بكل شيء، ولهذا أجمع

---

(١) انظر: «الرد على الزنادقة والجهمية» ص: (٣٩-٤١-السلفية)، و«الرد على الجهمية» للدارمي، ص: (٤٢-٤٥-ابن الأثير).

....

السلف كما يحكي ابن كثير وغيره[1] على أن المراد بالمعية هنا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، المراد بالمعية هنا معية العلم والاطلاع والمشاهدة، لا المعية بذاته، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولهذا يقول المصنف: «**قال أهل العلم**» يريد إجماعهم هذا الذي قاله أهل العلم ما اختلف في ذلك أهل العلم بحق من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى لم يختلفوا في تفسير هذه الآية أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مطَّلع علينا بعلمه، وينزهون الله أن يكون مع الخلق في هذه الأرض، وتعالى الله أن يكون في شيء من خلقه في السموات والأرض، بل هو في فوق جميع مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قرر ذلك عَزَّوَجَلَّ.

وهذه الآية المقصود منها بيانُ علمه الذي أحاط بكل شيء، وعلى ذلك أجمع العلماء على أن المراد بالمعية في هذه الآية معية العلم والاطلاع، ودليل هذا الإجماع النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة.



---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/ ٤٢). وانظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٢٣٦-٢٣٧) و«معالم التنزيل» للبغوي (٨/ ٥٤-٥٥)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ٣٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٧/ ٢٩٠).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٦٥٢] حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: نا أبو داود السجستاني قال: نا أحمد بن حنبل قال: حدثني سريج بن النعمان قال: نا عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان».

[٦٥٣] وحدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: نا الفضل بن زياد، سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: قال مالك بن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان» فقلت: من أخبرك عن مالك بهذا؟ فقال: سمعته من سريج بن النعمان، عن عبد الله بن نافع[١].

٦٥٤- وحدثني أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: نا النضر بن سلمة المروزي قال: نا علي بن الحسن بن شقيق قال: أنا عبيد الله بن موسى[٢]، عن خالد بن معدان[٣] قال: سألت سفيان الثوري عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؟ قال: «علمه»[٤].

---

(١) إسناده صحيح: رجاله كلهم ثقات. وأخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب «السنة» (١/ ٢٨٠).

(٢) كذا، وفي المصادر الأخرى: «عبد الله بن موسى الضبي». وهو الصواب.

(٣) كذا، وفي المصادر الأخرى: «معدان». وهو الصواب.

(٤) هذا إسناد ضعيف جدًّا، النضر بن سلمة المروزي قال أبو حاتم فيه: «كان يفتعل الحديث». ترجمته في «ميزان الاعتدال».

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٩٧]، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١١-الأثيوبي)، واللالكائي [٦٧٢]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٩٠٨]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٢) من طرق عن علي بن الحسن بن شقيق عن عبد الله بن موسى الضبي عن معدان قال: سألت سفيان الثوري... =

[٦٥٥] وأخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: نا الفضل بن زياد قال: نا أبو عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: نا نوح بن ميمون قال: نا بكير ابن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] قال: «هو على العرش، وعلمه معهم»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ آيات تدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء على عرشه، وعلمه محيط لجميع خلقه.

هنا ساق المؤلف أقوال العلماء في إثبات أن المراد بهذه الآية بيان علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المحيط بكل شيء، ولهذا نقل عن مالك وعن أحمد ابن حنبل وعن سفيان الثوري وعن مقاتل بن حيان وعن الضحاك، نقل عنهم ما يدل على أنهم يؤمنون بأن المراد من هذه الآية إثبات علم الله الواسع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه على العرش، وأنه يُنزه أن يكون في مكان، هذا

= فذكر مثله. وزاد عبد الله بن أحمد وابن عبد البر: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ: وَسَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: إِنْ كَانَ بِخُرَاسَانَ أَحَدٌ مِنَ الْأَبْدَالِ فَهُوَ مَعْدَانُ».

وفي الإسناد من لم أهتد إلى ترجمته: عبد الله بن موسى الضبي.

قال الذهبي في «العلو» ص: [١٣٧]: «روى غيرُ واحد عن معدان الذي يقول فيه ابن المبارك: «هو أحد الأبدال»، قال: سألت سفيان الثوري عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]، قال: علمُه».

(١) في إسناده ضعف، بكير بن معروف هو الأسدي، أبو معاذ، وقيل: أبو الحسن، النيسابوري ويقال الدامغاني، قال فيه الذهبي في «المغني»: وهاه ابن المبارك، وقال ابن عدي: «أرجو أنه لا بأس به»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق فيه لين» من السابعة توفي سنة [١٦٣].

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٠٩-الأثيوبي) من طريق الفضل بن زياد به.

ورواه أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» [١٦٩٨]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٩٢] كلاهما عن أحمد به.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٩٥]، والطبري في «التفسير» (٢٣/ ٢٣٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٩٠٩]، وابن قدامة في «صفة العلو» ص: [١٧٢] من طرق أخرى عن نوح بن ميمون به.

ما ساقه من هذه الآثار فيها الثابت وفيها غير الثابت، ولكن غير الثابت يسوقه السلف للاستئناس، ويسوقون الثابت من السنن الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ؛ وهي الأدلة الصريحة التي تقوم بها الحجة والتي تدمغ الباطل وأهله.





قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفي كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ **آيات تدل على أن الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **في السماء على عرشه، وعلمه محيط لجميع خلقه قال الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: ١٦ – ١٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وقال عَزَّوَجَلَّ **لعيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥].

وقال جل ذكره: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٧ – ١٥٨]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطَّلَاق: ١٢]

يسوق المؤلف هنا الآيات التي تبين أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء؛ أي في العلو، وأن علمه أحاط بكل شيء، فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مهدِّدًا العباد الذين ينحرفون عن دينه ويخالفون رسله ويكذبونهم، وفي ذلك أيضًا تهديد لمن يخالف من المؤمنين برقابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقوته وقدرته على أن يهلكهم، فالأرض أرضه والسماء سماؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن شاء أن يخسف بهم الأرض فهو قادر، وإن شاء أن يرسل عليهم حاصبًا فهو على ذلك قادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقول: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ يعني: ستعلمون إن حصل شيء من هذا كيف عاقبة إنذاري، فهذا إنذار من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو قادر على أن يعذبهم بما شاء من العذاب إما أن يخسف بهم الأرض وهي طوع أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن شاء أن يرسل عليهم حاصبًا وهو الريح المهلكة، وقد تكون مصحوبة بالحصباء وهي الحصى والحجارة

-والعياذ بالله-، فلا يعلم جنود الله إلا الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] السماء من جنوده، والأرض من جنوده، والملائكة من جنوده، ومخلوقات أخر لا نعلمها من جنوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الشاهد في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ في السماء في العلو ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من هو في العلو وهو فوقكم؟ هو الله رقيب عليكم يحصي عليكم أعمالكم، وإن شاء أن يعجل لكم العقوبة في هذه الدنيا عجلها لكم بأن يخسف بكم الأرض أو يسقط عليكم عذابًا من السماء أو يرسل عليكم حاصبًا فيهلككم، وعند ذلك تعرفون عاقبة إنذاره لكم.

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] الصعود يكون إلى علو، فلو كان الله في كل مكان ما يحتاج أن يصعد إليه الأعمال، ما يقال: يصعد إلى الله عَزَّوَجَلَّ لو كان في كل مكان، كيف تصعد إليه الأعمال؟! تعالى الله عما يقول هؤلاء علوًّا كبيرًا، وآمنا بأن ربنا في السماء وأن أعمال عباده خيرها وشرها تصعد إلى الله عَزَّوَجَلَّ مكتوبة على أيدي الملائكة، وقد علمها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قبل أن يعلموها وأحاط بهذه الأعمال، ويجزي المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه.

الشاهد في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] سبحانه وتعالى يرفعه إلى الله ويصعد إلى الله، لماذا؟ لأن الله فوق السموات، ولهذا تصعد إليه الأعمال يصعد بها الملائكة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهو أعلم بذلك.

الشاهد: ما قال: إليه يهبط أو حوله يمين ولا يسار، وإنما قال أن الأعمال تصعد إليه والملائكة تصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] إلى السماء، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ موجود في السماء وهو حي كما أخبر عنه رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وينزل قبل قيام الساعة حكمًا عدلًا مقسطًا ويقتل الدجال، فالله رفعه إلى السماء وهو في السماء الثانية كما جاءت الأحاديث الصحيحة(١) هو ويحيى وجدَهما الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هذه السماء ليلة الإسراء به إلى الله.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] لما ادعى اليهود والنصارى أن اليهود قتلوا عيسى وكذبوا وافتروا فكذبهم الله وأخبر أن عيسى رفعه الله حيًّا ولم يقتل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨] رفعه الله إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى السماء، لو كان باقيًا في الأرض كيف يصعد إلى السماء، كيف صعد والصعود إلى من؟ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو في أعلى العلو فوق السموات.

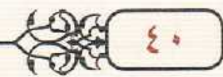
الشاهد: أن هذه النصوص من أدلة علو الله وأن الله فوق السموات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس في كل مكان كما يقول الجهمية ومن تابعهم من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] هذه من أدلة علمه الواسع يعلم ما في السماء وما في الأرض ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الشاهد: أن هذه الآيات ساقها المؤلف لإثبات علو الله ينقض بها ويهدم بها ما يقوله هؤلاء الضُلال من أن الله في كل مكان.

---

(١) سيأتي بعضها في باب: «ذكر الإسراء» برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



٥٠ بَابُ

ذكر السنن التي دلت العقلاء على أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه فوق سبع سمواته وعلمه محيط بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء

[٦٥٦] أخبرنا الفريابي قال: نا عبد الله بن جعفر بن يحيى (١) قال: نا معن ابن عيسى، عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لما قضى الله عَزَّوَجَلَّ الخلق؛ كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

[٦٥٧] وأخبرنا الفريابي قال: نا قتيبة بن سعيد قال: أنا المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لما قضى الله عَزَّوَجَلَّ الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

[٦٥٨] وحدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: نا هارون بن عبد الله البزاز قال: نا شبابة يعني ابن سوار، عن ورقاء، عن أبي الزناد، عن الأعرج،

---

(١) عبد الله بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبو محمد البصري، قال الذهبي في «الكاشف»: «صدوق»، وقال الحافظ ابن حجر: «ثقة» من الحادية عشرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لما قضى الله عَزَّ وَجَلَّ الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»[١].

[٦٥٩] حدثنا أبو بكر بن زكريا المطرز قال: نا الفضل بن سهل قال: نا أبو عاصم، عن سفيان الثوري، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع فقال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفض به، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره»[٢].

[٦٦٠] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا يوسف بن موسى قال: نا عبيد الله بن موسى قال: أنا سفيان، عن حكيم بن الديلم، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع فقال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»[٣].

[٦٦١] أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشي قال: نا علي بن عبد الله المديني قال: نا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، إن خولة

....

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري [٣٠٢٢] في كتاب «بدء الخلق»، ومسلم [٢٧٥١] في «التوبة» بإسنادهما إلى أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم [١٧٩] في كتاب «الإيمان من طريق الأعمش» عن عمرو بن مرة، ومن طريق شعبة عن عمرو. وإسناد المصنف صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال التهذيب.

(٣) إسناده حسن: حكيم بن الديلم بن أبي المختار قال الذهبي في «الكاشف»: وثقه ابن معين وغيره، وقال أبو حاتم: «لا يحتج به»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق» من السادسة.

لتشتكي زوجها إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فيخفى علي أحيانًا بعض ما تقول، فأنزل الله** عَزَّوَجَلَّ: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله الآية»**(١).

ساق المؤلف هنا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسانيده، وهو قوله: «**لما قضى الله** عَزَّوَجَلَّ **الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش إنَّ رحمتي غلبت غضبي**»(٢)، وهو مخرج في الصحيحين.

وساق حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الله** عَزَّوَجَلَّ **لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه. يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(٣)، وفي إحدى مخطوطات الشريعة: «**حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحاتُ وجهه كل شيء أدركه بصره**»، **والصواب:** ما في الرواية الأولى.

الشاهد: إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش، إذن الكتاب عند الله، والله فوق العرش، والكتاب عند ربنا فوق العرش: «كتب كتابًا: إن رحمتي غلبت غضبي» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فرحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين، ورحمته تغلب غضبه، شاء ذلك هو وأراده؛ لأنه الكريم الرحيم رحمته تغلب غضبه، ولهذا يجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها(٤).

---

(١) **إسناده صحيح**: رجاله كلهم ثقات، وأبو مسلم إبراهيم الكشي، ويقال الكجي، ترجمته في «السير» (١٣/ ٤٢٣). والحديث علقه البخاري عن الأعمش بصيغة الجزم في كتاب «التوحيد»، باب قول الله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ووصله النسائي في كتاب «الطلاق» [٣٤٦٠]، وابن ماجه في كتاب «الإيمان» [١٨٨]، بإسنادين صحيحين.

(٢) رواه البخاري في «بدء الخلق» [٣١٩٤]، ومسلم في «التوبة» [٢٧٥١].

(٣) أخرجه مسلم في «الإيمان» [١٧٩]، وأحمد (٤/ ٣٩٥، ٤٠١).

(٤) كما جاء في البخاري في «الرقاق» [٦٤٩١]، ومسلم في «الإيمان» [١٢٨] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

....

ويخرج الله الموحدين من النار، وهنا تتجلى رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يهلك على الله إلا هالك، فسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وسعت رحمته كل شيء من الملائكة والجن والإنس والحيوانات في البر والبحر في السابق في اللاحق كلهم ينعمون بهذه الرحمة ويتقلبون فيها، والكفار يرحمهم في هذه الدنيا، ويؤجل عذابهم ويصبر عليهم كما جاء في «صحيح البخاري ومسلم» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عَزَّوَجَلَّ، إنهم يجعلون له ندًّا ويجعلون له ولدًا، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم»**(١).

الشاهد في هذا الحديث قوله: **«كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش»** هذا يدل على علو الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله فوق عرشه، وقد كتب هذا الكتاب الذي ضمنه أن رحمته تغلب غضبه جَلَّ وَعَلَا وسبحانه وتعالى، والكتاب والسنة يتطابقان على إثبات هذه الحقيقة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في السماء فوق العرش.

كذلك حديث أبي موسى الحديث الثاني تكرار للحديث الأول حديث أبي موسى: **«إن الله** عَزَّوَجَلَّ **لا ينام»**: لا تأخذه سنة ولا نوم، **«ولا ينبغي» أي**: لا يمكن ولا يجوز على الله أن ينام، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، **يعني**: لا يجوز ولا يمكن، هو من المستحيلات.

ـــ **«يرفع القسط ويخفض به»**: في صحيح مسلم فيما أعرف: **«يرفع القسط ويخفضه»**.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الأدب» حديث [٦٠٩٩]، وفي «التوحيد» حديث [٧٣٧٨]، ومسلم -واللفظ له- في كتاب «صفات المنافقين» حديث [٢٨٠٤]، كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشاهد في قوله: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل يرفع إليه» لماذا يرفع إليه؟ لأنه في السماء، وعلى العرش استوى، وفوق هذا الكون، ولذا يرفع إليه العمل، ولو كان في كل مكان كما يقوله أهل الضلال من الجهمية ومن تابعهم كيف يُرفع إليه؟ ولو كان في أسفل كيف يرفع إليه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

«حجابه النور»: هو نور، وحجابه نور، **«لو كشفه -هذا الحجاب- لأحرقت سبحات وجهه»**: نور وجهه وجلاله **«لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»**، في صحيح مسلم: [**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**] يعني يحرق من في السموات وما في الأرض من الملائكة والجن والإنس وسائر مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ سبحانه وتعالى، وهذا من رحمته عَزَّوَجَلَّ بعباده، ثم يوم القيامة يراه عباده المؤمنون يكشف هذا الحجاب ويرونه؛ لأن الله قد هيأهم وأهَّلهم لرؤيته، أما بنية الإنسان في هذه الحياة وبنية غيره من المخلوقات فإنها ما هُيِّئت لرؤيته عَزَّوَجَلَّ، فيراه المؤمنون يوم القيامة حتى يراه المنافقون والكافرون في عرصات القيامة، ولكن يراه المؤمنون رؤية إكرام ونعيم، ويراه الكفار في العرصات فقط ولعلها رؤية حسرة.

ثم بعد ذلك لا يراه إلا المؤمنون، ولهذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال في هذه السورة في المؤمنين: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] على الأرائك ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، على السرر ينظرون إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ وينظرون إلى ما أنعم الله عليهم به في الجنة.

الشاهد من الحديث: قوله: **«يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل»** لماذا يرفع إليه؟ لأن الله فوق، وهذا الذي يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يليق بالله

عَزَّوَجَلَّ ما يقوله هؤلاء الضالون أنه في كل مكان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، والسُّفل دائمًا يدل على الخسة: ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] لماذا؟ لأن هذا مهانة لهم أن يكونوا في الأسفلين، والله جعل الجنة فوقُ في السماء، وجعل النار أسفل؛ النار في أسفل الأرضين والجنة في السماء وسقفها عرش الرحمن لماذا؟ لأنها دار كرامة، وتلك دار مهانة لمن أهانهم الله وأذلهم.

حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيه دلالة على علم الله عَزَّوَجَلَّ، قالت: فأنزل الله يعني الإنزال الشاهد: «فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ» فالإنزال يكون من أعلى إلى أسفل: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [القدر: ٤]، فالنزول يكون من علو، فهذا القرآن وهذا الكلام وهذه القصة شاهدها الله عَزَّوَجَلَّ وسمعها وأنزل الحل فيها أنزل من أين؟ من أعلى، لو لم يكن المُنزل في العلو ما يحتاج أن يقول: «أنزل»، ما يحتاج إلى هذا.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يثبتنا على الإسلام وعلى الحق في هذه القضايا وغيرها، قضايا العقيدة، وقضايا المنهج، وقضايا العبادة، وقضايا الأخلاق، والقضايا كلها، نسأل الله أن يجعلنا من أحسن من يقوم بها، ومن يدين الله بها، وأن يجنبنا وإياكم الضلالة والانحراف؛ إن ربنا لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

[٦٦٢] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: أخبرنا محمد أبان البلخي قال: أخبرنا يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ كُلَّهَا، إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتُنَاجِي رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعُ بَعْضَ كَلامِهَا، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضٌ، إِذْ أَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]». قال يحيى: كذا قال الأعمش (١).

[٦٦٣] وحدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ جَالِسًا بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا اسْمُ هَذِهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، اسْمُ هَذِهِ: السَّحَابُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْمُزْنُ»؟ قَالُوا: وَالْمُزْنُ. قَالَ: «وَالْعَنَانُ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «فَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا إِحْدَى، وَإِمَّا اثْنَتَانِ، وَإِمَّا ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً إِلَى السَّمَاءِ، وَالسَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ الله عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ ذَلِكَ».

---

(١) في إسناده يحيى بن عيسى التميمي الرملي، قال الذهبي فيه في «الكاشف»: «قال النسائي وغيره: ليس بالقوي»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ»، لكنه يعتضد بما قبله، فيرتقي إلى درجة الحسن لغيره.
أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٦)، والنسائي في «الطلاق» (٦/ ١٦٨)، وابن ماجه في «المقدمة» [١٨٨]، وإسناده صحيح.

[٦٦٤] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عباد بن يعقوب الرواجني قال: أخبرنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف ابن قيس، عن العباس بن عبد المطلب قال: كُنَّا جُلُوسًا بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ...، وذكر الحديث بطوله.

[٦٦٥] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله قال: أخبرنا أبي قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس ابن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مَرَّتْ سَحَابَةٌ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: السَّحَابُ. قَالَ: «أَوِ الْمُزْنُ؟» قُلْنَا: أَوِ الْمُزْنِ. قَالَ: «أَوِ الْعَنَانُ؟» قُلْنَا: أَوِ الْعَنَانُ. قَالَ: «فَهَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قُلْنَا: لا، قَالَ: «إِحْدَى وَسَبْعُونَ، أَوِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ، أَوْ ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ، وَالَّتِي فَوْقَهَا مِثْلُ ذَلِكَ - حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ - ثُمَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْبَحْرُ، أَسْفَلُهُ مِنْ أَعْلاهُ، مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَهُ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلافِهِنَّ، وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ الْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ الْعَرْشِ»(١).

٦٦٦ - حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع بن الجراح، عن سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، فَكَانَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وأبو داود في «السنة» [٤٧٢٣]، والترمذي في «التفسير» حديث [٣٣٢٠]، وقال: حسن غريب، وابن ماجه في «المقدمة» [١٩٣]، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» [٦]، وهو حديث ضعيف، في إسناده عبد الله بن عميرة، قال فيه الحافظ ابن حجر: مقبول، وقال الذهبي في «الميزان»: فيه جهالة، وقال البخاري: «لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس»، انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ١٥٩) رقم: [٤٩٤]، و«الميزان» (٢/ ٤٦٩).

فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّمَا يَجْرِي النَّاسُ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ»(١).

٦٦٧- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا حفص بن عبد الرحمن قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: إِنِّي لَعِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! جَهِدَتِ الأَنْعَامُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى الله عَزَّوَجَلَّ، وَنَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ»؟! وَسَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ؛ شَأْنُ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَفَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَإِنَّهُ لَهَكَذَا مِثْلُ الْقُبَّةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ- وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»(٢).

٦٦٨- حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا محمد ابن سهل بن عسكر قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن ابن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس

....

(١) سبق تخريجه برقم [٣٥١].

(٢) إسناده ضعيف، فيه جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، قال في التقريب: «مقبول». ومحمد بن إسحاق ابن يسار مشهور بالتدليس، عده الحافظ في المرتبة الرابعة في «طبقات المدلسين» ص: [٥١]، وقال: «صدوق مشهور بالتدليس عن «الضعفاء» والمجهولين وعن شر منهم وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما». ولم يصرح هنا بالسماع.

رواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٢٦] من طرق عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق به نحوه.

ابن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالْوَحْيِ: أَخَذَتِ السَّمَاءَ مِنْهُ رَعْدَةٌ أَوْ قَالَ: رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُكَلِّمُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا أَرَادَ مِنْ وَحْيِهِ، فَيَمْضِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى مَلَائِكَةِ سَمَاءٍ سَمَاءٍ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَمْضِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»(١).

....

---

(١) في إسناده نعيم بن حماد المروزي، وثقه طائفة من أهل العلم، ولينه آخرون، قال أبو علي النيسابوري: «سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في «العلم والمعرفة والسنن»، ثم قيل له في قبول حديثه؟ فقال: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار في حد من لا يحتج به». انظر: «ترجمته من التهذيب» (١٠/ ٤٦٠-٤٦٣).

وفيه الوليد بن مسلم مشهور بالتدليس.

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٥١٥]، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» [٢١٦]، والطبري في «التفسير» (٢٠/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤١٦-تفسير ابن كثير)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٤٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» [٥٩١]، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٠٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٤٣٥] من طرق عن نعيم بن حماد به. وقد صرح الوليد بن مسلم في طريقين عند الطبراني بالتحديث، إلا أن الطريقين إليه فيهما ضعف. وخالفهما خمسة من الثقات، ليس في رواياتهم ذكر السماع.

وسئل دحيم عن هذا الحديث فقال: «لا أصل له». تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص: [٦٢١]، و«الميزان» للذهبي (٤/ ٢٦٩).

وتابع نعيمًا عمرو بن مالك الراسبي عن الوليد به. أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٠٠) عن محمد بن عبد الله بن رسته عنه. لكن عمرو بن مالك الراسبي ضعيف متهم بسرقة الحديث، تركه أبو زرعة. كما في ترجمته من «الميزان».

وقال أبو حاتم الرازي: «لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ بِالشَّامِ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ». «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ٥١٦-سامي سلامة).

٦٦٩- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا علي بن الحسين بن إبراهيم قال: حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، قَالَ: فَيَصْعَقُونَ، فَلا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: الْحَقَّ، فَيُنَادُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ»[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذِهِ السُّنَنُ قَدِ اتَّفَقَتْ مَعَانِيهَا وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا: أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، خَبِيرٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه؛ أما بعد:

فهذه النصوص ساقها المؤلف لإثبات علوِّ الله، وأنه فوق سماواته فوق عرشه، وأنه بكل شيء عليم؛ أحاط بكل شيء علمًا، علم ما في السموات وما في الأرضين، لا يخفى عليه شيء من حركة ولا سكون، يرى كل شيء، ويسمع كل شيء، لا تخفى عليه خافية.

وساق المؤلف عددًا من الأحاديث فيها الضعيف وفيها الصحيح؛ والقضية ثابتة في القرآن والسنة الصحيحة لا شك. ويسوق مثل هذه الأدلة التي فيها شيء من الكلام

(١) حديث صحيح، وإسناد المصنف صحيح.
رواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٣٨]، وابن حبان [٣٧]، كلاهما عن علي بن الحسين بن إبراهيم به.
ورواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٣٨] عن أحمد بن أبي سريج وعلي بن مسلم عن أبي معاوية به.
وعلقه بصيغة الجزم البخاري في صحيحه في «كتاب التوحيد» (٩/ ١٤١)، عن مسروق به.

في أسانيدها للاستئناس بها فقط، لا للاعتماد عليها ولا للاحتجاج بها؛ فالأساس هو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وقد أثبت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علوَّه على خلقه وكونه فوق العرش فوق السموات في سبع آيات صريحة في إثبات هذه القضية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] في سبع آيات[1]، فبعض هذه الآيات كافٍ شافٍ في إثبات أن الله هو العليُّ الأعلى، وأنه فوق سمواته، وفوق عرشه على الوجه اللائق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، علوٌّ لا يشبه علوَّ المخلوقين، واستواءٌ لا يشبه استواء المخلوقين؛ وهذه قاعدة: أن نثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفات الكمال، مع اعتقاد تنزيهه عن مشابهة المخلوقين، في ضوء قول مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»[2] فنحن نؤمن بصفات الله كلها: العلوِّ، والنزول، والمجيء، والوجه، واليدين، والغضب، والرضى، والقدرة، والإرادة وغير ذلك؛ نثبتها على أساس أنها معلومة وحقائق ثابتة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفي نفس الوقت نعتقد أننا لا نعلم الكيفية؛ لأنه لا يعلم الكيفية إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فلا نحيط بذاته؛ نؤمن بذاته ونثبتها إثبات وجود، ومع ذلك لا نحيط بها علمًا، ولا نعرف كيفية هذه الذات، فلا نقول في الاستواء وفي العلو وفي النزول وفي المجيء

---

(١) في سورة الأعراف [الأعراف: ٥٤]، [يونس: ٣]، [الرعد: ٢]، [الفرقان: ٥٤]، [السجدة: ٤]، و[الحديد: ٤] كلها بلفظ واحد: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص: [٦٦]، برقم: [١٠٤]، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٨- طيبة)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، والصابوني في «عقيدة السلف» ص: [١٧]، وابن عبد البر في «التمهيد»: (٧/ ١٣٨، ١٥١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ٣٠٤-٣٠٦) برقم (٨٦٦، ٨٦٧ مكتبة السوادي)، وذكره ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري»: (١٣/ ٤٠٦) من رواية البيهقي وقال: (بسند جيد)، وقال الذهبي في «العلوّ» (١٤١- مختصر الألباني): (هذا ثابت عن مالك).

وفي الرضا وفي الغضب وفي الصبر إلا كما نقول في الذات؛ نؤمن بهذه الصفات على أنها حقائق ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، ولا نستطيع أن نعرف كيفية شيء منها؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فذاته لا تشبه الذوات، واستواؤه لا يشبه استواء المخلوقين، وعلمه لا يشبه علم المخلوقين، وبصره، وإرادته، وقدرته، ويده، ونزوله، ومجيئه، كل هذه الصفات تليق بهذه الذات التي نؤمن بها ونثبتها، ولكن لا نعلم كيفيتها، فكذلك الصفات نؤمن بكل صفة ثبتت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الوجه اللائق لله الذي لا يشابه صفات المخلوقين على أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ هذه الآيات فيها قاعدة عامة لإثبات صفات الله ونفي المماثلة عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الذات وفي الصفات وفي الأفعال؛ فذاته لا تشبه الذوات: ليس كمثله شيء في ذاته، ليس كمثله شيء في صفاته، ليس كمثله شيء في أفعاله، فهذه الأمور ينبغي أن نعرفها أن نثبت لله ما أثبته الكتاب والسنة، وننفي عنه ما نفاه عنه الكتاب والسنة، والذي نثبته يكون على الوجه اللائق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سواء في الذات أو الصفات أو الأفعال، هذه أمور ينبغي أن نضبطها -بارك الله فيكم-، ونخرج بذلك عن طرق أهل الضلال؛ الذين يشبِّهون الله عَزَّوَجَلَّ، ثم ينفُذون من التشبيه إلى التعطيل، أو يركدون ويجمدون عند هذا التشبيه؛ وكلهم على ضلال، وكل مشبِّهٍ معطِّلٌ -كما يقال-، وكل معطل مشبه؛ فالذي يعطل لا ينتهي إلى التعطيل إلا بعد أن يتصور التشبيه، والمشبه شبَّه الله عَزَّوَجَلَّ وجمد على التشبيه، وقال: له سمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، واستواء كاستوائنا،

فنرد على هؤلاء بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وبقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، المشبهة نردُّ عليهم بقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فالله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ كما في هذه النصوص وغيرها. ونرد على المعطلة بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فنؤمن بأن الله سميع بصير كما نؤمن بجميع ما أثبته الله ورسوله من الأسماء والصفات ونقول: نحن نثبت لله الأسماء والصفات ونؤمن بذلك على أساس نفي المشابهة عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ بمقتضى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فالسميع البصير فيهما دليل واضح على إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

وهذه أدلتنا على إبطال ما يذهب إليه المشبهة، وأدلتنا على إبطال ما يقوله المعطلة.

وليعلم أن المعطلة أصناف:

- إما أن يعطلوا كل الأسماء الصفات.
- وإما أن ينفوا الصفات ويثبتوا الأسماء؛ أسماءً حينئذ جوفاء لا معاني لها! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا !.
- وإما أن يثبتوا بعض الصفات ويعطلوا البعض.

فنرد على جميع المعطلة بأصنافهم والمشبهة بأصنافهم؛ نرد عليهم بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وبالنصوص الثابتة في الكتاب والسنة التي أثبتت لله صفات الكمال، ونزهته عن صفات النقص؛ فيتعالى الله عَزَّوَجَلَّ أن يصف نفسه بصفة فيها نقص -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، والدليل أنه نفى عن نفسه النقائص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فهذا نقصٌ نزَّه الله عنه نفسه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

مشركو العرب لـمَّا نسبوا لله الولد فقالوا: الملائكة بنات الله، واليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: عيسى ابن الله؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، فكذَّب الجميع الذين ادَّعوا له البنات أو البنين تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا! فلما كانت هذه صفات نقص نزَّه الله نفسه عنها، وقال في من يدَّعي له الولد: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ⑧⑨ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ⑨⓪ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ⑨① وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ⑨② إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٨٩ - ٩٣] ليس له أولاد سُبْحَانَهُ، ما يكونون إلا عبيدًا ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ⑨③ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٤]، فلما كانت مثل هذه الأمور تقتضي النقص نزَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفسه في آيات كثيرة عن هذه النقائص؛ هذا شأن الله عَزَّوَجَلَّ، إذا كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول فيمن يجعل له الولد مثل هذا الكلام، فكيف يصف نفسه بالنقائص؟! فالمعتزلة والجهمية يعتقدون أنَّنا إذا أثبتنا لله سمعًا وبصرًا وقدرة وإرادة وغيرها مما وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به نفسه ووصفه بها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نكون قد شبَّهنا الله بخلقه! وهذا تنقصٌ لله عَزَّوَجَلَّ، قبَّحهم الله! فعطلوا هذه الصفات وتجرَّأوا على ردِّ كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أثبت لنفسه هذه الصفات، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت لربِّه هذه الصفات، والصحابة أثبتوا لله هذه الصفات. أرأيتم لو كان في شيء منها نقص أيثبتونها لله؟! أرأيتم أنها لو كانت تقتضي التأويل أيتركونها بدون تأويل؟! أيترك الله ذلك بدون تأويل وبدون بيان؟! أيترك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك دون تأويل؟! أيترك الصحابة ذلك دون تأويل؟! تعالى الله عما يقولون!.

....

أهل السنة وعلى رأسهم الصحابة رأوا أن إثبات صفات الله على ما يليق بجلاله يقتضي إثبات الكمال لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أثبت لنفسه ذاتًا تليق بجلاله، وأثبت لنفسه صفاتٍ تليق بجلاله، وأثبت لنفسه أفعالًا تليق بجلاله؛ وقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فالمعطلة إما أن يعطِّلوا الصفات الذاتية كالسمع والبصر والقدرة والإرادة، وإما الصفات الفعلية كالنزول والمجيء والرضا والغضب وما شاكل ذلك، زعمًا منهم أن إثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه، فتلوثت وتنجست عقولهم وقلوبهم بالتشبيه، فأدَّاهم ذلك إلى تعطيل الصفات، وقعوا في التشبيه ثم انحدروا إلى هوة التعطيل! والمشبِّهة شبَّهوا الله ابتداءً وبقوا على التشبيه الباطل، فلم يثبتوا لله صفات الكمال؛ أثبتوا له صفاتٍ غير التي أثبتها لنفسه، فإنه عَزَّوَجَلَّ أثبت له صفات لا تشبه صفات المخلوقين، وهؤلاء المشبهة أثبتوا له صفات تشبه صفات المخلوقين، فلم يثبتوا له صفات الكمال؛ فكل مشبه معطل وكل معطل مشبه، وأهل السنة والحق من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان أهل إثبات وتنزيه؛ إثبات صفات الكمال، وتنزيه لله عَزَّوَجَلَّ عن صفات النقص التي تشابه صفات المخلوقين؛ هذا ما نقوله في خلاصة هذا الدرس. والمحقق أشار إلى ضعف بعض الأحاديث، ونحن كما قلنا غير مرة: إن سياق المؤلف لها من باب الاستئناس والاعتضاد، لا من باب الاحتجاج، وبعضها مثلًا مثل حديث العباس الذي فيه: «إن بين كل سماء وسماء اثنين وسبعين أو ثلاث وسبعين سنة»، ويدل حديث آخر على أن المسافة بين كل سماء وسماء خمسمائة سنة(١)، فيوفق بين الحديثين

---

(١) ورد تقدير المسافة بخمسمائة سنة في حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عند أحمد (١/ ٢٠٦)، وأبي يعلى في «مسنده» (١٢/ ٧٥)، برقم: [٦٧١٣]، ومحمد ابن أبي شيبة في «العرش» [١٠]، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٧)، برقم: [٣٥٤٧]، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، والذهبي في «العلوّ» ص: (٥٨-٥٩).
=

على فرض صحتها بأن المسافات هذه تختلف بحسب الوسائل؛ قد تكون الوسيلة الإبل مثلًا، فتقدر هذه المسافة بسير الإبل خمسمائة سنة، وبسير الفرس المضمر الجواد بثلاث

= قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي فقال: «يحيى بن العلاء واه».
وجاء هذا اللفظ كذلك في حديث قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند «أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي وأبي الشيخ في العظمة» -كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧)- وغيرهم، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَيُرْوَى عَنْ أَيُّوبَ وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَعَلِيِّ ابْنِ زَيْدٍ قَالُوا: لَمْ يَسْمَعِ الْحَسَنُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ». وبهذا أعلَّه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٨٩). وضعفه الذهبي في «العلوّ» ص: [٧٤] لتدليس الحسن، ثم لنكارة في متنه. وضعفه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم برقم: [٥٧٧].
ورواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٨-١٦٩) عن قتادة مرسلًا. قال ابن كثير: «ولعل هذا هو المحفوظ». «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٨). وورد ذكر المسافة بخمسمائة سنة كذلك من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند إسحاق بن راهويه في «مسنده» والبزار وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه والبيهقي كما في «الدر المنثور» (١/ ١٠٨). ورواه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٢٢٤) من طريق أبي الشيخ. وقال: «أبو نصر لا يعرف، والخبر منكر». وضعفه في «العلوّ» ص: [١١٤].
وقد جاء من طرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا ذكر هذه المسافة نحوه. أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص: [٥٥]، برقم: [٨١]، وفي «النقض على المريسي» (١/ ٥١٩-٥٢٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٢-٢٤٤، برقم ١٤٩- ١٥٠)، (٢/ ٨٨٥)، برقم: [٥٩٤]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٩٥-٣٩٦)، برقم: [٦٥٩]، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٢)، برقم (٨٩٨٦، ٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩)، برقم (٢٧٩/ ١٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٨٦-١٨٧)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلوّ» ص: (١٠٤-١٠٥)، برقم: [٧٥]، والذهبي في «العلوّ» ص: [٧٩]، وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص: [١٦٠]، وفي «مختصر الصواعق» (٢/ ٢١٠)، وصححه الذهبي في «العلوّ» (ص: ١٠٣ - مختصره)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦١-٢٦٢)، و«عزاه» للطبراني وقال: (رجاله رجال الصحيح). قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في القول المفيد شرح كتاب «التوحيد» (٢/ ٥٣٧): «هذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها، فيكون له حكم الرفع، لأن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُعرف بالأخذ عن الإسرائيليات».

وسبعين أو اثنين وسبعين؛ فلا شك أن الفرس المضمر الجواد يقطع مسافات أكثر مما تقطعه الإبل، فإنه يقطع في اليوم ما يقطع سير الإبل في أيام، فيجمعون بين هذا الحديث حديث العباس الذي تقدر فيه المسافات بثلاث وسبعين أو اثنين وسبعين وبين حديث بين كل سماء وسماء خمسمائة سنة نجمع بينها بهذا التوفيق، فاختلاف المسافات يرجع إلى اختلاف وسيلة السير؛ قد تكون إبلًا، وقد تكون غيرها حميرًا، وقد تكون خيولًا مضمرة سريعة، فإذا كان التقدير بالخيول المضمرة السريعة فيكون اثنين وسبعين أو ثلاثة وسبعين سنة، وإذا كانت الإبل فخمسمائة سنة؛ هكذا وفّقوا بين الحديثين؛ هذا على فرض ثبوت الحديث حديث الخمسمائة سنة؛ فهذا هو الذي ضُعِّف.

حديث النواس بن سمعان: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **بِالْوَحْيِ**» ففيه إثبات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، «**أَخَذَتِ السَّمَاءَ مِنْهُ رَعْدَةٌ**» يرتجف الكون إذا تكلم الله عَزَّوَجَلَّ، ويصعق الملائكة، وفي حديث ابن مسعود قال: «**فَإِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**» أي ذهب عنهم الفزع وذهب عنهم الصعق يقولون: «**يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ**- أي: ربُّكم- **الْحَقَّ، فَيُنَادُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**».

الشاهد من الحديث: أن الله يتكلم، وإن لكلامه شأنًا عظيمًا، وإن السموات لترتجف من كلامه، وإن الملائكة ليصعقون من كلامه؛ الملائكة الغلاظ الشداد: الملك الموكل بالسحاب، والملك الموكل بكذا، والملك الموكل بكذا؛ لا يعلم عظمتهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ خلق الله ملائكة لا يعلم عظمتهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ لكن لا يحتملون سماع كلام الله عَزَّوَجَلَّ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل جبريل الذي خلق فيه من القوة والاستطاعة ما يتحمل به سماع كلام الله عَزَّوَجَلَّ بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فيخبرهم بما حصل، ويخبرهم بأن الله قال الحق.

الشاهد: أن فيه إثبات كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه إثبات علم الله، وأن الله أحاط بكل شيء علمًا؛ كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ كُلَّهَا، إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتُنَاجِي رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَسْمَعُ بَعْضَ كَلامِهَا، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضٌ، إِذْ أَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]»، انظروا! محاورة خفية بين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبين هذه المرأة التي ظاهر منها زوجها وهي تريد الرجوع إلى زوجها، وكان الظهار بمنزلة الطلاق في الجاهلية، ولم يأت حكم في قضية الظهار قبل هذه الحادثة ولم ينزل الله حكمًا خاصًّا به، فبقي على الأصل؛ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ حلاً لهذه المشكلة، وبيَّن حكم الظهار: أن من ظاهر من زوجته فليعلم أنه قد أتى أمرًا حرامًا وقال منكرًا من القول وزورًا لا يجوز قوله، وإذا وقع فيه المسلم فليستغفر الله العظيم من هذا الزور وهذا البلاء؛ فإنها تحرم عليه هذه المرأة التي ظاهر منها فلا يجوز له أن يمسها، حتى يأتي بكفارة؛ والكفارة إما عتق رقبة مؤمنة قبل أن يتماسَّا، وإما إطعام ستين مسكينًا قبل أن يتماسَّا، أو صوم شهرين متتابعين قبل أن يتماسَّا.

الشاهد: إنه نزل حكم الله عَزَّوَجَلَّ في هذه القضية لما جاءت المجادلة تشكو إلى النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ زوجها، وسمع الله هذا التحاور، وأنزل تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حلَّ هذه المشكلة، وبيَّن حكمها؛ سمع ذلك من فوق سبع سموات فوق العرش سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنه يسمع ويعلم كل ما يدور في هذا الكون من حركة أو سكون، فلا يخفى عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خافية، فعظَّمت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ذلك، وحكت هذه القصة. ويؤخذ من هذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أن الله قد سمع؛ إذ أثبت ذلك بصيغة الماضي، فأثبت صفة السمع بصيغة الفعل الماضي: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ﴾ أثبت هذه الصفة صفة

....

السمع بصيغة المضارع، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أثبت ذلك أيضًا بالوصف ﴿سَمِيعٌ﴾؛ باسم الفاعل ومشتقاته أثبت الله سمعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا فيه رد على من يعطلون سمع الله وبصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِذَا تَكَلَّمَ الله** عَزَّوَجَلَّ **بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا**» وقد يأتي هنا إشكال: كيف يشبه وحي الله عَزَّوَجَلَّ بجر السلسة على الصفا؟.

الجواب: أن هذا ليس فيه تشبيه كلام الله ووحيه بجر السلسلة، وإنما فيه تشبيه ما نسمع نحن، فيه تشبيه سمع الملائكة لكلام الله عَزَّوَجَلَّ بسمعنا لجر السلسلة على الصفوان، ليس فيه تشبيه لكلام الله، وإنما فيه تشبيه سمع بسمعٍ؛ فالملائكة يسمعون كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الوجه اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يشبه كلام المخلوقين؛ الشاهد: إنه تشبيه سمع بسمع، لا تشبيه المسموع بالمسموع؛ فالمسموع كلام الله لا يشبه لا جرَّ سلسلة على صفوان ولا غيرها.



الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: متى يجب أن نثبت خبر الثقة ومتى لا يجب؟

جواب: درست المصطلح أيُّها السائل؟ درست الحديث أو الخبر الذي يجب قبوله؟ أما درست في المصطلح أن الخبر الصحيح: وهو رواية عدل، تام الضبط، متصل السند، غير معلٍّ، ولا شاذٍّ. فإذا توفرت هذه الصفات وهذه الشروط صَحّ الخبر ووجب قبوله.

ويتثبت من خبر الثقة إذا جرح شخصًا، وعارضه إمام ثبت ثقة، فوثّق هذا المجروح، فإنه حينئذ يطالب الجارح بتفسير الجرح، فإذا فسره بأمر جارح انتهى دور التثبت ووجب قبول جرحه والبناء عليه من رد شهادة المجروح وعدم قبول خبره.

سؤال: ثبت عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أشار إلى أذنه وإلى بصره؛ لإثبات السمع والبصر لله تَعَالَى، فهل يجوز لنا أن نفعل مثل ما فعل النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك في بقية الصفات؛ فهل يجوز لنا أن نفعل مثل ذلك؟

جواب: وهل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتكب محرَّمًا حتى نقول: هل يجوز ذلك؟! إن كان الإنسان لا يفهم أعجمي وأشرت له؛ لا بأس، لكن عند الأشاعرة ما يجوز الإشارة! حتى حديث الجارية يضعِّفونه ويتكلمون فيه! فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في المشهد العظيم يوم عرفات: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «**اللهمَّ اشْهَدِ اللهمَّ اشْهَدْ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1]، وأقرَّ الجارية حينما

---

(١) رواه مسلم في «الحج» حديث [١٢١٨] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أشـارت إلى السـماء وذلك لما سـألها: «**أين الله؟**» فقالت: في السـماء وأشـارت إلى السماء، قـال: «**من أنـا؟**» قالت: أنـت رسـول الله[١]. فأقرَّها على هذه الإشـارة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعندهـم لا يجوز الإشـارة إلى الله عَزَّوَجَلَّ! لمـاذا؟ لأن الله ليس فوق! فإذا أشرت إلى فوق؛ فهذه جريمة عندهم! لأننا في اعتقادهم إذا أثبتنا لله الفوقية شبَّهنا الله عَزَّوَجَلَّ! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فالرسـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشـار للإثبـات أن لله سـمعًا حقيقـة، وأن له بـصرًا حقيقة، لا تشـبيهًا لسـمع الله بسـمعه وبصر الله ببصره، تعالى الله عن ذلك! ولا يريد رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وإنما يريد أن يثبت أن لله سمعًا حقيقة، وأن لله بصرًا حقيقة.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ هذا السائل: يطلب إعادة شرح كل مشبِّه معطِّل وكل معطِّل مشبِّه؟

جواب: المعطِّل -كما قلنا سـلفًا-: مـا عطَّل العلوَّ والاسـتواء والوجه واليدين والرضـا والغضـب إلا بعد أن تصـوَّر أن نصوص الكتاب والسـنة التـي دلَّت على هذه الصفات تقتضي التشبيه، فنفى عن الله ما دلت عليه هذه النصوص؛ هذا تعطيل جاء بعد تشـبيه؛ تصوَّر أن معاني هذه النصوص تدل على تشـبيه الله بخلقه، فلما استقر هذا الباطل في قلبه اضطره الشيطان بعد استقرار هذا الباطل في نفسه إلى نفي هذه الصفات؛ هذا شبَّه أوَّلًا أو لا؟ واضح أو لا؟ ثم عطَّل.

المشـبِّه معطِّل كيف؟ لأنه شـبَّه الله بخلقه - وهذه النصوص ما دلَّت على المشابهة- وهو اعتقد المشـابهة وشـبه الله عَزَّوَجَلَّ بخلقـه؛ إذن ما أثبت لله الصفـات التي دلت عليها النصـوص، بـل عطلهـا عن معانيهـا الحقيقية التي دلـت عليها، وآمن بذلك رسـول الله

---

(١) رواه مسـلم في «المسـاجد ومواضـع الصلاة» حديـث [٥٣٧] من حديث معاوية بن الحكم السـلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصحابته الكرام والتابعون بإحسان، فالنصوص دلّت على صفات تليق بجلال الله لا تشبه صفات المخلوقين، وهذا المشبه فهممننصوص صفات الله من سمعه وبصره واستوائه أنها مثل صفات المخلوقين تمامًا، فاستقر في نفسه هذا التشبيه، فلم يؤمن بصفات تليق بالله عَزَّوَجَلَّ؛ وهذا تعطيل لها، فهذا شبَّه أولًا وعطَّل ثانيًا؛ كما أن المعطِّل شبَّه وعطَّل؛ فكلُّ مشبِّه معطِّل وكلُّ معطِّل مشبِّه.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: هل صحيح بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى استوى على العرش بذاته وأنه معنا بذاته؟

جواب: الله على العرش، ومعنا بعلمه وسمعه وبصره، لا بذاته؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأن هذا قول أهل الحلول، وقد كفَّرهم السلف. فالله فوق عرشه وهو معنا بعلمه وسمعه وبصره واطلاعه عَزَّوَجَلَّ، فلا تخفى عليه خافية، فلهذا فسَّر السَّلف آية المعيَّة[(١)] بأنها العلم والاطلاع والمشاهدة، مع الإيمان بأن الله فوق خلقه جميعًا، وتعالى الله أن يكون في شيء من خلقه.

---

(١) وهي قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٣-٤].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

قال أبو عمر الطلمنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الوصول إلى معرفة الأصول»: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تَعَالَى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء». «شرح حديث النزول» لابن تيمية (٥/ ٥١٩- مجموع الفتاوى)، و«العلو للعلي الغفار» للذهبي ص: [٢٤٦]، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» ص: [٧٦]، و«الصواعق المرسلة» لابن القيم (٤/ ١٢٨٤).

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التمهيد» (٧/ ١٣٨-١٣٩): «وأما احتجاجهم بقوله عَزَّوَجَلَّ: =

سؤال : شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ما رأيكم فيمن يقول: لابد من التدرج مع الناس في تعليم المنهج؛ كما تدرَّج الله في تحريم الخمر.

جواب : بيِّن لنا هذا التدرج حتى نفهم؛ إن رأيناه حقًّا أخذنا بكلامه، هل يجوز تدرُّج الإخوان المسلمين وتدرُّج حزب التحرير: أننا ما نعلِّم الناس العقيدة والتوحيد إلا بعدما نقيم الدولة، هل يريد هذا؟ هذا باطلٌ؛ لأن هؤلاء أهل ضلال عقائدهم فاسدة، لكن عندما يعارضهم السلفيون في منهجهم الفاسد في الدعوة إلى الله يخترعون مثل هذه الأشياء! فالتدرُّج في التعليم أمر مطلوب، لكنه مضبوط بالشرع على طريقة الأنبياء؛ فإذا جئت إلى بلد وفيه ضلال وانحراف كالرفض ونحوه من البدع الغليظة؛ فخذهم بالحكمة بأن تبدأ من حيث بدأ الأنبياء، فإذا استقرت العقيدة في أنفسهم جئتهم بالتشريعات والحاكمية، هذا التدرج عندنا وهو واقع، لكن تدرجنا غير تدرجهم؛ تدرجنا هو السير على طريقة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نبدأ بالدعوة إلى التوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فهم يريدون أن يؤخروا ما قدَّم الله، ويقدِّموا ما أخَّر الله عكس طريقة الأنبياء، عكس طريقة المنهج الذي أخبر الله به عن جميع الأنبياء، هؤلاء الأنبياء لما أتوا إلى أوضاع فاسدة في نهاية الفساد ونهاية الضلال بماذا بدأوا؟ يبدؤون بالدعوة إلى التوحيد، أليس كذلك؟ والدليل قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

= ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِلَ عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله». ونقل عنه هذا الإجماع ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» ص: [١١٥]، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٨٧ و١٩٣ و٤٩٦)، وفي غيرها من كتبه، والذهبي في «العلوّ للعلي الغفار» ص: [٢٤٦]، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص: (٦٩، ٨١)، وفي «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٨٨-١٢٨٩).

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] بماذا بعثوا؟ بُعثوا ليفسح لهم المجال للوصول إلى الكراسي؟!! هل قالوا لأقوامهم: أنتم تحكمون بغير ما أنزل الله ونحن نريد الكراسي؟! بل يدعون إلى التوحيد، ومحاربة الأوثان، والشركيات بمظاهرها وأسبابها ووسائلها، فمن اهتدى فالحمد لله، ومن لم يهتد فليس عليك هداهم.

فنبدأ من حيث بدأ الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإذا استقرت العقائد ورسخت في القلوب أتت على إثرها الشرائع الأهم فالأهم، وذلك في جميع أصناف المدعوين كفار أو يهود أو نصارى؛ كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعثه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى** «وفي لفظ: **فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**»- انظر: أول ما تدعوهم إليه- **شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**»[(١)]؛ هكذا التدرج، فنسير على هذا المنهج.

أما إذا كانوا مسلمين وعندهم بعض فساد في العقائد؛ فنصلح عقائدهم وأما الصلاة عندهم فهي واجبة والزكاة واجبة ولا يمارون في ذلك فنكون قد اكتسبنا مراحل.

هذا التدرج يا إخوة في الدعوة؛ البدء بالتوحيد سواء كان مجتمعًا إسلاميًّا فيه ضلالات وشركيات، أو كان مجتمعًا نصرانيًّا أو يهوديًّا أو وثنيًّا، نتدرج بالبدء بالتوحيد وهكذا، ثم ننتقل إلى المراحل التي ذكرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والواقع أن الذين يبدؤون بالدعوة إلى الحاكمية والسياسة أنهم لا يحملون العقيدة، ولا يدعون إليها، وفاقد الشيء لا يعطيه.

---

(١) رواه البخاري في «الزكاة» حديث [١٣٩٥]، وفي «التوحيد» حديث [٧٣٧٢]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٩]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: هل يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بالمعرفة أم بالعلم فقط؟

جواب: بالعلم؛ الوصف بالعلم أكمل، وهذا اختاره الله ما وصف نفسه إلا بالعلم، والمعرفة دون العلم.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: هل من نصيحة: طالب علم يعتدُّ برأيه، ويتَّهم آراء العلماء الكبار في تفسير النصوص؟

جواب: إي والله ننصحه؛ ننصحه أوَّلًا بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ والإخلاص له والتواضع، واحترام أهل العلم العلماء السابقين واللاحقين والموجودين -بارك الله فيكم-، يحترمهم، ويتأدب، ويستفيد منهم فإن: «**من حقِّ الكبير أن يوقَّر، ومن حق العالم أن يوقَّر**»(١).

وأن يستفاد منه، وإذا خلا الإنسان من الأدب، وركب رأسه، واغتر بنفسه؛ فهذا ماش في طريق الهلاك؛ الخوارج ما أُتوا إلا من هذا الباب، كانوا لا يعتدُّون بأقوال العلماء -العلماء في عهدهم هم الصحابة- ما كانوا يعتدون بأقوالهم، وما يرجعون إلى تفسير الصحابة وفهم الصحابة للإسلام. والقرآنيون كفروا لماذا؟ لأن غرورهم قادهم إلى احتقار العلماء، وإلى أن يقولوا: يكفينا في فهم القرآن اللغة العربية، ما يحتاج لسنة ولا غيرها ! فأنكروا السنة، فكفروا -والعياذ بالله-.

(١) أخرج أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢٣)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٢/ ٥٤٣) برقم: [٧٨٧]، وابن أبي الدنيا في «العيال» [١٨٥]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٣٦٥)، والآجري في «أخلاق حملة القرآن» [٦٣]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١١)برقم: [٤٢١]، وعنه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (٣٨٣برقم٦٦٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٨/ ٣٦١) برقم: [٤٤٥] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حقه**».

قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٤): «رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني والحاكم إلا أنه قال: (ليس منا)». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٣٨): «رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، وإسناده حسن». وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٤) برقم: [١٠١].

والجهميـة والمعتزلة وسـائر أهـل الضلال ما أُتوا إلا من هذا البـاب: مخالفة العلماء والاعتداد بالرأي، فما ضل من ضل إلا بهذا الأسـلوب. فننصح هذا الأخ المغرور نقول له: اتق الله في نفسك! فإنك والله ما تضرُّ الإسلام، وإنما تضرُّ نفسك، فارفق بها! ورويدًا رويدًا، وخذ العلم من العلماء، واستفد منهم، وإذا وصلت إلى مرتبة عالية مرتبة الترجيح بالأدلة والبراهين الواضحة، حينئذ لك أن ترجِّح من كلام العلماء القدامى أو المعاصرين ما يظهر لك بالأدلة الواضحة أن هذا الرأي هو الراجح، العلماء ليسـوا معصومين، لكن هـم خيار الناس، وهم ورثـة الأنبياء، وهذه منزلة عظيمة يجب على الشـاب أن يراعيها، وأن يستفيد من العلماء وأن يحترمهم، ويعلم أنه إلى أزمنة متأخرة طويلة يمكن ما يستطيع أن يستقل، فيمشي بنفسه، رويدًا حتى يتمكن من العلم.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ما رأيكم في هذه المقولة: «إن الله ما رأيناه، ولكن بالعقل عرفناه»؟

جواب: ما رأيناه، ولكن بالـشرع عرفناه، قبل كل شيء بالفطرة؛ فطرك الله على معرفتـه والإقرار به، وأكَّد ذلك بالرسـالات والوحي، وعرَّفك الله بأن له سـمعًا وبصرًا وعلـمًا واسـتواءً وكثـيرًا مـن الأسـماء والصفـات لا تعرفها إلا بواسـطة الـشرع؛ العقل يُثبـت وجـود الله في الجملة، لكن بالتفصيل لابدَّ من الـشرع؛ الله فطرك على معرفته وأنه خالـق هـذا الكون ورب هـذا الكون ومدبِّره، لكن بقيت هناك أشـياء كثـيرة لابد منها، ولا تعلمهـا إلا مـن طريق الشرع وقد يكـون إنكارها كفرًا، بل إنكارهـا كفر؛ لأنها ثابتة بالكتاب والسـنة مثل: الاسـتواء ليس ثابتًا بالعقل، لكن بالشرع، النـزول والمجيء هذه ثابتـة بالشرع ليسـت بالعقول، فهناك آيات كثيرة وأحاديث كثـيرة جدًّا يجب الإيمان بها، ولا يسـتغني العقـل عنها ولا يكفي، فلابد أن نتلقاها من رسـول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من كتاب الله ومن سنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

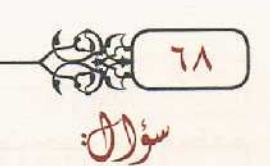
سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: على ذكر حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الاستسقاء؛ إنه قد ظهر عندنا في بلادنا في مناطق النخيل صلاة كصلاة الاستسقاء يصليها الناس، ويدعون الله أن يرزقهم الحرَّ؛ ليتم نضج التمور، ويقيسون هذا العمل وهذه الصلاة على صلاة الاستسقاء، فهل عملهم هذا فيه وجه من الصحة أو هو محدث وبدعة في دين الله تَعَالَى؟

جواب: هذه الصورة غير مشروعة في حدود علمي، لكن إذا نزل المطر وأضرَّ بهم يقولون: «**اللهمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا**»؛ كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فإنه جاء أعرابي قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يسقينا، فدعا الله، فأرسل الله سحابة وانتشرت فمطروا أسبوعًا حتى تضرَّرت الدوابُّ والمزارع والأشياء، وانقطعت السبل، فقال ذلك الرجل أو غيره في الجمعة الثانية لرسول الله: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل وكذا وكذا، فادع الله لنا! فقال: «**اللهمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا**»[1]. إذا رأوا أن المطر فيه ضرر عليهم فيقولون: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»، دعاء يكفي بدون صلاة استسقاء.

أما صلاة ليرزقهم الله الحر، فهذا ما لا أعرفه، ولا أعتقد أنه يشرع، والصلاة من أعظم الأمور التعبدية فلا يدخلها القياس، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأتي الحر في عهده وما يقيم صلاة يسميها صلاة عدم الاستسقاء أو صلاة صرف المطر عنهم، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما فعل هذا، كان يأتي في أيامه الحرُّ والتمور يشتد عليها الحرُّ، وما يصلي بهم صلاة خوفًا على تمورهم، وكذلك الخلفاء الراشدون، وكذلك السلف الصالح؛ وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. لكن لهم أن يدعوا إذا رأوا مطرًا يضر بهم يقولون: «**اللهم حواليا ولا علينا**»؛ كما قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما صلاة فلا.

---

(١) رواه البخاري في «الجمعة» حديث [١٠٢١]، ومسلم في «صلاة الاستسقاء» حديث [٨٩٧]، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



يقول: أخبرني أحدهم أنك قلت: بأنك رأيت الله بقلبك، فنرجو التوضيح.

جواب: هذا سؤال سُئلته ما أدري في الكويت أو غيرها، وأجبنا من خلال كلامنا أن المؤمن يرى الله بقلبه، أو ذُكر حديث ابن عباس في اختلاف الصحابة في الرؤية؛ قلت: الصحابة ما اختلفوا؛ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نفت رؤية الله بالأبصار، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أثبت رؤية الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقلبه. وهذا قد يحصل لغير الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو المعرفة ونحو هذا الكلام، فراحوا يطبلون عليها مثل أبي الحسن ومثل هؤلاء الدجالين طبَّلوا عليها، وقالوا: هذا كلام الصوفية وكذا، فرددنا عليهم بكلام السلف، وما أدري فيه ردٌّ لواحد سوداني اسمه حسن أو حسين إسماعيل خيري أتى بأمثلة من كلام ابن تيمية ومن كلام السلف وإلى آخره، ومعنى الحديث الذي يقوله الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١)، ورددنا عليهم وهم يتعلقون بخيوط العنكبوت، ما عندهم شيء يحاربوننا به إلا تتبع المتشابهات كما يقال، وهذا ضلال!.

كان سألني أخ متى يجب قبول الخبر؟ قلنا له: بشروط، وذكرنا الشروط، فهل شروط قبول الخبر موجودة عند صاحبك هذا الذي نقل لك هذا الكلام؟.

والله -يا إخواني- هؤلاء أفسدوا أصول الفقه، وأصول الحديث، وأصول الشريعة بأهوائهم -والعياذ بالله-، وظهرت آثار سيئة في نفوس كثير من الشباب الذين يحسِّنون الظن بهؤلاء المفسدين، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[الأعراف: ٥٦]، وكان المنافقون يفسدون في الأرض ويقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ

---

(١) قطعة من حديث جبريل الطويل: أخرجه البخاري في «الإيمان» [٥٠] وفي «التفسير» حديث [٤٧٧٧]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٩]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ورواه مسلم في «الإيمان» حديث [٨]، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مُصۡلِحُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١١]، فقال الله عَزَّوَجَلَّ مكذِّبًا لهم: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٢]. فهناك حركات تدَّعي الإصلاح إصلاح المجتمعات الإسلامية، وإقامة الخلافة وهم لا يأتون للناس إلا بالفساد، ولا يربُّون الناس إلا على الطرق الفاسدة -والعياذ بالله-، فعلينا إن أردنا الإصلاح أن نسلك طريق الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الإصلاح؛ وخاصة رسولنا الكريم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، نسلك طريقه في الإصلاح: إصلاح العقائد، إصلاح المناهج، ربط الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وبما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من أخلاق، وما كان عليه السلف الصالح من سير وأخلاق إلى آخره؛ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولو أردنا أن نصلحها بشيء آخر غير ما أصلح الأولين؛ فلن يتأتى ذلك أبدًا، ولهذا الآن ترى التخبطات، تراه يتخبط كتخبط الصريع الذي نهايته السقوط -والعياذ بالله-، والله ما هم عارفين كيف يسيرون، ولا كيف يسيرون بالناس، ولا كيف يقودون الناس، ووالله ما عندنا شيء إلا ما جاء به الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ما عندنا شيء للإصلاح إلا ما جاء به الأنبياء، ولا سيما خاتمهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فلا طرق للإصلاح إلا هذه، أما دعاوى الإصلاح؛ كل يدعي الإصلاح: المنافقون، الشيوعيون، الروافض، الباطنية، كل واحد يدعي الإصلاح؛ والقرآن يكذبهم، والسنة تكذبهم، كذلك الصوفية أهل الطرق، والسياسيون؛ وكل أهل الضلال يدعون الإصلاح، والقرآن يُكذِّب كل ما ينادون به، فلابد إذن من الرجوع إلى الكتاب والسنة، والاعتماد عليهما في عقائدنا؛ قبل كل شيء نصلح العقائد، يا إخوان إذا فسدت العقائد فسد كل شيء، وإذا صلحت صلح كل شيء: **«أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»**[1]، فالقلب الذي لا يقوم على عقيدة صحيحة قلب فاسد، فتفسد الجوارح،

(١) كما ثبت في الحديث عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من رواية النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا؛ أخرجه البخاري في «الإيمان» حديث [٥٢]، ومسلم في «البيوع» حديث [١٥٩٩].

ومنها اللسـان بالكذب والفجور، وتفسـد كل الحركات والأعمال -والعياذ بالله-؛ فهذا أمـر ضروري لابـد منه، لا يقول: نجمع المسـلمين واحترام الـرأي الآخر؛ أحترم رأيك واحترم رأيي!! يعني: سبّ الصحابة وكفّرهم وأنا أحترم رأيك! ما شـاء الله!! قل: الله في كل مـكان، الله متّحـد بالكـون! أحـترم رأيك!! قل: عيسـى ابن الله! أحـترم رأيك!! قـل: عزير ابـن الله ! أحترم رأيك!! قل: بوذا هو الله ! أحـترم رأيك!! هذا معنى احترام الـرأي!! يا إخوة ! مـا فيه إصلاح عندهم، بهذه الطريقة ما يبقى مجال للإصلاح الحقيقي المشروع، وإن كانوا يأتون بحيل وتمويهات، لكن هذه هي النتيجة!.

طريقـة الرسـل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، نصحـح للنـاس شـهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدًا رسـول الله قبل كل شيء، ونعرفهم بأسـماء الله وصفاته على الوجه اللائق به وما يستحقه ربنـا مـن العبادة والإجلال ثـم الطاعة والانقيـاد، ثم اتباع رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعته، والله إذا صلحت هذه الأشياء يصلح -إن شاء الله- كل شيء.



قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذِهِ السُّنَنُ قَدِ اتَّفَقَتْ مَعَانِيهَا وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَكُلُّهَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، خَبِيرٌ وَقَدْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ دُعَاءَهُ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ» وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا قَرَءُوا: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قَالُوا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا فِي السُّجُودِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا. وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُقَوِّي مَا قُلْنَا: أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى: عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْحُلُولِيَّةُ نَعُوذُ بِالله مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ.

٦٧٠ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا أحمد بن منصور بن سيار قال: نا عبد الصمد ابن النعمان قال: نا عمر بن راشد أبو حفص اليمامي، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال: «ما سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتح دعاءه إلا بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب»[1]. وله طرق.

[٦٧١] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا هارون بن إسحاق قال: نا وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن عبد خير قال: سمعت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ سبح اسم ربك الأعلى، فقال: «سبحان ربي الأعلى»[2].

---

(١) إسناده ضعيف، فيه عمر بن راشد اليمامي، قال الذهبي في «الكاشف»: «قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو حاتم: لا تقوم به حجة». وقال الحافظ في «التقريب»: «ضعيف». وعبد الصمد بن النعمان، قال في «الميزان»: «وثقه ابن معين، وغيره. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. وكذا قال النسائي».
رواه أحمد (١٦٥٤٨-الرسالة)، والحاكم [١٨٣٥] وغيرهما من طرق عن عمر بن راشد به.

(٢) في إسناده إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق يهم»، وقال الحافظ =

[٦٧٢] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا زياد بن أيوب قال: نا هشيم قال: أنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر أنه كان يقرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فيقول: «سبحان ربي الأعلى»(١).

٦٧٣- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا عمي قال: نا أبو نعيم قال: نا زهير، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة، عن طلحة بن يزيد، عن حذيفة قال: صليت خلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما سجد قال: «سبحان ربي الأعلى»(٢).

= الذهبي في «الكاشف»: «حسن الحديث، وقال أبو حاتم: لا يحتج به».

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٤٧-الحوت)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٤٠) من طريق وكيع به.

ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٤٥١)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٤٧-الحوت) من طريق الثوري به.

(١) إسناده صحيح: رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن»، ص: [١٥٤]، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٣٦٧)، والحاكم [٣٩٢٣] من طريقين عن هشيم به نحوه بزيادة. وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

(٢) أصله في الصحيح. وفي «إسناد المصنف» عم ابن أبي داود واسمه محمد، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٤٩)، وهو متابع كما سيأتي.

وفيه العلاء بن المسيب، قال في «التقريب»: «ثقة ربما وهم».

رواه الدارمي في «الصلاة» [١٣٦٣] عن أبي نعيم به. وتابعه معاوية بن عمرو عن زهير به، أخرجه الحاكم [١٢٠١].

وتابع زهيرًا جماعة من الثقات، فرواه النسائي في «الافتتاح» حديث [١٠٠٩]، وفي «قيام الليل وتطوع النهار» حديث [١٦٦٥]، وابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» حديث [٨٩٧]، وأحمد [٢٣٣٩٩] وغيرهم، من طرق عن العلاء بن المسيب به.

قال النسائي: «الْحَدِيثُ عِنْدِي مُرْسَلٌ، وَطَلْحَةُ بْنُ يَزِيدَ لَا أَعْلَمُهُ سَمِعَ مِنْ حُذَيْفَةَ شَيْئًا، وَغَيْرُ الْعَلَاءِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ».

قلت: رواه أبو داود في «الصلاة» حديث [٨٧٤]، والنسائي في «التطبيق» حديث [١٠٦٩]، وفي =

[٦٧٤] حدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا هارون بن إسحاق قال: نا وكيع، عن هشام ابن عروة، عن عبد الله بن الزبير: أنه قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فقال: «سبحان ربي الأعلى»(١).

[٦٧٥] أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: نا محمد بن أبي بكر المقدمي، وعلي بن المديني قالا: نا عبد الله بن يزيد المقرئ قال: حدثنا موسى بن أيوب الغافقي قال: حدثني عمي إياس بن عامر: أنه سمع عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»(٢).

= [١١٤٥] من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن رجل من عبس عن حذيفة نحوه.

ورواه مسلم في «صلاة المسافرين» حديث [٧٧٢] من طرق عن الْأَعْمَش، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ الْأَحْنَفِ، عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ، عَنْ حُذَيْفَةَ نحوه.

(١) أثر صحيح: وهذا إسناد حسن أو صحيح، فيه هارون بن إسحاق، وصفه الذهبي بالحافظ، وقال فيه: «ثقة متعبد»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق».

رواه ابن شيبة (٢/ ٢٤٨-الحوت) عن عبدة عن هشام به.

(٢) في إسناده موسى بن أيوب الغافقي، قال فيه الحافظ ابن حجر: «مقبول»، وقال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ثقة فقيه»، فالظاهر أنه حسن الحديث.

وفيه إياس بن عامر عم موسى بن أيوب، وثقه ابن حبان وقال العجلي: «لا بأس به»، وقال الذهبي: «ليس بالقوي». «التهذيب».

رواه الدارمي [١٣٤٤]، وابن خزيمة [٦٠٠]، والحاكم (٨١٧، ٣٧٨٣)، وأحمد (١٧٤١٤-الرسالة) وغيرهم من طرق عن عبد الله بن يزيد المقرئ به.

قال الحاكم في الموضع الثاني: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.

ورواه أبو داود في «الصلاة» حديث [٨٦٩]، وابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» حديث [٨٨٧] من طريق موسى بن أيوب به.

٦٧٦- وأخبرنا الفريابي قال: نا داود بن مخراق الفريابي قال: نا وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن إسحاق بن يزيد الهذلي، عن عون بن عبد الله بن عتبة، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ركع أحدكم فليقل في ركوعه: سبحان ربي العظيم ثلاثًا، فإذا فعل ذلك فقد تم ركوعه وذلك أدناه، وإذا سجد فليقل: سبحان ربي الأعلى، ثلاثًا، فإذا فعل ذلك، فقد تم سجوده، وذلك أدناه»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما يحتج به الحلولية مما يلبسون به على من لا علم معه، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقد فسر أهل العلم هذه الآية: «هو الأول: قبل كل شيء من حياة وموت، والآخر: بعد كل شيء، بعد الخلق، وهو الظاهر: فوق كل شيء يعني ما في السموات، وهو الباطن: دون كل شيء يعلم ما تحت الأرضين، ودل على هذا آخر الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾».

كذا فسره مقاتل بن حيان(٢) ومقاتل بن سليمان، ويثبِّت ذلك السنة.

....

(١) في إسناده جهالة وانقطاع، ولكن يشده الحديث قبله.
فيه إسحاق بن يزيد الهذلي، قال في «التقريب»: «مجهول».
وعون بن عبد الله بن عتبة لم يسمع من ابن مسعود كما في «تحفة التحصيل» ص: [٢٥١].
رواه ابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» حديث [٨٩٠] عن أبي بكر بن خلاد عن وكيع به.
ورواه أبو داود في «الصلاة» حديث [٨٨٦]، والترمذي في «أبواب الصلاة» حديث [٢٦١] من طرق عن ابن أبي ذئب به.
قال أبو داود: «هَذَا مُرْسَلٌ، عَوْنٌ لَمْ يُدْرِكْ عَبْدَ الله». وقال الترمذي: «حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ، عَوْنُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ لَمْ يَلْقَ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ: يَسْتَحِبُّونَ أَنْ لَا يَنْقُصَ الرَّجُلُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ مِنْ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ».
(٢) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» [٩١٠] بسند لا بأس به.

[٦٧٧] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: نا يوسف بن موسى القطان قال: نا جرير، عن مطرف، عن الشعبي، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما يلبسون به على من لا علم معه احتجوا بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وبقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، وعند أهل العلم من أهل الحق: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، فهو كما قال أهل العلم: مما جاءت به السنن: إن الله عَزَّ وَجَلَّ على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السموات، وإله من في الأرض، إله يُعبد في السموات، وإله يُعبد في الأرض، هكذا فسره العلماء.

---

(١) إسناده حسن، فيه يوسف بن موسى القطان، قال في «التقريب»: «صدوق».
أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٤٤-الوليد بن نبيه) عن المحاملي عن يوسف القطان به.
وتابعه محمد بن قدامة عن جرير به، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ص: [٦٧٢] عنه.
والمتن صحيح، رواه مسلم في «الدعاء» حديث [٢٧١٣]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل.

[٦٧٨] حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: نا الحسن بن الصباح البزار قال: نا علي ابن الحسن بن شقيق، عن خارجة بن مصعب، عن سعيد، عن قتادة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، قال: «هو إله يُعبد في السماء، وإله يُعبد في الأرض»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيما ذكرته وبينته مقنع لأهل الحق إشفاقًا عليهم، لئلا يداخل قلوبهم من تلبيس أهل الباطل ممن يميل بقبيح مذهبه السوء إلى استماع الغناء من الغلمان المرد يتلذذ بالنظر إليهم، ولا يحب الاستماع من الرجل الكبير، ويرقص ويزفن، قد ظفر به الشيطان فهو يلعب به مخالفًا للحق، لا يرجع في فعله إلى كتاب ولا إلى سنة، ولا إلى قول الصحابة، ولا من تبعهم بإحسان، ولا قول إمام من أئمة المسلمين، وما يخفون من البلاء مما لا يحسن ذكره أقبح، ويدعون أن هذا دين يدينون به، نعوذ بالله من قبيح ما هم عليه، ونسأله التوفيق إلى سبيل الرشاد، إنه سميع قريب.

٦٧٩- حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال: قال يزيد بن هارون: وذكر الجهمية فقال: «هم والله الذي لا إله إلا هو زنادقة عليهم لعنة الله»(٢)، وبالله التوفيق.

الحلولية مما يُلَبِّسُون به على من لا علم معه فيتابعهم بعض الجهال على هذه العقائد الفاسدة فيستدلون بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣]،

---

(١) أثر صحيح: وإسناد المصنف ضعيف، فيه خارجة بن مصعب، قال فيه الذهبي: «واهٍ».
أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» [٩١١] من طريق يَحْيَى بْن أَبِي طَالِبٍ عن علي بن الحسن بن شقيق به. ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١٧٨) عن معمر، والطبري في «التفسير» (٢١/ ٦٥٣) عن معمر وسعيد بن أبي عروبة، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٩١١] من طريق شيبان، ثلاثتهم عن قتادة مثله.

(٢) أثر صحيح: سبق تخريجه برقم: [١٦٩].

هـذا مـن أدلتهـم، والآية لا تـدل على ما يدعون، تعـالى الله عن ذلك، القـرآن ما دل على ما يقولون من هذه العقائدة الخبيثة، والله ما يدل عليها، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾: الباطـن ليـس دونه شيء، أي لا يحجب علمه شيء، وليـس كما يقول الحلولية: هو في كل شيء، تعالى الله عن ذلك، ما معنى الآية؟ بيَّنها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أمر واضح.

أولًا- آيات العلـو والصفات كيف توجهونها آيات كثيرة والأدلة الكثيرة التي تدل أن الله فوق خلقه أين تذهبون بها؟ هذا قبل كل شيء.

ثانيًـا- تفسـير الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الآيـة التي يتعلـق بها هـؤلاء المجرمون: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَـيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَـيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَـيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَـيْءٌ**»، يعني لا يحجبه شيء عن مخلوقاته يعلم كل شيء، الباطن معناه العالِم بكل شيء، وليس معناه أنه حالٌّ في خلقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصف نفسه بالأولية والآخرية والفوقية والبطون الذي معناه العلم يعلم كل شيء لا يخفى عليه خافية، ولا يحجبه عن معلوماته كلها حاجب، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

فمـن حيـث العلـم الله أعلـم بالإنسـان من نفسـه ومن جـاره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]، أقـرب إلى ذلـك الميِّـت مـن حبل الوريـد، الله أقرب إلى الإنسـان من نفسـه بعلمـه لا بذاته، يعني يعلـم كل شيء والكون كلُّـه كخردلة في يد أحدنـا فهـذه معية علم سـاقها في هذه السـورة نفسـها هـذه الآيات من سـورة الحديد: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، فختـم الآيـة بالعلـم ليُبـيِّن معنـى البطون هذا وهو أنه بعلمه يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد: ٤]، معنا بعلمه، فهذه الآية تُفَسِّر أيضًا معنى البطون الذي ورد في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ»، والباطن المراد به يعني لا يحول دون علمه المحيط بكل شيء حائل وهو أقرب إلينا من حبل الوريد بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالذكر، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»(١) بماذا؟ بذاته؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، قريب بعلمه، فإذا كان الكون كلُّه أمامه وبين يديه، بل كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الكون كلُّه كخردلة في كفِّ أحدنا»(٢)، فهو معنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معنا بعلمه لا بذاته.

فالشاهد: أن الجهمية ومن تابعهم يتعلقون بهذه الآية: ﴿ وَٱلۡبَاطِنُ ﴾، البطون هذا هو العلم، أجمع السلف وكما في السُّنَّة وكما في آيات القرآن التي تُثبِتُ علوَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أن المراد بالبطون هنا هو العلم، معنا بعلمه ومراقبته ومشاهدته واطلاعه بحيث لا يخفى عليه منا خافية، هو العليم بذات الصدور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

فالمراد بهذه الآية وما شاكلها: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ [الحديد: ٤]، في سورة الحديد، وفي سورة المجادلة: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾ [المجادلة: ٧]، يعني بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) رواه البخاري في «المغازي» حديث [٤٢٠٥]، ومسلم في «الذكر والدعاء» حديث [٢٧٠٤].
(٢) سيأتي تخريجه.

لأنه ساق الآية في مساق العلم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فسياق الآية أولها وآخرها كلها في العلم وإثبات علم الله المحيط بكل شيء الذي لا تخفى عليه خافية، وليس المراد أنه معنا بذاته كما يقول أهل الحلول وأهل وحدة الوجود قبَّحهم الله، وإنما بعلمه وهو فوق خلقه فوق سمواته وهو عليم بكل دقيق وجليل في هذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

علم ذلك وكتبه وهو عالم به قبل أن توجد هذه الموجودات وبعد وجودها وبعد فنائها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والأرض.

قال: «وقد فسَّر أهل العلم هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء من حياة وموت، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بعد الخلق، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فوق كل شيء، التفسير الواضح تفسير الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتفسير العلماء يدور في نطاق تفسير النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ** -يعني العالي- **فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ**» -يعني بالعلم «**فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعني: الجنة والنار أهل الجنة خالدون فيها، الكفار خالدون في النار أبد الآبدين، الجنة لا نهاية لها أبدًا، والنار لا نهاية لها ولا لعذاب من فيها من الكفار أبد الآبدين، وتستمر وتستمر أبد الآباد لا نهاية لها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آخر بعد كل هذه الأشياء، وهو أول قبل كل شيء

مـن مخلوقاته قبل العرش والقلم والكرسي والسـموات وعـوالم أخرى لا يعلمها إلا هو لا بدايـة لأوليتـه ولا نهاية لآخريتـه شيء عظيم، وإذا عرف الإنسـان هذه الأشـياء قدَّر الله حـقَّ قـدره، إذا عرفهـا وآمن بها عظَّم الله وقـدَّره وخشـيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولـه أوصـاف عظيمة تليق بجلالـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، [الحشر: ٢٢-٢٣]، إلى آخر أسـماء الله الحسـنى التي ذُكِرَت في القرآن والسُّـنَّة، كل وصف مـن هذه الصفات وكل اسـم من الأسـماء الحسـنى تدل عـلى جلاله وعظمته وقدسـيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الشـاهد: أنه نقل عن العلماء تفسير هذه الآية التي يتعلق بها هؤلاء الضُّلاَّل بأن الله فوق كل شيء وأول كل شيء وآخر كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والباطن يعني العالِم بكل شيء الـذي لا تخفـى عليه خافية. إذن ظهر بطلان ما يتعلـق به هؤلاء الضالون من قوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]، يُظْهِـر ضلالهـم آيات علو الله الكثـيرة والأحاديث كثيرة التي تدل كلها أن الله فوق خلقه وأنه ليس هناك شيءٌ من خلقه في ذاته وليس شيء من ذاته في خلقه تعالى الله وتقدَّس وتنزَّه عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

يقول: «كذا فسره مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان ويثبت ذلك السنة»: يشير إلى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَـيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَـيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»**.

وساق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللهمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**».

فهذا تفسير لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، يعني لا يحجبك شيء عن علم ما في هذا الكون كله لا يحجبك حاجب ولا يحول حائل دون اطِّلاَعك وعِلْمِك ومشاهدتك لما يجري في هذا الكون من صغير وكبير، من دقيق وجليل، من أعمال العباد وغيرها، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ...**» مثل حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وكلُّ هذا رَدٌّ ودحضٌ لأباطيل الحلولية وتلبيساتهم التي يُلَبِّسُون بها على الناس.

ثم ساق شُبَهًا أخرى لهؤلاء الضالين.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما يلبسون به على من لا علم معه احتجوا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وبقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة» يعني:

يتَّبعون مثل هذه النصوص لقصد الفتن كما وصفهم الله تَعَالَىٰ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ**»، فكل مبتدع يتتبع ما تشابه من نصوص القرآن والسُّنَّة

ليفتن الناس ويفتن نفسه، فما هو موقف المسلم؟ عليه الحذر والتيقظ والتنبه لما يُدَبِّرُه هؤلاء من المكر والكيد ومحاولة إيقاع من ينخدع بهم في حبائلهم وفي ضلالاتهم.

قال: «وعند أهل العلم من أهل الحق: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]».

يعني آخر الآية تفسيرٌ لأولها، ما معنى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، يعني: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

«فهو كما قال أهل العلم: مما جاءت به السنن: إن الله عَزَّوَجَلَّ **على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه،** ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾».

فالمراد بهذا ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] **يعني:** يعلم ما في السموات والأرض يعلم السر وأخفى سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] **يعني:** معبودكم يعبده أهل السماء ويعبده أهل الأرض، هو إله من في السموات، وإله من في الأرض من خلقه، إله أهل السماء من الملائكة وغيرهم، وإله من في الأرض من الجن والإنس وغيرهم، وهو إلههم وحده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ومعبودهم وحده، وهو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعليهم أن يعبدوه لأنه المعبود بحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ليس معنى أنه في السماء في جوف السماء تعالى الله عن ذلك، وليس معناه أنه في الأرض يعني مع العباد بذاته، تعالى الله عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا، وإنما هو كما ذكره العلماء: يعني معبود أهل السماء ومعبود أهل الأرض، إله أهل السماء وإله أهل الأرض، لا يعني أنه في السماء يعني في السماء الدنيا أو الثانية أو الثالثة بذاته، أو في الأرض أو في

الأرضين بذاته، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، وإنما المراد أنه إلههم إله من في السماء وإله من في الأرض، وهو فوق عرشه عال على جميع مخلوقاته.

وذكر عن قتادة: « ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] **قال: هو إله يعبد في السماء وإله يعبد في الأرض**».

يعني: يعبده أهل السماء ويعبده أهل الأرض، هذا معنى الآية، لا كما يقوله الضالون المُضِلُّون من الحلولية وأهل وحدة الوجود، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

قال: «فيما ذكرته وبينته مقنع لأهل الحق إشفاقًا عليهم، لئلا يداخل قلوبهم من تلبيس أهل الباطل ممن يميل بقبيح مذهبه السوء إلى استماع الغناء من الغلمان المرد يتلذذ بالنظر إليهم، ولا يحب الاستماع من الرجل الكبير، ويرقص ويزفن، قد ظفر به الشيطان فهو يلعب به مخالفًا للحق، لا يرجع في فعله إلى كتاب ولا إلى سنة، ولا إلى قول الصحابة، ولا من تبعهم بإحسان، ولا قول إمام من أئمة المسلمين، وما يخفون من البلاء مما لا يحسن ذكره أقبح، ويدعون أن هذا دين يدينون به، نعوذ بالله من قبيح ما هم عليه، ونسأله التوفيق إلى سبيل الرشاد، إنه سميع قريب».

ساق من أوصاف هؤلاء الضالين أنهم أهل رقص وأهل غناء وأهل فتنة بالمردان وبالنساء، هذه من صفاتهم التي تدل على فساد باطنهم وظاهرهم، وأنهم أهل جهل وضلال وهوى، فكيف يتخذهم الناس قدوة ولا سيما في العقائد، هذا مقصوده، هم أهل رقص وأهل غناء وحب للمردان وأهل لهو ولعب ومزامير وطبول، كيف يتَّخِذهم الناس حجة وقدوة؟!

قال ومنها: «**وما يخفون من البلاء مما لا يحسن ذكره أقبح**» هؤلاء أهل شر وأهل خبث في عقائدهم وفي أعمالهم وفي تصرفاتهم، هذا حال الحلولية؛ لأنهم صوفية باطنية والعياذ بالله، وهذه من أخلاقهم وأعمالهم، يعني فسق واضح ظاهر عليهم؛ هذا فسق الأعمال، وفسق المعتقد أخبث وأخبث، ومنه القول بأن الله في كل مكان، تعالى الله عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا.

وأتذكر وأنا شاب أن شخصًا من الصوفية في مكة جادلني في علو الله عَزَّوَجَلَّ وأنا في أول طلبي، واحتج بهاتين الآيتين: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] على أن الله في كل مكان صوفي أشعري، والله احتج بهاتين الآيتين فناقشته حسب علمي في ذاك الوقت وأنا في الثامنة عشرة من سني، هذا ناقشته فيها بما آتاني الله عَزَّوَجَلَّ وأسْكَتُّه، والحمد لله.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وثبتنا وإياكم على كتاب الله وسنَّة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلى عقيدة ومنهج سلفنا الصالح، وأجارنا وإياكم من الفتن ومن أهلها، ونعوذ بالله من ذلك، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

إن ربنا لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الأسئلة

سؤال: يقول السائل: ما معنى قوله ﷺ: «مَنْ فَاتَتْهُ صَلاَةُ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»(١).

جواب: هـذا من أدلة مـن يُكَفِّر تارك الصـلاة الذي يتعمَّد تـرك صلاة العصر حتـى يخـرج وقتهـا ولم يصلهـا في وقتها فقـد حبط عمله، فعـلى قول من يـرى كفر تارك الصـلاة هـذا من أدلتـه، وأن ترك هـذه الفريضة يُحبِطُ العمـل، وعلى قول مـن لا يُكَفِّره يعنـي أن هذا أمرٌ كبيرٌ وخطـير وقد يُحبِط عمَلَه وقد يُنقِصُه والعياذ بالله، وينقله من دائرة أهل الإيمان الكامل إلى دائرة الفاسقين العاصين الذين يستحقون القتل؛ لأن الذي يترك صـلاة كصلاة الظهـر مثلًا ويقال له: صَـلِّ، فإن أبى وتمادى إلى أن غربت الشـمس على بعـض أقـوال أهل العلم يُقتَل؛ لأن الصلاة ركنٌ أسـاسيٌّ عظيم من أركان الإسـلام؛ كما قال الرسـول عليه الصلاة والسلام: «**بُنِيَ الإِسْـلامُ عَلى خَمْسٍ: شَـهادَةِ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَحَجِّ البَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(٢).

فهي الركن الثاني بعد الشهادتين، والأركان كلها عظيمة، لكن أعظمها الشهادتان، فلا يُعتبَر المرء مسـلمًا إلا بالإيمان بهما والنطق بهما، وكذلك يتلوها في الأهمية والمكانة هذه الصلاة التي هي عماد الإسلام، فعلى قول من يُكَفِّره لا إشكال عنده، وعلى القول الآخر معناه أنه ينقص عمله نقصًا عظيمًا ويتزلزل، والعياذ بالله، نسأل الله العافية.

سؤال:

يقول: ما معنى قوله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلاَةُ،

---

(١) رواه ابـن ماجـه في «الصـلاة» حديث [٦٩٤]، وفي إسـناده مجهول. وأصله في البخـاري في «مواقيت الصلاة» حديث [٥٥٣] بلفظ: «**مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**».

(٢) سبق تخريجه.

فَإِنْ صَلُحَتْ صَلُحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»(١)**، وهل يفهم منه أن الصلاة كالتوحيد؟**

جواب: الذي يرى كفر تارك الصلاة يراها كالتوحيد كذلك شرطًا في قبول الأعمال؛ لأن الحديث يفيد أن قبول الأعمال متوقف على قبول الصلاة، فإذا قُبِلَت صلاتُه قُبِلَت هي وسائر عمله، وإذا رُدَّت رُدَّ سائر عمله، فمن يُكَفِّر تارك الصلاة يرى أنها شرطٌ في قَبُول الأعمال مثل الإيمان شرط في قبول الأعمال، وهذا يدل على أهمية الصلاة، فلا يجوز للمسلم أن يتهاون في شيء منها، لذلك لا تسقط عن الإنسان بحال من الأحوال ما دام عقله موجودًا؛ «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»(٢).

ما تسقط ما دام عقلك موجودًا في حالة الشدَّة والمرض والسفر والحضر صلِّ هذه الصلاة.

كثير من الأئمة ذهبوا إلى تكفير تارك الصلاة، وعلى رأسهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

سؤال: يقول: نريد زيادة توضيح في قاعدة: «ليس كل كمال في الإنسان هو كمال لله، وليس كل نقص في الإنسان هو نقص في حق الله تَعَالَى».

جواب: لا تدخلوا في هذه الأشياء يا إخوة، هذه الأشياء دخل فيها أناس وتخبَّطوا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو له الكمال المطلق الذي لا يشابه فيه خلقه ولا يشابهونه فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» [١٨٥٩] بإسناد ضعيف. وله شواهد. انظر: «الصحيحة للألباني» [١٣٥٨].

(٢) رواه البخاري في «الجمعة» حديث [١١١٧].

وهنا قاعدة وضعها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يفهمها بعض الجهلة فذهبوا يتخبطون فيها، وقالوا: إن من صفات الكمال في الإنسان يعني الأكل والشرب وهذا وإن كان كمالًا في حق الإنسان فهو ليس كمالًا في حق الله، والواقع أنه ليس كمالًا، الأكل والشرب والنوم ليست كمالًا، وإنما هي من أوضح الأدلة على عجزه وفقره ونقصه والله يتنزَّه عن ذلك، فقالوا: هذا وإن كان كمالًا في الإنسان لكنه ليس كمالًا في حق الله، نقول: من قال لكم أن هذا كمالٌ في حق الإنسان؟ طبعًا أخطأ بعض العلماء غفر الله له، مَثَّل بعض الأمثلة، فتعلق بها بعض الجهلة وليس لهم دليل إلا قال فلان، مع أنهم قالوا: نحن لا نُقَلِّده، لا نُقَلِّد أحدًا وهم يقلدون في كثير من الأباطيل.

فالشاهد: أن كل كمال في المخلوق لا نقص فيه بحال من الأحوال هو كمال في حق الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله هو أهل الكمال، فالعلم كمال في البشر وفي حق الله كمال من باب أولى؛ لأنه هو الذي وهب هذا العلم: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، فهذه صفات كمال وجودها في المخلوق كمال والله أولى بهذا الكمال؛ لأنه هو واهب هذا الكمال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما كان من نقص في المخلوقين فتعالى الله عنه إطلاقًا، ومن ذلك الأكل والشرب والنوم التي اعتبرها بعض الناس كمالًا وهي ليست كمالًا، ولهذا يُنَزِّه الله تَعَالَىٰ نَفْسَه عن ذلك: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

يعني الذي لا يحتاج لأكل ولا شرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا لمحة عن هذا الكلام واتركوا هذه الأشياء، فالله له الكمال المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

سؤال: يقول السائل: بعض المصريين يتعمد الوقف على قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الأنعام: ٣]، ثم يستأنف ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣] ... الآية، لئلا يلتبس على العوام المعنى الفاسد، وهو أن الله في كل مكان، فما توجيهكم حفظكم الله؟

جواب:

في القراءة نتَّبع الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقف على رأس كل آية عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما روت أمُّ سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وغيرها أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف على رأس كل آية يقرأ قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، ويقف، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]، ويقف، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، ويقف، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، ويقف، ثم يقرأ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، إلى آخره ثم يقف في نهاية السورة[١]، وكذلك يفعل في القرآن يقف - الفاتحة إنما كانت مثالًا - يقف على رأس كل آية، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعلها آيات فنحن نتتبع ما شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفصَّله وطبَّقه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأظن أن العامي لا يفهم شيئًا من هذا، حتى لو وقف لا يدري العامي لا يدري مقصود القارئ إذا وقف عند قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الأنعام: ٣]، ثم أتبع ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣]، قد يفهم بعض الناس، لكن كثيرٌ من الناس لا يفهمون

---

(١) رواه أبو داود «الحروف والقراءات» حديث [٤٠٠١]، والترمذي في «أبواب القراءات» حديث [٢٩٢٧]، وأحمد (٢٦٥٨٣-الرسالة). قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَبِهِ يَقْرَأُ أَبُو عُبَيْدٍ وَيَخْتَارُهُ. هَكَذَا رَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأُمَوِيُّ، وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ؛ لِأَنَّ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، رَوَى هَذَا الحَدِيثَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ. وَحَدِيثُ اللَّيْثِ أَصَحُّ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ: وَكَانَ يَقْرَأُ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]».

هذا، لكن السُّنَّة هي ما كان عليه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما رواه عنه الصحابة أن نقف على رؤوس الآيات، والخطأ يأتي فيمن يدمج الآيات هكذا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٢ - ٥]، يأتي بآيتين أو ثلاث كلها في نَفَسٍ واحد ولا يقف على رأس كل آية، هذا فيه مخالفة للسُّنَّة؛ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المُزَّمِّل: ٤] رَتِّل وقف عند كل آية.

سؤال: يقول السائل: ما حكم الصلاة وراء إمام لا يعتقد استواء الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه وخاصة هو دائمًا يكرر الآيات المثبتة لاستواء الله عَزَّوَجَلَّ؟

جواب: إن كان قد قامت عليه الحُجَّة فلا تُصَلُّوا وراءه، إن كنت أقمت عليه الحُجَّة وأن هذه العقيدة كفرية؛ لأنها تكذيب لكتاب الله وسنَّة رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما كان عليه السلف الصالح، بل إجماع السلف الصالح الصحابة والتابعين ومن تبعهم، بيِّن له هذا: أنَّ الله في السماء وعلى العرش استوى، وقال كذا وقال كذا، وتسوق له الآيات، وتسوق له كلام العلماء، إن قبل واعتقد بالاعتقاد الصحيح، فالحمد لله صلِّ وراءَه، وإن أبى فاتركه بعد إقامة الحُجَّة، أما وهو جاهل وأنت لم تُقِمْ عليه الحُجَّة فصلِّ، وما أدراك أنَّ هذا الإمام لا يعتقد أن الله في السماء، من أدراك، فإذا علمت عنه وهو جاهل فَعَلِّمْهُ، فإذا كان غير جاهل فَعَلِّمْهُ أيضًا.

سؤال: يقول السائل: نُصَلِّي خلف إمام يكتب في الرقية سطورًا غير مفهومة ويرسم جداول وهي طلاسم، ويأخذ جماعة إلى مكان يقومون فيه بما يعرف عندنا بـ «الوعدة أو الزردة»، وهي شبه حفل يُذبَح فيه لغير الله وتُؤكَل هذه اللحوم والأطعمة وله بدع أخرى، فما حكم الصلاة خلف هذا الرجل وبما تأمرونا اتجاهه؟

جواب: لا تُصلِّ وراء هذا الخسيس، أقم عليه الحُجَّة بيِّن له، فإذا عاند فهو كافر لا شك، والسِّحر كفر في ذاته، ليس سهلًا أبدًا، والذبح لغير الله كفر، فهذا لا يتصدَّى لإمامة قوم إلا وقد ضَلُّوا -والعياذ بالله-، كيف يرضون بمثل هذا إمامًا؟ وهو متهتك ساحر متلاعب بدين الله عَزَّوَجَلَّ؟!.





كتاب

الإيمان والتصديق بأن الله عَزَّوَجَلَّ كلَّم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

الحمد لله المحمود على كل حال، وصلى الله على محمد النبي وسلم.

أما بعد، فإنه من ادعى أنه مسلم ثم زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى فقد كفر، يستتاب فإن تاب وإلا قُتل فإن قال قائل: لم؟

قيل: لأنه رده وجحده، ورد السنة، وخالف جميع علماء المسلمين وزاغ عن الحق، وكان ممن قال تَعَالَىٰ فيهم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]. فأما الحجة عليهم من القرآن فإن الله جلَّ ذكره قال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣ - ١٤٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١١ - ١٤]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٦].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى، فقد رد نص القرآن، وكفر بالله العظيم.

فإن قال قائل منهم: خلق الله عَزَّوَجَلَّ كلامًا في الشجرة، وكلم به موسى. قيل له: هذا هو الكفر: لأنه يزعم أن الكلام(١) مخلوق، تعالى الله عن ذلك، ويزعم أن مخلوقًا يدعي الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه.

وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: إنني أنا الله؟ نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا. هذا كافر يستتاب، فإن رجع عن مذهبه السوء وإلا قتله الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستتبه وعلم منه: أن هذا مذهبه هجر، ولم يكلم، ولم يسلم عليه، ولم يصل خلفه، ولم تقبل شهادته، ولم يزوجه المسلم بكريمته.

ساق الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب في بيان أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم الكلام الكوني والكلام الشرعي، وساق في ذلك قضية موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استدلالًا منه على إثبات كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي نفته الجهمية ومن سار على دربهم من فرق الضلال، وأصل ذلك أن الجهمية ومن جرى مجراهم ينكرون قيام الأفعال الاختيارية بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، زعمًا منهم أن إثبات الأفعال الاختيارية لله عَزَّوَجَلَّ يقتضي التشبيه والتجسيم؛ لأن هذه أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بالأجسام(٢)، فهذه الفلسفة الضالة الخبيثة جعلتهم ينكرون

---

(١) أي: كلام الله.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٠٣-٣٠٥)، و(٥/ ٢٩٠ و٥٣٦) «الأصفهانية» ص: (١٢٠، ١٩٨، ١٩٩)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١٠)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٣٨-٣٩) و«منهاج السنة» (١/ ٣١٢)، جميعها لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كلام الله واستواءه على عرشه ونزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومجيئه يوم القيامة إلى آخر الصفات صفات الكمال والأفعال الاختيارية التي تليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، والتي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ودان بها الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان، لم يخطر ببال أحد منهم لا في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بعده أن هذه الصفات فيها نقص، وأنها أعراض، وأنها تنافي كمال الله كما يقول الضالون التائهون حتى جاء الجعد بن درهم الذي استقى معلوماته الفاسدة الخبيثة في تعطيل صفات الله وتعطيل كلامه ومحبته ورضاه وغضبه وما شاكل ذلك تلقاها من اليهود كما ساق إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في أحد كتبه[(١)] إلى لبيد بن الأعصم اليهودي، فإن اليهود والنصارى والفلاسفة وأهل الضلال دَسُّوا كثيرًا من عقائد أهل الضلال، وبثوها في من تهيأ وهيأ نفسه لتلقي هذه الضلالات كالجعد بن درهم والجهم بن صفوان وبشر المريسي وتلامذتهم ومدارسهم الفاسدة.

أما أهل السنة والجماعة الذين ثَبَّتهم الله على دينه الحق في وجه هذه التيارات الفاسدة والعقائد الضالة، فقد ثبتوا على كتاب ربهم وسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما سار عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، فأثبتوا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفات الكمال التي تضمنها كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها الصفات التي ألمحنا إليها سابقًا كالاستواء والنزول والمجيء والكلام، أثبتوا ذلك، وكل ذلك يقتضي كمالًا لله، ولو عطَّلنا الله عَزَّوَجَلَّ من صفات كماله لوصمناه بالنقص، فعدم الكلام تتصف به الجمادات والحيوانات الضعيفة الهزيلة والرديئة والأحجار الصم، فهل هذا كمال؟! لو قارنت بين إنسان فصيح بليغ يتكلم وبين إنسان عيٍّ أو إنسان أخرس أيهما أكمل في العقل وفي الشرع؟.

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية» (٥/ ٢٠-مجموع الفتاوى).

الأكمل الذي يتكلَّم لا سيما إذا كان فصيحًا بليغًا فكم الفرق بينه وبين الأخرس، والأخرس هو العيي والمصاب بالحصر في الكلام، فكم هو الفرق بينهما، هذا نقص.

لهذا وصف الله الكفار بأنهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] وإبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ استدل على نقص معبودات قومه وآلهتهم أنها لا تتكلم: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩٢] هذا من إقامة الحجة عليهم، فإذا كانوا ما ينطقون فما هم بآلهة فهم أعجز من البشر.

فالنطق كمال، والكلام كمال، والأفعال باختيارك كمال، وعدم هذه الأفعال وعدم هذه الصفات نقص وغاية التنقص لله رب العالمين.

ساق المؤلف هذه الآيات العظيمة: قولـه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. ما هي سبيل المؤمنين، هل جحدوا هذه الصفات أو آمنوا بها وسلَّموا بها؟ فالذي ينكر صفات الله عَزَّوَجَلَّ يكون قد شاق الرسول، واتبع غير سبيل المؤمنين، ويستحق هذا الوعيد: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، إن كان عالمًا بهذه الصفات وأنكرها فالحجة قائمة عليه، فيستحق هذا الوعيد، وإن كان جاهلًا تقام عليه الحجة يُعَلَّم وتقام عليه الحجة، فإن جحد واتبع هواه فقد شاق الله والرسول واتبع غير سبيل المؤمنين، ويستحق هذا الوعيد والتكفير.

ثم قال المؤلف: وأما الحجة عليهم من القرآن، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال في سورة النساء ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

أقول: أكد الفعل «كلَّم» بالمصدر وهذا في اصطلاح أئمة اللغة والبلاغة والنحو ورؤوسهم من هؤلاء المبتدعة يقررون في قواعدهم أن الفعل إذا أكد تنتفي احتمالات المجاز، وأنا زرت اليمن ونزلت في بلدة كان لي فيها صديق كان يأتي إلى هنا من طلاب العلم، قلت له: اجمع لي علماء هذه البلدة، وطلاب العلم وأريد أن أتكلم بما عندي من عقائد وغيرها، وإذا لهم إشكالات أو مناقشات أو مناظرات أنا مستعد للإجابة على ذلك.

فجمعهم لي فتكلمت في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية وعبادة القبور والسحر، ومما ركزت عليه كلام نقلته عن ابن الوزير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان ذكره في كتابه «إيثار الحق على الخلق» يعني ينكر على أهل البدع وعلى المعتزلة وعلى الأشاعرة ومن ضمن إنكاره ومن حججه عليهم وعلى الأشاعرة خاصة قولُه هؤلاء ينتسبون إلى السنة ويأتون إلى مثل صفة الرحمة التي ذكرها الله في القرآن في خمسمائة موضع أو أكثر مكررة ومؤكدة[1]، شرحت لهم وهم يعرفون اللغة يعرفون هذه القواعد تعرفون أن التكرار يرفع احتمال المجاز، وأن التأكيد يرفع احتمال المجاز فسكتوا[2].

---

(١) انظر: «إيثار الحق على الخلق» ص: (١٢٥-١٢٨)، دار الكتب العلمية، ط: [٢].

(٢) قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التهذيب» (١٠/ ١٤٨): «قال أحمد بن يحيى في قول الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] لو جاءت: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ مجردًا لاحتمل ما قلنا وما قالوا -يعني المعتزلة-، فلما جاءت: ﴿تَكۡلِيمًا﴾ خرج الشكُّ الذي كان يدخل في الكلام، وخرج الاحتمال للشيئين، والعرب تقول: إذا وكِّدَ الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوًا، والتَّوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشكِّ».

وقال في (١٠/ ١٨٠): قال أبو العباس: «**التَّوْكِيدُ:** دخل في الكلام لإخراج الشك، وفي الأعداد لإحاطة الأجزاء».

ومن ذلك أن تقول: «كلمني أخوك» فيجوز أن يكون كلَّمك هو أو أمر غلامه بأن يكلِّمك، فإذا =

....

قلت: يقولون في الأمثلة إذا قال القائل: جاء زيد وسكت، قالوا: يحتمل أن يكون جاء بنفسه أو جاء رسوله أو جاء غلامه، فإذا قال: جاء زيد جاء زيد، كرر هذا الكلام ارتفعت احتمالات المجاز، وتعين مجيء زيد حقيقة، هذا في التأكيد اللفظي.

وفي التأكيد المعنوي: تقول جاء زيد فيحتمل المجاز، يعني يحتمل أنه جاء رسوله أو عبده أو كتابه، فإذا قلت: جاء زيد عينه أو نفسه، ارتفعت كل احتمالات المجاز، وثبتت الحقيقة ثبت المجيء. فالآن نأتي إلى صفة الرحمة نبدأ نفتح المصحف فيقابلنا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في البسملة أكدت صفة الرحمة بالتكرار، فارتفع عنها المجاز، يكفينا.. طيب! تعالوا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] في سورة الفاتحة تأكيد وتكرار، تأتي تقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران النساء المائدة.. إلخ إلى آخر المصحف التكرار والتأكيد في أكثر من خمسمائة موطن، كيف نعامل كلام الله هذه المعاملة؟!.

كلام البشر إذا كُرِّر أو أُكِّد تأكيدًا معنويًا يرتفع احتمال المجاز، وكلام ربِّنا ما يرتفع احتمال المجاز؟! والله ما نطقوا ببنت شفة، فلاسفتهم وعلماؤهم ولا شيء، حجة عظيمة، هذه صاعقة عليهم، ما يقدرون أن يخرجوا منها أبدًا.

طيب! نأتي إلى صفة الاستواء نجدها قد كررت في القرآن سبع مرات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ما يكفينا ربنا يكرِّر لنا هذه الصفة ويؤكد عليها وما يكفينا هذا التأكيد ونصرفها لاحتمال المجاز، وجاءت في السنة أحاديث كثيرة، جاء في هذا ألف دليل كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]. كيف نتعامل مع كتاب الله وسنة الرسول بهذه

=

قلت: «كلمني أخوك تكليمًا» لم يجز أن يكون المكلِّم له إلا هو».

(١) انظر: «الصواعق المرسلة» (١/ ٢٩٣-٢٩٤)، و«إعلام الموقعين» (٣/ ٣٠٣- الجيل) لابن القيم. وكذا «مجموع الفتاوى» لشيخه ابن تيمية (٥/ ١٢١).

المعاملة التي لا يقبلها شرع ولا يقبلها العقل ولا تستند على اللغة، لا شيء.. فهم مفلسون ما عندهم إلا الهوى باسم المجاز والتأويل اللذين اعتبرهما ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الطواغيت؛ طاغوت المجاز وطاغوت التأويل[1].

الشاهد قول الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] هذا النص وحده يكفي لإثبات أن الله يتكلم وأنه كلم موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلامًا سمعه موسى وبلَّغه لقومه وقامت عليهم الحجة، قال تَعَالَىٰ لكليمه موسى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وموسى كليم الله؛ لأنه كلمه بكلام يسمعه، فيتأولون هذه النصوص المؤكدة ويحرفونها.

ومن المتأولين في هذا الأمر سيد قطب -نعوذ بالله- يقول: «ما ندري بأي حاسة سمع هذا الكلام ولا ندري ما هو مصدر هذا الكلام»؟![2].

ونقول: مصدره الله حيث يقول ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢] يرى هذا النص أمام عينيه، ويأتي يقول: ما ندري..! هذا بلاء ما يدري مصدر هذا الكلام، ويقول: ولا ندري بأي حاسة سمعه؟! سخف وضلال والعياذ بالله، هذه من موبقات سيد قطب، عطل الصفات، قال بالحلول، قال بوحدة الوجود، واحدة من هذه يكفِّر بها السلف، واحدة منها يكفِّر بها السلف، ما يخجل هؤلاء يدفعون عن سيد قطب هذه الضلالات التي ارتطم فيها، ما يخجلون من الدفاع عنه ومن توليه ومن محاربة من ينتقده في هذه الضلالات، والذي يرفع لواء السنة يحاربونه، ويتولون هذا الذي أسقط راية السنة، وركض وراء الجهمية ووراء الحلولية

---

(١) في كتابه: «الصواعق المرسلة» (٢ / ٦٣٣).

(٢) انظر: «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٣٣٠ - ٢٣٣١).

ووراء وحدة الوجود، ما من ميدان باطل إلا ويركض فيه، فيجعلونه إمامًا وإمام هدى! أيُّ هوى هذا يا إخوة؟! أي كارثة نزلت بهؤلاء؟! والله إنهم في كارثة ولا يدركون ما هم فيه مع الأسف الشديد.

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أما الرسول أما الصحابة أما التابعون لهم بإحسان أما أئمة الهدى أما أهل السنة فآمنوا بقول الله عَزَّوَجَلَّ وصدَّقوه، ونحن ندين لله بذلك ونصدِّق ذلك من أعماق قلوبنا؛ أن الله كلم موسى تكليمًا، ويتكلم ربنا أزلًا وأبدًا متى شاء وكيف يشاء، وأن هذا من صفات كماله ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]؛ لأن علمه لا يتناهى، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من رب عظيم[1] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

والله ما قدر الله حق قدره من قال إنه لا يتكلم وأنه يريد أن يفر من التشبيه فيشبهه بأحط المخلوقات من الحيوانات ومن الجمادات مع الأسف الشديد.

على كل حال ساق المؤلف في هذا الباب آيات لإثبات صفة الكلام لله تَعَالَىٰ وإبطال دعاوى أهل البدع في نفي صفة الكلام عن الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، ولهؤلاء الضلال قاعدة باطلة ينفون بها أفعال الله الاختيارية وكلامه، يقولون: لأن الكلام من

---

(١) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي سمعت بعض أهل العلم يقول: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف: ١٠٩] يدل على أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقًا لكان له قدر وكانت له عناية -(كذا ولعلها: غاية)-، ولنفد كنفاد المخلوقين، وتلا قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] إلى آخر الآية. «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١٣/ ٤٤٥).

الأعـراض، والنـزول عرض، والاسـتواء عرض، والمجيء عـرض، والضحك عرض، وهـذه أعـراض، والأعراض لا تقـوم إلا بأجسـام، كلام فارغ ! هذه يسـمونها أعراض حتـى يهيجـوا النـاس على نفيهـا، يُلَبِّسـون على النـاس، نحن نقـول: هذه أفعـال كمال، ما نقول: أعراض، ولا نصفها بأنها أعراض، نقول: إنها أفعال الله تليق بجلاله؛ لأنه حي قيـوم، فعال يفعل، ويقول ويتكلم، ويجـيء، ويرضى، ويغضب...، فإذا نحن جرَّدناه من هذه الصفات شـبهناه بالأموات وبالجمادات وبالحيوانات، تعالى الله عن ذلك علوًّ كبيرًا، فيفرُّون من شيء فيقعون في شرٍّ منه.

يـا هـذا أثبت صفـات الكمال لله عـلى الوجه اللائق بـه، كما أن ذاتـه تخالف ذوات المخلوقين، وأنت توافقنا في هذا، فالصفات تتبع الذات وتجري مجراها، كما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقـين، فعلينـا أن نؤمن بأن له صفات تليق بجلاله لا تشـبه صفة المخلوقين، كيف اسـتوى؟ آمنا بالاسـتواء، لكن لا نُكَيِّف كيف ينـزل؟ كيف يتكلم؟ كيف يسمع؟ كيف يبصر؟ لا، لا نكيف أي صفة من صفات الله اللائقة بجلاله وكماله.

نؤمـن بحقائـق هـذه الأشـياء ونثبتهـا لله عَزَّوَجَلَّ وننفي عنها المشـابهة، فـلا نُعَطِّل، ولا نُشَـبِّه، فنخالف بهذا المنهج الوسـط المعطلـة الذين يعطلون صفـات كماله ونخالف المشـبهة؛ لأن المشـبهة هم الذيـن يقولون لله أفعـال كأفعالنـا، وكلام ككلامنا، وصفات كصفاتنـا، فهذا هو المشـبه، أمـا من يثبت حقائق الصفات لله عَزَّوَجَلَّ وينفي عنها التشـبيه، فهذا هو المتوسط وصاحب الحق، فلم يجارِ المعطلة الجهمية ومن تابعهم في تعطيل صفات الله، ولم يجارِ المشـبهة الضُّلال الذين شَـبَّهوا صفات الله وأفعالـه اللائقة بجلاله بصفات المخلوقـين، فكما قال سـفيان بن عيينـة: المُعَطِّل يعبُد عدمًا، والمُشَـبِّه يعبد صنمًا، والموحِّد يعبد الله الذي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

روى الترمذي في «الجامع» (٢/ ٤١) حديثًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فضل الصدقة، وأن الله يأخذها بيمينه وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُرَبِّي أحدكم فلوَّه أو فصيله برقم: [٦٦١].

ثم قال في ص: (٤٢-٤٣): «وقد قال غَيْرُ وَاحِدٍ من أَهْلِ الْعِلْمِ في هذا الحديث وما يُشْبِهُ هذا من الرِّوَايَاتِ من الصِّفَاتِ وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قالوا: قد ثبتت الرِّوَايَاتُ في هذا وَيُؤْمَنُ بها ولا يُتَوَهَّمُ ولا يُقَالُ كَيْف؟.

هَكَذَا رُوِيَ عن مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ وَعَبْدِ الله بن الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قالوا في هذه الْأَحَادِيثِ: أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ. وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ من أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هذه الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هذا تَشْبِيهٌ.

وقد ذَكَرَ الله عَزَّوَجَلَّ في غَيْرِ مَوْضِعٍ من كِتَابِهِ: الْيَدَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتْ الْجَهْمِيَّةُ هذه الْآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا على غَيْرِ ما فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ الله لم يَخْلُقْ آدَمَ بيده. وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ ها هنا الْقُوَّةُ.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يَكُونُ التَّشْبِيهُ إذا قال: يَدٌ كَيَدٍ أو مِثْلُ يَدٍ أو سَمْعٌ كَسَمْعٍ أو مِثْلُ سَمْعٍ، فإذا قال: سَمْعٌ كَسَمْعٍ أو مِثْلُ سَمْعٍ فَهَذَا التَّشْبِيهُ.

وَأَمَّا إذا قال كما قال الله تَعَالَى: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ، ولا يقول كَيْفَ ولا يقول مِثْلُ سَمْعٍ ولا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا، وهو كما قال الله تَعَالَى في كِتَابِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

أرجو أن ينفع الله بهذا النقل عن أئمة السنة كثيرًا من المخدوعين الذين يحترمون هؤلاء الأئمة.

وروى الترمذي في جامعه حديث [٢٥٥٧] حديثًا طويلًا عن أبي هريرة مرفوعًا من جملته الحديث عن رؤية المؤمنين ربهم، ثم قال معلقًا عليه: «وقد رُوِيَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هذا ما يُذْكَرُ فيه أَمْرُ الرُّؤْيَةِ أَنَّ الناس يَرَوْنَ رَبَّهُمْ وَذِكْرُ الْقَدَمِ وما أَشْبَهَ هذه الْأَشْيَاءَ.

وَالْمَذْهَبُ في هذا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ من الْأَئِمَّةِ مِثْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكِ بن أَنَسٍ وابن الْمُبَارَكِ وابن عُيَيْنَةَ وَوَكِيعٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ رَوَوْا هذه الْأَشْيَاءَ، ثُمَّ قالوا: تُرْوَى هذه الْأَحَادِيثُ وَنُؤْمِنُ بها، ولا يُقَالُ: كَيْفَ؟ وَهَذَا الذي اخْتَارَهُ أَهْلُ الحديث أَنْ يَرْووا هذه الْأَشْيَاءُ كما جَاءَتْ وَيُؤْمَنُ بها ولا تُفَسَّرُ ولا تُتَوَهَّمُ ولا يُقَالُ: كَيْفَ، وَهَذَا أَمْرُ أَهْلِ الْعِلْمِ الذي اخْتَارُوهُ وَذَهَبُوا إليه».

فالمعطلة انطلقوا من هذه القاعدة وهي نفي صفات الأفعال الاختيارية لله عَزَّوَجَلَّ عن عَزَّوَجَلَّ لماذا؟ يقولون: لأنا لو أثبتناها أثبتنا له أعراضًا والأعراض لا تقوم إلا بالأجسام والأجسام مخلوقة، يجرُّهم الشيطان لهذه الهلوسة ولهذه الوساوس إلى نفي كمال الله عَزَّوَجَلَّ اللائق بجلاله عَزَّوَجَلَّ، وهذا معروف في كتب العقائد، وهذه لمحة عنها.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

إذا كان الله ما كلَّمه كيف يقول: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] كيف يمتن عليه هذه المنة العظيمة: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ اصطفاه الله على الناس، فضله الله على ناس زمانه، طبعًا هو من أولي العزم وهو أفضل أهل

زمانـه، وأفضـل من كثير مـن الأنبياء؛ لأنه خامس خمسـة هم أولو العزم أفضل الرسـل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، محمَّـدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إبراهيم في الدرجة الثانية في الفضل، ثم موسـى، ثم عيسـى، ثم نـوح عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا ترتيب مـن حيث الرتب لا مـن حيث الزمن، هؤلاء الخمسة هم أولو العزم، وقد ذكرهم الله في آيتين:

في آيـة من سـورة الأحـزاب: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾، [الأحزاب: ٧].

وفي سـورة الشـورى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى: ١٣] الشـاهد ذكر هؤلاء الخمسـة نوح ومحمد وإبراهيم وموسى وعيسى هـم أولو العزم، فموسـى اصطفاه الله عـلى الناس في زمانه برسـالاته التوراة والصحف وبكلامه الذي كلَّمه الله به مباشرة.

أيـن تذهـب هذه الفضيلـة إذا أنكرنا أن الله كلَّمه؟ أولًا عطَّلنـا الله من صفة كماله، وثانيًـا نفينا هذه المزيـة التي امتنَّ الله بها على نبيِّه وصفيِّه وكليمِه موسـى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فعطَّلوا الله من كماله، وعطَّلوا هذا الرسول من هذه المزية، فقاتل الله الأهواء.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١ - ١٢] لمـا أتـى النار، ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه: ١١ - ١٢] مـن الـذي نـادى وقـال: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ هـل هـي الشـجرة؟ هل هي النـار التي رآهـا؟ أو رب العالمين؟ مـن الـذي يقـول: أنـا ربـك؟ ﴿ نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١ - ١٢]، والنداء لا يكـون إلا بصـوت مسـموع ومرتفـع: ﴿ نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ

بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١١ - ١٤] هـذه الآيـة تُدينهم بالضلال والافتراء على الله عَزَّوَجَلَّ والسفسطة والمعاندة في مواجهة هذه الحقائق الناصعة الواضحة: ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ - ١٢] للتأكيد ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] كلام مؤكد من رب العالمين لا شك فيه أبدًا ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٣ - ١٤] مـاذا يريـدون بعد هذا؟ يا أخـي والله هذا فيه عبرة لمن هداه الله عَزَّوَجَلَّ وأبـصر بعين بصيرته الحق والهدى، وعـبرة فيمن ضلَّ وتاه والعياذ بالله، وهذه من عجائب الله في خلقه يُضِلُّ من يشـاء ويهدي من يشـاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نسأل الله أن يُثَبِّتنا وإياكم على الهدى، قال الله لكليمه موسى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، هل قالت الشـجرة هذا؟ هل يسـتطيع مَلَكٌ أن يقول هذا؟ هل يسـتطيع مخلوق من مخلوقات الله كائنًا ما كان أن يقول هذا الكلام؟ إذن فالله الذي كلَّمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هـذا الكلام الواضح الجلي المُؤكَّد بأنواع التأكيدات كلُّه كلام مُؤكَّد، هذا من سورة طه.

في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٨ - ٩] الله الـذي كلَّـم ونادى، فسـمع كليم الله موسى الكلام من جهة هذه النار من جهة هذه الشجرة، والله هو المتكلِّم وهو على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وموسى يسمع هذا النداء نداءًا مؤكَّدًا من الله رب العالمين، فالذي كلَّمه هو الله رب العالـمين، والذي قال لـه: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤] هو ربُّ العالـمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عنـد المعطلة تأويلات باطلة، يقولون: قاله المَلَك، قالته الشـجرة..

لا حياء ولا خجل من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلامهم كفر والعياذ بالله، لو قلنا إن هذا كلام مَلَك، هل المَلَك يقول: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه: ١٤]؟ سبحان الله!!

وفي سورة القصص: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠] الذي خاطب موسى والذي كلَّمه هو الله، قال له: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠] هل يبقى احتمالات للمجاز بعد هذه التأكيدات وبعد هذا التكرار في سورة طه في سورة القصص سورة النمل، وهكذا كل نص يؤكِّد التالي ويقوِّيه تكرار وتأكيد.

في النازعات: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٩] إلى آخر هذه المناجاة والمناداة، كلها ينص فيها أن الذي ناداه وناجاه وكلَّمه هو الله رب العالمين، والكلام صفة كمال، وفيه مِنَّة على هذا النبيِّ الكريم الذي اصطفاه الله واختاره ليكون له نَجِيًّا وكليمًا، فهذه ميزة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقال: موسى كليم الله وموسى نجيُّ الله؛ لأن الله كلَّمه وناداه وناجاه، وسمع كلامه الذي لا شك فيه أنه كلام الله، ولا شك أن الذي كلَّمه هو الله رب العالمين.

ثم جاء بالحكم بعد سرد هذه الآيات التي يقوم بواحدة منها الحجة، والله ما من نص إلا وهو وحده كاف في إقامة الحجة التي تدمغ من ينكر أن الله كلَّم موسى أو ينكر أن الله يتكلَّم؛ لأنَّنا إذا آمنا أن الله كلَّم موسى انتهت الشبه كلها، وأن الله يتكلَّم كما يشاء ومتى يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنكار أن الله يتكلَّم وأن الله كلَّم موسى كُفْرٌ على كُفْرٍ وتكذيبٌ برسالات الله كلها؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل على الرسل كلامَه الذي يُعَلِّم به الخلق

العقائد والعبادات والحلال والحرام... كلامه، فالكلام الذي أوحاه إلى إبراهيم كلامه، والكلام الذي أوحاه إلى نوح وإلى آدم قبلهم وإلى كل الرسل هو كلامه، والكلام الذي يُكلِّم به الملائكة في أمور الكون كلَّ يوم كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: «فإن قال قائل منهم -يعني من الجهمية-: إن الله تَعَالَىٰ خلق كلامًا في الشجرة، فكلّم به موسى».

قيل له: «هذا هو الكفر؛ لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك، ويزعم أن مخلوقًا يدَّعي الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه».

ونقول: إن هذا القول كذب على الله وكفر به، فالشجرة لا يمكن أن تقول: إنني أنا الله، بل أفضل خلق الله من الملائكة والأنبياء يستحيل أن يقول أحد منهم مثل هذا، قال تَعَالَىٰ في وصف الملائكة: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٧ - ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فنقول: سبحان الله وتعالى وتنزه عما يقوله الجهمية.

فإذا كان الله يتوعد من يقول: إني إله من دونه بجهنم، ولو كان من الملائكة.

وإذا كان نبي الله عيسى يتبرأ ويسبح الله وينزهه عما ينسبه إليه النصارى، فكيف يستجيز من يدَّعي الإسلام أن يقول: إن الشجرة هي التي قالت: «إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري».

قاتل الله أهل الأهواء، إنهم ليقولون على الله قولًا عظيمًا.

قيل له: «هذا هو الكفر؛ لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك». كلام الله صفة من صفاته ليس مخلوقًا، صفاته أفعاله أقواله، أفعال وأقوال كمال تليق بجلاله ليست مخلوقة، وإن كان الكلام المعيَّن يأتي وفقًا لمناسبة معينة في وقت معين فهذا كلامه؛ لأنه كما يقال الأمر الذي يُحدِثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إما أن يكون مخلوقًا أو يكون فعله، فإذا كان فعله فهو صفته ليس بمخلوق، فكلامه وفعله في أيِّ زمان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلَّم متى شاء ويفعل ما يشاء في أي وقت شاء، هذه الأفعال التي يُحدِثها الله عَزَّوَجَلَّ من أفعاله لا نُسمِّيها مخلوقات، هذه أفعاله وصفاته تليق به ليست مخلوقة، فالكلام الذي سمعه موسى في وقت معين في زمان معين ذلك كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد تقدّم لكم أن الأشاعرة يقولون: إن الكلام صفة قائمة بذات الله، وليس بحرف ولا صوت، وأنه لا يتعلق بمشيئة الله وإرادته، ويقولون: إن كلامه واحد، ومعناه واحد، لا يتجزأ، ومعنى القرآن والتوراة والإنجيل واحد، وهو كلام أزلي.

ومن هنا يقول أحد الأشاعرة: «لم يُحدِث المسموع للكليم»[(١)] **يعني**: الكلام الذي سمعه موسى تكلم به في الأزل، هذا الكلام من الأزل؛ يعني ما أوحاه الله على موسى في ذاك الوقت وسمعه هذا، بناءً على أن الله لا يتكلم إذا شاء ومتى شاء، وهذا تعطيل لله من أفعاله ومن كلامه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ما معناه؟ كلَّمه في ذلك الوقت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] القرآن

(١) «صفوة زبد ابن رسلان بشرحه غاية البيان» للرملي (ص١١ - المعرفة).

نـزل في عهد محمَّدٍ ﷺ، التوراة نزلت في عهد موسـى ﷺ، والإنجيل جاء في عهد عيسـى ﷺ، وكل هذا من كلامه، وكل الكتب السماوية من كلامه، تكلَّم الله بها في أزمـان مختلفة، أحدثها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كلامه ومن تشريعاته ومن توجيهاته فهـي من أقواله اللائقة به ليسـت مخلوقة، وإن كان قالها في وقت معين، لأن ما يحدثه الله إمـا أن يكـون مخلوقًا أو يكـون صفةً له، فـما كان من أفعالـه وأقواله القائمـة بذاته فهذه مـن صفاتـه، وإن طرأت في وقت معين بمشـيئته؛ لأن الله يفعل ما يشـاء، أفعاله وأقواله متعلقة بمشـيئته، نزوله ومجيئه ينـزل الله كل ليلة إلى السـماء الدنيا كما سـيأتي في أحاديث النـزول كل ليلـة، النزول الذي في هـذه الليلة بعد النــزول في التي قبلهـا والتي قبلها.. إلى مـا شـاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هـذا النزول حصـل في ليلة معينـة هو فعل الله ليـس بمخلوق، خلق فلانًا، خلق شجرةً، خلق دابةً، أمرضها.. هذه أمور حادثة مخلوقة، وهي مفعولاته، فالأفعال التي قامت بالمخلوقين أفعال مخلوقة، والأفعال القائمة بذاته وإن كانت تتجدد وتحدث شيئًا بعد شيء فهي من صفات كماله من أفعاله وأقواله، فلا نسميها مخلوقة، لهذا يقـول هذا مخلوق، نعم الشـجرة مخلوقة، وَوَصْـفُ القرآن بأنه مخلـوق ضلال، ووصف كلامه في أي وقت حدث بأنه مخلوق، هذا الكلام ضلال؛ ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] المعتزلـة يأخـذون من كلمـة مُحدَث أنه مخلوق، قبحهـم الله، لا تعنـي كلمـة محدث على أنه مخلوق، وإنما حدث مـن كلامه اللائق به وهو صفة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليست مخلوقة، وإن وصفت بأنها حدث ومحدث، فالمحدث إما أن يكـون مـن أفعال الله وأقواله القائمة بذاته، فهذا ليـس بمخلوق[1] وإما أن يكون مخلوقًا

(١) قـال البخـاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحـه في كتاب: «التوحيـد» (١٣/ ٤٩٦- فتح الباري): بـاب قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] [٤٢]، وَ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، =

وصفةً قائمةً بالمخلوق فهذه من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ ومفعولاته، وفرق كبير بين أفعال الله ومفعولاته التي هي مخلوقاته.

قال: «وقيل: له: يا ملحد»: نحن نريد هدايته، ما نقول له: يا ملحد، نحن ما نقلِّد، صراحة الأسلوب مع الخصم لابد أن يكون فيه رفق؛ لأن الله يقول: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، فإذا قلت له ولو كان نصرانيًا أو يهوديًا، تقول له: يا ملحد، يهرب منك، وما يقبل الحق منك، قل له: يا رجل، يا كذا، اسمع قال الله كذا، قال رسول الله كذا وبيِّن له، إلا إذا استكبر وعاند.

«قيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: إنني أنا الله؟»:

تقول له: يا رجل، يا فلان، هل يجوز لغير الله أن يقول: إني أنا الله؟ هل يجوز للشجرة أن تقول: إني أنا الله؟ هل يجوز لملَكٍ من الملائكة أن يقول: إني أنا الله؟ لا يجوز، ومن جوَّز ذلك فقد كفر؛ فقد جعل المخلوق إلهًا.

قال: «نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر يستتاب، فإن تاب ورجع عن مذهبه السوء وإلا قتله الإمام»، فواجب عليه أن يقتله بعد إقامة الحجة؛ لأن هذا مرتد، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»**(١) سواء بهذه القضية أو غيرها، إذا أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة أو أمرًا خفيًّا وأقمت عليه الحجة من كتاب الله ومن سنة الرسول وكابر في ذلك وعاند ورد النصوص الشرعية، فهذا لا شك

= وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١]، وَأَنَّ حَدَثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدَثَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ»**.

(١) رواه البخاري في كتاب: «استتابة المرتدين» حديث [٦٩٢٢].

أنـه مُكَـذِّب لله معاند، فهذا يصدق عليه: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، ولهذا قتلوا الجعد بن درهم، لماذا؟ كما نص على ذلك خالد القَسْرِي قال: «لأنه أنكر أن يكون الله كلَّم موسـى تكليمًا وأن الله اتَّخذ إبراهيم خليلًا» (١).

قتلـه بإنكاره تكليم الله موسـى وبإنكار الخُلَّة وهي أقصى غايـة المحبة عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أنكـر محبـة الله وكلامـه، أنكر صفتين من صفـات الله الثابتـة في القرآن، قـال الله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقـال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فالقرآن نص على إثبات تكليمه لموسـى، فمن أنكر أن الله كلَّم موسـى فقد كـذَّب القرآن، والله نـصَّ في القرآن أن إبراهيـم خليله بالنص القـرآني وبالنص النبوي، ومـن أنكر هذه الصفة وهي خلة الله لخليلـه إبراهيم أنكر صفة عظيمة فقد كذَّب القرآن وكذَّب الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شـك أن تكذيب الله وتكذيب رسوله رِدَّةٌ، فمن قامت عليـه الحجـة فعانـد ورد النصوص فهـذا مرتد يجب على إمام المسـلمين قتلـه، فإن قصَّر فما موقف المسلمين منه؟ ذكر هذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يُهجَر ولا يُزَوَّج.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإن قال منهم قائل: إن الله** تَعَالَىٰ **خلق كلامًا في الشـجرة، فكلم بـه موسـى قيل له: هذا هو الكفر؛ لأنـه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله** عَزَّوَجَلَّ **عن**

(١) روى قصـة قتله البخاري في «التاريخ الكبـير» (٣/ ١٥٨/ ٥٤٢)، وفي «خلق أفعال العباد» (ص٢٩- المعـارف)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص: (٢١ و٢٠٩)، والخلال في «السـنة» (٥/ ٨٧، ٨٨)، رقـم: [١٦٩٠]، والآجـري في «الشريعـة» رقـم: [٦٩٢]، واللالكائـي في «شرح أصـول الاعتقـاد» (٢/ ٣١٩/ ٥١٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٢٠) رقم: [٣٨٦]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٦١٧/ ٥٦٣)، والخطيـب البغـدادي في «تاريـخ بغـداد» (١٢/ ٤٢٥)، وابـن عسـاكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٨٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٨/ ١١٨)، و(٢٣/ ٤٣٨)، والذهبي في «العلوِّ» ص: [١٣١]، رقم: [٣٦٠]... وغيرهم. وهي قصة مشهورة كما قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٩٩).

ذلك، ويزعم أن مخلوقًا يدَّعي الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه، وقيل له: يا ملحد هل يجوز لغير الله أن يقول: إنني أنا الله؟ نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر يستتاب فإن تاب ورجع عن مذهبه السوء وإلا قتله الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستتبه وعلم منه: أن هذا مذهبه هُجر، ولم يكلم، ولم يسلم عليه، ولم يصل خلفه، ولم تقبل شهادته، ولم يزوجه المسلم كريمته».

قل له: يا فلان، هل يجوز لمخلوق أن يقول لموسى: إني أنا الله فاعبدني، هل يجوز هذا؟ لعل الله يهديه فيرجع، قد يقول: لا والله، هذا بعيد، تقول له: إذن يلزمك أن ترجع عن قولك، وأن تثبت أن الله كلم موسى، وأن هذا الكلام صدر من الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ما يدري من أي مصدر..

قال: **«هل يجوز لغير الله أن يقول: «إنني أنا الله»؟ نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر يستتاب، فإن تاب ورجع عن مذهبه السوء وإلا قتله الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستتبه وعلم منه أن هذا مذهبه هُجِرَ ولم يُكَلَّم، ولم يسلم عليه ولم يصل خلفه، ولم تقبل شهادته، ولم يزوجه المسلم كريمته».**

هذه أحكامه إذا قامت عليه الحجة وعاند ولم يُقتل، فإن على المسلمين أن يعاملوه هذه المعاملة؛ لأنه قامت عليه الحجة واستهتر بالنصوص وردها، فكيف يعامل بالاحترام والتقدير والاحترام والتلقي بالأحضان! لا، هذا يُهجر ويُهان ولا يُزَوَّج ولا يُصلَّى خلفه ولا تُقبَل شهادته؛ هذه أحكام الكافرين والمرتدين.

المصيبة أننا نحن ما نقيم الحجة على الناس، ما نجتهد في إيصال الخير إلى الناس وإقامة الحجة عليهم؛ لأن هذا يستتاب بعد إقامة الحجة، فإن تاب وإلا قُتِل بعد إقامة

الحجة، نحن لا نُكَفِّر، نذكركم أن هذا كفر لا شك أن القول بأن الله ما كلَّم موسى وأن القرآن مخلوق وأن الله ما يتكلَّم، لو قال واحدة من هذه، قال كفرًا بالله عَزَّوَجَلَّ وتكذيبًا لله عَزَّوَجَلَّ، لكن قد يكون جاهلًا، قد يكون متأوِّلًا، فلا نبادر إلى الحكم عليه بالكفر حتى نناقشه ونقيم عليه الحجة، فإذا عاند بعد إقامة الحجة حينئذٍ يُحكم بكفره وردته [(١)].

وقال أبو عبد الله: «سمعت عبد الرحمن بن مهدي في هذه المسألة بعينها يقول: من قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه».

هذا الكلام المطلق: «من قال كذا فهو كافر» لكن لما تُنَزِّل أحكامًا على الأفراد المعينين لابد من إقامة الحجة، من منهج السلف أنك تقول: «من فعل كذا فهو كافر» لكن فلان المعين لا تكفره بعينه، إلا بعد إقامة الحجة؛ لأن هناك آيات كثيرة تشترط إقامة الحجة: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [النساء: ١١٥]، فقد يحصل منه ضلال وهو لم يتبين له الهدى، فلابد أن يتبيَّن له الحق حتى يصدق عليه أنه شاق الرسول وخالف سبيل المؤمنين بعد ما تبين له الهدى.



(١) انظر في مسألة إقامة الحجة: «خلق أفعال العباد للبخاري» ص: [٦٢]، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٠-ظلال الجنة)، و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١٢/ ٥٢٣-٥٢٤)، و(٢٣/ ٣٤٥)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٤٠٧).

الأسئلة

سؤال: يقول: إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّة وموسى بالكلام ومحمَّدًا بالرؤية، هل يثبت أن الرسول رأى ربه يقظة ليلة المعراج أو غيرها؟

جواب: لا، لم يثبت وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمسروق: «ثلاث من حدَّثك بهنَّ فقد أعظم على الله الفرية: من زعم أن محمَّدًا رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية ومن زعم أن محمَّدًا يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية- وساقت الأدلة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله-ومن زعم أن محمَّدًا كتم شيئًا مما أنزل إليه فقد أعظم على الله الفرية».

الشاهد في قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من زعم أن محمَّدًا رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية»، وما يُنسَب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من إثبات الرؤية فإنما أثبت الرؤية بالقلب لا بالعين كما في صحيح مسلم، وبهذا ليس هناك خلاف بينه وبين عائشة كما يُلَبِّس بعض الناس؛ لأن ابن عباس لا يُثبت ما نفته عائشة، فعائشة نفت الرؤية بالبصر، وابن عباس لم يثبت هذا ما قال: بل رأى ربه بعين رأسه، لا، ما قال هذا، وقد رُويت بعض الروايات، ولكنها ضعيفة، أما الصواب عنه فما رواه عنه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ بأن محمَّدًا رأى ربه بقلبه.

هذا ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الله كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **فإن الله تَعَالَى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**...»[1].

وهو أيضًا قد كلّمه ربه في ليلة الإسراء مرارًا، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس بكلامه في تلك الليلة، وهذا ثابت بالأدلة الصحيحة.

سؤال: ما حجة ما ذكره الآجري في أن الله كلم موسى بقوة عشرة آلاف لسان؟

---

(١) أخرجه مسلم «المساجد» حديث [٥٣٢].

جواب: نحن نؤمن بما ثبت في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأظن أن هذا من الإسرائيليات، كلَّمه الله كلامًا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الله كلَّم محمَّدًا ليلة المعراج لماذا لا تأتي هذه الأساطير حول كلام الله لمحمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله كلَّم موسى في الوادي المقدس، وكلم محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق السموات، يعني مزية محمد في الكلام عظيمة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولهذا وغيره من المزايا هو أفضل الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٦٨٠- وحدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: نا الفضل بن زياد قال: نا أبو طالب قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عمن قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى؟ فقال: «يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»، وقال أبو عبد الله: سمعت عبد الرحمن بن مهدي في هذه المسألة بعينها يقول: من قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى، فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[1].

٦٨١- حدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي قال: حدثنا إسحاق بن منصور الكوسج قال: قال أحمد: قال عبدالرحمن بن مهدي: «من قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يُكلم موسى يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل»[2].

هذان القولان من الإمامين أحمد وابن مهدي صحيحان، وفيهما الحكم على من ينكر أن الله كلّم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأن في هذا الإنكار تكذيبًا للنصوص القرآنية الصريحة على أن الله قد كلّم موسى تكليمًا، وناداه وناجاه، وفي هذا الإنكار تنقص لله وإنكار لصفة كمال من صفاته عَزَّوَجَلَّ ألا وهي صفة الكلام، التي بها يخلق وبها ويرزق وبها يشرع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٤٩٣-الوابل) من طريق الفضل بن زياد به.

(٢) رواه إسحاق الكوسج في «مسائله عن أحمد وإسحاق» [٣٤٩١]. ومن طريقه رواه ابن بطة في «الإبانة» (٤٩٢-الوابل) عن أبي محمد عبد الله بن العباس عنه به.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٤]، وفي «العلل» [٤٧٨٣] عن أبيه نحوه، ومن طريق عبد الله رواه أبو بكر النجاد في «الرد على من قال القرآن مخلوق» [٣١] برقم: [١]، وابن بطة (٤٨٨-الوابل)، واللالكائي (٥٠٥، ٥٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٥٤٥]، كلهم عن عبد الله عن أبيه نحوه.

ورواه أبو داود في «مسائل أحمد» [١٦٩٥]، وصالح بن أحمد في «سيرة أبيه الإمام أحمد» ص: [٦٦]، وابن بطة -الوابل- (٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٥) من طرق أخرى عن أحمد نحوه.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت :١١]، وغـير ذلك من البراهين الدالة على وصـف الله بصفة الكلام التي هي غاية الكمال، ومن هنا حكم أئمة الإسـلام على من ينكر هذه الصفة العظيمة بالكفر، ثم يسـتتاب، فإن تاب وإلا قتل.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما السنن التي جاءت ببيان ما نزل به القرآن أن الله عَزَّوَجَلَّ كلم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس بينهما رسول من خلقه، تَعَالَىٰ الله عما يقول الملحد الذي قد لعبت به الشياطين.

٦٨٢/ أ- حدثنا أبو العباس عبد الله بن صقر السكري قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي: حدثنا عبد الله بن وهب.

٦٨٢/ ب- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أحمد بن صالح المصري، وأبو الطاهر أحمد بن عمرو المصري قالًا: حدثنا ابن وهب،: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة، فأراه الله عَزَّوَجَلَّ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله عَزَّوَجَلَّ فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر ملائكته فسجدوا لك؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى قال: أنت نبي بني إسرائيل؟ أنت الذي كلمك الله جل ذكره من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم، قال: فما وجدت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فلم تلومني في شيء قد سبق من الله تَعَالَىٰ فيه القضاء قبلي؟» قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»(١).

٦٨٣- وأخبرنا الفريابي، حدثني أبو مسعود أحمد بن الفرات قال: أنا موسى ابن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن جندب قال:

....

(١) سبق تخريجه برقم [١٨٥].

قال النبي ﷺ: «احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله عز وجل بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، وفعلت ما فعلت، فأخرجت ولدك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي بعثك الله برسالته وكلمك، وآتاك التوراة، وقربك نجيًّا؟ أنا أقدم أم الذكر؟»، فقال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»(١).

٦٨٤- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن طاوس، سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم أبونا أخرجتنا من الجنة وأشقيتنا، قال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك يعني التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»(٢).

٦٨٥- أخبرنا الفريابي، حدثنا وهب بن بقية الواسطي، أخبرنا خالد يعني ابن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الجنة، وأمر الملائكة فسجدوا لك،ثم أخرجك منها؟ قال آدم لموسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وقرَّبك نجيًّا وكلمك تكليمًا وأنزل عليك التوراة» وذكر الحديث(٣).

....

(١) سبق تخريجه برقم: [٣٥٤].

(٢) حديث متفق عليه. وهذا إسناد صحيح. وقد سبق تخريجه برقم: [٣٥٦].

(٣) إسناده حسن، محمد بن عمرو صدوق له أوهام كما في «التقريب».

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٥٩٧] عن وهبان -وهو وهب بن بقية- به مختصرًا.

ورواه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص: [١٦٢]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٢١-١٢٣)، =

هـذه المحاجـة بين آدم وموسـى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ التـي وردت في هذه الأحاديـث الثابتة تتضمن أمرين:

أحدهما- إثبات أن موسى كليم الله، وأن الله كلَّمه، ولأجل هذا ساق المؤلف هذا النص.

والأمر الثاني- أن آدم إنما حجَّ موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن موسى عاتبه على المصيبة التي وقعـت عـلى ذرية آدم، وهي الإخـراج من الجنة إلى الأرض؛ دار البلاء والشـقاء، وليس على المعصية التي تاب منها، وقبل الله منه هذه التوبة واصطفاه.

فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم وأجلُّ من أن يعاتب آدم من ذنب قد تاب منه، وهذا الأمر الواضح الجلي قد خفي على الجبرية ومن تابعهم من أهل الضلال، الذين يحتجون بالقدر على وقوع الضلال والمعاصي منهم؛ الأمر الذي يؤدي إلى إسقاط الأوامر والنواهي الإلهية والنبوية، وهذا شر من مذهب المعتزلة والجهمية الذين ينكرون القدر، وإذن فالقدر يحتج بـه في المصائـب، لا على المعاصي والمعائب، كما هو الحق المقرر في الكتاب والسـنة، وعليه الصحابة والأئمة، وقد تقدم الكلام في هذا.



=

وابن بطة في «الإبانة» (٤٧٣-الوابل)، والبيهقي في «الأسـماء والصفات» [٦٨٦] من طرق عن محمد ابن عمرو به.

وتابعـه يحيـى بن أبي كثير عن أبي سـلمة به نحوه، أخرجـه البخاري في «التفسـير» حديث [٤٧٣٨]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٢].

٦٨٦- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا عبد الوهاب الوراق، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن قيس بن الربيع، عن عاصم الأحول، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ اصطفى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالخلة، واصطفى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكلام، واصطفى محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرؤية»[1].

٦٨٧- وحدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي، حدثنا زهير بن محمد المروزي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا قيس بن الربيع، عن عاصم بن سليمان، عن عكرمة،عن ابن عباس قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرؤية»[2].

---

(١) هذا الحديث إسناداه -هذا والذي بعده- فيهما قيس بن الربيع وهو الأسدي، قال في «التقريب»: «صدوق تغيَّر لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به»، وباقي رجاله ثقات، إلا زهير ابن محمد المروزي ففيه كلام في رواية الشاميين عنه، وهذه ليست منها، ثم هو متابع.
رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨٤-٤٨٥) عن عبد الوهاب الوراق به.

(٢) رواه الطبراني [١١٩١٤] عن علي بن عبد العزيز عن علي بن عاصم به.
ورواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٥٠٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٧١) من طريق قيس بن الربيع به.
وتابعه إسماعيل بن زكريا الخلقاني عن عاصم، أخرجه الحاكم [٤٠٩٨]،وابن أبي عاصم في «السنة» [٤٣٦]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٧٧]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨٥)، والدارقطني في «الرؤية» [٢٦٨] من ثلاث طرق عن إسماعيل بن زكريا به. و«صححه الحاكم على شرط البخاري». ووافقه الذهبي.
ورواه قتادة عن عكرمة به، أخرجه النسائي في «الكبرى» [١١٤٧٥]، والحاكم (٢١٦، ٣١١٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» [٤٤٢]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٧٩]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٧٩)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٦١، ٢٨٢)، وابن منده في «الإيمان» [٧٦٢]، واللالكائي (٨٦١، ٩٠٥) من طرق عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة به نحوه. وصححه الحاكم على شرط =

هذا الكلام المنسوب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيه نظر من وجهين:

الأول- أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشارك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخلة، ويشارك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في التكليم.

فإن الله قد اتخذ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، كما في حديث ابن مسعود وحديث أبي سعيد في مسلم (٢٣٨٢، ٢٣٨٣).

وكلَّم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة الإسراء مرارًا، كما كلَّم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا ثابت في أحاديث الإسراء الصحيحة.

والوجه الثاني- أن الثابت عن ابن عباس إنما هو رؤية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه بقلبه، وذلك في «صحيح مسلم» حديث [١٧٦].



=

البخاري. ووافقه الذهبي.

ورواه أيضًا يزيد بن حازم عن عكرمة به، أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٧٨] عن إبراهيم بن زياد سبلان عن عباد بن عباد عن يزيد بن حازم. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

[٦٨٨] حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصاص، وأبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قالا: نا الحسن بن عرفة، ثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم كلم الله عَزَّوَجَلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت عليه جبة صوف وكمة صوف، وكساء صوف، وعصا راع، ونعلاه من جلد حمار غير ذكي»(١).

[٦٨٩] أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي، ثنا يوسف بن موسى القطان، ثنا علي بن عاصم، عن الفضل بن عيسى الرقاشي، حدثني محمد بن المنكدر، حدثني جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كلم الله عَزَّوَجَلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه؟ فقال له موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به؟ قال: يا موسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك»(٢).

---

(١) ضعيف جدًا: في إسناده حميد الأعرج الكوفي القاص، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «واهي الحديث»، وقال في «الميزان» (١/ ٦١٤): «متروك، وقال أبو زرعة: واهٍ، وقال الدارقطني: متروك».
وأورد الذهبي هذا الحديث وغيره لبيان شدة ضعفه.
رواه الترمذي في «أبواب اللباس» حديث [١٧٣٤] من طريق خلف بن خليفة به. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حُمَيْدٍ الأَعْرَجِ. وَحُمَيْدٌ: هُوَ ابْنُ عَلِيٍّ الكُوفِيُّ مُنْكَرُ الحَدِيثِ، وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ الأَعْرَجُ المَكِّيُّ صَاحِبُ مُجَاهِدٍ ثِقَةٌ».

(٢) ضعيف: في إسناده الفضل بن عيسى الرقاشي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ساقط»، وقال الحافظ ابن حجر: «منكر الحديث ورمي بالقدر».
رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١١١٩)، و(٥/ ١٥٥٧-١٥٥٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٤٧٧- الوابل)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٦٠١] كلهم من طريق علي بن عاصم عن الفضل الرقاشي به. قال البيهقي: «حَدِيثٌ ضَعِيفٌ؛ الْفَضْلُ بْنُ عِيسَى الرَّقَاشِيُّ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ؛ جَرَّحَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ».

[٦٩٠] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، ثنا محمد بن بكار، ثنا أبو معشر، عن عبد الرحمن بن معاوية قال: «إنما كلم الله عَزَّوَجَلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقدر ما يطيق موسى من كلامه، ولو تكلم بكلامه كله لم يطقه شيء»(١).

[٦٩١] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: ثنا عبد الوهاب الوراق قال: ثنا أبو النضر، عن معمر، عن محمد بن كعب القرظي قال: قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ماشبهت صوت ربك تَعَالَىٰ حين كلمك قال: «شبه صوت الرعد حين لا يترجع»(٢).

[٦٩٢] حدثنا أبو الطيب الحسين بن علي بن صالح الهروي قال: «نا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي، وإسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن قالا: نا أحمد بن حنبل قال: نا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لما اشتد على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كربه قال له ربه عَزَّوَجَلَّ: ادن مني فلم يزل يدنيه حتى شد ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة، وجمع يديه في العصي، وخضع برأسه وعنقه، فقال له ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: إني قد أقمتك اليوم مقامًا لا ينبغي لبشر من بعدك أن يقوم مقامك، أدنيتك مني حتى سمعت كلامي وكنت بأقرب الأمكنة مني قال: وذكر الحديث»(٣).

---

(١) ضعيف: في إسناده أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «قال أحمد: صدوق، لا يقيم الإسناد»، وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف... أسن واختلط».

(٢) هذا ضعيف، ومن الإسرائيليات.

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٤٢] من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب به.

(٣) ضعيف: ومن الإسرائيليات، ومعناه منكر.

[٦٩٣] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: نا الحسن بن حماد سجادة قال: حدثنا عمرو بن هاشم، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جل سبحانه ناجى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمائة ألف وأربعين ألف كلمة، وصايا كلها، فكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى إنه لم يتصنع المتصنعون إلي بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب المتقربون إلي بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد لي المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي، قال موسى: يا إله البرية كلها، ويا مالك يوم الدين، ويا ذا الجلال والإكرام: وما أعددت لهم وماذا جزيتهم؟ قال: قال: أما الزاهدون في الدنيا فإني أبيحهم جنتي يتبوءون فيها حيث شاءوا، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته الحساب، وفتشته عما في يديه إلا الورعين، وإني أستحيهم وإني أجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما البكاءون من خيفتي فأولئك لهم الرفيع[١] الأعلى لا يشاركون فيه»[٢].

٦٩٤- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: ثنا الحسن بن الصباح قال: حدثني قاسم العمري، عن عبد الرحمن بن محمد

....

(١) كذا، ولعله: الرفيق.

(٢) ضعيف جدًّا، في إسناده جويبر بن سعيد البلخي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «تركوه»، وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف جدًّا».

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٤٥]، والطبراني [١٢٦٥٠]، وابن بطة في «الإبانة» (٤٨١- الوابل)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٤٧-الرشد) من طرق عن الحسن بن حماد به.

ورواه الطبراني في «الأوسط» [٣٩٣٧]، وابن شاهين في «الترغيب والترهيب» [٢٢٧]، وابن أبي الدنيا في «الزهد» [١٩٨]، وفي «الورع» ص: (٤٧، ١١١) من طرق عن عمرو بن هاشم أبي مالك الجنبي به.

ابن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب فلما فرغ من خطبته وذلك يوم النحر قال: ارجعوا فضحوا يقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا ثم نزل فذبحه[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيما ذكرته من هذا الباب مقنع لمن عقل عن الله جل اسمه وعن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآثار المذكورة أن الله جَلَّ جَلَالُهُ كلم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تكليمًا، والكلام من الله عَزَّوَجَلَّ إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلا رسول بينهما.

هذه الآثار من (٦٨٨-٦٩٣) كلها ضعيفة، وبعضها ضعيف جدًّا؛ إسنادًا ومتنًا، وفيما ثبت من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما ثبت من أقوال أئمة السلف غنية عنها.

هذه القصة في قتل خالد بن عبد الله القسري للجعد بن درهم تلقاها علماء السنة بالقبول وتداولوها بينهم، فلا يستبعد وقوعها.

ولقد ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا كثيرًا من نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب على إثبات صفة الكلام لله رب العالمين، ومن أقوال العلماء فيمن ينكر هذه الصفة العظيمة اللائقة بالله، والحكم على منكريها بالكفر؛ لأن هذا المذهب يتضمن تكذيب نصوص الكتاب والسنة، ويتضمن التنقص لرب العزة والجلال وتعطيله عن الكمال، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.



---

(١) سبق تخريجه.



٥٢ باب
الإيمان والتصديق بأن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة» والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه.

الإيمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته واجب، ومن هذه الصفات صفة نزول ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة، تواترت بذلك الأحاديث النبوية حيث روى ذلك عدد من الصحابة الكرام.

وكذلك الإيمان بمجيئه تَعَالَىٰ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وقد دلّ على هذا المجيء آيات قرآنية محكمة وأحاديث صحيحة.

فعلى العباد أن يؤمنوا بكل ما أخبر الله به عن نفسه وأخبر عنه رسوله من صفات الكمال والجلال على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه

ولا تمثيل، على أساس قول الله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وعلى أساس قول الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، [الإخلاص: ١ - ٤] وعلى قوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، **أي**: شبيهًا ونظيرًا.

على أساس هذه الآيات ونحوها آمن السلف بصفات جلال الله وأفعاله وأثبتوها على الوجه اللائق بالله.

وخالف في ذلك المعطلة على اختلاف نحلهم من جهمية ومعتزلة وقدرية وروافض وخوارج وأشعرية وماتوريدية، فعطل الجهمية الأسماء والصفات، وعطّل المعتزلة الصفات والأفعال، وعطّل الأشاعرة والماتوريدية صفات الأفعال مثل الاستواء، بناء على أصلهم الفاسد أن هذه أعراض لا تليق بالله؛ لأن الأعراض إنما هي من صفات الأجسام؛ إذ فهموا منها التشبيه؛ تشبيه الله بخلقه، فاندفعوا إلى تحريف هذه النصوص بالتحريف المسمى بالتأويل، فعطلوا الله من صفات كماله اللائقة بجلاله.

ولو فهموها أي: صفات الله على الوجه الصحيح اللائق بالله كما هو منهج السلف من الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان لنجوا من هذا الضلال والتحريف والتعطيل، ولو جعلوا قول الله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أساسًا لفهم نصوص الصفات لساروا على نهج الصحابة والسلف الكرام في الإيمان بها على الوجه اللائق بالله، ونفي مشابهة المخلوقات عنها؛ إذ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ينفي عن الله المشابهة لخلقه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] يقتضي إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله، فتضمنت هذه

الآيات إثبات منهج السلف، والرد على المشبهة بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، والرد على المعطلة بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وقد ردَّ السلف ضلالات المشبهة والمعطلة في مؤلفات عدة، كـ «الرد على الجهمية» للإمام أحمد، و«الرد على الجهمية» للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، و«خلق أفعال العباد» للبخاري، و«الرد على الجهمية» لابن منده.

ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وغير ذلك من مؤلفات أهل السنة.

وقد ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا خاصًّا في إثبات صفة النزول لله عَزَّوَجَلَّ، بالأدلة النقلية والعقلية، ورد ضلالات من ينكرها بالأدلة العقلية والنقلية.



٦٩٥- حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: نا أبو معمر القطيعي قال: قال عباد يعني ابن العوام: قدم علينا شريك واسطًا فقلنا له: إن عندنا قومًا ينكرون هذه الأحاديث: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا»، فقال شريك: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وإنما عرفنا الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأحاديث[1].

هذا رد حاسم على معطلة صفات الله وإلزام لهم بالتناقض، فإذا كانوا يصدقون الصحابة في نقل أحاديث الأحكام والحلال والحرام، فعليهم أن يقبلوا نقلهم لأحاديث الأسماء والصفات ويسلموا بمعانيها كما سلم بها الصحابة ومن تبعهم بإحسان.



(١) إسناده صحيح: رواه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٢/ ٥٢٩) من طريق المصنف.
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٠٨]، وابن أبي حاتم في «الرد على الجهمية» كما في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي [٨٧٩]، وابن مردويه في «مجلسان من الأمالي» [٣١] من طريق أبي معمر به. وصححه الألباني في «مختصر العلو» للذهبي ص: [١٤٩].
وروى عبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٠٩]، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٦-الوليد بن نبيه)، والدارقطني في «الصفات» [٦٥]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٩٤٩] من طريق مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ الصَّاغَانِي، أنا سَلْمُ بْنُ قَادِمٍ، ثنا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: «قَالَ لِي عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّام: قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ الله مُنْذُ نَحْوٍ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي بِنَحْوٍ مِنْ عَشَرَةِ أَحَادِيثَ فِي هَذَا، وَقَالَ: أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا دِينَنَا هَذَا عَنِ التَّابِعِينَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُمْ عَمَّنْ أَخَذُوا؟». قال الألباني في «مختصر العلو» ص: [١٤٩]: «وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير سلم بن قادم وقد وثقه الخطيب في «التاريخ»: (٩/ ١٤٥)».

٦٩٦- وحدثنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصاص قال: نا الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وليس في سنة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلا اتباعها بفرض الله** عَزَّوَجَلَّ، **والمسألة بكيف في شيء قد ثبتت فيه السنة ما لا يسع عالمًا، والله أعلم»**(١).

مذهب الشافعي هذا هو مذهب الصحابة والسلف في الإيمان بالأسماء والصفات، أخذًا بالنصوص واتباعًا لها، والابتعاد عن السؤال بكيف ولِمَ ونحو ذلك مما ينافي التسليم لله ورسوله.

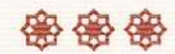


(١) إسناده صحيح:
رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٢-الوليد بن نبيه). وهذا النص في «الأم» للشافعي: كتاب «الحج»، بابٌ: «الخِلاف فِي الْحَجِّ عَن الْمَيِّتِ» (٢/ ١٢٥).

٦٩٧- وحدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي، حدثنا إسحاق بن منصور الكوسج قال: قلت لأحمد يعني ابن حنبل: ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الأخير إلى سماء الدنيا، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ ويراه أهل الجنة يعني ربهم عَزَّوَجَلَّ؟ و«لا تقبحوا الوجه فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم على صورته» و«اشتكت النار إلى ربها عَزَّوَجَلَّ حتى وضع فيها قدمه»، و«أن موسى لطم ملك الموت»؟! قال أحمد: «كل هذا صحيح»، قال إسحاق: «هذا صحيح، ولا يدفعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي»[1].

إسناد هذا الكلام إلى الإمام أحمد صحيح.

وهذه الأمور المذكورة يؤمن بها أهل السنة، ومنها إثبات نزول الله كل ليلة إلى السماء الدنيا.



---

(١) رواه إسحاق الكوسج في «مسائله عن أحمد وإسحاق» [٣٣٣٢]. ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٠- الوليد بن نبيه) من طريق عبد الله بن محمد الطيالسي به مختصرًا.
ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٧-١٤٨) من طريق ابن الجارود عن إسحاق بن منصور به.

٦٩٨- حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: نا الحسين بن علي الحلواني بطرسوس سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال: سمعت مطرف بن عبد الله يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: إذا ذكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر ابن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها اتباع لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله تَعَالَىٰ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[1].

هذا القول المنسوب إلى عمر بن عبد العزيز قول جميل، لكن في إسناده انقطاع بين مالك وبينه، وقد تناقله السلف في مؤلفاتهم؛ لأنه وإن لم يصح إسنادًا إلا أنه كلام حق لا يبعد أن يقوله عمر بن عبد العزيز.



---

(١) سبق تخريجه برقم: [٩٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد روى هذا الحديث(١) عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة كثيرة بسنن ثابتة عند أهل العلم فإن قال قائل: من رواه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قيل: رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورواه أبو سعيد الخدري كذلك، ورواه عبد الله بن مسعود كذلك، ورواه عثمان بن أبي العاص كذلك، ورواه عبادة بن الصامت كذلك، ورواه رفاعة الجهني كذلك، ورواه جبير ابن مطعم كذلك؛ كل هؤلاء رووه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم بمعنى واحد، وسنذكر ذلك عنهم بالأسانيد الصحاح التي لا يدفعها العلماء.

٦٩٩- أخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو المصري قال: أنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله الأغر، وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له؟»(٢).

٧٠٠- وأخبرنا ابن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب، وخشيش بن أصرم، قالا: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، والأغر أبو عبد الله، أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخبرهما: عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

....

(١) يقصد الآجري حديث النزول بطرقه إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذكر هنا بعض من رواه من الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه مالك في «الموطأ» في «كتاب القرآن» (١/ ٢١٤) رقم: [٣٠].
ورواه البخاري في «الجمعة» حديث [١١٤٥]، وفي «الدعوات» حديث [٦٣٢١]، وفي «التوحيد» حديث [٧٤٩٤]، ومسلم في «صلاة المسافرين وقصرها» حديث [٧٥٨]، من طرق عن مالك به.

«ينزل ربنا عَزَّوَجَلَّ كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يستغفرني فأغفرله، ومن يسألني فأعطيه؟»[(١)].

٧٠١- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: نا محمد بن سليمان لوين قال: نا إبراهيم بن سعد، عن الزهري،عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ينزل الله عَزَّوَجَلَّ في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر» فبذلك كانوا يستحبون آخر الليل[(٢)].

٧٠٢- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: نا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا فليح بن سليمان، عن الزهري، عن أبي سلمة، وأبي عبد الله الأغر صاحب أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهما سمعا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ينزل ربنا عَزَّوَجَلَّ، حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى سماء الدنيا كل ليلة، فيقول: من يسألني أعطه، ومن يدعني أستجب له، ومن يستغفرني أغفر له» فلذلك يفضلون صلاة آخر الليل على أوله[(٣)].

٧٠٣- حدثنا أبو حفص عمر بن الحسن بن نصر قاضي حلب قال: حدثنا المؤمل بن إهاب قال: حدثنا مالك بن سعير قال: حدثنا الأعمش:

....

(١) إسناده صحيح:
رواه معمر في جامعه (١٠/ ٤٤٤-المصنف). ورواه أحمد (٧٦٢٢-الرسالة) عن عبد الرزاق به.

(٢) إسناده صحيح: رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٢٤٠-الكبرى) عن لوين به.
ورواه ابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» حديث [١٣٦٦]، وأحمد (٧٥٩٢-الرسالة)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٢٤١-الكبرى) من طريق إبراهيم بن سعد به.

(٣) إسناده لا بأس به، رجاله ثقات، إلا فليح بن سليمان ففيه كلام، قال في «التقريب»: «صدوق كثير الخطأ». لكن تابعه إبراهيم بن سعد كما في الرواية السالفة.
رواه أبو يعلى [٦١٥٥]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١١٨٧] كلاهما عن أبي الربيع الزهراني به.

❁ عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبي سعيد.

❁ عن أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبي سعيد.

❁ عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي مسلم الأغر، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبي سعيد قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يمهل، حتى إذا كان شطر الليل نزل تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى السماء الدنيا فقال: هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينفجر الفجر»[1].

٧٠٤- وحدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثني القاسم بن دينار قال: ثنا مصعب بن المقدام، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي سعيد، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدا به على نبيهما أنهما سمعاه يقول أو قال: سمعتهما يشهدان به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط الله عَزَّ وَجَلَّ إلى السماء الدنيا» فقال: «هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ هل من داع؟»[2].

٧٠٥- أخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن بشار بندار قال: حدثنا محمد بن جعفر غندر قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأغر قال: أشهد على أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبي سعيد الخدري أنهما: شهدا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

---

(١) **إسناده حسن: فيه:** مؤمل بن إهاب، قال في «التقريب»: «صدوق له أوهام». وهو متابع، فرواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٥٠٠]، والدارقطني [٦٤]، وأبو الشيخ في «ذكر الأقران» [٨٨] من طريقين آخرين عن مالك بن سعير به.
ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» [١٠٢٤٣]، وأبو يعلى [٥٩٣٦]، والطبراني في «الدعاء» [١٤٦] من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي إسحاق به.

(٢) **إسناده حسن: فيه:** مصعب بن المقدام قال في «التقريب»: «صدوق له أوهام».

«إن الله عَزَّوَجَلَّ يمهل حتى إذا كان ثلث الليل فيقول: هل من سائل؟ هل من تائب؟ هل من مستغفر من ذنب؟» قال: فقال له رجل: حتى يطلع الفجر؟ قال: «نعم»(١).

٧٠٦ـ وأخبرنا ابن أبي داود قال: حدثنا مصعب بن محمد بن مصعب قال: نا يزيد يعني ابن هارون قال: أنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنهما شهدا به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا أشهد به عليهما: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا، فقال: هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من تائب يتاب عليه؟ هل من سائل يعطى؟»(٢).

٧٠٧ـ أخبرنا ابن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر، عن أبي إسحاق وذكر الحديث إلى آخره نحوه(٣).

٧٠٨ـ وأخبرنا ابن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال: نا عبيد الله يعني ابن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق وذكر الحديث إلى آخره نحوه(٤).

---

(١) إسناده صحيح: رواه مسلم في «صلاة المسافرين وقصرها» حديث [٧٥٨] عن محمد بن المثنى ومحمد ابن بشار كلاهما عن غندر به.

(٢) في إسناده: شريك بن عبد الله النخعي، قال في «التقريب»: «صدوق يخطئ». قلت: تابعه جماعة من الثقات عن أبي إسحاق. وفيه أيضًا: مصعب بن محمد بن مصعب لم أعرفه، لكن تابعه محمد بن إسحاق الصاغاني عن يزيد بن هارون به، أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٢-الوليد بن نبيه) عن جعفر بن محمد القافلائي عنه.

(٣) إسناده صحيح: رواه معمر في جامعه (١٠/ ٤٤٤-المصنف).
ورواه الطبراني في «الدعاء» [١٤١]، والدارقطني في «النزول» [٥٦] من طريقين عن عبد الرزاق به.

(٤) إسناده صحيح.

هـذه الأحاديث من حديـث [٦٩٩] إلى حديث [٧٠٨] كلهـا صحيحة، وما كان منها في مرتبة الحسن، فإنه يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره.

وكلها تدل على هذه الصفة الكريمة، وأن الله ينـزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له... إلى آخره.

ويؤيد هذه الأحاديث أحاديث أخرى.

ويؤكد هذا قوله: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفرله،...الخ.

فإنه لا يقول هذا الكلام إلا ربنا المعبود الذي لا معبود بحق سواه، ولا يغفر الذنوب إلا هو كما قال: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وكما أمرنا سبحانه بدعائه فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فالمستكبر عن دعاء الله كافر بعبادته وسيدخله الله النار داخرًا.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»(١)، وهذا الأسلوب من أساليب القصر الإضافي.

وأمرنا باستغفاره؛ لأن الاستغفار عبادة عظيمة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١)، وأبو داود في «الصلاة» حديث [١٤٧٩]، والترمذي في «التفسير» حديث [٢٩٦٩]، وابن ماجه في «الدعاء» حديث [٣٨٢٨]، وغيرهم. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأمر نبيه محمدًا ﷺ بالاستغفار، فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر: ٣]. وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

والأنبياء الكرام أئمة التوحيد يأمرون أممهم بالاستغفار، والله يثني على المستغفرين، والنصوص في هذا الباب كثيرة معلومة عند أولي الألباب.

وقد قال الله في هذا الحديث العظيم: «**من يدعوني فأستجيب له، ومن يستغفرني فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه**»، وهذا لا يقوله إلا الله العلي الكبير، لا يستطيع أن يقوله مَلَك مقرب ولا نبي مرسل، قال تعالى في الملائكة: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وأهل الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض لا يؤمنون بأحاديث النزول. ومن يعترف بها يؤولها أو قل يحرفها، إنكارًا منهم لصفة النزول، ويقول: إن هذا النزول إنما هو نزول غير الله إما أمره أو ملَك من الملائكة، فيرتكبون بهذا العمل أمرين خطيرين: أحدهما إنكار صفة الله وفعله الدال على رحمته بعباده المؤمنين، ثم مخالفين ما عليه الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان.

والأمر الثاني- تجويز الشرك بالله من حيث لا يشعرون؛ لأنهم باعتقادهم هذا يجوزون أن يدعى غير الله، وأن يستغفر غير الله، وأن يتوب العباد إلى غير الله، وهل أعظم من هذا شركًا بالله؟.

وهذا من نتائج الضلال واتباع غير سبيل المؤمنين، وكفى بهذا مشاقة لله ولرسوله.

٧٠٩- وحدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: نا عبد الحميد بن أبي العشرين قال: نا الأوزاعي قال: حدثنا يحيى ابن أبي كثير قال: حدثني هلال بن أبي ميمونة قال: حدثني عطاء بن يسار قال: حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال: صدرنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مضى شطر الليل أو قال: ثلثاه ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني أعطيه؟ من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الصبح»(١).

[٧١٠] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال: نا إسماعيل بن علية، عن هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال ابن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن رفاعة الجهني قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مضى نصف الليل الأول أو قال: ثلثاه ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا يقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، حتى ينفجر الفجر، وقال مرة: حتى ينفجر الصبح»(٢).

....

(١) إسناده حسن: يعضده ما بعده. وقد رواه جماعة عن الأوزاعي:

فرواه ابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» حديث [١٣٦٧]، والدارمي في «الصلاة» حديث [١٥٢٢]، وابن حبان [٢١٢]، وأحمد (١٦٢١٦-الرسالة)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٢٣٦-الكبرى)، والطبراني [٤٥٥٦]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١١-٣١٥)، والدارقطني في «النزول» [٦٩]، واللالكائي [٧٥٥]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٠-الرشد)، وأبو إسماعيل الهروي في «الأربعين في دلائل التوحيد» [٣١] من طرق عن الأوزاعي به.

(٢) إسناده صحيح.

٧١١- وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: نا الحسين بن الحسن المروزي قال: أنا عبد الله بن المبارك قال: حدثنا هشام، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن رفاعة الجهني(١).

قال ابن صاعد: هكذا قال لنا: عن عبد الله بن المبارك ويقصر من الإسناد عطاء بن يسار فحدثناه الحسين بن الحسن، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، وزياد بن أيوب قالوا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا هشام الدستوائي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن رفاعة الجهني واللفظ لابن المبارك قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال: بقديد جعل رجال منا يستأذنون على أهليهم فيأذن لهم، فحمد الله عَزَّوَجَلَّ وقال خيرًا، وقال: «إذا مضى نصف الليل أو قال: ثلثه ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ حتى ينفجر الصبح»(٢).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» -رواية المروزي- [٩١٨]، ورواه ابن فيل في «جزئه» [٤٧] عن أبي طاهر عن الحسين عن ابن المبارك بالإسناد نفسه.

(٢) إسناده صحيح. رواه ابن صاعد في «زيادات الزهد» [٩١٩].

رواه أحمد (١٦٢١٥-الرسالة) عن ابن علية به.

ورواه الدارمي في «سننه» في «الصلاة» حديث [١٥٢٣]، وأحمد (١٦٢١٨-الرسالة)، وأبو داود الطيالسي (١٣٨٨-التركي)، والطبراني [٤٥٥٩]، والدارمي في «النقض على المريسي» (١/ ٢١١-٢١٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١١-٣١٢)، والدارقطني في «النزول» [٦٨]، واللالكائي [٧٥٤]، كلهم من طرق عن هشام الدستوائي به.

ورواه أحمد (١٦٢١٧-الرسالة)، والطبراني (٤٥٥٧، ٤٥٥٨، ٤٥٦٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٧-الوليد بن نبيه)، والدارقطني في «النزول» (٧٠، ٧١) من طرق عن يحيى بن أبي كثير به.

٧١٢- وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال: حدثنا رواد بن الجراح قال: حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال ابن أبي ميمونة، عن رفاعة الجهني، قال رواد: ابن عرابة وذكر الحديث نحوه[(١)].

٧١٣- وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا هارون بن إسحاق، وعلي ابن المنذر الطريقي قالا: حدثنا محمد بن فضيل، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يفتح أبواب السماء ثلث الليل الباقي، ثم يهبط إلى السماء الدنيا ثم يبسط يديه»- وقال علي بن المنذر: يده -: ألا عبد يسألني أعطيه؟ قال: «فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»[(٢)].

[٧١٤] وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: أنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة قال: حدثنا إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله يعني ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يفتح أبواب السماء ثلث الليل الباقي، ثم يهبط إلى السماء الدنيا، فيبسط يده عَزَّوَجَلَّ فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه؟ حتى يطلع الفجر»[(٣)].

....

(١) رواد فيه ضعف، وسقط من الإسناد: «عطاء بن يسار»، والصواب ثبوته كما في الروايات السابقة.

(٢) رواه ابن فضيل في «الدعاء» [١٢٧]، ومن طريقه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٣) في هذا الحديث والذي قبله ضعف، لأن إبراهيم الهجري ضعيف، لكنهما يعتضدان بما قبلهما.
رواه أحمد (٤٢٦٨-الرسالة)، والدارقطني في «النزول» [٨]، من طريق معاوية بن عمرو به.
ورواه الدارقطني [٩] من طريق حسين بن علي عن زائدة به نحوه.
ورواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٧-٧٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٣٦-١٣٧) وابن بطة في «الإبانة» (١٦٥-الوليد بن نبيه)، والدارقطني في «النزول» (١٠، ١١، واللالكائي [٧٥٧] من طرق عن إبراهيم الهجري به نحوه.
=

[٧١٥] أخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا هشام بن عبد الملك قال: أنا حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن نافع بن جبير، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»(١).

[٧١٦] وحدثنا جعفر الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا إسحاق بن عمر بن سليط، وعبيد الله بن محمد بن حفص قالا: حدثنا حماد ابن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ وذكر مثل الحديث إلى آخره (٢).

[٧١٧] وأخبرنا ابن أبي داود أبو بكر قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، وعبد الله ابن محمد بن النعمان قالا: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك قال: حدثنا فضيل بن سليمان قال: حدثنا موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى بن الوليد، عن عبادة

....

= ورواه أحمد (٣٦٧٣-الرسالة)، وأبو يعلى [٥٣١٩] من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص به نحوه.

(١) إسناده صحيح.

رواه الروياني في «مسنده» [١٤٥٣]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١٥-٣١٦) عن ابن بشار به.
ورواه أبو يعلى [٧٤٠٨]، والطبراني [١٥٦٦]، والدارقطني في «النزول» (٤، ٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٩٤٨] من طرق عن هشام بن عبد الملك به نحوه.

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

ورواه الدارمي في «سننه» في «الصلاة» حديث [١٥٢١]، وأحمد (١٦٧٤٥، ١٦٧٤٧-الرسالة) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٢٤٨-الكبرى)، وأبو يعلى [٧٤٠٩]، والبزار [٣٤٣٩]، والروياني [١٤٥٤]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٥٠٧]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١١٩٩]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١٥-٣١٦)، واللالكائي [٧٥٨] من طرق أخرى عن حماد بن سلمة به.

بن الصامت قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ينزل ربنا عَزَّوَجَلَّ كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتر عليه رزقه يدعوني فأرزقه؟ ألا مظلوم يدعوني فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفك عنه»؟ قال: فيكون كذلك حتى يصبح وذكر الحديث[(١)].

[٧١٨] أخبرنا ابن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثني عبد الرحمن بن البيلماني قال: «ما من ليلة إلا ينزل ربكم عَزَّوَجَلَّ إلى السماء، فما من سماء إلا وله فيها كرسي، فإذا نزل إلى السماء خر أهلها سجّدًا حتى يرجع، فإذا أتى السماء الدنيا: أطّت وترعدت من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، وهو باسط يديه يدعو عباده: يا عبادي من يدعني أجبه؟ ومن يتب إلي أتب عليه؟ ومن يستغفرني أغفر له؟ ومن يسألني أعطه؟ من يقرض غير معدم ولا ظلوم، أو كما قال»[(٢)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيما ذكرته كفاية لمن أخذ بالسنن، وتلقاها بأحسن قبول، فلم يعارضها بكيف ولمَ؟ واتَّبَع ولم يبتدع.

---

(١) في إسناده إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة، قال فيه الحافظ ابن حجر: «مجهول الحال»، وحديثه مرسل.

رواه الطبراني في «الأوسط» [٦٠٩٥] عن مُحَمَّد بْن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُوَيْدٍ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْعَيْشِيُّ به. قال الطبراني: «لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ»، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٥٤): «يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُبَادَةَ، وَلَمْ يَرْوِ عَنْهُ غَيْرُ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ».

(٢) هذا النص من كلام عبد الرحمن بن البيلماني.

رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٥) عن معمر به.

ساق الإمام الآجري في هذا الباب اثنين وعشرين حديثًا، صحيحة كلها إلا القليل جدًّا، ومع ذلك فالضعاف من هذه الأحاديث على قلتها تنجبر بما قبلها وبما بعدها من الأحاديث التي تشهد لمعناها.

وكلها تدل على نزول الله كل ليلة إلى السماء الدنيا، ونصوصها صريحة في ذلك، وفيها ما يمنع من التأويل، وقد ذكرنا فيما سلف أن تأويل من تأولها بنزول مَلك أو بنزول أمر الله تأويل باطل، ومقتضى هذا التأويل ومؤداه الشرك بالله وتعطيل كمال الله الفعال لما يريد.

وقد ذكرنا سلفًا أن السلف ردوا هذا الباطل وضللوا أهله.

وقد سقت من الأدلة من القرآن والسنة ما يدل على بطلان هذا التأويل وما يؤدي إليه.

ومن المناسب أن أذكر هنا موقفًا مشرِّفًا لأحد فحول علماء الحديث أورد فيه حجة دامغة لمن يعطل هذه الصفة، وذلك العالم هو الإمام إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

روى الإمام الصابوني في كتابه «اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث» ص: [٤٨] بإسناده إلى أحمد بن سعيد الرباطي قال:

«حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم -يعني: ابن راهويه- فسئل عن حديث النزول، أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب! أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أثبتْهُ فوقُ حتى أصف لك النزول، فقال الرجل: أثبته فوق.

فقـال إسـحاق: قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، فقال الأمير عبـد الله: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة، فقال إسـحاق: أعـزَّ الله الأمير! ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟».

وأعتقـد أن هذا الأمير وقائده قد سـلَّما بهذه الحجة، ولم يعانـدا ولم يكابرا كما يفعل كثير من أهل الأهواء.



[٧١٩] حدثنا ابن صاعد أبو محمد قال: نا الحسين بن حسن المروزي قال: أنا ابن مبارك قال: أنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم كانوا يقولون: «الاعتصام بالسنن نجاة»[(١)].

٧٢٠- حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد قال: نا أبو حفص عمر بن مدرك القاص قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: نا الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي، والثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد: عن الأحاديث التي فيها الصفات؟ فكلهم قال: «أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير»[(٢)].

في إسناد هذا الكلام عمر بن مدرك: ضعيف، لكن قد رُوي هذا النص من غير طريقه، فقد رواه الصابوني في «اعتقاد أهل السنة» ص: [٧٠] بإسناده إلى إسماعيل ابن أبي الحارث، فقال: حدثنا الهيثم بن خارجة به، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص: [٤٥٣] بإسناده إلى محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجة به، وهؤلاء الأئمة المذكورون وغيرهم من أئمة الإسلام على هذا المنهج السديد الذي لا يخالفه إلا كل ضال عنيد.

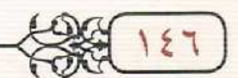
---

(١) إسناد هذا النص صحيح، وهو حق، وفي ضده الهلاك، والمراد بالسنة هنا المنهج الصحيح القائم على الكتاب والسنة.

رواه ابن المبارك في «الزهد» [٨١٧]. ورواه الدارمي في سننه «المقدمة» [٩٧]، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٩، ١٦٠-رضا نعسان)، والدينوري في «المجالسة» [٣٦٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٥، ١٣٦، ١٣٧)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» [٨٦٠]، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٠١٨ و١٠١٩-الزهيري)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٣/ ١٣٦-١٣٩/ الشبل)، من طرق عن الزهري بألفاظ متقاربة.

(٢) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ٢٣١) من طريق المصنف.

ورواه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢/ ٣٢٨٣) و«الخلال في السنة» [٣١٣]، وابن بطة في «الإبانة» (١٨٣-الأثيوبي)، والدارقطني في «الصفات» [٦٧]، وابن المقرئ في «معجمه» [٥٥٥]، واللالكائي [٨٧٥]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٩) من سبعة طرق أخرى عن الهيثم بن خارجة به نحوه.





الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم على صورته بلا كيف

٧٢١- حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا ابن أبي عمر - يعني محمدًا العدني - قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تَعَالَى خلق آدم على صورته»(١).

٧٢٢- وأخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد قال: حدثنا أبو معمر القطيعي قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقبحوا الوجه، فإن الله تَعَالَى خلق آدم على صورته»(٢).

٧٢٣- وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن ميمون الخياط المكي قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن

(١) إسناده حسن: فيه ابن أبي عمر العدني صاحب ابن عيينة، قال في التقريب: صدوق.
رواه الحميدي في «مسنده» [١١٥٤]، وأحمد (٧٣٢٣-الرسالة)، وعنه ابنه عبد الله في «السنة» [٤٩٦]، وابن حبان [٥٦٠٥] من طريق سفيان به.

(٢) إسناده صحيح.

الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

قال أبو الزناد في حديثه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ضربتم فاجتنبوا الوجه، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم على صورته»[١].

وقال ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لا تقل: قبح الله وجهك، ولا وجه من أشبه وجهك، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم على صورته[٢].

٧٢٤- وحدثنا ابن عبد الحميد أيضًا قال: حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم على صورته»[٣].

....

(١) **إسناده حسن**. فيه محمد بن ميمون الخياط، قال في «التقريب»: «صدوق ربما أخطأ».

(٢) **إسناده حسن**، فيه ميمون الخياط، وفيه محمد بن عجلان، قال في «التقريب»: «صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة». قلت: حدث بهذا الحديث عنه يحيى بن سعيد القطان كما في الحديث الآتي. وتابعه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثنان كما سيأتي في «التخريج».

رواه الحميدي في «مسنده» [١١٥٣]، والبخاري في «الأدب المفرد» [١٧٣]، وابن حبان [٥٧١٠] وابن منده في «التوحيد» [٨١] عن سفيان به. قال ابن منده: «هَذَا إِسْنَادٌ مَشْهُورٌ مُتَّصِلٌ صَحِيحٌ».

(٣) **إسناده حسن**، فيه ابن عجلان.

رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٢-٨٣) عن محمد بن المثنى به.

ورواه أحمد (٧٤٢٠ و٩٦٠٤-الرسالة)، والدارقطني في «الصفات» (٤٤، ٤٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٢٤، ١٠٧١)، واللالكائي [٧١٥]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٦٣٩] كلهم من طريق يحيى بن سعيد به بألفاظ متقاربة.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٩، ٥٢٠)، وعبد الله بن أحمد [١٠٦٨]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨١-٨٣)، وابن منده في «التوحيد» [٨١] من طرق عن ابن عجلان به نحوه. =

٧٢٥- وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقبحوا الوجه، فإن ابن[(١)] آدم خلق على صورة الرحمن عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

طرق هذا الحديث كلها ما بين صحيح وحسن، إلا الطريق الأخيرة، فإن علماء السنة اختلفوا فيها، فمنهم من يصححها، ومنهم من يضعفها كابن خزيمة، فإنه أعلها بحبيب بن أبي ثابت فإنه كثير الإرسال والتدليس، ونقل العقيلي عن القطان أنه قال: «حديثه عن عطاء ليس بمحفوظ»، قال العقيلي: «وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها، منها حديث عائشة: «لا تسبخي»، «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٧٩)، وهذا الحديث يرويه حبيب عن عطاء.

وأعله ابن خزيمة أيضًا بتدليس الأعمش، وكلاهما قد عنعن في هذه الطريق.

= ورواه عبد الله بن أحمد (١٢٤٢، ١٢٤٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٨٦ و١٨٧ -الوليد بن نبيه) من طريقين عن سعيد المقبري به.

(١) لفظة «ابن» هنا جاءت خطأ، وفيها مخالفة للروايات الأخرى.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» [٣٢٤٣] مختصرًا، وصححه على شرط الشيخين، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٧٢-بغية)، والطبراني [١٣٥٨٠]، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٧، ٥١٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٩٨]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٥)، وضعفه، وابن بطة في «الإبانة» (١٨٥ و١٩٠ -الوليد بن نبيه)، والدارقطني في «الصفات» (٤٥، ٤٨)، واللالكائي [٧١٦]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٦٤٠] من طرق عن جرير به مثله. ولفظه في بعض الروايات: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوُجُوهَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**».

ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٣ -الوليد بن نبيه) من طريق محاضر عن الأعمش به مثل لفظ المصنف.

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٨٦) عن محمد بن المثنى عن عبد الرحمن بن مهدي عن الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا.

والطرق الصحيحة هنا ورد في الصحيحين ما يؤيِّدها، فقد روى البخاري في «صحيحه» كتاب الاستئذان حديث [٦٢٢٧]، وفي مواضع أخر.

ومسلم في «صحيحه» كتاب الجنة حديث [٢٨٤١].

كلاهما من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خَلَقَ الله عَزَّوَجَلَّ آدَمَ على صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ على أُولَئِكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ من الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ ما يُجِيبُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قال: فَذَهَبَ، فقال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله قال: فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ الله، قال: فَكُلُّ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فلم يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حتى الْآنَ**»، واللفظ لمسلم.

وهذا الحديث فيه خلاف على من يعود الضمير في قوله: «**على صورته**»، أيعود على الله أم على آدم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، والكلام فيه يطول، ولعل قوله في آخره: «**فَكُلُّ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**»، لعله يساعدنا على فهم الحديث وما المراد به.

وهو أن الله خلق آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ومقدار طوله ستون ذراعًا، وعلى هذه الصورة، ثم شاء الله أن ينقص من طول قامات ذريَّته مثلًا إلى أربعة أذرع، ثم يدخل الله المؤمنين الجنة على صورة أبيهم آدم، طول كل واحد من أهل الجنة ستون ذراعًا، فآخر هذا الحديث يبيِّن المقصود من أوله، والله أعلم.

وهناك حديث واضح جليٌّ لا أعرف فيه خلافًا بين أهل السنة.

ألا وهو حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ نَاسًا قالوا لِرَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ**

....

لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

أخرجه البخاري في «التوحيد»، باب قول الله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] حديث [٧٤٣٧]، ومسلم في «الإيمان» باب معرفة طريق الرؤية حديث [١٨٢].

وهو حديث واضح في إثبات الصورة لله، التي ينكرها الجهمية وسائر المعطلة، فنحن نؤمن بأن لله صورة تليق بجلاله لا تشبه صفات المخلوقين، كما نؤمن بسائر صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، وأن لله وجهًا كما في القرآن والسنة، ومن ذلك حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب «الإيمان» حديث [١٧٩]، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٩٥، ٤٠٠)، =

وهـذا بخلاف مذاهب المعطلة الذين يعطلون صفـات الله ويحرفون نصوصها من الكتاب والسنة، وبخلاف مذهب المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، تعالى الله وتنـزه عما يقولون علوًا كبيرًا.



= وابن ماجه في «سننه» المقدمة، حديث (١٩٥، ١٩٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٩، ٢٠).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين.

٧٢٦- حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال: حدثنا أبو بكر المروزي(١) قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والأسماء والرؤية وقصة العرش؟ فصححها وقال: تلقتها العلماء بالقبول، تسلم الأخبار كما جاءت(٢).

قال أبو بكر المروزي: وأرسل أبو بكر وعثمان أبناء أبي شيبة إلى أبي عبد الله يستأذنانه في أن يحدِّثا بهذه الأحاديث التي تردُّها الجهمية، فقال أبو عبد الله: حدِّثوا بها، فقد تلقَّتها العلماء بالقبول، وقال أبو عبد الله: تسلَّم الأخبار كما جاءت(٣).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت أبا عبد الله الزبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وقد سئل عن معنى هذا الحديث - فذكر مثل ما قيل فيه، ثم قال أبو عبد الله: نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت، كما جاءت، ونؤمن بها إيمانًا، ولا نقول: كيف؟ ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انتهي بنا، فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاءت.

أقول: هذا هو القول السديد والمنهج الرشيد، وفقنا الله للثبات على السنة على طريقة السلف الصالح.

---

(١) في بعض النسخ: المروذي -كما في النسخة التي اعتمدها الدميجي-، وهو الصواب، واسم المروذي: أحمد بن محمد بن الحجاج. انظر: «الأنساب للسمعاني» (١٢/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) أثر صحيح. وإسناد المصنف ضعيف، فيه شيخه أبو نصر لا يُعرف. لكنه متابع فقد رواه الخلال في «السنة» [٢٨٣]، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٥٦) عن المروذي به. وقد ذكره أبو يعلى الفراء في «إبطال التأويلات» (١/ ٤٧٩-٤٨٠) من كتاب المروذي المختصر من «الرد على من رد حديث مجاهد».

(٣) إسناد هذا الأثر كسابقه. ولعله موجود في كتاب المروذي «الرد على من رد حديث مجاهد». والله أعلم.



[٧٢٧] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، حدثنا حيوة بن شريح قال: حدثنا أبو هانئ الخولاني، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي، أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول: إنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ، كقلب واحد، يصرف كيف شاء»، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم مصرف القلوب اصرف قلبي لطاعتك»[(١)].

٧٢٨- حدثنا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني قال: حدثنا يحيى بن عبدك القزويني قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ وذكر الحديث مثله إلى آخره[(٢)].

٧٢٩- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: حدثنا حاجب بن الوليد قال: حدثنا بقية، عن إبراهيم بن أدهم، عن مقاتل بن حيان، عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: ما كان أكثر دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا

....

(١) حديث صحيح: رجاله ثقات إلا حميد بن هانئ أبو هانئ، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ثقة»، وقال الحافظ ابن حجر: «لا بأس به».

(٢) رواه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٤] عن زهير بن حرب وابن نمير كلاهما عن المقرئ به.

كان عندك؟ قالت: كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قلت: أتخشى علينا؟ فقال:«إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ، ما شاء أزاغ، وما شاء أقام»(١).

٧٣٠- وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي، قال: نا محمد بن سعيد الأصبهاني قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت سالمًا الخياط، يقول: سمعت الحسن ما لا أحصيه يذكر عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول:«ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه»(٢).

....

(١) في إسناده بقية بن الوليد يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالتحديث.
وفيه شهر بن حوشب، قال في التقريب: «صدوق كثير الإرسال والأوهام».
رواه الطبراني في «الأوسط» [٩٤٣٢]، وابن الأعرابي في «معجمه» [١٦٦٧]، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٤٥) من طريق محمد بن منصور به. قال الطبراني: «لَمْ يَرْوِهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ إِلَّا بَقِيَّةُ، وَلَا عَنْ بَقِيَّةَ إِلَّا حاجِبُ بْنُ الْوَلِيدِ، تَفَرَّدَبِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الطُّوسِيُّ».
ورواه الترمذي في «الدعوات» حديث [٣٥٢٢]، وحسنه، وأحمد (٢٦٦٧٩-الرسالة) من طريق أبي كعب صاحب الحرير - وثقه أحمد- عن شهر بن حوشب نحوه.
ورواه أحمد (٢٥٦١٩ و٢٦٥٧٦-الرسالة)، وإسحاق [١٨٧٩]، وعبد بن حميد (١٥٣٤-المنتخب)، والطبراني (٢٣/ ٧٨٥)، وابن بطة في «الإبانة» (١٣٠٤-الأثيوبي) من طرق عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر به نحوه، وفي بعض الروايات زيادة.
ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٩١) معلَّقًا عن ابن وهب بإسناده عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسين المكي عن شهر به نحوه.
(٢) في إسناده سالم الخياط، قال في «التقريب»: صدوق سيء الحفظ. وأم الحسن البصري اسمها خيرة روى لها مسلم والأربعة ووثقها ابن حبان كما في «التهذيب».
رواه الطبراني (٢٣/ ٨٦٥)، والدارقطني في «العلل» (١٤/ ٣٢٤) من طريقين عن الوليد بن مسلم به.
=

[٧٣١] أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: نا محمد بن زنبور المكي قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»، فيقال له: يا رسول الله أتخشى علينا وقد آمنا بك، وآمنا بما جئت به؟ فقال: «إن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ، إن شاء هكذا، وإن شاء هكذا»(١).

[٧٣٢] وحدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا الهيثم ابن جناد الجهني قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «اللهم ثبت قلبي على دينك»، فقال له بعض أصحابه: تخاف علينا يا رسول الله وقد أجبناك، وصدقناك فيما جئت به؟ فقال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّوَجَلَّ يقلبها»(٢).

....

= وتابعه عباد بن راشد عن الحسن به، أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٥٣٣٠]، وقال: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ رَاشِدٍ إِلَّا جُمَيْعُ بْنُ مُحَمَّدٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: الصُّدَائِيُّ». قلت: وجميع بن محمد لم أجد له ترجمة. وحديث أم سلمة حسن بطريقيه، ويشهد له حديث أنس الآتي.

(١) حديث حسن:

رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٦-الوليد بن نبيه)، والدارقطني في «الصفات» [٤٠]، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٢٢) من طريق فضيل بن عياض به.

ورواه الترمذي في «أبواب القدر» حديث [٢١٤٠]، وأحمد (١٢١٠٧ و١٣٦٩٦-الرسالة) من طريق الأعمش به نحوه. قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسٍ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَدِيثُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أَنَسٍ أَصَحُّ».

(٢) فيه ضعف من أجل يزيد الرقاشي، لكنه يعتضد بما قبله.

رواه ابن ماجه في «الدعاء» حديث [٣٨٣٤] عن ابن نمير عن أبيه عن الأعمش به.

[٧٣٣] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أم محمد القرشية، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، قلت: يا رسول الله أو تخاف؟ قال: «وما يؤمنني، وإنما قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّ وَجَلَّ، إذا شاء أن يقلب قلب عبد قلبه»(١).

[٧٣٤] وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أخبرنا المؤمل بن الفضل، ومحمد بن سعيد الأصبهاني قالا: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يقول: حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي، أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النواس بن سمعان يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه» قال: فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»(٢).

---

(١) حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إسناده هنا أم محمد، لم يذكر الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ولا في «التقريب» فيها جرحًا ولا تعديلًا. لكن تابعها الحسن البصري كما في حديث [٣٢١]، وفي سماعه من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كلام، لكنه بطريقيه يرتقي إلى درجة الحسن، لا سيما وله شواهد.
رواه أحمد (٢٦١٣٣-الرسالة)، وأبو يعلى [٤٦٦٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٢٤، ٢٣٣)، والطبراني في «الدعاء» [١٢٥٩] من طرق عن حماد بن سلمة به نحوه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٥-الحوت)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» [١٢] من طريقين عن علي بن زيد به نحوه.

(٢) حديث صحيح، وقد صرَّح الوليد بن مسلم بالتحديث، فما يخشى من تدليسه زال بهذا التصريح.
رواه أحمد (١٧٦٣٠-الرسالة) عن الوليد بن مسلم به.
ورواه ابن ماجه في «المقدمة» حديث [١٩٩]، والنسائي في «الكبرى» [٧٦٩١]، والحاكم (١٩٢٦، ٣١٤١، ٧٩٠٧)، وصححه، وابن حبان [٩٤٣]، وغيرهم، من طرق عن ابن جابر به نحوه.

٧٣٥- وحدثنا الصندلي جعفر قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: سمعت بشر ابن الحارث يقول: أما سمعت ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله عَزَّ وَجَلَّ»؟ ثم قال بشر: هؤلاء الجهمية يتعاظمون هذا(١).

فقد عقد الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب لإثبات صفة الأصابع لله عَزَّ وَجَلَّ هذا الباب وما بعده، وساق فيه عددًا من الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وحديث أم سلمة وحديث أنس وحديث عائشة وحديث النواس ابن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهي أحاديث معظمها حسان يقوي بعضها بعضًا(٢)، كلها تشترك في أن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيفما شاء، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاف على نفسه ويخاف على أُمّتِه من ذلك، وقد قالوا: كيف تخاف علينا وقد آمنّا بك وأجبناك؟ قال: «نَعَمْ القُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَمَا شَاءَ»، كان يدعو بهذا الدعاء: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى دِينِكَ» ويُعلِّم ذلك أصحابه وزوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يغتر الإنسان بنفسه ولا بعلمه ولا بعمله ولا بجهاده، فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بهذا الدعاء ويخاف على نفسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويخاف على أصحابه، فكيف بحالنا نحن الضعفاء المهازيل في علمنا وفي عملنا وفي حياتنا كلها؟!.

---

(١) إسناده صحيح:

رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٩-الوليد بن نبيه) عن محمد بن مخلد العطار عن محمد بن المثنى -السمسار- به.

(٢) يؤكدها حديث: «إنَّ الله يَجْعَلُ السموات على إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ على إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ على إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى على إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ على إِصْبَعٍ»، أخرجه البخاري في صحيحه في «التفسير» حديث [٤٨١١]، ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٦] بنحوه.

فإياكم أيها الإخوة والغرور، واحذروا أشدَّ الحذر من الفتن ومن انتكاس القلوب وانقلابها والعياذ بالله.

على كل حال المقام لا يحتاج إلى كثرة كلام، القواعد عندكم في إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، ومنها علمه وقدرته وسمعه وبصره وعلوه على عرشه ونزوله، ومنها وجهه ويداه وأصابعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كل ذلك ثبت عن الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتلقى هذه الأحاديث الصحابة بالقبول دون استنكار، وتلقاها أئمة الإسلام بالإيمان والقبول دون استنكار، وما ينكرها إلا المنحرفون الذين يُشبِّهون الله أولًا ثم ينتقلون من التشبيه إلى التحريف والتعطيل، فما حصل لهم التعطيل إلا بعد أن ضرب قلوبَهم التشبيه، وإلا المؤمن الصادق الذي يؤمن بأن لله ذاتًا لا تشبه الذوات، وأن لله صفات لا تشبه الصفات، لا يتطرق إلى ذهنه تشبيه صفات الله بصفات خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإصبع التي توضع عليها السموات والإصبع التي توضع عليها الأرض هل تشبه أصابع المخلوقين؟! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فالله لا يُشبِه خلقَه، ولا يُشبهُه خلقُه لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله.

لكن الذي يهمنا الآن قلوبنا هذه الموضوعة بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبها كيف يشاء، فلا تأمنن على نفسك أيها المسلم وقد حذَّر الله ورسوله من الفتنة تحذيرًا شديدًا، واعتنى الكتاب والسنة بهذه القلوب مما يدفعنا إلى الاهتمام بها ورعايتها والخوف عليها من التغير والانقلاب والانحراف؛ ولهذا علَّمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وكان عباد الله من الصحابة وغيرهم يدعون بهذا الدعاء؛ لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

-والعياذ بالله-، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ على الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حتى تَصِيرَ على قَلْبَيْنِ على أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هَوَاهُ**»[(١)].

ثبات هذا القلب بمشيئة الله وكونه لا تضرُّه فتنة إلى يوم القيامة لا يمنع هذا من الحذر، يجب أن تحذر وأن تخاف وقد بشر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشرة بالجنة، ومع هذا كانوا من أشدِّ الناس خوفًا على أنفسهم رضوان الله عليهم بشرهم رسول الله بالجنة، وكانوا يخافون والله أشدَّ الخوف وعلى رأسهم أبو بكر وعمر، وكانوا من أعمالهم الجهاد والفتوحات والعدل وأعمال تشبه أعمال الأنبياء، وكان عمر رضي الله يتمنى أن لو ثبتت له أعماله في حياة الرسول، وما بعد ذلك في خلافة أبي بكر وخلافته يود أن تكون كفافًا رأسًا برأس؛ ولهذا قال أبو بُرْدَةَ بن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: «قال لي عبد الله ابن عُمَرَ: هل تَدْرِي ما قال أبي لِأَبِيكَ؟ قال: قلت: لَا، قال: فإن أبي قال لِأَبِيكَ: يا أَبَا مُوسَى هل يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِجْرَتُنَا معه وَجِهَادُنَا معه وَعَمَلُنَا كُلُّهُ معه بَرَدَ لنا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا منه كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فقال أبي: لَا والله قد جَاهَدْنَا بَعْدَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا وَأَسْلَمَ على أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ وَإِنَّا لَنَرْجُو ذلك، فقال أبي: لَكِنِّي أنا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بيده لَوَدِدْتُ أَنَّ ذلك بَرَدَ لنا، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا منه كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ، فقلت: إِنَّ أَبَاكَ والله خَيْرٌ من أبي»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في «الإيمان» حديث [١٤٤].

(٢) رواه البخاري في «مناقب الأنصار» حديث [٣٩١٥].

فالمؤمن يجب أن يكون على حذر، ويتقي الأسباب التي تؤدي إلى زيغ القلوب من الشبهات والشهوات، قال الله لبني إسرائيل: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] احذر يا أخي تعاطي المعاصي والمنكرات والأعمال والشبهات والشهوات التي تؤدي إلى الفتن وإلى انتكاس القلوب؛ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فاعلم أن الله يحول بين المرء وقلبه، فاحذر كل الحذر، حافظ على عقيدتك، حافظ على منهجك، حافظ على أخلاقك، حافظ على أعمالك أن تكون خالصة لوجه الله، احذر الرياء، احذر تتبُّع الشبهات، احذر الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف، وعليك بمجالسة الصالحين، والابتعاد عن مجالس الفساق والمبتدعين، فإن هذه من الأسباب التي تؤدي إلى الفتن وإلى انتكاس القلوب، وقد حذَّرنا رسول الله من ذلك، بل حذَّر الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك، فاحذروا أيها الإخوة من الوقوع في الفتن، واعتبروا بهذه الأحاديث التي علَّمنا إياها رسول الله وخَوَّفَنا من الفتن، وعلَّمنا كيف ندعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يُثَبِّتَ قلوبَنا، ويجب أن نعتقد أن القلوب جميعًا كقلب رجل واحد بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبُها كيف يشاء، كيف هذا؟ هذا نؤمن به ونُسَلِّم به، ولا نسأل كيف؛ لأن الله لا يشابه المخلوقين، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه الأحاديث كلها بأسانيد جيدة فيها الصحيح وفيها الحسن وفيها الضعيف المنجبر، ويسندها القرآن، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، ولنكثر من الدعاء كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، و«**يا مُثَبِّتَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِك**».

ونؤمن حق الإيمان أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبُها كيف يشاء، فنعوذ بالله من الفتن المؤدية إلى تقليب القلوب، ويُذكر هنا حديثُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحيح: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلَهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتى لاَ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلَهَا**»، - يعني الكتاب الأول الذي كتب الله فيه السعادة والشقاء، والذي أكده الله عَزَّوَجَلَّ بالكتابة للجنين حين يُنْفَخُ فيه الروح بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد: «**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا**»[(١)].

والأعمال كما في صحيح البخاري: «**الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**»[(٢)].

فأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يحفظ قلوبنا، وأن يثبتها على دينه الحق، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يتوفانا على الإسلام، كما قال يوسف الصديق: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]، نسأل الله أن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين.

إن ربنا لسميع الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري في «القدر» حديث [٦٥٩٤]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٤٣].

(٢) رواه البخاري في «الرقاق»، حديث [٦٤٩٣]، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأسئلة

سؤال: هـل قول: «سبحان ربي العظيم» و«سبحان ربي الأعلى» هي الواجبة فقط، أم يجوز الإتيان بأدعية أخرى وعدم ذكر هذا الدعاء أحيانًا؟

جواب: هذا ليس من الواجبات، بل هو من المستحبات، الواجب القيام وقراءة الفاتحة ثم الركوع ثم الاعتدال ثم السجود ثم الجلوس بين السجدتين ثم الجلوس للتشهد، فهذه الواجبات، وأما التسبيح والتهليل في الركوع والسجود فهذا من المستحبات وليس مـن الواجبات، ولكن فيها فضـلًا عظيمًا، ويتعرض فيها العبد لرحمة الله بالدعاء كما قال: **«فَأَمَّـا الرُّكُـوعُ فَعَظِّمُوا فيـه الرَّبَ، وَأَمَّا السُّـجُودُ فَأَكْثِرُوا فيه مِـنَ الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْـتَجَابَ لَكُـمْ»**(١)، وقـال: **«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَـاجِدٌ»**(٢)، فيجتهد المسـلم الحريـص على رحمة الله وعـلى رضاه ويدعو في هذه المواطن، فالتشـهد كذلك من الواجبات، والصلاة على النبيِّ في التشهد الثاني من الواجبات على الأرجح.

سؤال: هل القلوب في جوفنا هي التي بين إصبعين من أصابع الرحمن، أم أنه عمل القلوب؟

جواب: القلوب نفسـها، ما قال: أعـمال القلوب، القلوب نفسـها بين إصبعين يقلبها كيفما يشاء.

سؤال: هل يلزم ملامسة القلوب لأصابع الرحمن؟

جواب: إذا كان مثلك فتصوَّر هذا التصور، وإذا كان ما هو مثلك فدع مثل هذه الشبهات.

---

(١) رواه مسلم في «الصلاة» حديث [٤٧٩].

(٢) رواه مسلم في «الصلاة» حديث [٤٨٢].

فالله ليس كمثله شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الكون كله في قبضته، كيف تستغرب أن تكون القلوب في قبضته؟ الكون كله يُقلِّبُه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، هذه عظمة الله وقدرته، ويجب أن يستشعرها المسلم، وإذا عرف عظمته وقدرته على كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما يخطر بباله أن صفة من صفات الله تشبه صفات المخلوقين، ومنها كون القلوب بين إصبعين من أصابعه، الإنسان هذا مخلوق يستصعب هذه، لكن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

سؤال: ما هو ضابط الدعاء بالرحمة لأهل البدع؟

جواب: على كل حال المبتدع ما دام لم يخرج من دائرة الإسلام، فهذا الذي يُتَرَحَّمُ عليه، ويُصَلَّى على جنازته، ولكن أيضًا مما لا يجوز أن ننساه أنه إذا كان بعض المصلين إذا صلى عليه تضرر الناس بصلاته فاعتقدوا احترام هذا الرجل واحترام ما عنده من فكر، فإن هذا يمتنع من الصلاة عليه تنبيهًا على بدعته وتحذيرًا منها، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يصلي على قاتل نفسه[1]، ولا من كان يموت وعليه دين؛ هذا في بداية الأمر، ثمَّ لما وسع الله على رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صار يتحمَّل ديون من يموت وعليه دين فكان يصلي عليهم ويؤدي عنهم الديون[2]، وأما في أيام قلة ذات اليد فكان يقول: «**صلوا على صاحبكم**»، ولم يصلِ على قاتل نفسه، ولا على الغال[3]، لكن ما منع الناس من الصلاة عليها، قال: «**صلوا على صاحبكم**».

---

(١) كما في «صحيح مسلم» في «الجنائز» حديث [٩٧٨] من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في صحيح البخاري في «الكفالة» حديث [٢٢٩٨]، و«صحيح مسلم»، في «الفرائض» حديث [١٦١٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مالك في «الموطأ في الجهاد» حديث [٩٧٨]، وأحمد (٤/ ١١٤)، (٥/ ١٩٢)، وأبو داود في «الجهاد» حديث [٢٧١٠]، والنسائي في «الجنائز» حديث [١٩٥٩]، وابن ماجه في «الجهاد» حديث =

فالمبتـدع يُصَـلِّى عليه الناس الذين لا يُفتتن بهم، لأنهـم لا علم لهم ولا يقتدى بهم، لكن العالم القاضي الكبير مثلًا العالم المقتدى به لا يصلي عليه.

الروافض السـلف لا يترحمون عليهم، وأنا لا أترحم عليهم قبحهم الله؛ لأن فيهم كثيرًا من الزنادقة، ودينهم قام على الزندقة، وهم أشد أعداء أصحاب محمد ﷺ، وعدواتهم والله ما هي إلا عداوة للإسلام.

سؤال: ما تفسـير قولـه تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤] لأن بعض الأطباء يزعمون أن مواليد ولدوا ولهم قلبان، فهل المقصود القلب الحسي أو المعنوي؟

جواب: والله ما نصدق هؤلاء الكذابين، ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤] القلـب الـذي يعقل القلب هو مركـز العقل وهو مـدار التكليف وهو مدار الفتن والشـبهات والشهوات، يعني بعض الناس يقول العقل في الدماغ، لكن الصحيح أن العقـل في القلـب، فالقلب لـه أهمية كبيرةٌ جدًّا، وهو منـاط التكليف؛ لأن فيه العقل، وهو موضع نظر الله[1] وبين إصبعين من أصابع الرحمن و.. و.. إلى آخره.

أنـا ما أصدق هذا الكذب أن بعض الناس يُخلَق وله قلبان، الله قادر على كل شيء، لكـن سـنة الله في عباده وفي خلقـه الأنبياء والصالحين وإلى آخر الزمـان هذا ما نعرف إلا وللإنسـان قلب واحد؛ كما قال الله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

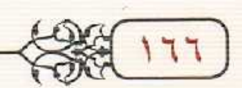
= [٢٨٤٨]، وابن حبان (١١/ ١٩٠) رقم: [٤٨٥٣]، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(١) إشـارة إلى ما أخرجه مسـلم في صحيحـه في «البر والصلة» حديـث [٢٥٦٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

سؤال: يُعـرض علينـا كثير من الأموات في الحرم، ولا نعرف الموحد منهم والرافضي والمشرك، وقد نهينا عن الدعاء للمشركين؟

جواب: صلِّ عـلى الميِّت الذي يُقَدَّم لـك في الحرم، الأصل فيه الإسـلام، صلِّ عليه، فإذا علمت يقينًا أنه كافر فلا تصلِّ عليه.






بَابُ

الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع والخلائق كلها على إصبع

٧٣٦- أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكجي قال: حدثنا علي بن عبد الله المديني قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَبيدة عن عبد الله - يعني ابن مسعود- قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والخلائق كلها على إصبع، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، قال: فلقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك حتى بدت نواجذه، تصديقًا له، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][1].

....

(١) متفق عليه: وهذا إسناد صحيح.
رواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٥١٣]، ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٦]، كلاهما عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير به.
ورواه مسلم [٢٧٨٦] عن إسحاق عن جرير به نحوه.

٧٣٧- وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: أخبرنا هاشم بن القاسم، عن أبي معاوية شيبان ابن عبد الرحمن، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: جاء حبر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد - أو يا رسول الله -، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، قال: فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر[1].

٧٣٨- وحدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا محمد بن الوليد البسري قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان - يعني الثوري - قال: حدثني منصور وسليمان الأعمش، عن عبيدة، عن عبد الله: أن يهوديًا جاء إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، وقال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال يحيى بن سعيد القطان: زاد فيه فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصديقًا[2].

....

(١) إسناده صحيح: رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢١٢-الوليد بن نبيه) من طريق هاشم بن القاسم به.
ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٨١١] عن آدم عن شيبان به.

(٢) رواه الدارقطني في «الصفات» [٢٥] عن محمد بن مخلد به.
ورواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٤١٤] عن مسدد عن يحيى القطان به. ورواه مسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٦] عن أحمد بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور به نحوه. =

٧٣٩- وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أخبرنا الضحاك بن مخلد، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: جاء رجل من أهل الكتاب - قال: أراه قال: يهوديًا أو نصرانيًا - إلى رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ يضع السموات والأرض يوم القيامة على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، فيقول: أنا الملك - أراه قال: مرتين - قال: فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧](١).

هذا الحديث صحيح في غاية الصحة، وهو مما اتفق عليه الشيخان، وتلقاه أهل السنة بالقبول إيمانًا بصحته عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتقادًا لمعناه، وهو موافق لقول الله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]، ولقوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ومعناه في الكتب السابقة، ولذا صدق النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا اليهودي وأقرَّه، ولو كان قوله باطلًا لا يليق بالله لغضب النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصرَّح بتكذيبه؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُقرُّ الباطل.

والحديث يدل على قدرة الله على كل شيء، وأن السموات على عظمتها يجعلها الله يوم القيامة جميعًا على أصبع، والأرضين على عظمتها يجعلها يوم القيامة على أصبع،

= ورواه البخاري في «التوحيد» حديث (٧٤١٥، ٧٤٥١)، ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٦] من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله نحوه بألفاظ متقاربة.

(١) **إسناده صحيح.**

رواه الطبراني [١٠٣٣٤]، والشاشي في «مسنده» [٧٩٨]، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٢٦) والدارقطني في «الصفات» [٢٧] من طرق عن الضحاك بن مخلد به.

والجبال والشجر على أصبع..الخ، والذي لا يؤمن بهذه القدرة الإلهية ويتأول الحديث والآيات يقال له: ما قدر الله حق قدره.





٥٦ بَابُ
ما روي أن الله عَزَّوَجَلَّ يقبض الأرض بيده، ويطوي السموات بيمينه

٧٤٠- حدثنا الفريابي قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي - بسمرقند - قال: حدثنا الحكم بن نافع قال: حدثنا شعيب - يعني ابن حمزة - عن الزهري قال: أخبرنا أبو سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يقبض الله عَزَّوَجَلَّ الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»(١).

٧٤١- حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا الحسن ابن عيسى ابن ماسرجس قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا يونس، عن

....

(١) إسناده صحيح: والحكم بن نافع هو أبو اليمان، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي هو الدارمي صاحب السنن.

والحديث في سننه في «الرقاق» حديث [٢٨٤١].

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٥٤٩]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٦٧-١٦٩) من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع به.

ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٨١٢] من طريق عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري به.

ورواه في «التوحيد» عقب حديث [٧٣٨٢] معلَّقًا مجزومًا: عن شُعَيْب، وَالزُّبَيْدِيِّ، وَابْن مُسَافِرٍ، وَإِسْحَاق بْن يَحْيَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ به.

الزهري، عن سعيد بن المسيب، حدثه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقبض الله عَزَّ وَجَلَّ الأرضين يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟» (١).

هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم.

رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥١٩]، ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٧].

وله ارتباط من حيث المعنى بأحاديث الباب السابق.

وفيه دليل على عظمة الله وقدرته، وفيه إثبات صفة اليدين لله، نؤمن بأن لله يدين تليق بجلاله، وكلتا يديه يمين كما روى ذلك الشيخان، وكما قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ويا ويل من يعطل ويحرف النصوص التي وصف الله فيها نفسه بصفاته العظيمة التي تليق بجلاله!.



(١) **متفق عليه**: وهذا إسناد صحيح. رواه ابن المبارك في «مسنده» [٩٢].

ورواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» [٥٧] عن الحسن بن عيسى به.

ورواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥١٩] عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك به.

ورواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٣٨٢]، ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٧] كلاهما من طريق ابن وهب عن يونس به.



بَابُ ٥٧
الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ يأخذ الصدقات بيمينه، فيربيها للمؤمن

٧٤٢ - حدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن عَزَّوَجَلَّ بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن عَزَّوَجَلَّ حتى تكون أعظم من الجبل، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه، أو فصيله»(١).

٧٤٣- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عيسى بن حماد زغبة قال: أخبرنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن عَزَّوَجَلَّ بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن عَزَّوَجَلَّ، حتى تكون أعظم من الجبل، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»(٢).

---

(١) إسناده صحيح:
رواه مسلم في «الزكاة» حديث [١٠١٤] عن قتيبة به.

(٢) إسناده صحيح:
رواه ابن ماجه في «الزكاة» حديث [١٨٤٢] عن عيسى بن حماد به.
ورواه أحمد (١٠٦٤٥-الرسالة) عن هاشم عن الليث به.

٧٤٤- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا عبيد الله بن عمر، عن سعيد المقبري، عن أبي الحباب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبًا إلا كان الله عَزَّوَجَلَّ يأخذها بيمينه، فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد»[1].

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا صحيح، وهو مما اتفق عليه الشيخان.

وقصد المؤلف هنا من هذه الأحاديث وما سبقها إثبات صفة اليدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على الوجه اللائق بالله، وتنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن التشبيه والتمثيل أو التحريف والتعطيل، على القاعدة المعروفة في إثبات جميع الصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكما نؤمن أن لله ذاتًا نؤمن بأن لله صفات تليق بهذه الذات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، فعلمه وقدرته واستواؤه ونزوله ووجهه ويداه ورضاه وغضبه يعني الصفات الذاتية والصفات الفعلية كلها نؤمن بها ونثبتها إثبات وجود وأنها حقائق ثابتة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على الوجه اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ، مع نفي المشابهة لشيء من مخلوقاته، تعالى وتقدس وتنزه أن يشبهه شيءٌ من خلقه، أو يشبه شيئًا من خلقه أو تشبه صفاته صفات أحدٍ من خلقه، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم ولا تشبه صفات أحد من مخلوقاته.

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٦٤٨].

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» [٢٤٢٥]، وفي «التوحيد» (١/ ١٤٩-١٥٠) عن الحسين المروزي به.

ورواه النسائي في «الكبرى» [١١١٦٣]، وابن خزيمة في «صحيحه» [٢٤٢٥]، وفي «التوحيد» (١/ ١٤٩-١٥٠)، وابن حبان [٣٣١٦] من طريق ابن المبارك به.

ورواه البخاري في «الزكاة» حديث [١٤١٠]، وفي «التوحيد» [٧٤٣٠]، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠١٤]، من طريق أبي صالح عن أبي هريرة نحوه.

وهنا أمور ينبغي أن نستفيدها من هذا الحديث.

منها: الحث على الصدقة، وكيف تلقى العناية من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن بشرط أن يكون مؤمنًا مخلصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأن تكون هذه الصدقة من المال الطيب الحلال، فالمؤمن في حياته يتحرى كسب الحلال ويجتنب كسب الحرام من كل وجوهه، ويكسب بالحلال من أي وجه شاء من الوجوه المشروعة المباحة البيع والشراء والتجارة والمضاربة والزراعة وإلى آخره، كل وجوه المكاسب التي شرعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأبواب الحلال كثيرة -والحمد لله- لمن تحراها وقصدها، فتتحرى كسب الحلال وتنفق منه حتى تلقى هذا الاحترام وهذا القبول عند رب العالمين، فالله يتلقاها بيمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويربيها كما يربي أحدكم فلوه، والفلو ولد الفرس، أو فصيله وهو البعير حين يفصل عن أمه، وكذلك ولد البقرة.

فالإنسان يعتني بفرسه ويربيه أحسن تربية وينميه أحسن تنمية وأعظمها، فالصدقة حتى لو كانت من أدق الأشياء وأصغرها وأحقرها في أعين الناس، حتى لو كانت تمرة لو كانت تمرة يربيها حتى تصير مثل الجبل، وفي رواية قال: «**كجبل أحد**» شيء عظيم مضاعفات عظيمةٌ جدًّا، حتى لا يحقر المرء من الخير شيئًا، ولو أن يتصدق بشطر تمرة: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[(١)]، فالمؤمن يتقرب إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويتقي سخطه ويتقي عذابه ولو بشق تمرة، هذا ما نستفيده من الحديث، بالإضافة إلى إثبات هذه الصفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على الوجه اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ.

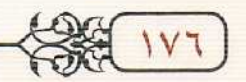
---

(١) كما ثبت في الحديث في الصحيح: أخرجه البخاري في «الزكاة» حديث [١٤١٧]، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠١٦]، عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هنا يقيِّد: «**ما من عبد مسلم**»، فالكافر ما يقبل الله منه الصدقة، وإن كان قد يثيبه بها في الدنيا، لكن في الآخرة لا تفيده كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، وفي الإنفاق: «**إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبًا**»[1]، وفي هذا الحديث كذلك: «ولا يقبل الله إلا الطيب».



(١) قطعة من حديث رواه مسلم في «الزكاة» حديث [١٠١٥].



الإيمان بأن لله عَزَّوَجَلَّ يدين، وكلتا يديه يمين

[٧٤٥] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، قال: حدثنا الحسن بن علي الحلواني قال: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، عن بقية بن الوليد قال: حدثنا أرطاة بن المنذر، عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول شيء خلقه الله القلم، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين قال: فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر»، ثم قال: اقرءوا إن شئتم: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] فهل تكون النسخة إلا من أمر قد فرغ منه؟.

[٧٤٦] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو أنس مالك بن سليمان الحمصي قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن أرطاة بن المنذر، عن مجاهد بن جبر،: أنه بلغه عن ابن عمر: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول شيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ القلم، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين» وذكر الحديث مثله إلى آخره»[1].

---

(١) حديث ابن عمر حسن الإسناد، أورده الآجري من طريقين، مدارهما على بقية بن الوليد وهو صدوق كثير التدليس عن «الضعفاء» كما قال الحافظ ابن حجر، لكنه هنا صرَّح بالتحديث، فحديثه حسن. وقد سبقا برقم: (٣٣٩، ٣٤٠).

[٧٤٧] وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، سمع عمرو بن أوس الثقفي، يحدث عن عبد الله ابن عمرو ويبلغ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المقسطون عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ وكلتا يديه يمين الذين يعدلون بحكمهم وأهليهم وما ولوا»(١).

[٧٤٨] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: نا الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام أنه قال في حديث طويل قال: ثم خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ثم مسح ظهره بيديه، فأخرج فيهما من هو خالق من ذريته إلى أن تقوم الساعة، ثم قبض يديه عَزَّوَجَلَّ ثم قال: اختر يا آدم قال: اخترت يمينك يا رب، وكلتا يديك يمين فبسطها فإذا فيها ذريته من أهل الجنة فقال: من هؤلاء يا رب؟ قال: هم من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة، إلى أن تقوم الساعة. وذكر الحديث(٢).

هذا الباب أورد فيه المؤلف أحاديث تؤكد ما ذكره من الأحاديث في الأبواب السابقة من إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، وهنا يروي من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أول شيء خلقه الله القلم، فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين، قال: فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر»، ثم قال: اقرءوا إن شئتم: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩]. فهذا فيه إثبات أن لله يدين، وأن يديه كلتيهما يمين تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

---

(١) حديث صحيح: رواه حسين المروزي في «زوائد الزهد»[١٤٨٤]، ورواه اللالكائي [٦٩٩] من طريق يحيى ابن صاعد عن حسين به.

وقد أخرجه مسلم في «الإمارة» حديث [١٨٢٧] من طريق سفيان به.

(٢) أثر عبد الله بن سلام إسناده إليه حسن، لكن لعله من الإسرائيليات. وقد تقدم تخريجه برقم: [٤٣٤].

وأن الله كتب مقادير الخلق بالقلم في اللوح المحفوظ، وهذه الكتابة تحدث عنها القرآن الكريم في آيات؛ منها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فهذه الآيات تتحدث عن شمول علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكل شيء في هذا الكون حتى الورقة تسقط يعلمها، علمها قبل أن يخلق السموات والأرض، وعلمها حينما خلقها ونماها، وعلمها حين أسقطها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تخفى عليه خافية.

والشاهد: من هذه الآية: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال في آية أخرى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]: يعني الكتاب.

كذلك الكتابة في اللوح المحفوظ، كتب الله فيه كل شيء؛ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، وكذلك قوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ١٦ - ٢٢]، فالأمور كلها بما فيها القرآن مدوَّنة في اللوح المحفوظ، وكل ما كتب في اللوح المحفوظ فهو بالقلم الذي كتب الله به مقادير كل شيء، قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قدرها وأجرى بها القلم، وكتابة القلم في هذا اللوح المحفوظ.

والأقلام كما تدل عليها السنة: هو هذا القلم الذي كتب الله به مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، وهناك أقلام أخر تحدثت عنها السنة(١) وعنها القرآن

---

(١) كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: البخاري في «القدر» حديث [٦٥٩٤]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٤٣].

أيضًا، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، فهناك كرامٌ كاتبون يكتبون ما يفعله العباد وما يقولونه، ونستفيد من هذه الآية أنه ينبغي للمسلم أن يراقب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأن يخشاه، فإنه مُطَّلعٌ عليه لا تخفى عليه خافية من حركات جسده وحركات قلبه، ومع ذلك هناك أيضًا كِرَام كاتبون وصفهم الله بأنهم كرام، فليستحِ منهم المسلم، واعلم وتأكد أنهم يسجلون عليك كل دقيقة وجليلة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

يقال للعاصي الظالم: أما تستحي من الله كيف ترتكب الفواحش والمنكرات وتتكلم بالأباطيل والضلال وعندك ملائكة، والله يراك ويسمعك، والملائكة الكرام حولك يُسجِّلون عليك كل شيء لا تفلت كلمة ولا لفظة؟ ومع كل هذا تراه لا خوف عنده ولا حياء.

والمسلم ينبغي أن يكون عنده وازع الحياء ووازع الخوف والمراقبة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإنه ما خلق الناس عبثًا، ما من حركة تتحركها إلا وتُدوَّن عليك، والله لو أن إنسانًا تلاحقه عيون الدولة لتجدنه يخاف ويرتجف، وبعضهم يتحسس فيقول لك: في الجدران آذان، يخاف من الناس، لكن ما يخاف الله عَزَّوَجَلَّ، فينبغي أن نخاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن نَقْدُره حقَّ قدره، وأن نحترم الملائكة الكرام الكاتبين الذين يعلمون ما نفعل، ويكتبونه بكل دقة.

وكذلك أيضًا من الأقلام ما يكتبه الله عَزَّوَجَلَّ حينما يأمر المَلَك فينفخ الروح في الجنين، هذا واحد من الأقلام، يرسل إليه المَلك فيأمره الله: «بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»، فهذه من الأقلام التي تحدثت عنها السنة، وتحدث عنها القرآن، وينبغي أن يعرفها طالب العلم والحديث.

هنا القصد إثبات صفة اليدين، وأن الله كتب بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الحديث الثاني: حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مصير أهل الجنة من هم؟ قال: «**المقسطون -يعني العادلين- عند الله** عَزَّ وَجَلَّ **يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن** عَزَّ وَجَلَّ - تأمل هذا الإكرام من أجل العدل والقسط- **وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**».

الشاهد في قوله: «**وكلتا يديه يمين**»، فيجب أن نعتقد أن لله يدين تليقان بجلاله. ثم إن القسط ليس خاصًا بالحاكم وبالإمام، بل يشمل كل من يقسط في كلامه، أنت تحكم بين اثنين في قضية من القضايا دينية أو دنيوية يجب أن تعدل، فإن عدلت تكافأ؛ إن عدلت في أحكامك في أقوالك في أفعالك في تقرير العقائد فيما يجري بين الناس من خلافات وخصومات تكلم بالعدل والإنصاف، وإذا تحاكم إليك اثنان فاحكم بينهما بالعدل والإنصاف، وسوِّ واعدل بين أولادك وأهليهم: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»(١) يعني لا تفضل بعض أولادك على بعض، لابد من العدل بينهم، حتى إن بعضهم كان يعدل بين أولاده في القبلة، إذا قَبَّل صبيًّا يُقبِّل الثاني من العدل(٢)، انظر دقة فقه السلف وفهمهم!.

وقوله: «**وَمَا وَلُوا**»: يشمل الحاكم العام الخليفة والأمير العام والقاضي... هؤلاء جزاؤهم إذا عدلوا في أحكامهم أن يكرمهم الله عَزَّ وَجَلَّ، فيجلسهم على منابر من نور عن

(١) قطعة من حديث رواه البخاري في «الهبة» حديث [٢٥٨٧]، ومسلم في «الهبات» حديث [١٦٢٣].
(٢) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣١٦٤٢]، والحسين المروزي في «البر والصلة» [١٥٤]، وابن أبي الدنيا في «كتاب العيال» (١/ ١٧٤ رقم ٣٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢٢٩-٢٣٠) عن إبراهيم النخعي قال: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَعْدِلَ الرَّجُلُ بَيْنَ وَلَدِهِ حَتَّى فِي الْقُبَلِ».

يمينـه، «**وكلتا يديه يمين**» فالعبد إذا تصدق يتحرى الحلال الطيب فيتلقى الله صدقته بيمينه ويربيها حتى تصير مثل الجبل.

وإذا حكـم بـين النـاس عليـه أن يعدل ويقسـط، والقسـط هـو العدل، يقسـط في كل قضيـة مـن القضايا يتحدث فيها ويفصـل فيها بين اثنين حتى بـين أولاده فضلًا عن ولايتـه العامـة التي تتناول حياة المسـلمين، فهذا عليه عبء عظيـم وعليه أن يعدل؛ قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، ورجلان تحابا في الله اجتمعـا عليـه وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امـرأة ذات منصـب وجمـال فقال: إني أخـاف الله رب العالمين، ورجـل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل قلبه معلق بالمساجد**»(١).

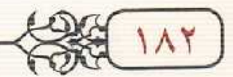
فليحـرص المؤمـن أن يطـرق كلَّ باب من هـذه الأبواب التي يمكـن أن يكون من أهلها.

فنسـأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرضى عنا، وأن يحشرنا في ظل عرشـه يوم لا ظل إلا ظله، وأن يحشرنا وإياكم على منابر من نور عن يمينه، فعليك بهذه الأسباب التي تؤهلك لهذه الكرامـة العظيمة؛ أن يظلك الله في ظل عرشـه، وأن يجعلـك على منبر من نور عن يمينه، نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء.

إن ربنا لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري في «الأذان» حديث [٦٦٠]، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠٣١].



٥٩

بَابُ

الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده وخط التوراة لموسى بيده، وخلق جنة عدن بيده

وقد قيل: العرش، والقلم، وقال لسائر الخلق: كن فكان، فسبحانه.

٧٤٩- حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد قال: حدثنا عبد الله ابن عبد الوهاب الحجبي قال: حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن بن حكيم ابن حزام القرشي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **خلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده يوم الجمعة، ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة أن يسجدوا له، فسجدوا له ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾** [الكهف: ٥٠](١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: يقال للجهمي الذي ينكر أن الله خلق آدم بيده كفرت بالقرآن، ورددت السنة، وخالفت الأمة.

(١) رواه أبو نعيم في «المستخرج على صحيح مسلم» [١٩٢٣] من طريق الحجبي به. وقال: «رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ قُتَيْبَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ فَزَادَ: «وَهُوَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» وَلَمْ يَذْكُرْ قُتَيْبَةُ: الْيَدَ وَالنَّفْخَ وَالأَمْرَ بِالسُّجُودِ».

فأما القرآن: فإن الله عَزَّوَجَلَّ لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥]

وقال عَزَّوَجَلَّ في سورة الحجر: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٣١] فحسد إبليس آدم لأن الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بيده، ولم يخلق إبليس بيده، ولما التقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فاحتجا، فكان من حجة موسى لآدم أنه قال له: أنت أبونا آدم خلقك الله تَعَالَىٰ بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ فاحتج موسى على آدم بالكرامة التي خص الله عَزَّوَجَلَّ بها آدم مما لم يخص غيره بها من أن الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بيده وأمر ملائكته فسجدوا له، فمن أنكر هذا فقد كفر ثم احتج آدم على موسى: فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده. وذكر الحديث.

٧٥٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا عبد العزيز ابن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «احتج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقال له موسى: يا آدم، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأمرك أن تسكن الجنة» وذكر الحديث بطوله(١).

---

(١) متفق عليه:. وهذا إسناد حسن لحال عبد العزيز بن محمد الدراوردي.

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٥٤] عن ابن كاسب عن عبد العزيز الدراوردي. =



٧٥١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا وهب بن بقية قال: أخبرنا خالد يعني ابن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله عَزَّ وَجَلَّ بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الجنة، وأمر الملائكة فسجدوا لك» وذكر الحديث.

٧٥٢- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا أنس وهو ابن عياض قال: حدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «احتج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله عَزَّ وَجَلَّ بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الجنة، وأمر الملائكة فسجدوا لك» وذكر الحديث[1].

= وتابعه يعقوب بن عبد الرحمن القاري عن عمرو بن أبي عمرو. أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٩١٨، ١٠٩٩٤)، وابن منده في «التوحيد» [٧٧] من طريقين عن يعقوب بن عبد الرحمن القاري به نحوه.

رواه البخاري في «القدر» حديث [٦٦١٤]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٢]، من طريق أبي الزناد عن الأعرج به نحوه.

والحديث قد سبق برقم [٣٥٧].

(١) **متفق عليه**: أخرجه المصنف بإسنادين حسنين، فيهما محمد بن عمرو الليثي، قال في التقريب: «صدوق له أوهام».

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٤٩] عن وهب بن بقية به.

ورواه علي بن حجر في «حديث إسماعيل بن جعفر» [١٦٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٥٠]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٥٣]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٢١-١٢٣)، وابن بطة (٤٧٣-الوابل)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٦٨٦] من طرق عن محمد بن عمرو به.

ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٧٣٨]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٢]، من طريق يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة به نحوه.

فهذه حجة موسى على آدم: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلقه بيده، وأما حجة آدم على موسى بأن الله عَزَّوَجَلَّ خط له التوراة بيده.

٧٥٣- فحدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي قال: نا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتج آدم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى، اصطفاك الله عَزَّوَجَلَّ بكلامه، وخط لك التوراة بيده، تلومني على أمر قدره الله عَزَّوَجَلَّ علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى».

٧٥٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن عبدة، ويعقوب بن حميد بن كاسب، قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتج آدم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فقال موسى: يا آدم: أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، وقرأت التوراة فهل تجد فيها أنه قضى علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال: نعم، قال: فحج آدم موسى».

قال ابن عبدة: وقال سفيان مرة: «وخط لك التوراة بيده؟ أتلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة»[1].

---

(١) **متفق عليه**: وأخرجه المصنف بإسنادين، الأول صحيح. والثاني حسن، فيه يعقوب بن حميد بن كاسب قال في «التقريب»: «صدوق له أوهام».

رواه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٢] عن أحمد بن عبدة به.

ورواه ابن ماجه في «القدر» حديث [٨٠] عن يعقوب بن حميد بن كاسب به. =

٧٥٥- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي قال: حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي قال: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا قيس يعني ابن الربيع عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البَقَرَة: ٣٧]، **قال: «أي رب، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسبق رحمتك إليَّ قبل غضبك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أي رب أرأيت إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم»**(١).

....

= ورواه البخاري في «القدر» حديث [٦٦١٤]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٢] من طرق عن سفيان بن عيينة به نحوه بألفاظ متقاربة.

(١) إسناده فيه ضعف، فيه شيخ المصنف أبو القاسم العطشي ترجم له الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٣٣٢-٣٣٣) وذكر رواية ثلاثة من الثقات عنه، ولم يذكره بجرح ولا تعديل. وفيه قيس بن الربيع، قال في التقريب: «صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به». وهو متابع كما سيأتي.

وفيه ابن أبي ليلى، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال في «الكاشف»: « قال أحمد: سيئ الحفظ. وقال أبو حاتم: «محله الصدق». وقال في «التقريب»: «صدوق سيء الحفظ جدًّا». والمنهال بن عمرو قال فيه في «التقريب»: «صدوق ربما وهم».

رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٥٤٢) من طريق الحسن بن عطية، وابن بشران في «الأمالي» [١٣٥٣] من طريق يحيى بن آدم، كلاهما عن قيس به.

ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٧/ ٤٣٢-٤٣٣) من طريق ابن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ ابن المثنى عن مسدد عن خالد عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو به.

ورواه الحسن بن عطية -أيضًا- عن الحسن بن صالح بن حي عن المنهال به، أخرجه الحاكم في «المستدرك» [٤٠٠٢] بإسناد صحيح عن الحسن بن عطية به. وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩٠) من طريق السدي عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، نحوه.

٧٥٦- وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أخبرنا معاوية بن عمرو وأبو صالح قالا: حدثنا أبو إسحاق يعني الفزاري، عن سفيان، عن عبيد المكتب، عن مجاهد، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خلق الله عَزَّوَجَلَّ أربعة أشياء بيده: آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والعرش، والقلم، وجنات عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان»[1].

٧٥٧- وحدثنا جعفر الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا يعلى بن عبيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر قال: «أخبرت أن ربكم عَزَّوَجَلَّ لم يمس إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وجعل ترابها الورس والزعفران، وجبالها المسك، وخلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكتب التوراة لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[2].

٧٥٨- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عباد بن آدم قال: حدثنا بكر بن سليمان الأسواري، عن محمد بن إسحاق قال: سمعت محمد بن كعب، يحدث: «إن الله جلّ ذكره لم يمس بيده شيئًا إلا ثلاثة: آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والتوراة فإنه كتبها لموسى بيده، وطوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده، ليس في الجنة

....

(١) **أثر صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» [٣٢٤٤]، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٧٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٢٩-الوليد)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [٧٢٩]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٦٩٣]، من طرق عن سفيان الثوري به. وصححه الحاكم. ووافقه الذهبي.
ورواه الدارمي في «النقض على بشر المريسي» (١/ ٢٦١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٥٥-١٥٥٦)، واللالكائي [٧٣٠]، من طريق عبيد المكتب به مثله.

(٢) **أثر صحيح**: رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢٣٢ و٢٣٣-الوليد) من طريق يعلى بن عبيد به مثله.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٨-الحوت)، وهناد في «الزهد» [٤٦]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٥٧٠] من طريق إسماعيل بن أبي خالد به نحوه.

غرفة إلا فيها منها فنن، وهي التي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعد: ٢٩]»(١).

٧٥٩- وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا محمد بن المنهال الضرير قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أن كعب الأحبار قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يمس بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده، ثم قال: تكلمي: فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١](٢).

فقد مرَّت بنا أحاديث كثيرة في إثبات صفة اليدين لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ على الوجه اللائق به، والمنهج السلفي يؤمن أهله بكل صفة كمال لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تليق بجلاله على الوجه اللائق به، فيثبتون كلَّ ما ثبت عن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه وما ثبت من سنة نبيِّه صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ويؤمنون بها على الوجه اللائق بالله وإثبات حقائقها، لكن علم الكيفية لا يتكلَّفونه ولا يقولونه، ويَكلون علم الكيفية إلى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والقاعدة التي وضعها مالك تصلح إجابة على كل إشكال يَرِد على أي صفة: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، فنقول: العلم والقدرة والإرادة واليدين، وكل هذه الأشياء معلومة، والكيف مجهول، فإذا طُرِحَ عليك سؤال: كيف يداه؟ كيف نزوله؟ كيف استواؤه على العرش؟ تقول: هذا شيء معلوم ثبت في الكتاب والسنة، ودان به الرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، ولم يخطر ببالهم مثل هذا التساؤل أبدًا،

---

(١) إسناده فيه ضعف: فيه محمد بن عباد بن آدم، قال في التقريب: «مقبول».
وفيه بكر بن سليمان الأسواري قال فيه أبو حاتم: «مجهول». قلت: روى عنه ثقتان، ووثقه ابن حبان. وقال ابن حجر: «لا بأس به». «لسان الميزان».

(٢) إسناده صحيح:
رواه الدارمي في «النقض على بشر المريسي» (١/ ٢٦٤-٢٦٥) عن محمد بن المنهال به نحوه.

بل آمنوا بذلك وسلَّموا به على أساس صحيح؛ لأنهم قرأوا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وما شاكل ذلك، وبنوا عقيدتهم على هذا الأصل إثبات صفات الكمال لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بناءً على آخر الآية، ونفي كلِّ ما لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك المشابهة بناءً على أول الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فإذا قلنا لله علم فليس علمه كعلم البشر، وإذا أثبتنا له قدرة فليست كقدرة البشر أبدًا، وإذا قلنا إنه استوى على العرش فليس كاستواء البشر، وإن قلنا إن له يدين فليستا كيدي البشر، تعالى الله عن مشابهة خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

نريد أن نعرف كيف نجيب من يورد الإشكالات على إثبات صفة اليدين.

فإذا قال لك الجهمي أو الأشعري أو المعتزلي قال لك: إن اليدين هنا بمعنى النعمة، فماذا تقول له؟ يأتي لك بكلام أن اليد تطلق ويراد بها النعمة، فبماذا نجيب على هذه الشبهة؟.

نقول: العرب لم تطلق اليد بلفظ التثنية ويريدون بذلك النعمة، وإذا ثَنَّوْا اليد فإنما يريدون بذلك اليد الحقيقية، فإذا أطلقوا اليد ويريدون بها النعمة يطلقونها بالإفراد يفردونها بلفظ يد، ومن ذلك الحديث، لما كان يوم الحديبية كان عروة بن مسعود الثقفي يحاول الصلح بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقريش ودار الكلام بينهما، فقال: يا محمد لا يَغُرَّك هؤلاء الأوباش والله إذا حميت الوطيس لَفَرُّوا عنك، قال له أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اُمْصُصْ بَظَرَ اللاَّت، أنحن نفرُّ عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ قال: من هذا؟ قال: أبو بكر، قال:

«وَالله إنـه لـولا يد لك عندي لم أكافئك بها لأجبتك» فيد هنا بمعنى النعمة، فلفظ اليد في لسان العرب قد يرد ويراد به اليد الحقيقية، وقد يراد به يد النعمة؛ لأن النعمة غالبًا تعطى باليد.

لكن السياق يُحدِّد المقصود، والعرب يفهمون إذا تكلم العربي وأطلق لفظ اليد وهو يريد الحقيقية يفهمه من السياق أنه يريد اليد الحقيقية، وإذا أراد بها النعمة يعرفون هـذا، فالعرب إذا أرادوا النعمة لم يطلقوا لفظ اليد بالتثنية، فإذا أراد أن يقول لفلان: عندي نعمة يقول: عندي يد، ما يقول: عندي يدان، يقول: عندي يد، فالعرب لا تطلق اليد بلفظ التثنية إلا على اليد الحقيقية، فإذا أطلقوها بلفظ التثنية فلا يقصدون بها إلا اليد الحقيقية، فهنا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، لا يفهم العرب وعلى رأسهم الصحابة من هذا اللفظ إلا اليدين الحقيقيتين لا النعمة.

وإذا قالوا اليدين هنا بمعنى القدرة نقول:

أولًا- العرب لا تطلق اليد بلفظ التثنية إلا على اليد الحقيقية، ولا يقصدون بها القدرة أبدًا، ولا أطلقتها بلفظ التثنية على القدرة أبدًا، لا يوجد هذا في كلام العرب.

ثانيًا- إن هذه مزية لآدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبخ الله الشيطان حينما امتنع من السجود لآدم، وأظهر الله السبب في تكريم آدم وأنه مستحق أن يطاع فيه أمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ما قال: لما خلقت بقدرتي، لو قال: خلقت بقدرتي، لقال إبليس: وأنا أيضًا خلقتني بقدرتك، فما الفرق بيني وبينه؟ إذن فهناك ميزة لآدم على إبليس وعلى الملائكة أن الله خلقه بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا أوَّلنا اليد أو اليدين بمعنى القدرة أفسدنا معنى النص القرآني أفسدناه تمامًا وأخرجناه عن مقصود ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذن لآدم مزيــة وهي أن الله خلقه بيديـه، يدين لائقة بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلو أوَّلنا اليديـن بمعنى النعمة أو القـدرة ذهبت هذه المزية التي امتن الله بها على آدم ووبخ إبليس بها.

ثم هناك أمور تمنع من حمل اليدين على معنى النعمة أو القدرة؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصـف اليدين بالكف وبالأصابع وباليمين، والبسـط والقبض؛ كل هذه ما توصف بها النعمة أو القدرة، وإنما توصف بها اليد الحقيقية، أرجو أن نفهم هذا الدرس ونحاول أن نفهم هذه الأمور حتى إذا احتاج الإنسان عند رد الشبه على أهل البدع يكون عنده سلاح قوي، وهو هذه الحجج، واقرأوا في كلام ابن القيم وابن تيمية وكلام السلف تجدون مثل هذه الأمور، وفَّقكم الله.

أورد المؤلـف نصوصًـا من طريـق أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره في إثبـات هذه الأمور أي أن الله خلـق آدم بيـده وخـط التـوراة لموسـى بيده وخلـق جنة عدن بيده، سـاق فيها النصـوص التـي مرت على مسـامعكم، ومنها هـذا النص الأول، وفي إسـناده المغيرة بن عبـد الرحمن بن حكيم بن حزام، قال الحافـظ في التقريب: «له غرائب»[1]، وفيه عبد الله ابـن عبد الوهـاب الحجبي ثقة، كما في «الجـرح والتعديـل» (٥/ ١٠٦)، لكن يقوي هذا الحديث النصوص التي تأتي بعده.

والقصـد مـن هذه النصوص إثبات أن لله يدين، وأن لهـذه الأمور التي خلقها بيده مزايـا؛ مزيـة لآدم أن الله خلقه بيده، ومزية لموسـى أن الله كتب التـوراة بيده، ومزية لهذه الجنة من بين الجنان أن الله خلقها بيده.

(١) «التقريب»، ت: [٣٩١٢].

بعد الحديث ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [صٓ: ٧٥]، يعني يسوق النصوص أيضًا من القرآن على إثبات هذه الصفة لله عَزَّوَجَلَّ، اليد واليدان، فلله يدان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تليقان بجلاله، إذ قال لإبليس يوبخه: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [صٓ: ٧٥]، يعني هذا مخلوق ميَّزته بهذه الميزة العظيمة، فما الذي يجعلك تأنف من السجود له؟ هذا له منزلة عند الله عظيمة، ولهذا أمر الله الملائكة جميعًا أن يسجدوا له تكريمًا له[1] رفعه الله بالعلم الذي فاق به الملائكة، ورفعه بهذه الميزة التي اختصه بها وأنه خلقه بيده، وقد خلق الملائكة بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبكلامه ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يسٓ: ٨٢] وخلق آدم بيده.

والثانية- أن الله علَّمه الأسماء كلها، فكان له ميزة على الملائكة، وكانوا قد تساءلوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، فالله سُبْحَانَهُ عرض الأسماء على الملائكة فقالوا: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]، علَّم آدم الأسماء كلَّها وأمره أن ينبئهم بها، فأنبأهم بهذه الأسماء، ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣] المهم أن الله ميَّز آدم بأن علمه الأسماء كلَّها وخلقه بيده، وتكريمًا له أمر الملائكة أن يسجدوا له.

وقوله: «ونفخ فيك من روحه»: علماء السنة جميعًا على أن الروح هذه مخلوقة، روح آدم، وأرواح بنيه، وأرواح الملائكة، والأرواح كلها مخلوقة، ليست هنا صفة لله عَزَّوَجَلَّ، والباطنية والملاحدة والزنادقة والروافض والنصارى يقولون: إن الروح أزلية من الله

---

(١) وهذا السجود من الملائكة كان بأمر الله تَعَالَىٰ فصار طاعة منهم لله عَزَّوَجَلَّ، أما إذا كان بغير أمر الله فهو شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

عَزَّوَجَلَّ، وهـذا ضـلال كبير؛ إذ كلُّ ما سـوى الله مخلـوق، ومن هذه المخلوقـات روح آدم وسـائر الأرواح مـن أرواح الملائكة والإنس والجـن؛ ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر: ٦٢]، فكل ما عدا الله مخلوق بما في ذلك روح آدم وأرواح بنيه وأرواح سائر مخلوقاته كلها مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ، وليست من الله، وليست أزلية.

وإذا قرأتـم في «الظـلال» تجـدون دندنة حول الروح تشـبه دندنـة النصارى وكان يُريبنـي جـدًّا تعابير سـيد قطب عـن الروح، وأستشـف منها أسـلوب النصـارى، لكن مـا اسـتطعت أن أجـزم بأنـه يريد أن الـروح من الله وأنهـا أزلية، حتى وقفـت على كلام صريـح له بأن الروح أزلية، وقـد بيَّنت ذلك في «الأضواء»، ونقلت كلام العلماء، ومنهم ابـن القيـم بأن أرواح بني آدم وغيرهم مخلوقـة لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يخالف في ذلك إلا الزنادقة والروافض والنصارى.

قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩ - ٣١].

﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] انظـر لهـذا التأكيـد؛ «كلهم» تأكيد، و«أجمعـون» تأكيـد آخر، كلهم امتثلوا أمر الله عَزَّوَجَلَّ وسـجدوا لآدم، فهـذا إنما هو طاعة لله وعبادة لله، ليسـت لآدم، فامتثلوا أمر الله عَزَّوَجَلَّ فهو عبادة لله وليس عبادة لآدم، لكن الخبيث إبليس أبى واستكبر أن يسجد لآدم، ﴿ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال: ﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف: ١٢]، فاعتدَّ بعنصره ويرى أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين، وقد تكلم العلماء على مزايا الطين على النار[١]، وفي النار الطيش وفي الطين الأناة والثقل والرزانة، إلى صفات كثيرة؛ أن فيه الزراعة والثمار وأشياء

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/ ٩٤٩-٩٥٢).

كثيرة، بينما النار فيها الإحراق والإهلاك والطيش وما شاكل ذلك، إذن عنصر آدم أفضل من عنصر إبليس، فافتخاره بعنصره باطل، وحتى لو كان عنصره أفضل، فليس له أن يرفض أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويستكبر، فكيف وعنصره الذي افتخر به كما ذكر وهو لا يساوي شيئًا بالنسبة لآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فكان هو أساس الإباء والاستكبار عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الكبر داءٌ عُضَال في الجن والإنس، فإن الذي يحول بين أعداء الأنبياء وبين اتباع الحق وطاعة الأنبياء إنما هو الكبر والاستعلاء الذي هو من صفات إبليس، فكلُّ مستكبر عن الحق قدوته إبليس اللعين، ونعوذ بالله من الكبر، والكبر غمط الناس ورد الحق، وإبليس هنا غَمَط آدم ورد الحق، ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وانطلاقًا من الكبر قال قوم نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وفرعون يقول: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤ – ٥٥]، ويقول مرة أخرى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] يعني أراذل وسقط.

وفي هذا العصر ترى من يرمي أهل السنة بأنهم سقط، ويرفض الحق؛ لأن هؤلاء عنده أراذل وسقط، والمعتزلة والخوارج والجهمية يقولون عن أهل السنة إنهم حشوية وغثاء، إلى سائر الأوصاف المذمومة، وقد ذَمَّ الكفارُ الأنبياء من منطلق الكبر وغمط الناس.

والكبر هو غمط الناس ورد الحق، وانظروا إلى نبينا الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يرد الحق، ولو جاء من يهودي قَبِلَه، وجاء من شيطان فقَبِلَه لأنه حق.

فالحق في الإسلام يجب أن يُقْبَل ولا يجوز ردُّه مهما كان مصدره، وليس هذا من باب الموازنات التي يتكئ عليها أهل الضلال والمحامين عن أهل الباطل، هذا من باب قبول الحق.

ومن الكبر أن ترد الحق ولو جاء به الشيطان ولو جاء به يهودي ولو جاء به نصراني، إذا جاء بالحق فرددته فهذا من الكبر، فكيف إذا جاء من الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإذا جاء عن الصحابة وإذا جاء عن العلماء؟ وإذا جاء عن أهل الصدق والحق كيف ترده؟! فالحامل على رد الحق منذ عهد إبليس في ذلك التاريخ إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، رد الحق ورفضه منشؤه الكبر الذي هو غمط الناس ورد الحق.

فرَبُّوا أنفسكم يا إخوتاه ويا أبنائي على حب الحق ووطِّنوا أنفسكم على قبوله مهما كان قائله، والذي نقوله ليس معناه أنك تترك الحق الذي عند أهل السنة وتذهب تبحث في كتب أهل الباطل لتجد الحق عندهم، فإنك قد تجد الحق عندهم، لكن تجده في وسط ركام من الأباطيل، والعاقل لا يُعَرِّض نفسه للمخاطر ليصل إلى شيء يجده عند أهل الحق بكل سهولة لا وحوش لا عقارب لا أفاعي لا مخاطر، وهذا الشيء مثله تحصله في مكان آخر فيه عقارب وحفر وهوات وأوساخ وأقذار وعقارب ومخاطر، من الجنون والسفه أن تترك المكان الذي سلم طريقه وتسلم في الوصول إليه ثم تتركه بكل سهولة وتذهب تتجشم المخاطر لتصل إلى شيء تحفه الأخطار وأنت من الأمان بمكان وتصل إلى مطلوبك بسهولة، تترك هذا الأمر السهل وتذهب إلى أماكن فيها خطورة وفيها مهالك.

أنا أسألكم عاقل قيل له: هناك ألفا دينار، أولهما في مكان يعرف أن فيه وحوشًا وعقارب وحيات ومخاطر، والألف الآخر في مكان سليم وقريب، وليس في الوصول إليه أي خطر، فأيهما يختار هذا العاقل؟

الجواب: هو وكل العقلاء يدركون أن العاقل لا بد أن يختار الأقرب والأسهل والأسلم، ويرفض الأبعد والأخطر.

هذا المثال أضربه لكم، أنت تريد الحق تجده في كتب أهل السنة وتجد في الطريق إليه مصالح ومنافع كثيرة، يعني لو تعبت أنت في البحث عنه ما تجد أمامك إلا الخير والسلامة والعلم والفضل إلى أن تصل إليه ولو بعُد قد تصل إليه بسهولة، وقد تتعب، لكن هذا التعب فيه السلامة وفيه الخير وفيه المكاسب، فالواجب عليك أن تطلب الحق من هذا الموضع المصحوب بالسلامة والمصحوب بالأمان والمصحوب بالخير والنفع، ومن الجنون والسفه والطيش أن تترك هذا وتذهب إلى كتب فيها بلايا وبدع وضلالات ومخاطر تذهب تغامر بعقيدتك وبدينك من أجل أن تصل إلى هذا الشيء.

من السفه والجنون أن تترك الحق من مصادره السليمة وتذهب إلى المصادر الباطلة الفاسدة الخطيرة، لكن إذا جاءك إنسان مثلًا مبتدع وقال كلامًا حقًّا فتقول له: هذا الكلام حق، ولكن يا هذا والله أنت عندك كذا وكذا، عندك سب للصحابة، عندك تجهم، عندك حلول، عندك كذا، عندك كذا، أنا أقبل منك الحق هذا ما أرده، لو جاءني من الشيطان ما أرده، لكن كما قبلت الحق منك أنت، اقبل الحق مني خذ مني.

أما أن تبحث في كتب الروافض وفي كتب المعتزلة وفي كتب الخوارج وفي كتب اليهود كتب الضلال كتب القبوريين تبحث عن الحق؛ هذا من السفه، وهذا الأمر موجود في كتب أهل السنة.

نقول هذا الكلام لأنه يأتي من يُلبِّس من أصحاب منهج الموازنات فيقول الرسول ﷺ قبل الحق من الشيطان، نعم لأنه حق.

لكـن ليـس لكم فيه مـا تدَّعونه من منهج الموازنات، والرسـول ليـس معنى قبوله لهـذا الحق من الشـيطان أنه يرشـد المسـلمين أن يتتلمـذوا عليه أو نـدرس عنده ونذهب نطلب منه تأليف كتب أو أن لهذا الشيطان كتبًا مؤلفة نروح ندرسها، لا، فإذا جاءني الحق هكذا عفوًا ورأيته حقًّا نقول له: حق، لكن نسـتغني عن صاحبه، ولا يجوز لي أن أبحث عـن الحـق الآخر عنده وهو عندي، هذا مقتضى ما يقوله السـلف، بل ما قاله رسـول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من التحذير من أهل البدع.

الحديـث الأول من حديث الأعـرج: فيه إثبات أن الله خلـق آدم بيده، وفيه محاجة آدم وموسى، وفي هذا الاحتجاج مشكلة، بعض الناس يفهمون أن آدم احتج على موسى بالقـدر في تبرئة سـاحته من الذنب، احتج بالقدر على وقوعـه في المعصية فاحتج بالقدر، هل الأمر كذلك؟ هل إن موسـى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عاتب آدم على ارتكابه الخطيئة أو عاتبه على شيء آخر؟.

عاتبـه عـلى المصيبـة التي ترتبت عـلى وقـوع آدم في الخطأ، مـا عاتبه عـلى ارتكاب الخطـأ، وإنما عاتبه على المصيبـة وهي إخراج الذرية من الجنة التـي ترتبت على وقوع آدم في الخطأ.

هـل نتصـور أن نبي الله موسـى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعاتب آدم على خطيئـة تاب منها؟ لا يمكـن لموسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعاتـب آدم أبا البـشر على خطيئة قـد تاب منها أبـدًا، هذا لا يصـدر من مسـلم منصف، فضـلًا عن عالم، فضـلًا عن الصحابة، فضـلًا عن الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

واليوم يُعَيَّر الإنسـان بذنب قـد تاب منه، إذا تاب الإنسـان توبة نصوحًا وظهرت توبتـه حقًّا ولا ريب في توبته من ذنبه، فمـن الظلم القبيح أن تلومه على هذا الذنب؛ لأن

التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كان مشركًا فإن إسـلامه وهو التوبة عن الشرك يَجُبُّ ما قبله، وقع بينك وبينه خصومة قلت له أنت كنت مشركًا أو تقول له يا مشرك أو تقول لـه يـا يهـودي أو تقول له يـا نصراني وقد أسـلم، هذه منـك جريمة قبيحـة، كان رافضيًا ورجع إلى السـنة والصواب فمن الظلم القبيح والشر الشـنيع أن تعيِّره بعقيدة كان عليها ثـم تاب منها، أشـعري صوفي رجـع لا تعيِّره، هذا أمر مقرَّر قرَّره الله وقرَّره رسـول الله؛ ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، بـل يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] تاب إلى الله فأحب الله توبته، كيف تعيره؟!.

الشـاهد: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عاتب أباه آدم على المصيبة التي ترتبت على وقوعه في الخطيئـة، ولم يعاتبـه على الخطيئة، ومن هنا حجَّ آدم موسـى؛ لأنه لامـه على مصيبة وهي الإخـراج مـن الجنة، قال: هذا شيء قدَّره الله عليَّ قبل خروجي من الجنة، لقد أراد الله أن ينقلنـي من هـذه الدار إلى دار أخـرى ولله الحكمة، هل وجدت هـذا مكتوبًا في التوراة؟ قال: نعم، قال: كيف تقول هذا الكلام، وقد علمتَ أن الله كتب عليّ أن أخرج من الجنة، ثـم تعاتبني؟ قـال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَحَـجَّ آدمُ موسـى**». فالقدر يُحتج به عـلى المصائب، ولا يحتج به على المعايب، فالذي يرتكب ذنبًا فتقول له: اتق الله يا أخي واترك هذا العمل، يـشرب خمرًا، يزني، يغتاب، يكذب، عنده بدعة، عنده ذنب كبير أو ذنب صغير تنصحه، فإذا قال لك: الله قدَّره عليَّ، يقال له: إن هذا من الضلال، ومن جنس احتجاج المشركين الذيـن قالـوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فكذَّبَهـم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأنهـم احتجوا على وقوعهم في الشرك وعنادهم للأنبياء احتجوا بالقدر، هذا الاحتجاج بالقدر عـلى الذنـوب وعلى الشرك والمعاصي والبدع وما شـاكل ذلك هـذا ضلال ومرفوض في

الشرائع كلها، إنما يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب، تقول لـه: مات أبوك، فيقول: قـدر الله، الحمـد لله؛ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥ – ١٥٧]، فإذا آمن المسـلم أن ما نزل به من موت أولاده أو ذهاب ماله أو مصيبة وقعت به آمن بالقدر وصبر ولم يجزع، يؤمن بالقدر ويصبر، فهذا أمر محمود، وإذا ارتفع إلى درجة الرضا وهي صعبـة جـدًّا، ولم يكلِّف الله الناس بهـا، ولكن بعضهم قد يصـل إلى درجة الرضا، وهذه منزلـة عظيمة يصعب الوصول إليها، فإذا صبر استحق من الله الجزاء العظيم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٧]، فنحـن نؤمـن بالقدر وأن ما يحدث في الكون من أمور وحوادث وفتن كل شيء بقدر الله ومشيئته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فنؤمـن بذلـك، ومن نزل به شيء من هـذه المصائب فصَبرَ إيمانًا بالقـدر، صبر على تقدير الله عَزَّوَجَلَّ فذلكـم هو المؤمـن؛ ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ [التَّغَابُن: ١١] يعني يؤمن بالقدر ويرضى ويسلِّم فيهديه الله من الحسن إلى الأحسن، وينقله من هداية إلى هداية.

الشـاهد: أن موسـى عاتب أباه آدم على المصيبة التي ترتبت على الخطيئة ولم يعاتبه عـلى الخطيئـة، وفرق بـين الاحتجاج بالقـدر على المصيبـة، والاحتجاج به عـلى العيوب والأخطاء فلا يجوز أبدًا أن تحتج بالقدر على أخطائك وانحرافاتك، ولك أن تحتج بالقدر على المصيبة تنـزل بك، بشرط الإيمان بالقدر والصبر على المصيبة، فلو أن إنسـانًا شـمت بـك في مصيبـة وقعـت بك، بعض الأعـداء يشـمتون فتقول: هذا قـدر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأنـا صابـر على قـدر الله وراض به، تلقمه بذلـك حجرًا، وأنت إن شـاء الله من المؤمنين الصادقين الذين يستحقون من الله الجزاء الموعود به، وهو الصلاة من الله والرحمة، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الأسئلة

سؤال: كيف نجمع بين حديث الباب: «أن الله خلق آدم وخط التوراة وخلق جنة عدن والعرش والقلم بيده»، والحديث الآخر الوارد عن كعب الأحبار بأن الله لم يخلق بيده إلا ثلاث أشياء، فقط؟

جواب: لا يتصور، ما يظهر من التعارض إلا بين النصوص الصحيحة، إذا عارض نص ضعيف نصًّا صحيحًا فلا يقال هناك تعارض، هنا يسقط المعارض الضعيف، فالضعيف لا يقوى على معارضة الصحيح والقوي، ولا يجوز أن يُعارَض به، وهذا أثر إسرائيلي لم يعزه كعب الأحبار إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسول الله، وهو معروف أنه يأخذ معلوماته من التوراة، والتوراة قد امتدَّت إليها يد التحريف، ونحن لا نُصدِّق ولا نُكذِّب كل الإسرائيليات بالإطلاق، فالأثر الإسرائيلي إذا جاء موافقًا لما عندنا قبلناه؛ لأنه وافق ما عندنا، وإن جاء معارضًا رفضناه؛ لأنه يعارض الحق الذي ثبت من كتاب الله ومن سنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهذا لا يقوى على المعارضة فنرده، وإذا حُدِّثْنَا عن بني إسرائيل لا نصدقهم ولا نكذبهم لأننا إذا صدقناهم مطلقًا قد نصدق الباطل وإذا كذبناهم مطلقًا فقد نكذب حقًّا، فنتوقف عنه ثم ننظر إذا شئنا فإن وجدناه موافقًا قبلناه، وإن خالف حقًّا رددناه، وإن التبس علينا لا نصدق ولا نكذب.

سؤال: ورد في الأحاديث الثلاثة الأخيرة والآثار لفظ المماسة «لم يمس إلا..» فهل يصح هذا، وكيف الفهم الصحيح إن ثبت؟

جواب: يبدو أن هذه الآثار إسرائيليات، ومع ذلك فلا غرابة فيها، وقد ورد أن الله مسح ظهر آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا مانع من ذلك، وخلق آدم بيده فنؤمن بهذا ونسلِّم.

سؤال: ورد في بعض الأحاديث: أن الله تَعَالَىٰ أعطى التوراة لموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من يده تَعَالَىٰ إلى يد موسى، هل يصح هذا الحديث؟

جواب: هذا لا يصح، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وذُكر في الحديث أن الله كتب التوراة بيده، ولم يُذكر فيه أنه أعطى التوراة من يده إلى يد موسى.

سؤال: قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] هل من أسماء الله أنه مقيت؟

جواب: نعم، هو من أسماء الله تَعَالَىٰ، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما سرد أسماء الله كلها، إنما قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مائة إلا واحدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١) وقد نصّ القرآن على بعض هذه الأسماء، ونص الرسول على بعض الأسماء، ولكنها لم تصل في سردها إلى التسعة والتسعين، فاجتهد العلماء وأخذوا مثل هذا اللفظ المقيت والواحد والأحد والعليم والسميع والبصير أخذوها من القرآن والسنة، والمقيت بمعنى الرقيب، وبمعنى الوكيل، فليس فيه نقص، وبالمناسبة نذكر هنا ما قرره بعض الأئمة أن الله قد نسب إلى نفسه أفعالًا، ومع ذلك فلا يجوز أن يشتق له منها أسماء؛ مثل: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦] ما نقول: كائد؛ لأن الكيد قد يكون محمودًا وقد يكون مذمومًا، وقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] ما نقول: ماكر، لماذا؟ لأن المكر ينقسم إلى محمود ومذموم، فلا نقول: الله ماكر، ولا يطلق عليه هذا الفعل إلا مقيدًا، مثل: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، فلا ينسب إليه هذا الفعل إلا مقيدًا مرتبًا على مكرهم وكيدهم عقوبة وجزاء لهم.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «كتاب الدعوات» حديث [٦٤١٠]، ومسلم في «الذكر» حديث [٢٦٧٧].



سؤال: ما الفرق بين القاسطون والمقسطين كما في سورة الممتحنة؟

جواب: القاسط الظالم الجائر، والمقسط العادل؛ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الكافرون الظالمون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**المُقْسِطُونَ على مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ**»(١) المقسط هو العادل والقاسط هو الظالم الجائر الكافر أو الظالم.

سؤال: ما هي الصفة التي تُقبَل بها توبة المبتدع، هل يفصح عما قاله، أو أن يقول: أنا تبت فقط؟

جواب: إذا كان كافرًا وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم شرع في تطبيق مقتضيات لا إله إلا الله ومحمد رسوله، يكفيه هذا، وإذا تاب من الرفض وسمعناه يذم الرفض ويبيِّن للناس مساوئ الرفض قبلنا منه؛ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] فقد يكون البيان بالفعل والإصلاح بالفعل، وقد يكون بالقول إذا كان لابد من القول فلابد أن يبيِّن، إذا كان ممن ينكر علو الله واستواءه على عرشه، ويقول: إن الله في كل مكان والله حال في كل مكان والله متحد بالخلق يعلن ذلك، نقول له: بيِّن، نقول: أنت تنفي الآن هذه الأشياء، فاصدع بهذا، أما إذا كان لا يعلن ذنبه أو بدعته بل بينه وبين نفسه، نكتفي منه بالتوبة، وإذا كان قد أعلن ذلك أو ألَّف ونشر ودعا وسجل نقول: له بيِّن، ولا بد من البيان؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

---

(١) سبق تخريجه.



قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] الآية.

وأخبرنا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام».

٧٦٠- حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا محمد بن الصباح قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس كلمات فقال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، ولكنه يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، ويرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النار أو قال النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

٧٦١- حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا الفضل بن سهل الأعرج قال: حدثنا أبو عاصم، عن سفيان يعني الثوري، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط، ويخفض به، يرفع إليه

عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، أو النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره»(١).

٧٦٢- وحدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا المقرئ يعني عبد الله بن يزيد قال: حدثنا المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» وذكر الحديث(٢).

[٧٦٣]وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: «حدثنا زهير بن محمد قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان، عن حكيم بن الديلمي، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» وذكر الحديث»(٣).

٧٦٤- وحدثنا جعفر الصندلي قال: حدثنا زهير قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن خرشة بن الحر قال: دخلت على عبد الله بن سلام فانقبض مني، حتى انتسبت له فعرفني فقال: والله لا أحدث بشيء إلا وهو في كتاب الله عز وجل: «إن موسى عليه السلام دنا من ربه عز وجل

---

(١) حديث صحيح: سبق تخريجه برقم: [٦٥٩].

(٢) في إسناده المسعودي، قال في «التقريب»: «صدوق اختلط قبل موته وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط». قلت: حديثه هذا من حديثه القديم رواه عنه وكيع وهو ممن سمع منه قبل التغير كما في «التهذيب». وقد تابعه الأعمش والثوري وغيرهما.
رواه ابن ماجه في «المقدمة» حديث [١٩٦] من طريق وكيع به. فهو حسن.

(٣) ساق الإمام الآجري حديث أبي موسى من طرق، وهو حديث صحيح، وممن رواه الإمام مسلم في «الإيمان» حديث [١٧٩]. وقد سبق تخريجه برقم: (٦٥٩، ٦٦٠).

حتى سمع صريف الأقلام، فقال: يا جبريل، هل ينام ربك؟ قال جبريل: يا رب يسألك هل تنام؟ فقال: يا جبريل أعطه قارورتين فليمسكهما الليلة لا ينام، فأعطاه فنام، فاصطفقت القارورتان فانكسرتا، فقال: يا رب قد انكسرت القارورتان. فقال: يا جبريل إنه لا ينبغي لي أن أنام، ولو نمت لزالت السموات والأرض»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعوذ بالله ممن لا يؤمن بجميع ما ذكرنا، وإنما لا يؤمن بما ذكرناه الجهمية الذين خالفوا الكتاب والسنة، وسنة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخالفوا أئمة المسلمين، فينبغي لكل مسلم عقل عن الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحذرهم على دينه، قال ابن المبارك: «إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه؛ أما بعد:

فأورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب حديث أبي موسى من طرق، وهو حديث صحيح رواه مسلم وأحمد وغيرهما على أن ربَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، تعالى الله وتنزه وتقدس أن يوصف بشيء من صفات النقص، ومن ذلك النوم.

---

(١) أثر عبد الله بن سلام من الإسرائيليات، وفي معناه نكارة، يُنزه نبي الله موسى عنها.

وقد قال عبد الله بن أحمد في «السنة» [١٠٢٨]: حَدَّثَنِي أَبِي، نا يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ، نا أَشْعَثُ، عَنْ جَعْفَرٍ يَعْنِي ابْنَ- أَبِي- الْـمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدٍ يَعْنِي ابْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أَيَنَامُ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: يَا مُوسَى خُذْ قَدَحَيْنِ زُجَاجَتَيْنِ فَامْلَأْهُمَا مَاءً فَصَلِّ، وَهُمَا فِي يَدَيْكَ فَانْظُرْ هَلْ يَثْبُتَانِ، فَقَامَ يُصَلِّي فَنَعَسَ فَانْكَسَرَتَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى لَوْ نِمْتُ لَضَاعَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

(٢) سبق تخريجه.

مذهب أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وما أثبته رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ثبت من سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا كما قرر السلف وقررنا غير مرة مبني على قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وعلى قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، إثبات صفات الكمال في هذه السورة وفي تلك الآية، ونفي صفات النقص عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وصفات النفي أو النقص المنفية عن الله ليس نفيًا محضًا كما يقول العلماء ومنهم ابن تيمية وابن القيم، وإنما هو نفي يتضمن كمالًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هذا النفي الذي ينفيه الله عن نفسه وينفيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ليس نفيًا محضًا، وإنما هو في نفس الوقت يتضمن كمالًا لله عَزَّ وَجَلَّ، فهنا في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إثبات الألوهية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده لا شريك له يشاركه في ذلك، وإثبات الحياة الكاملة لله عَزَّ وَجَلَّ التي لم تسبق بعدم ولا تنتهي، بل حياة أزلية أبدية تليق بجلاله.

والقيوم الغني عن عباده، والقائم بحاجاتهم ومتطلباتهم، قائم بأمر هذا الكون وتنظيمه وتدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يتضمن كمال حياته وقيوميته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا النفي يتضمن كمالًا دل عليه ما قبله وما بعده في هذه الآية وصف الله بالألوهية وأنه الحي القيوم وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا النفي يتضمن كمالًا لله عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] كمال عظيم لله عَزَّوَجَلَّ تضمنته هذه الآية، ولهذا وصفت بأنها أعظم آية في القرآن، فعن أُبَيِّ بن كَعْبٍ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ من كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قال: قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال يا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ من كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ قال: قلت: الله لَا إِلَهَ إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قال: فَضَرَبَ في صَدْرِي وقال: والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»**[1]، فقهها بنفسه وبتدبره وتأمله لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ حتى وصل إلى هذه النتيجة، وهي أن هذه الآية أعظم آية في القرآن الكريم.

وهكذا نفهم أن صفات النفي التي وردت في الكتاب والسنة لا لمجرد النفي، وإنما لأنها تتضمن كمالًا؛ هنا نفى النوم لكمال حياته وقيوميته، ينفي عن نفسه العجز لكمال قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هنا جاء في الحديث حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»** يعني: أن النوم لا يليق بجلاله وعظمته وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن هذا نقص يتنزه عنه؛ لأنه سبحانه في غاية الكمال وغاية الحياة وغاية القيومية.

«ولكنه يخفض القسط ويرفعه» القسط العدل الميزان، أعمال العباد منهم من خفت موازينه، ومنهم من ترجح موازينه.

«يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار» لرقابته وهيمنته على هذا الكون، هو عليم بكل ما يجري في هذا الكون من أعمال من خير وشر ومن حوادث وما شاكل ذلك،

(١) أخرجه مسلم في «كتاب المسافرين» حديث [٨١٠].

ومن ذلك أعمال العباد خيرها وشرها يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، علمها في الأزل، وسجَّلها في كتاب مبين، وأوجدها في الوقت الذي حدده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

العباد يقومون بهذه الأعمال وتنسب إليهم، فما كان من خير فهو لهم، وما كان من شر فهو عليهم؛ كما في الحديث: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»(١).

فهو يعلم أعمال عباده، ومع ذلك كلَّف ملائكة بكتابة أعمال العباد خيرها وشرها يكتبونها، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(٢) يسألهم ربك وهو أعلم بذلك - لا شك - ولكن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يثبت أعمال عباده في لوح محفوظ، وفي كتابات الملائكة الذين قال عنهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠ - ١٢] يكتبون أعمال الخير وأعمال الشر، ومنهم ملائكة مُوَكَّلون بالأعمال الصالحة يأتون في الليل فيحصون ما عمله العباد من أعمال أفرادًا وجماعات، ويصعدون بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويخلفهم ملائكة النهار يكتبون ما حصل من أعمال في النهار ويصعدون بها إلى الله في الليل، يرفع إليه أعمال الليل قبل أعمال النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، هذا شأنه لأن هذا ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق هذا الكون ودبره ونظمه بالتشريعات الشرعية والتنظيمات الكونية التي دبرها ونظمها

(١) قطعة من حديث رواه مسلم في «البر والصلة» حديث [٢٥٧٧].

(٢) أخرجه البخاري في «مواقيت الصلاة» حديث [٥٥٥]، ومسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» حديث [٦٣٢].

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو يرعى هذا الكون بحيث لا يفوته ذرة مما في هذا الكون من الأقوال والأفعال والحركات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هيمنة الرب العظيم والسيطرة والعلم والاطلاع، وهذا يحفزنا أيها الأخوة على أن نخشى الله وأن نراقبه ونقوم بالواجبات ونترك المحرمات ونقوم بالمستحبات والمندوبات والتطوعات، ونتجنب حتى المكروهات وحتى فضول المباحات، نتقرب إلى هذا الرب العظيم، ولا نحصي ثناء عليه، مهما عملنا من أعمال، وفي الحديث: «**وإنه لن يُدخل الجنة أحدًا منكم عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل**»[1]، فنقوم بهذه الأعمال المشروعة من أداء الطاعات واجباتها ومندوباتها واجتناب المنهيات محرماتها وعلى رأسها الكبائر، ومكروهاتها حتى فضول المباحات ينبغي أن يتجنبها المسلم؛ لأنها تؤدي إلى الدخول في المكروهات، والدخول في المكروهات يؤدي إلى الوقوع في المحرمات.

الشاهد: علينا أن نعلم أن علينا ربًّا رقيبًا، وأن علينا ملائكة كرامًا شهودًا يكتبون ما نعمل به ويرفع إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ١١٥].

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» هذا دليل على عظمة الله التي يعجز عن إدراكها الخلائق، فلا يعلم كمال الله وعظمته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويخبرنا بما شاء من ذلك ويخفي عنا ما شاء، أخبرنا عن عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أخبرنا عن نفسه وأخبرنا عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه: «**لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل**

---

(١) سبق تخريجه.

قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» هذا يدل على عظمة الله، الكون لا يطيق نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لو كشف هذا الحجاب هلك الكون كله، واحترق هذا الكون كله، الله نور، وحجابه النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

سبحات الوجه هنا: نوره وضياؤه وبهاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله جميل عظيم كبير أكبر من كل شيء، الكون كله في قبضته ويتلاشى أمام عظمته، ولو كشف الحجاب عن وجهه لانتهى هذا الكون، ولكن برحمته وحكمته جعل هذا الحجاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد يقول قائل: كيف نستطيع رؤيته يوم القيامة؟ نقول: إن الله يخلق فينا القدرة على رؤيته، وهذا الكون لا يتحمل أن يرى نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أو أن يفيض نور الله عليه لا يطيق، وهذا المؤمن الضعيف بإيمانه يخلق الله فيه قوة جزاء له فيتمكن من النظر إلى وجه الله الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله لا يعجزه شيء الآن، ركّبنا وركّب هذا الكون على هيئة لا تتحمل ولا تطيق نور الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، سبحات وجهه نوره وضياؤه لا يتحمله هذا الكون، سرّح عقلك لتدرك شيئًا من عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيدفعك ذلك إلى خوفه وحبه في نفس الوقت وتعظيمه وإجلاله.

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يخبرنا مجرد خبر، إنما يخبرنا لنتفقه ونتدبر ونستفيد من هذه النصوص، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبرنا هنا عن عظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إذا تصورنا أن هذا الكون، لو كشف الله حجابه لهلك بنور وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا من عظمة الله التي لا يدركها العقل والخيال، وإنما نستفيد منه ما تدركه عقولنا فتعالى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سبحانه وتعالى عما يشركون، سبحانه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، أكثر البشر ما قدروا

الله حق قدره، ولا عظَّموه حق تعظيمه، فاتخذوا معه أندادًا، تعالى الله عن ذلك، وادَّعوا أن له ولدًا، وأن له بنات، ولهذا قال سُبْحَانَهُ: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٨٩ - ٩٣]، الكون يكاد كله يتفطر وينشق ويندك من هذه المقولة الإجرامية؛ القول بأن لله ولدًا تعالى الله عن ذلك، كما قال النصارى في عيسى، وكما قال اليهود في عزير، وكما قال العرب الوثنيون في الملائكة إنهم بنات الله، وكما يدعي البوذيون والهنادك أن بوذا ابن الله، تعالى الله عما يقول الجميع علوًّا كبيرًا، وقالوا هذه المقولة التي يكاد الكون أن يندك من التفوُّه بها؛ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، هؤلاء ما عرفوا عظمة الله، ما عرفوا شيئًا من جلاله وعظمته، الشيطان استحوذ عليهم وأملى عليهم الكفر، ومن ذلك هذه الدعاوى الخبيثة التي يتنزه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منها، والكون يكاد أن يندك منها؛ السموات والأرض والجبال.

الحديث كرره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مرات، والمعنى ما قلنا به، وما رواه عن عبد الله ابن سلام فهو من الإسرائيليات، ويغنينا عنه ما تضمنه القرآن والسنة، وذلك شيء كثير يغنينا عن هذا، والظاهر أنه لا يثبت. والله أعلم.



الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: أشكل علي هذا الحديث: «حجابه النور» كيف يضيف الله الحجاب لنفسه، وهو مخلوق أي الحجاب.

جواب: أضاف إليه الناقة، أضاف إليه البيت، أضاف إليه أشياء، كيف تستغرب، ما مرت عليك هذه الأشياء، غفر الله لك، ناقة الله، بيت الله، عباد الله.

فالله يضيف هذه المخلوقات إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إشارة إلى شرفها، هذه الإضافة يسمونها إضافة تشريف، وقد قلنا لكم في مرة سابقة أو مرات: إن المضاف إلى الله إن كان عينًا؛ مثل الحجاب، ومثل الناقة، ومثل البيت، وما شاكل ذلك، والعباد، والخلق، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١] **يعني**: السموات والأرض هذا خلق الله، وإذا كان المضاف معنى من المعاني مثل العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وسبحات الوجه هذه، فهذه إضافة صفة إلى موصوف يعني إضافة صفات الله جَلَّ وَعَلَا إلى ذاته المقدسة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فليس بغريب أن يضيف الله بعض المخلوقات إلى نفسه بيانًا لشرفها ومكانتها عند الله.

فناقة صالح آية من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ خلقها من صخرة، وهي آية عظيمة عجيبة تضاف إلى الله إضافة تشريف.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: جاء في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم[1] لفظ اليد مثناة، والمقصود بها القوة، فما وجه ذلك مع كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ؟

جواب: أين جاء لفظ مثناة، والمراد بها القوة؟!.

---

(١) رواه مسلم في «الفتن وأشراط الساعة»، حديث [٢٩٣٧].

فـالله بـيَّن في كتابه أنَّ لـه يدين، قـال لإبليـس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تَعَالَىٰ ردًّا على اليهود لما قالوا: يد الله مغلولة، فقال تَعَالَىٰ: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، ورسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصـف ربـه بـأن له يديـن في غـير ما حديث صحيح، وقد سـبق الرد عـلى الجهمية وأتباعهـم الذين يؤولون اليدين بالنعمة، وتقدَّم بطلان قولهم.

سؤال: يقول السائل: حفظكم الله؛ كيف نتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بعلم الجرح والتعديل الذي هو من أشرف العلوم؟

جواب: إذا وصلت إلى هذه المرتبة من العلم والورع والزهد والإخلاص لوجه الله، فإنـك سـتعلم كيـف تتقرب إلى الله بذلـك، وأنك تحمي بذلك الديـن، فعلم الجرح والتعديـل علـم عظيـم، ولا يتصدى له إلا أفراد مـن الناس، حتى كثير مـن كبار حفاظ الحديث ما عدَّهم العلماء في علماء الجرح والتعديل، وأنا أقول لكم: إني لسـت من علماء الجرح والتعديل، وأنصح الإخوان بترك الغلوِّ، فأنا ناقد؛ نقدت عددًا من الناس معيَّنين في أخطائهـم، فطوَّرهـا النـاس، فأنا أبـرأ إلى الله من الغلـو، لا تقولوا: الشـيخ ربيع إمام الجـرح والتعديل، أبدًا، أُشـهد الله أني أكره هـذا الكلام، اتركوا هـذه المبالغات يا إخوة، والله أنا من زمان إني بفطرتي أكره هذه الأشـياء، وإني عندما أقف على مثل قولهم عن ابن خزيمـة: إمام الأئمة، وهـو إمام والله عظيم، لكن إمام الأئمة أراهـا ثقيلة والله، وألقاب دخلـت على المسـلمين، انظر أقـوال الصحابة: قال عمر، قال عثمان، قـال علي، قال كذا، فمن نحن أمامهم؟ اتركوا هذه التهاويل، والذي عنده علم ويعرف منهج السلف وينتقد فعلـماء الجرح والتعديل بينوا لنا أحوال الرجال الكذابين والمتروكين والمبتدعين وسـيئي الحفظ والواهين والثقات والعدول والحفاظ... نحن نُقَّاد، أنا ناقد ضعيف، أنتقد أخطاء سـكت عنهـا غيري أو غفل عنها، فطبعًا اتركوا هذه الأشـياء والـذي عنده علم ويعرف

منهج السلف ويرى هناك بدعًا واضحة أمامه عليه أن يبيِّنها لوجه الله، نصيحة لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحمايةً لهذا الدين، يأتي المبتدع يشوه الدين ببدعته ويتكلم عن الله بغير علم وينشر ضلاله باسم الدين سواء كان خطؤه في العقيدة أو في العبادة أو في المنهج أو في السياسة أو في الاقتصاد أو في شيء من الأشياء، الآن المبالغات والتهاويل تنتشر حتى وصل ببعضهم إلى درجة الروافض والصوفية في الغلو، ونحن نبرأ إلى الله من هذا الغلو، فاسلكوا منهج السلف في الوسطية والاعتدل وإنزال الناس منازلهم بدون أي شيء من الغلو، بارك الله فيكم.

فنحن الآن في الساحة طلاب علم انتقدنا بعض الأخطاء عندنا شيء من المعرفة، فأوصيكم يا إخوة أن تسيروا في طريق السلف الصالح تعلُّمًا وأخلاقًا ودعوة، لا تشدد، لا غلو، دعوة يرافقها الحلم والرحمة والأخلاق العالية -والله- تنتشر الدعوة السلفية بهذه الأساليب الطيبة، أقول: بعض الناس ينتمون ظلمًا إلى هذا المنهج، برزوا بأساليب وأخلاق رديئة، ومنها ضرب السلفية باسم السلفية، فشوهوا الدعوة السلفية بهذه الطريقة، فأنا أنصح الشباب أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يتعلم العلم النافع، وأن يعمل العمل الصالح، وأن يدعو الناس بالعلم والحكمة.

يا إخوة مواقع الإنترنت زفت الآن تلك الأساليب القبيحة والمليئة بالظلم وباسم السلفية، فجعلت الناس من أهل الأهواء يسخرون بمن يسمون بالسلفيين، يسخرون منهم ويصفقون فرحًا بهذه الأعمال، فأنصح هؤلاء بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ واستخدام الطرق والأساليب الشريفة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقول لهم: الذي تعلَّم منكم وفهم التفسير يقدم للناس مقالات في التفسير، آيات تتعلق بالأحكام، آيات تتعلق بالأخلاق، آيات تتعلق بالعقائد، ويشغل الناس بشيء ينفعهم؛ هذه دعوة، والذي يتمكن في الحديث ينشر مقالات في معاني الحديث وما يتضمنه من أحكام ومن

حلال ومن حرام ومن أخلاق... املؤوا الدنيا علمًا، الناس بحاجة إلى هذا العلم، هذه المهاترات تشوه المنهج السلفي وتنفر الناس منه، واتركوا المهاترات سواء على الإنترنت أو في أي مجال من المجالات في أي بلد من البلدان، قدِّموا للناس العلم النافع، والجدال لا تدخلوا فيه مع الناس ولا مع أنفسكم، وقد قرأتم في هذا الكتاب أن السلف كانوا ينفِّرون من المناظرات، لا تناظر إلا في حال الضرورة، ولا يناظر إلا عالم يستطيع أن يقمع أهل البدع، ولا تدخلوا في خصومات بعضكم البعض، وإذا حصل شيء من الخطأ فردوه إلى أهل العلم، لا تدخلوا في متاهات وصراعات؛ لأن هذا ضيَّع الدعوة السلفية وأضرّ بها أضرارًا بالغة ما شهدت مثله في «تأريخ أهل السنة»، وساعدت هذه الوسائل الإجرامية الإنترنت الشيطاني ساعد على هذه المشاكل، كل من حكه رأسه وضع بلاءه في الإنترنت، اتركوا هذه الأشياء، تكلموا بعلم يشرفكم ويشرف دعوتكم، والذي ما عنده علم لا يكتب للناس لا في إنترنت ولا في غيره، وابتعدوا عن الأحقاد والضغائن، وإلا والله ستميتون هذه الدعوة، وأرجو أن لا يكون فيكم أحد ممن شارك في هذا البلاء، أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على السنة.

اسمعوا يا إخوة! من عنده علم وأحكمه فليكتب في الأنترنت ما ينفع الناس في التفسير، وهو واسع يتضمن عقائد وأخلاقًا وأحكامًا ووعدًا ووعيدًا وحلالًا وحرامًا، والتفسير كذلك بحر والله تغرفون من بحر، خذوا الأحاديث -عندكم- واشرحوها، استعينوا عليها بشروح العلماء شرحًا متقنًا وأنزلوها للناس، في العقيدة، في العبادة، في الأخلاق، بأسلوب حكيم هادئ ينفع الناس، والله ترون السلفية كيف تتطور، وكيف تنمو، وكيف تضيء الدنيا منها، أما الآن تُظلِم السلفية بارك الله فيكم بهذه الطرق، أنصحكم بترك الجدال والخصومة على الأنترنت وفي الساحات أيضًا أنصحكم بهذا، والذي عنده علم يتكلم بعلم، يكتب بعلم، يدعو بعلم، يدعو بالحجة والبرهان،

واجتنبوا الخلاف وأسباب الفرقة لا تثيروها بينكم، وإذا حصل من الإنسان خطأ يعرض على العلماء ليعالجوه، بارك الله فيكم وسدد خطاكم وألف بين قلوبكم.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: كيف فهم السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ قوله تَعَالَى: ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦].

جواب: هنا ليس بمعنى الجنب الذي مع الإنسان، تعالى الله عن ذلك، وإنما في حق الله، هذه من شبهات الجهمية التي يواجهون بها أهل السنة[١]، فالسياق هنا في تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعظيم حقه وقدره، فالعرب تقول: كذا في جنب فلان يعني في حقه؛ أرى الشبهات تقذف الليلة، لا تطرح هذه الأسئلة.

اتركوا الشبهات يا إخوة، تعلَّموا العلم النافع.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: رؤية الله يوم القيامة هل هي خاصة بالمؤمنين أم المؤمنين والمنافقين أو الجميع حتى الكفار، وما معنى قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيأتيهم في غير الصورة التي رأوها أول مرة»[٢]؟

جواب: قلت لكم: هذه من الشبه التي يقذف بها الجهمية؛ الكفار والمؤمنون والمنافقون يرون الله عَزَّوَجَلَّ في عرصات يوم القيامة، ورؤية المؤمنين لله رؤية تكريم في أي مقام، ورؤية الكافرين لله رؤية إهانة وتوبيخ، وينفرد المؤمنون في الجنة لا يشاركهم المنافقون ولا الكفار.

---

(١) انظر: «نقض الدارمي على المريسي» (٢/ ٨٠٧)، وراجع «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٤٦١-٤٧٢).

(٢) جزء من حديث الشفاعة الطويل من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين: البخاري - في كتاب «الرقاق»، باب: «الصراط جسر جهنم» [٦٥٧٣]، ومسلم في كتاب «الإيمان»، بَاب: «مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ» [٢٦٧]، ومن رواية أبي سعيد الخدري كذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سؤال: هذا سائل يقول: أنا مبتدئ في طلب العلم، وليس لي اطلاع على المنهج، وأريد أن أتعلم منهاج أهل السنة والجماعة، ونرجو منكم بارك الله فيكم أن ترشدونا إلى الكتب التي ينبغي لنا أن نطلب منها العلم.

جواب: أقول: أرشدك أولًا: توجَّه إلى العلماء من أهل السنة وخذ منهم، والعلماء موجودون عندك قبل كل شيء ولا تكن صحفيًا، ولا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي ما دام في الساحة علماء سنة، فتعلم منهم سواء كانوا علماء أقوياء أو ضعفاء، خذ منهم الذي تجده ولا تحتقرن أحدًا يطرح العلم لا سيما من تصدى لذلك؛ لأن بعض الناس تأخذه الأنفة والكبر والغرور فيترك العلماء، يرى أنه فوقهم ويذهب إلى الكتب، فيأتي للأمة بالدواهي والطوام مثل ما حصل للحداد وأمثاله، هؤلاء المغرورون والله ما يكونون إلا بلاء على الأمة، والآن الذين تراهم يهاترون في الساحة ما هم إلا من هذه الأنماط، ما أخذوا العلم عن العلماء ولا الأخلاق ولا الأدب ولا شيئًا، وخرجوا على الناس بغاية الشراسة وسوء الأخلاق، فأفسدوا ودمروا، فتعلَّموا، اقرؤوا أولًا في كتب الأخلاق عندكم والآداب، أكثروا من القراءة فيها -والله-، «أخلاق العلماء» للخطيب البغدادي، «أخلاق العلماء» للآجري، و«أخلاق حملة القرآن» له، اقرؤوه وتعلموا الأخلاق منه، ومن السنة من أخلاق الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تعلموا هذا الشيء العظيم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١)، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث متممًا لمكارم الأخلاق، لا تستهينوا بالأخلاق يا إخوة! فإنكم إذا استهنتم بها ضيعتم دعوتكم، ومن هذه الأخلاق والآداب أن تتعلم على العلماء الموجودين وتستفيد منهم،

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٢٧٣]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. ورواه مالك بلاغًا بلفظ: «**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**»، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في «التمهيد» (٢٤/ ٣٣٣): «هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره».

ولـو رأيت نفسـك مثـل إياس في الـذكاء؛ لأن الشـيطان يريـك أنك ذكـي، وأن العلماء ما عندهم ذكاء ولا علم، ما شاء الله أنت أذكى منهم وأعلم؛ لا.

يحيى بن يحيى قـرأ الموطأ على مالـك وفرغ منـه ولم يغادر المدينة، استغرب مالك ذلـك منـه، الناس يأخذون الموطأ ويسـافرون وهو بقـي، لماذا؟ يحيى بن يحيـى يقول فيه أحمد ابن حنبل: ما رأى مثل نفسـه[(١)]؛ كان عاقلاً متواضعًا، ما قال: اسـتغنيت وأرجع، قال له مالك: لماذا جلسـت؟ قال: جلسـت أتعلم أخلاقك[(٢)]، يتعلم أخلاق مالك؛ لأن مالـكًا كان إمامًا عظيمًا متمكنًا في العلم وفي الأخلاق، فأراد هذا أن يتعلم منه الأخلاق، فاطلبـوا الشـيوخ المتواضعين، خذوا منهـم الأخلاق، وخذوا من كتـب العلماء لا مانع، لكن لا بد أن تسـأل عن بعض المشـاكل تسـأل فيها العلماء، واقرؤوا في كتب الأخلاق؛ كتب الأخلاق التي ألفها أهل الحديث وأهل السنة.

وأخـيرًا لا أقـول هـذا الكلام لأحـول بينك وبين الكتـب، فإذا كنـت طالب علم بحق واحترمت العلماء، فعليك بكتب السـنة وعلى رأسـها الصحيحان وكتب «التفسـير السـلفي» ومنها «تفسير ابن جرير وابن كثير وتفسـير البغوي وتفسير السعدي»، وكتب «العقائـد» ومنهـا «أصـول السـنة» للإمام أحمد، و«السـنة» لعبـد الله بن أحمد، و«السـنة للخـلال»، و«الشريعـة» للآجري، و«شرح اعتقاد أهل السـنة» للالكائي، وكتب شـيخ الإسـلام ابن تيمية، وكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومنها كتاب «التوحيد» وكتب أبنائه وأحفاده... إلخ.



(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٥١٣).
(٢) «ترتيب المدارك للقاضي» عياض (١/ ٥٣-٥٤ و٦٧-٦٨) الكتب العلمية، ط: [١].

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله المحمود على كل حال وصلى الله على النبي وآله وسلم.

باب ٦١
التحذير من مذاهب أقوام يُكذِّبون بشرائع مما يجب على المسلمين التصديق بها

٧٦٥- قال: حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسين الحراني قال: حدثنا علي ابن الجعد قال: أخبرنا مبارك بن فضالة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران قال: خطبنا ابن عباس بالبصرة فقال: قام فينا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: «أيها الناس إنه سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا».

٧٦٦- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، وجرير بن عبد الحميد، عن أشعث، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

....

«سيكون بعدنا قوم يكذبون بالرجم: ويكذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بقوم يخرجون من النار»(١).

٧٦٧- حدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا جرير، عن أشعث بن سوار، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورجم أبو بكر، ورجمت أنا، وسيجيء قوم يكذبون بالرجم، وبالحوض، وبالشفاعة، وبعذاب القبر، وبقوم يخرجون من النار»(٢).

٧٦٨- وحدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا إسحاق بن منصور الكوسج قال: أخبرنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: خطب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «أيها الناس، إن الرجم حق فلا تخدعن عنه، وإن آية ذلك: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجم، وأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجم، وأنا قد رجمنا، وإنه سيكون قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا»(٣).

طرق حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدارها على علي بن زيد بن جدعان، وهو سيئ الحفظ.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٣٤٣] عن عبد الله بن إدريس به نحوه.

(٢) رواه هناد في «الزهد» [١٩١] عن أشعث به مختصرًا.

(٣) رواه أبو يعلى [١٤٦]، واللالكائي [٢٠٨٣]، والبيهقي في «البعث والنشور» [١٥٩] من طريق حماد ابن سلمة به نحوه.

ورواه عبد الرزاق (٣/ ٥٨٧)، والطيالسي في «مسنده» [٢٥]، وأحمد في «مسنده» (١٥٦-الرسالة) والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧٥١-البغية)، والمروزي في «السنة» [٣٥٤]، واللالكائي [٢٠٨٤] من طرق أخرى عن علي بن زيد به.

وما يخص الرجم، فقد رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٢٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٦)، والترمذي في «الحدود» حديث [١٤٣١]، كلهم عن سعيد بن المسيب عن عمر، وقال الترمذي عقبه: «وفي الباب عن علي».

حديث عمر حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن عمر.

ثم روى الترمذي مسألة الرجم برقم: [١٤٣٢] بإسناد صحيح إلى ابن عباس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا أمر ثابت، وسيأتي إن شاء الله.

وما ذكر من الأمور في حديث عمر بعد الرجم، فالواقع يصدق حدوثها، فإن كثيرًا من أهل البدع يكذبون بها.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد ظهر في هذه الأمة جميعُ ما قاله عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فينبغي للعقلاء من الناس أن يحذروا ممن مذهبه التكذيب بما قاله عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وسنذكر في كل خصلة مما ذكرها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سننًا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبين أن الإيمان بها واجب، فمن لم يؤمن بها، ويصدق بها ضل عن طريق الحق، وقد صان الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين العقلاء العلماء عن التكذيب بما ذكرناه.

فأما الرجم: فقد رجم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يختلف أهل العلم في ذلك، أنه رجم ماعز بن مالك حين اعترف عنده بالزنا، ورجم النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة غامدية اعترفت عنده بالزنا فرجمها، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنيس رجل من أصحابه، وقد ذكر له رجل: أن امرأته زنت في قصة له طويلة، فقال: «**يا أنيس، اغد على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**»، فاعترفت فرجمها. وقد رجم النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهوديين زنيا، وقد رجم أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد رجم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شراحة، وكانت قد زنت وهي ثيب، فجلدها يوم الجمعة، ورجمها يوم السبت وقال: «جلدتها بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ورجمتها بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

....

(١) رواه أحمد (١/ ١١٦، ١٤٠، ١٤١، ١٥٣-الميمنية)، والبغوي في «الجعديات» [٤٩٠]، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٤٠)، والدارقطني (٣/ برقم١٣٦-١٣٩)، والحاكم [٨٠٨٧] وصحح إسناده، والبيهقي (٨/ ٢٢٠). ولفظه عند الحاكم: «عن إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ وَسُئِلَ: هَلْ رَأَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، قِيلَ: فَهَلْ تَذْكُرُ عَنْهُ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ أَذْكُرُ أَنَّهُ جَلَدَ شُرَاحَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَرَجَمَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «جَلَدْتُهَا بِكِتَابِ اللهِ، وَرَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وأصل القصة رواها البخاري في «صحيحه»: كتاب «الحدود»، حديث [٦٨١٢] مختصرة.

وهذا، فعند فقهاء المسلمين لا يختلفون أن على الثيب الزاني، إذا شهد عليه، أو اعترف بالزنا: الرجم رجلًا كان أو امرأة، وعلى البكر الجلد، لا يختلف في هذا العلماء، فاعلموا ذلك.

فقال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: باب التحذير من مذاهب أقوام يكذبون بشرائع مما يجب على المسلمين التصديق بها.

يجب عليهم التصديق بها ويجب تطبيقها، على المسلمين جميعًا أن يصدقوا بها وما كان عمليًّا منها يجب تطبيقه كالرجم، وساق هذا الحديث المنسوب إلى ابن عباس من طرق مدارها على علي بن زيد بن جدعان(١) ويوسف بن مهران (٢) وكلاهما ضعيف.

الخوارج والمعتزلة وأهل البدع أنكروا هذه الأمور؛ منها إنكار الحوض وإنكار الشفاعة وخروج الدجال، هذه فعلًا أنكروها، لكن الحديث لا يثبت عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه إلا قضية الرجم؛ فإنه كما في الحديث عن ابن عباس الثابت في الصحيحين والأمهات الأربع وغيرها(٣) أن عمر بن الخطاب خطب فقال: «إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكان مما أُنزل عليه آية الرجم، فحفظناها ووعيناها وعقلناها، ورجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورجمنا بعده، وإني أخشى أن يأتي قائل فيقول: لا نجد الرجم في كتاب الله فيَضلُّوا بترك آية أنزلها الله، وإن الرجم حق في كتاب الله إذا زنى الرجل أو المرأة وكان محصنًا وقامت البينة أو كان الاعتراف أو كان الحبل».

(١) انظر: «الميزان» للذهبي (٣/ ١٢٧-١٢٩).

(٢) انظر: «الميزان» للذهبي (٤/ ٤٧٤).

(٣) رواه البخاري في «المحاربين»، حديث (٦٨٢٩، ٦٨٣٠)، ومسلم في «الحدود»، حديث [١٦٩١]، وأبو داود في «الحدود»، حديث [٤٤١٨]، والنسائي في «الكبرى»: في كتاب «الرجم» (٤/ ٢٧٣-٢٧٦)، والترمذي في «الحدود»، حديث [١٤٣٢]، وابن ماجه في «الحدود»، حديث [٢٥٥٣]، ومالك في «الموطأ في الحدود»، حديث [١٥٠٤]، وأحمد (٢٩، ٤٠، ٥٥). من رواية ابن عباس عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فـإذا زنى الرجل المحصـن أو المرأة المحصنة فحكمهـا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الرجم، والرجم أنكره الخوارج، ومع الأسف لم يعمل به في هذه العصور كثير من الحكام؛ حكام المسـلمين فلا رجـم ولا جلد ولا إقامة للحدود التي شرعهـا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد وضعوا مـن القوانـين ما يمنع إقامة هذه الحدود مع الأسـف الشـديد، ولله الحمـد في هذه البلاد يطبِّقون هذه الحدود وقد شـاهدنا وسمعنا وقرأنا هذه الأمور -ولله الحمد-، ونسأل الله أن يحفظ هذه البلاد وأن يحفظ عليها دينها، وأن يثبتها على شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، ونسأل الله أن يهدي المسلمين شعوبًا وحكامًا للالتزام بكتاب ربهم وسنة نبيهم، وأن يوفقهم للاعتصام بهما، فإنه -والله- لا مخرج للمسـلمين مما هم فيه من ذل وهوان وتسـلط أعداء الإسـلام عليهـم لا مخـرج لهـم إلا بالعودة إلى كتاب الله وسـنة رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتصام بهـا، فـإن أعـداء الله يبذلون الجهـود الطائلـة ويبذلـون المليـارات لنـشر الديموقراطية ونـشر الضـلالات الغربيـة والانتخابـات والتعدديـة الحزبيـة... ليُضِلُّوا المسـلمين ويخرجوهم عن دينهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠].

فعلى الشـباب السـلفي أن يتآخوا فيما بينهـم وأن يتعاونوا على الـبر والتقوى، وأن يدركـوا حاجـة الأمة إلى علماء ربانيين ينشرون دين الله الحق ويبثونه في الأمة، لعل الله أن يهديهم فيعودوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما الجماعات الإسـلامية وعلى رأسـهم الإخوان المسـلمون فإنهم الآن يدورون في فلـك أمريـكا، وينفذون مخططاتها ويهتفون بشـعاراتها، وأمور كانوا يكفـرون بها واليوم أصبحـوا ينـادون بها ويرفعـون رايتها؛ إذن لم يبـق في الميدان إلا الدعوة السـلفية وأهلها المخلصون، فعليهم أن يدركوا خطورة هذه الأوضاع، وأن يبتعدوا عن أسباب الخلافات،

وأن يقبلوا على كتاب الله والعلم الشرعي؛ يدرسونها دراسة الواعين، ويدعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويرفعون راية السنة، وإن الطريقة التي عليها الشباب الآن لا تغني شيئًا بل تضر، فعلى الشباب الصبر والحكمة والتآخي على الحق والتعاون على البر والتقوى في نشر هذا الحق الذي هداهم الله إليه، وإن الشيطان ليركض بين الشباب السلفي بالخلافات التافهة، ويبث فيهم بعض التعصبات العمياء التي هي تعصبات الحزبيين تمامًا؛ لأن البيئة نفثت سمومها فتأثر بعض الشباب الذين لم يهضموا الدعوة السلفية، عليهم أن يدركوا الأخطار المحدقة بالمنهج السلفي، فوالله الآن الأحزاب كلها متجمعة ومن ورائهم دول الغرب لسحق الإسلام المتمثل في «الدعوة السلفية»، فهذه الأمور ما نواجهها بالقيل والقال فتضيع الدعوة ويضيع الشباب، اتركوا أولًا القيل والقال، اتركوا الطعن في الأشخاص السلفيين، اتركوا الأسباب المثيرة للخلافات، أنا أنصحكم بجد يا إخوان، وأنشدُكم الله أن ترحموا الدعوة السلفية وترحموا علماءها، فإنهم والله يعانون الويلات من هذه الأفاعيل، اتركوا هذه الأمور، وأقبلوا على العلم الشرعي، واحمدوا الله الذي وفقكم للسير في طريق السلف، فمن خطا منكم خطوات في طريق المنهج السلفي فليواصل تعلُّمًا وتطبيقًا وأخلاقًا، الظروف عصيبة جدًّا وكلها تهدف إلى سحق هذا المنهج، ومن أسباب هذا التكتل أن أناسًا ينتسبون إلى السلفية وهم من الإخوان المسلمين أو من القطبيين أو من الأحزاب الأخرى، فتراهم يذبحون أناسًا في الجزائر باسم السلفية ويدمرون المؤسسات والمنشآت والجامعات... باسم السلفية، وهذه من مكايد الأعداء أعداء هذا المنهج، فابرزوا بالسلفية الصادقة قولًا وعملًا وتعاونًا وبجهود متظافرة في نشر هذا الخير، فإن الناس لا تحتاج إلى شيء اليوم كما تحتاج إلى دين الله الحق الذي قام عليه هذا المنهج، يجب أن تعوا هذه الأمور كلها، وأن تفتحوا فيما بينكم صفحات جديدة، اتركوا

هذه الأشياء التي تدور في الساحة، وأعتقد أنه يشعلها ويؤجج نيرانها أهل الفتن الذين يدفعون الأغبياء الذين لا يدركون ما يُراد بهم ولا ما يراد بدعوتهم.

اشتغلوا الآن بالدعوة السلفية وبنشرها وتربية أنفسكم عليها وتربية الناس عليها ونشرها في العالم بكل شرف، اتركوا الناس يحبون هذه الدعوة؛ لأن هذه التفرقات والتمزقات والفتن والمشاكل بين الشباب نفرت الناس وشوهت الدعوة السلفية، فبارك الله فيكم أدركوا هذا، وبإمكانكم أن تتداركوا ما فات، بإمكانكم بكل سهولة أن تتداركوا، أنت لك حق على أخيك تنازل له لله عَزَّوَجَلَّ ولحماية هذه الدعوة.

الشاهد أن هذه الأمور ما ثبت منها إلا قضية الرجم، فعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خطب خطبة وقال: «إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكان مما أنزل آية الرجم... وإني أخشى ...»، ما قال: «سيكون»؛ فأظن كلمة «سيكون» خطأ من بعض الرواة، وهذه من أخطاء الرواة الذين تصدى السلف لبيان مكانتهم من العدالة والحفظ والضبط أو ما عندهم من خلل في العدالة أو الحفظ أو الضبط، وعلي بن زيد بن جدعان ويوسف ابن مهران من الضعفاء، فحصل لهم التركيبة هذه من غير تعمد؛ لأن بعض الناس يكون ضعيفًا في حفظه، فيقع في الباطل من حيث لا يدري، وينسب إلى الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو إلى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ما لم يكن، فالثابت في الأمهات الست قضية الرجم؛ في «مسند أحمد»، و«سنن ابن ماجه»، وفي «الموطأ»: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما**» نص الآية(١).

---

(١) «سنن ابن ماجه كتاب الحدود»، حديث [٢٥٥٣]، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٧٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٩٣٧١]، جميعًا من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب به. قال النسائي: «لا أعلم أن أحدا ذكر في هذا الحديث الشيخ =

وأما في الأمهات الست فاقتصر فيها على ذكر الرجم فقط، والخوف أن يأتي أناس ينكرونه وقد حصل هذا فعلًا، ومضمون هذه الآثار الضعيفة حصل، لكن ما نستطيع أن نقول: إن عمر قالها، لأن هذه الأسانيد ضعيفة، حصلت هذه البدع وحصل غيرها، الذي يجوز نسبته إلى عمر قضية الرجم، وما عداها فرواتها عندنا ضعفاء، الحديث ساقه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من عدد من الطرق وكلها مدارها على علي ابن زيد بن جدعان وعلى يوسف بن مهران وهما ضعيفان، وفي نفس الوقت خالفوا الروايات الثابتة في الصحيحين والأمهات المعروفة.

بعد ما ساق هذا الحديث من طرق علق رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «قد ظهر في هذه الأمة جميع ما قاله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فينبغي للعقلاء من الناس أن يحذروا ممن مذهبه التكذيب بما قاله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

ثم قال: «فأما الرجم فقد رجم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يختلف أهل العلم في ذلك، أنه رجم ماعزَ بنَ مالك حين اعترف عنده بالزنا»، وروايته في الصحيحين[1]:

= والشيخة فارجموهما البتة غير سفيان وينبغي أنه وهم. والله أعلم». وقد رواه مالك في «الموطأ في الحدود»، حديث [١٥٠٦] من طريق سعيد بن المسيب عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسياق آخر، وفيه ذكر الرجم والآية.

وجاء ذكر الآية عند أحمد (٥/ ١٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٧١)، وابن حبان (١٠/ ١٧٣، ١٧٤) رقم: (٤٤٢٨، ٤٤٢٩)، والحاكم (٢/ ٤٥٠) رقم: [٣٥٥٤]، و(٤/ ٤٠٠) رقم: [٨٠٦٨] من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، والدرامي (٢/ ٢٣٤) رقم: [٢٣٢٣]، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٠٠-٤٠١) رقم: (٨٠٧١ و٨٠٧٢) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) رواه البخاري في «الحدود» حديث [٦٨٢٤]، ومسلم في «الحدود» حديث [١٦٩٣]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ورواه البخاري حديث (٦٨٢٥، ٦٨٢٦)، ومسلم حديث [١٦٩١] عن أبي هريرة وجابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. =

«وقد رجم ﷺ امرأة غامدية»، وهذه الرواية فيها ثابتة[(١)] لا شك، واعترفت عنده بالزنا فرجمها. وقال لأنيس وروايته ثابتة في الصحيحين[(٢)]: «وقد ذكر له رجل أن امرأته زنت في قصة له طويلة»: أن رجلًا ذكر لبعض الصحابة أن زوجته زنت، زنا بها عسيف كان عنده وهو الأجير، فشاع هذا وعلم أبوه أبو العسيف أن ابنه قد زنى بامرأة هذا الرجل الذي استأجره، فافتدى ابنه بمائة شاة وجارية أي أمة، ثم سأل الناس بعد ذلك، فقالوا: ليس على ابنك إلا الجلد وتغريب عام، فجاء إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال زوج المرأة: يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله، فقال أبو العسيف وكان أفقههما يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي أن أتكلم، فأذن له رسول الله فتكلم، فقال: إن ابني كان عسيفًا على هذا الرجل فزنى بامرأته، فسألت الناس، سأل بعض الناس فأفتوه بغير علم، فقالوا: على ابنك الرجم، فافتديت ابني بمائة شاة ووليدة، ثم سألت أهل العلم، فقالوا: إنما على ابنك الجلد وتغريب عام، فقال رسول الله ﷺ: **«لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، واغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا»**. قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ فَرُجِمَتْ.

فقصة ماعز ثابتة، وقصة هذه المرأة ثابتة، وقصة اليهوديين ثابتة، وحاصلها أن يهوديًا زنى بيهودية، فحممه اليهود وأركبوه على حمار مقلوبًا وطافوا به في الشوارع، قيل لهم: ما هذا؟ قالوا: هذا حده -حد الزاني-، قال رسول الله ﷺ: **«أنشدكم**

=
ورواه مسلم الأحاديث (١٦٩٢، ١٦٩٤، ١٦٩٥).

(١) انظر: صحيح مسلم «كتاب الحدود» حديث (١٦٩٥، ١٦٩٦).

(٢) صحيح البخاري «الحدود» حديث [٦٨٤٢]، وصحيح مسلم «الحدود» حديث [١٦٩٧].

الله الذي بعث موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالتوراة، هل تجدون هذا في التوراة هكذا؟» قالوا: نعم. فأحضر عبد الله بن سلام، وقال: لا، الحد الرجم -الحد في التوراة الرجم-، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحضروا التوراة**»، فأحضروها فقام أحدهم يقرأ -وأظنه ابن صوريا- ولما وصل إلى آية الرجم وضع عليها يده، فقال عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارفع يدك، فإذا بآية الرجم تلوح فيها: المحصن إذا زنى يرجم، فأمر رسول الله برجمه، وقال: «**الحمد لله الذي أحيا بي سنته**»[1].

الشاهد: أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجم يهوديين زنيا، والله أمره إذا احتكم إليه أهل الكتاب أن يحكم بينهم بما أنزل الله، فحكم بينهم بما أنزل الله وهو الرجم الثابت في كتاب الله والثابت في كتابهم، وقد رجم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رجم عمر رضي الله، قول عمر كما في الصحيح قال: «رجم رسول الله فرجمنا بعده»، وقد رجم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شراحة وكانت قد زنت وهي ثيب، فجلدها يوم الجمعة ورجمها يوم السبت، الصواب أنه جلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة، هذا خطأ في متن الكتاب، لا ندري هل هو من المؤلف أو من غيره، لكن الصواب أن عليًّا جلدها يوم الخميس ورجمها يوم السبت، وقال: «جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ».

وهذا عند فقهاء المسلمين لا يختلفون على أن الثيب الزاني إذا شُهِد عليه أو اعترف بالزنا كما اعترفت مثلًا الغامدية واعترف ماعز؛ أما ماعز فجاء للنبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقال: يا رسول الله إني زنيت، فصرخ بها وهو في المسجد، إني زنيت فأقم علي الحد، فأعرض عنه رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فجاء من قبل وجهه، فقال: يا رسول الله إني

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: «الحدود» حديث [٦٨٤١]، و«صحيح مسلم»، كتاب: «الحدود» حديث (١٦٩٩، ١٧٠٠).

زنيت، فكررها أربع مرات، فقال: أبك جنون؟ قال: لا، قال: أحصنت؟ قال: نعم، اعترف أربع مرات، واعترف أنه محصن، فأمر به فرُجم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما أذلقته الحجارة فر، فلحقوه إلى الحرة يرجمونه حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه الغامدية لعنها خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين الرجم، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ**» **يعني:** فيه أن الزاني إذا تاب أو شارب الخمر أو مرتكب أي معصية إذا تاب إلى الله توبة نصوحًا، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يغفر له ويقبل توبته، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن لعنه، فلما لُعِنَتْ هذه المرأة قال: «**مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ**»، وفي رواية: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟**» شكرها على ذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وذب عنها.

الغامدية وماعز اعترفا بالزنا، واليهوديان ما أنكرا، والمرأة التي رجمها أنيس ما أنكرت، فإذا حصل الاعتراف أو قامت البينة، وغالبًا ما يحصل الرجم إلا بالاعتراف، يعني لا يوجد أحد في عهد الرسول ولا غيره شهد عليه أربعة لأنه إذا كان فيه شهود لا بد أن يكونوا أربعة، لا بد أن يشهد أربعة، ولا بد أن يشهدوا أنهم رأوا الميل في المكحلة، وهذا ما حصل، وإنما يحصل بالاعتراف، أو الحَبَل تحبل امرأة ليس لها زوج ولا سيد، هذه بينة؛ بينة أنها زنت، الحمل هذا من أين جاء ليس لها زوج وليس لها سيد إذا كانت أمة، إذن هذه بينة واضحة على أنها قد زنت، الاعتراف أو الحبل أو الشهود البينة.

وعلى غير المحصن البكر من الرجال والنساء إذا حصل منهم الزنا فعليهم الجلد والتغريب؛ الجلد مائة جلدة: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢]، وقد جلد رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد جلد بعض من زنى، ومنهم

رجل كان ضعيفًا جدًّا ووقع في الزنا، فطلب سوطًا، فجيء بسوط غليظ، فطلب شمراخًا فجلده[١]، جلده بهذا الشمراخ رحمةً به؛ لأنه لا يتحمل الجلد بالسوط الغليظ فيُقتل.

فالأمور التي ذكرها المؤلف ونُسبَت إلى عمر ضلت فيها هذه الفرق: منها الدجال، نجد الآن أناسًا من العقلانيين ينكرون خروج الدجال، منهم دعاة كبار، ويعتبرونهم الناس من كبار أئمة الإسلام وهم ينكرون خروج الدجال، والأحاديث فيه متواترة[٢]، وينكرون خروج الدابة، نعوذ بالله، وتختلف هذه الفرق في إنكار هذه المسائل التي ذكرها المصنف.

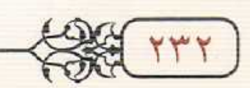
ونسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفق المسلمين للعودة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم وأن يوفق الشباب السلفي أن ينشروا هذا النور وهذا الخير الذي إن شاء الله يتم ويتحقق، ولا بد له من مقدمات وهو التعاون والتآخي فيما بينهم وإدراك حاجة الناس إلى هذا المنهج، أسأل الله أن يؤلف بين قلوبهم ويثبتهم على الحق وأن ينفع بهم وأن يجنبهم مكايد أعدائهم.

إنَّ ربنا سميع الدعاء،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رواه أبو داود في «الحدود» حديث [٤٤٧٢].

(٢) انظر: «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» للكتاني ص: (٢٢٨-٢٢٩).



الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ورد عن السلف كثيرًا ما يقولون: لو حلفت بين الركن والمقام، فهل ورد مزية للحلف في هذا المكان؟

جواب: الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحلِّف الناس في مسجده ومكة أفضل؛ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فالذي يحلف كاذبًا في بلد الحرام وعند الكعبة فهذا معرض لسخط الله وللانتقام -عياذًا بالله من ذلك-.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: هل يجمع بين الجمعة والعصر؟

جواب: الظاهر لا مانع من ذلك.

إذا كان مسافرًا وحضر الجمعة مع المسلمين وصلاها معهم فله أن يجمع إليها العصر؛ لأن صلاة الجمعة تقوم مقام صلاة الظهر، ثم إن الجمع إنما رخص فيه للمسافر وغيره لمظنة المشقة ورفع الحرج عنه، وهذه المظنة حاصلة لهذا المسافر.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ما هو الثابت الصحيح عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العشر الأولى من ذي الحجة من تكبير وتهليل وصيام وغيرها ما هي أوقاتها؟

جواب: الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص على أن أفضل العمل هو العمل في أيام العشر من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغيره[1]، نص على فضل هذه العشر، ويقول المفسرون:

---

(١) روى البخاري في «الجمعة» حديث [٩٦٩]، وأبو داود في «الصوم» حديث [٢٤٣٨]، والترمذي في «الصوم» حديث [٧٥٧]، وابن ماجه في «الصيام» حديث [١٧٢٧]، عن ابن عباس قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» اللفظ لأبي داود. قال الترمذي: «وَفِي البَابِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ،

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١ - ٢] يراد بها عشر ذي الحجة(١)، فلها فضيلة كبيرة، وهي تدخل في الأشهر الحرم التي يجب أن يجتنب فيها العبد المعاصي وأن يستكثر من الخيرات؛ العشر الأوائل هذه منصوص عليها، وأن العمل فيها خير من الأعمال في أيِّ وقت آخر، حتى أنه فُضل على الجهاد؛ والأعمال تشمل الصلاة والصوم والصدقة والبر والإحسان وصلة الأرحام... فيستكثر من الخير في كل الميادين ومنها الصيام، ولا سيما اليوم التاسع، فإنه يكفر ذنوب السنة الماضية والمستقبلة، إلا إذا كان حاجًّا فالأفضل في حقه أن يتفرغ للدعاء ولا يصوم يوم عرفة، والرسول ﷺ أفطر يوم عرفة، وكان أصحابه مفطرون، والهدف من ذلك هو أن يتفرغوا للدعاء؛ لأن الدعاء والذكر في هذا اليوم مطلوب جدًّا.

وفي هذه العشر ينبغي للمسلمين أن يكثروا فيها من التكبير، فقد كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان فيها إلى الأسواق فيكبران فيكبر الناس بتكبيرهما(٢).

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: رجل طلق زوجته ثلاث طلقات، ثم وقع بها، هل يحد حد الزاني المحصن أم يجلد؟

= وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرٍ».

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩٠): «المراد بها عشر ذي الحجة. كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف»، واختاره رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ذكره البخاري عنهما في «صحيحه» هكذا معلقًا: كتاب: «العيدين» (٢/ ٤٥٨ - فتح الباري)، ووصله الفاكهي في «أخبار مكة» [١٧٠٤] قال: حدثني إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: ثنا سَلَّامُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو الْمُنْذِرِ الْقَارِئُ، قَالَ: ثنا حُمَيْدٌ الْأَعْرَجُ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فذكره. وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات، إلا سلامًا أبا المنذر، قال فيه في «التقريب»: صدوق يهم.

وأخرجه أيضًا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر في كتاب «الشافي»، وأبو بكر المروزي في كتاب: «العيدين»: كلاهما من طريق عفان به. كما في «التحجيل في تخريج ما لم يخرج في إرواء الغليل» ص: [٧٥].

جواب: هـذا فيه تفصيل: إن طلقهـا ثلاثًا بلفظ واحد، بأن قـال لها: أنت طالق ثلاثًـا، فالجمهـور على أن هذا الطلاق يقـع، وعليه فإنه يقام عليه حد الزنا؛ لأنها ليسـت زوجته.

وهناك قول لبعض العلماء ومنهم شـيخ الإسـلام ابن تيمية أن طلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع.

فإن كان هذا المطلِّق يعتقد هذا المذهب فهذه شـبهة تدرأ عنه الحد، والله أعلم، وأنا أقول بقول الجمهور.

سؤال: شـيخنا؛ يقول السـائل: يوم عرفة يوافق يوم السـبت هـذه السنة، هل يصوم غير الحاج أم لا للنهي في ذلك.

جواب: نعم يصومه ويصـوم ما قبله، أما ما بعده فبعـده العيد وهو منهي عنه، إذا أراد أن يصـوم السـبت فيصـوم قبله الجمعة ويصوم السـبت فلا مانـع من ذلك؛ لأن الراجح هو تحريم الإفراد، فلا تخصن الجمعة بصيام ولا قيام، ولا تخصن السبت بصيام، فـإذا أردت صيامه فصمه، وصم اليوم الذي قبله وهو الجمعة ويصوم يوم السـبت وهو التاسع ولا حرج؛ لأنه قد صام يومًا قبله ولم يخصَّه بصيام.

سؤال: شـيخنا حفظكـم الله؛ يقول السائل: يوم التروية سـيكون يوم الجمعة فهل يصلي الحاج الجمعة أم يصلي الظهر؟

جواب: الحـاج ليس عليه جمعة، لكـن إذا نزل مكة وصلى مـع الإمام يصلي مع المسـلمين، لكن في منى لا جمعة أو في غيرها، الحاج ليس عليه جمعة والرسـول ﷺ ما صلى الجمعة في سـفره لا هو ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، الجمعة تسـقط عن المسافر، والحاج مسافر، له حكم المسافرين.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: المرأة إذا أحرمت في ثياب، هل يحرم عليها خلعها حتى تتحلل، أم يجوز لها خلعها قبل ذلك؟

جواب: يجوز لها خلعها كل يوم، من حرَّم عليها؟! لا سيما إذا كان الجو حارًا تحتاج إلى أن تغتسل وتغير ليس في ذلك شيء، لكن ما تلبس لباس الزينة، ترتدي ثيابًا تسترها.





باب ٦٢

وجوب الإيمان بالشفاعة

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا رحمكم الله، أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها، وبأشياء سنذكرها إن شاء الله، مما لها أصل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، وقول فقهاء المسلمين.

والمعتزلة يخالفون هذا كله، لا يلتفتون إلى سنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا إلى سنن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما يعارضون بمتشابه القرآن، وبما أراهم العقل عندهم.

وليس هذا طريق المسلمين، وإنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق، وقد لعب به الشيطان.

وقد حذرنا الله عَزَّوَجَلَّ من هذه صفته، وحذرناهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذرناهم أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا.

فأما ما حذرنا الله عَزَّوَجَلَّ وأنزله على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذرناهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ

تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

٧٦٩ـ حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ الآية. ثم قال: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله عَزَّوَجَلَّ فاحذروهم[(١)].

٧٧٠ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يونس بن حبيب الأصبهاني قال: حدثنا أبو داود الطيالسي قال: أنبأنا حماد - يعني ابن سلمة - عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد سماهم الله عَزَّوَجَلَّ لكم، فإذا رأيتموهم فاحذروهم، قالها ثلاثًا[(٢)].

٧٧١ـ وحدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا علي بن سهل الرملي قال: حدثنا الوليد ابن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة

....

(١) إسناده صحيح: رواه ابن ماجه في «المقدمة» حديث [٤٧] من طريق عبد الوهاب به.
ورواه ابن ماجه حديث [٤٧]، وأحمد (٢٤٢١٠-الرسالة) كلاهما من طريق إسماعيل بن علية عن أيوب به نحوه. وقد سبق برقم: (٤٢، ١٥٠).

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود الطيالسي (١٥٣٥-التركي)، وأحمد (٢٤٩٢٩-الرسالة)، وإسحاق [٩٤١]، والدارمي في «المقدمة» حديث [١٤٧]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٥]، من طرق عن حماد ابن سلمة به نحوه.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: نزع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الآية: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد حذركم الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا رأيتموهم فاحذروهم(١).

متن هذا الحديث عن عائشة صحيح، متفق عليه، رواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٥٤٧]، ومسلم في «العلم» حديث [٢٦٦٥]، كلاهما من طريق يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة به.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن من القرآن ما هو محكم وما هو متشابه.

أما المحكم فهو كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنه الناسخ من القرآن، والحلال والحرام والأحكام والحدود والفرائض وما يؤمر به، ويعمل به.

وروي هذا عن عكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل والربيع بن أنس، وكلهم قالوا: هو الذي يعمل به.

وقيل في المتشابهات: إنهن المنسوخة والمقدم منه والمؤخر والأمثال والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به، وهذا رواه علي بن طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾:

«﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ **أي:** ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ **أي:** إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم

(١) رجال إسناده ثقات، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن.
رواه الطبري في «التفسير» (٦/ ١٩٢) عن علي بن سهل الرملي به.
ورواه الطبراني في «الأوسط» [٦٣٠٤]، وابن بطة في «الإبانة» [٧٧٨] من طريق مهدي بن جعفر الرملي عن الوليد بن مسلم به. وفي رواية الطبراني تصريح الوليد بالتحديث. وقال: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَّا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، تَفَرَّدَ بِهِ الْوَلِيدُ. وَرَوَاهُ غَيْرُهُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ».

الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد، ورسول من رسل الله.

وقوله: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ أي: تحريفه على ما يريدون»[(١)].

ويرى طالب الحق الموفق أن الله قد بيّن مقاصد أهل الأهواء وسوء أعمالهم أنهم يتبعون المتشابه من القرآن لقصد الإضلال والفتن، ومن هنا حذّر منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمن الصادق الناصح في رسول الله أسوة.



(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨-سامي ابن سلامة).

[٧٧٢] حدثنا أبو محمد الحسن بن علوية القطان قال: حدثنا عاصم بن علي قال: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن ناسًا يجادلونكم بشبه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

٧٧٣- وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا الحسن ابن محمد الزعفراني قال: حدثنا سعيد بن سليمان قال: حدثنا عبد الواحد بن سليم قال: حدثنا يزيد الفقير قال: كنا بمكة من قطانها، وكان معي أخ لي يقال له: طلق بن حبيب، وكنا نرى رأي الحرورية، فبلغنا أن جابر بن عبد الله الأنصاري قدم، وكان يلزم في كل موسم، فأتيناه فقلنا له: بلغنا عنك قول في الشفاعة، وقول الله عَزَّوَجَلَّ يخالفك، فنظر في وجوهنا، وقال: من أهل العراق أنتم؟ فقلنا: نعم، فتبسم أو ضحك، وقال: أين تجدون في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟ قلنا: حيث يقول ربنا عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [الحج: ٢٢]، وأشباه هذا من القرآن، فقال: أنتم أعلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ أم أنا؟ قلنا: بل أنت أعلم به منَّا، قال: فو الله لقد شهدت تنزيل هذا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد شهدت تأويله من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن الشفاعة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ لمن عقل، قال: قلنا: وأين الشفاعة؟ قال: في سورة المدثر، قال: فقرأ علينا: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ

---

(١) في إسناده انقطاع؛ لأن بكير بن الأشج لم يسمع من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد سبق برقم: (٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٥٤).

مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨]. **ثم قال: ترونها حلت لمن لم يشرك بالله شيئًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق ولم يستعن على ذلك أحدًا، ولم يشاور فيه أحدًا، ثم أماتهم، ولم يستعن على ذلك أحدًا، ولم يشاور فيه أحدًا، ثم أحياهم ولم يستعن على ذلك أحدًا، ولم يشاور فيه أحدًا، فأدخل من شاء الجنة برحمته وأدخل من شاء النار بذنبه، ثم إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تحنن على الموحدين، فبعث بملك من قبله بماء ونور، فدخل النار فنضح، فلم يصب إلا من يشاء الله، ولم يصب الماء إلا من خرج من الدنيا ولم يشرك بالله شيئًا، فأخرجهم حتى جعلهم بفناء الجنة، ثم رجع إلى ربه عَزَّوَجَلَّ: فأمده بماء ونور فنضح فلم يصب إلا من شاء الله ولم يصب إلا من خرج من الدنيا ولم يشرك بالله شيئًا، «إلا أصابه ذلك النضح»، فأخرجهم حتى جعلهم بفناء الجنة، ثم أذن للشافعين فشفعوا فأدخلهم الجنة برحمته، وشفاعة الشافعين»[1].**

هذا الحديث ضعيف جدًّا، وفي متنه غرابة؛ لأنه من رواية عبد الواحد بن سليم، قال الذهبي في «الكاشف»: «ضعّفوه، قال أحمد: أحاديثه موضوعة».

ولنأت بحديث يزيد الفقير عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على وجهه.

قال الإمام مسلم في «كتاب الإيمان» من صحيحه حديث [١٩١]:

«حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعني محمد بن أبي أيوب قال حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو

---

(١) رواه أبو عوانة في «المستخرج على صحيح مسلم» [٤٤٨] عن محمد بن إسحاق الصاغاني عن سعيد ابن سليمان به، ببعضه.

قـد ذكـر الجهنميـين، قال: فقلت لـه: يا صاحب رسـول الله ما هذا الـذي تحدثون! والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]! فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قـال: فهل سـمعت بمقـام محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «يعني الـذي يبعثه الله فيه»؟ قلـت: نعم، قال: فإنـه مقـام محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحمـود الذي يخرج الله بـه من يخرج، قال: ثـم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسـلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا، قلنا: وَيْحَكُم أترون الشيخ يكذب على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فرجعنا. فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد أو كما قال أبو نعيم».

فهـذا هـو الثابت عن يزيد الفقير عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه بيان أن المقام المحمود إنما هو شفاعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



٧٧٤- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا مبارك بن فضالة قال: حدثنا يزيد بن صهيب قال: مررت بجابر بن عبد الله وهو في حلقة يحدث أناسًا، فجلست إليه، فسمعته يذكر أناسًا يخرجون من النار، قال: وكنت يومئذ أنكر ذلك، قال: قلت: والله ما أعجب من الناس، ولكن أعجب منكم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] فانتهرني أصحابه وكان أحلمهم، فقال: دعوا الرجل، ثم قال: إنما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦ - ٣٧] قال: أو ما تقرؤون القرآن: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؟

قال: فإن الله عَزَّوَجَلَّ «عذب قومًا بخطاياهم، وإن شاء أن يخرجهم أخرجهم، قال: فلم أكذب به بعد ذلك»[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشًا، خرج به عن الكتاب والسنة.

---

(١) في إسناده مبارك بن فضالة، ضعّفه النسائي، ووثقه غيره، وقال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق، يدلس ويسوي».

قلت: لم يتفرد به المبارك، فقد تابعه العوام بن حوشب عن يزيد الفقير بنحوه. رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [٢٠٥٤]، وأبو القاسم التيمي في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٥١٧) رقم: [٣٢٨] من طريقين عن يحيى ابن أبي غنية عن العوام بن حوشب. وإسناده صحيح.

وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت الى أخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات الشفاعة: أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هذا، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان، واتبع غير سبيلهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكل من رد سنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنن أصحابه، فهو ممن شاقق الرسول وعصاه، وعصى الله عَزَّوَجَلَّ بتركه قبول السنن، ولو عقل هذا الملحد وأنصف من نفسه، علم أن أحكام الله عَزَّوَجَلَّ، وجميع ما تعبد به خلقه، إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يبين لخلقه ما أنزله عليه مما تعبدهم به، فقال جل ذكره: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

فقد بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته جميع ما فرض عليهم من جميع الأحكام، وبين لهم أمر الدنيا، وأمر الآخرة، وجميع ما ينبغي أن يؤمنوا به، ولم يدعهم جهلة لا يعلمون، حتى أعلمهم أمر الموت والقبر، وما يلقى فيه المؤمن، وما يلقى فيه الكافر، وأمر المحشر والوقوف، وأمر الجنة والنار، حالاً بعد حال يعرفه أهل الحق، وسنذكر كل باب في موضعه إن شاء الله.

يبين الإمام الآجري ضلال منكري الشفاعة، وأنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الكريم تدل على أن الكافرين ليس لهم شفاعة، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، وغفلوا عن آيات أخرى تدل على أن هناك شفاعة تقبل عند الله، مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا

لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهنـاك موحـدون ولو عذبوا بالنـار، فإنهم في النهاية يرضى الله عنهم بسبب توحيدهم فيقبل الشفاعة فيهم، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، [البقرة: ٢٥٥]، فدلّ هذا النص على أن هناك شفاعة تكون بعد إذن الله للشافعين أن يشفعوا في الموحدين المستحقين للشفاعة، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، فالآيـة تفيد حصول الشـفاعة بعد إذن الله للشفعاء، وبعد رضاه عن المشفوع فيهم، والرضى لا يحصل للكافرين، وإنما يحصل للموحدين، وإن سبق هذا الرضى سخط وعذاب.

أضـف إلى ذلـك الأحاديـث النبويـة الكثـيرة الصريحـة في الشـفاعة للمذنبين يوم القيامة، بل هناك شفاعات تحصل لغير المذنبين كما سيأتي بيانها في موضعها.

وكل المشـار إليها إنما هي من بيان رسـول الله ﷺ وتفصيل منه لما أجمل من الآيـات القرآنية المتعلقة بالشـفاعة وغيرها كما قـال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد بين ﷺ لأمتـه جميع ما فرض عليهم من جميع الأحكام، وبيّن لهم أمر الدنيا، وأمر الآخرة، وجميع ما ينبغي أن يؤمنوا به».



قال محمد بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعلموا يا معشر المسلمين: أن أهل الكفر لما دخلوا النار ورأوا العذاب الأليم، وأصابهم الهوان الشديد، نظروا إلى قوم هم من الموحدين معهم في النار، فعيروهم بذلك، وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم في الدنيا، وأنتم معنا في النار؟.

قوله: «اعلموا يا معشر المسلمين: أن أهل الكفر لما دخلوا النار ورأوا العذاب الأليم...الخ»: يشير به إلى حديث من أحاديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشفاعة، وفيه بعد إذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشفاعة مرات: **«وَفَرَغَ اللهُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ وَأَدْخَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي النَّارَ مَعَ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ: فَبِعِزَّتِي لَأُعْتِقَنَّهُمْ مِنَ النَّارِ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ فَيَخْرُجُونَ وَقَدِ امْتَحَشُوا فَيَدْخُلُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ وَيُكْتَبُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُذْهَبُ بِهِمْ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَلْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ»**(١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزنًا وغمًّا، فاطلع الله عَزَّ وَجَلَّ على ما نالهم من الغم بتعيير أهل الكفر لهم، فأذن في الشفاعة، فيشفع الأنبياء والملائكة والشهداء والعلماء والمؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين، فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طبقات شتى، فدخلوا الجنة، فلما فقدهم أهل الكفر ودوا أن لو كانوا مسلمين، وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم، ولا صديق حميم يغني

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٤)، والدارمي في «المقدمة» حديث [٥٣]، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٢٦٨]، وابن «منده في الإيمان» [٨٧٧]، والضياء المقدسي في «المختارة» (٦/ ٢٣٤٥).

عنهم من عذاب الله شيئًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ في أهل الكفر لما نضجوا بالعذاب، وعلموا أن الشفاعة لغيرهم، قالوا: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٤ - ١٠١].

وقال عَزَّوَجَلَّ وقد أخبر أن الملائكة قالت لأهل الكفر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨][1].



(١) هذا التساؤل إنما هو من أصحاب اليمين من أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٣٩ - ٤٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه كلها أخلاق الكفار، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: فما تنفعهم شفاعة الشافعين، فدل على أن لا بد من شفاعة، وأن الشفاعة لغيرهم لأهل التوحيد خاصة؟ وقال الله جل اسمه: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ١ - ٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما يود الكفار أن لو كانوا مسلمين: عندما رأوا معهم في النار موحدين قومًا فعيروهم، وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم، وأنتم معنا في النار، فحزنوا من ذلك، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ الملائكة والأنبياء ومن سائر المؤمنين أن يشفعوا، فشفعوا فيهم فشفعوا، فأخرج من النار أهل التوحيد، ففقدهم أهل الكفر، فسألوا عنهم فقيل: شفع فيهم الشافعون لأنهم كانوا مسلمين، فعندها ودوا لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة.

أورد هنا الإمام الآجري الآيات التي تدل على ندم الكفار حيث لا ينفعهم الندم، فلقد كفروا بالله وبرسله وكتبه وباليوم الآخر، وبالجنة التي أعدت للمؤمنين وبالنار التي أعدت للكافرين، فلما أدخلوا النار وذاقوا من سعيرها وحميمها ندموا أشد الندم حيث لا ينفعهم الندم، وآمنوا حيث لا ينفعهم الإيمان، ولا يقبل منهم؛ لأنه إيمان بمشاهد محسوس كفروا به لما كان غيبًا، وكذبوا الله وكتبه ورسله حيث كان الإيمان والعمل ينفع المؤمنين العاملين، ويقبل في المقصر منهم شفاعة الشافعين، ويحرم من هذه الشفاعة أعداءه المجرمين ولو تمنوها آلاف السنين.



٧٧٥- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا هشام الدستوائي قال: حدثنا حماد قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحِجر: ٢].

قال: حُدِّثتُ أن المشركين قالوا لمن دخل النار: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ فيغضب الله عَزَّوَجَلَّ لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا، فيشفعون، فيخرجون من النار، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم، فعند ذلك ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين[(١)].

٧٧٦- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الملك ابن عمرو قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحِجر: ٢]، قال: لا تزال الرحمة والشفاعة حتى يقال: ليدخلن الجنة كل مسلم، قال. فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين[(٢)].

---

(١) إسناده هذا الأثر عن إبراهيم صحيح إليه. رواه حسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك [١٢٧٠]. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢) من طريق ابن علية به مثله. ورواه ابن وهب في «تفسيره» - من الجامع له- (١/ ٣١/ ٦٤)، والطبري في «التفسير» (١٧/ ٦٢-٦٣) من طريق هشام به بألفاظ متقاربة نحوه. عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٢٥١)، والطبري (٦٢-٦٣) من طرق عن حماد عن إبراهيم نحوه من قوله.

(٢) في إسناده عطاء بن السائب، صدوق اختلط. ولم أجد من ذكر سماع إبراهيم منه أكان قبل الاختلاط أم بعده.

رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١-٦٢) من طريق أبي عوانة، والحاكم [٣٣٤٥] من طريق جرير، وهناد في «الزهد» [١٩٠] من طريق عبيدة بن حميد، ثلاثتهم عن عطاء بن السائب به نحوه. =

وهنا أورد الآجري قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحِجر: ٢]، وأورد تفسير حبر الأمة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للآية الكريمة.

وأن هذا التمني للإسلام يكون من الكفار عندما يشاهدون مذنبي المسلمين يخرجون من النار أفواجًا برحمة الله أرحم الراحمين وبشفاعات الشافعين من الأنبياء والملائكة والشهداء والصديقين والصالحين.

ونقل ابن كثير تفسيرًا آخر عن ابن عباس وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهما من الصحابة أن الكفار لما عُرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين.

قال ابن كثير: «وقيل: إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنًا»(١)، وذكر تفاسير أخرى.

❁ ❁ ❁

= وروى الحسين المروزي في «زوائد الزهد» [١٦٠٢]، والطبري في «التفسير» (١٧/ ٦١ و٦٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» [٧٦] من طريق القاسم بن الفضل الحداني عن عبيد الله بن أبي جروة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا تَأَوَّلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحِجر: ٢] فَقَالَا: «هُوَ يَوْمَ يَجْمَعُ الله أَهْلَ الْخَطَايَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ فِي النَّارِ جَمِيعًا فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالَا: فَيُخْرِجُهُمُ الله عَزَّوَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ»، فَذَلِكَ ثُمَّ حِينَ يَقُولُ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحِجر: ٢]. وإسناده لا بأس به، القاسم بن الفضل قال في التقريب: «ثقة». وعبيد الله بن أبي جروة روى عن عائشة من الصحابة. وروى عنه شعبة وهشام الدستوائي وغيرهما، وقال فيه ابن معين: «مشهور»، ووثقه ابن حبان، وقال الذهبي: «لا بأس به». إلا أنه لم يذكر له رواية عن أنس وابن عباس. «الجرح والتعديل» (٥/ ٣١٤)، و«الثقات» لابن حبان (٥/ ٦٧)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٤١٦).

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٤١).

قال محمد بن الحسين: بطلت حجة من كذب بالشفاعة، الويل له إن لم يتب، وقد روي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب».

٧٧٧- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري، قال: حدثنا هناد ابن السري قال: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب»(١).

إسناد هذا النص إلى الصحابي الجليل أنس بن مالك إسناد صحيح، وهذا من تفقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



---

(١) رواه هناد في «الزهد» [١٨٩].

ورواه اللالكائي (٢٠٨٧، ٢٠٨٨) من ثلاث طرق أخرى عن عاصم به مثله. وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٢٦) إلى سعيد بن منصور في «سننه» وصححه.

باب ٦٣

ما روي أن الشفاعة إنما هي لأهل الكبائر

[٧٧٨] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: نا عمر بن علي قال: نا أبو داود يعني الطيالسي قال: نا محمد بن ثابت البناني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

[٧٧٩] حدثنا أبو بكر محمد بن إسماعيل البندار قال: نا محمد بن بشار بندار قال: نا أبو داود قال: نا محمد بن ثابت البناني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر ابن عبد الله أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» قال لي جابر: يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟[1].

---

(١) إسنادًا حديث جابر مدارهما على محمد بن ثابت البناني، وهو ضعيف، فالحديث ضعيف من هذا الوجه، لكن للمتن شواهد إلا قوله: «يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة»، فهذا الكلام منكر جدًّا، فالناس بما فيهم الصحابة يحتاجون إلى شفاعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا سيما الشفاعة العظمى في أهل الموقف.

رواه الترمذي في «أبواب صفة القيامة» حديث [٢٤٣٦] عن محمد بن بشار به نحوه. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ يُسْتَغْرَبُ مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ».

ورواه ابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣١٠] من طريق الوليد بن مسلم، وابن حبان في «صحيحه» [٦٤٦٧] من طريق عمرو بن أبي سلمة التنيسي، كلاهما عن زهير بن محمد التميمي عن محمد بن جعفر به بالجملة الأولى فقط. ولا يصح كذلك؛ لأن زهير بن محمد يضعف في رواية الشاميين عنه. قاله أحمد والبخاري وغيرهما. «الميزان» للذهبي (٢/ ٨٤).

[٧٨٠] حدثنا أبو العباس حامد بن شعيب البلخي قال: نا محمد بن بكار قال: حدثنا عنبسة بن عبد الواحد القرشي، عن واصل، عن أُمَيٍّ: أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله الشفاعة؟ فقال: «**الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي**»(١).

٧٨١- حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري قال: نا محمد بن إسحاق المسوحي، قال: نا سليمان بن حرب، عن أشعث الحداني، عن أنس بن مالك: عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٢).

٧٨٢- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد ابن السري قال: حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الشفاعة لأهل الكبائر**»(٣).

....

(١) رجاله ثقات غير أن واصلًا جاء فيه مبهمًا، وقد قيل: إنه واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي، وهو ثقة ثبت، وقيل هو واصل مولى أبي عيينة، صدوق عابد، والراجح أنه ابن حيان، لأمرين؛ **الأول-** أن واصل بن حيان وأُميّ أبا عبد الرحمن كلاهما كوفي، بينما واصل مولى أبي عيينة بصري. **والثاني-** أن الخطيب البغدادي روى هذا الحديث بهذا الإسناد من طريق الدارقطني، ثم قال: «قال علي بن عمر هذا حديث غريب، من حديث الشعبي عن كعب بن عجرة، تفرد به أُميّ بن ربيعة الصيرفي عنه، وتفرد به واصل بن حيان عن أُمَيّ...الخ»، انظر: «تأريخ بغداد» (٤/ ٦٦). وعليه فهذا الحديث صحيح، فإن كان مولى أبي عيينة الراوي لهذا الحديث، فالحديث حسن ويتقوى بما بعده.
ورواه البيهقي كما في «النهاية» لابن كثير (٢/ ٢٢٩) من طريق محمد بن بكار به مثله، إلا أنه قال: واصل مولى أبي عيينة.

(٢) **حديث حسن**: رجاله ثقات إلا محمد بن إسحاق المسوحي، قال فيه ابن أبي حاتم: «صدوق»، والأشعث ابن عبد الله الحداني قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق»، وقال الحافظ الذهبي في «الكاشف»: «ثقة». فالحديث حسن، ويرتقي بما قبله إلى درجة الصحيح لغيره.
رواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٣٩]، وأحمد [١٣٢٢٢] كلاهما عن سليمان بن حرب عن بسطام بن حريث عن أشعث به مثله. فزادا في الإسناد بسطام بن حريث. ووافقهم غيرهم.

(٣) رواه هناد في «الزهد» [١٨٨].

٧٨٣- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا زياد بن أيوب قال: نا أبو المغيرة النضر بن إسماعيل قال: نا الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما جعلت الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي»(١).

[٧٨٤] أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: نا شيبان بن فروخ قال: حدثنا أبو أمية الحبطي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»(٢).

٧٨٥- أنبأنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: نا أبو الأشعث أحمد بن المقدام قال: حدثنا الفضيل بن سليمان قال: حدثنا أبو مالك الأشجعي قال: حدثنا ربعي بن حراش أنه سمع حذيفة بن اليمان وسمع رجلًا يقول: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد فقال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يغني المؤمنين عن شفاعة محمد، ولكن الشفاعة للمذنبين من المؤمنين والمسلمين»(٣).

....

(١) رواه المحاملي في «الأمالي» [١٠] عن زياد بن أيوب به.
ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٠٠) من طريق النضر بن إسماعيل به.

(٢) الأسانيد الثلاثة الأخيرة لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدارها على يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وفي الإسناد الأخير أبو أمية الحبطي، وهو أيوب بن خوط، قال فيه الذهبي في «المغني»: «تركه النسائي والناس»، وقال الحافظ ابن حجر: «متروك»، وعلى كل حال فالحديث من هذه الطرق ضعيف، لكنه يعتضد بما قبله.

(٣) **ضعيف**، فيه الفضيل بن سليمان النميري، قال الحافظ ابن حجر فيه: «صدوق، له خطأ كثير»، وقال الذهبي: «قال عباس عن ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: لين وقال أبو حاتم وغيره: ليس بالقوي»، فالحديث ضعيف إسنادًا ومتنًا.
رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [٢٠٨٥]، والبيهقي في «الاعتقاد» ص: [٢٠٣] من طريق أبي الأشعث أحمد بن المقدام به نحوه.
=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد:

فقد مضى معكم بيان أنواع الشفاعة وأنها ليست خاصة بأهل الكبائر وكل الناس يحتاجون إليها لاسيما من هول الموقف فإن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب والشدة ما لا يعلمه إلا الله يأتون آدم ويطلبون منه الشفاعة فيحيلهم إلى نوح ونوح يحيلهم إلى إبراهيم وإبراهيم يحيلهم إلى موسى، وموسى يحيلهم إلى عيسى، وعيسى يحيلهم إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأتي ربه فيشفع في الناس ليُخَلِّصهم من هذا الهول هول الموقف.

هذه الشفاعة الأولى وهي الشفاعة العظمى وإذا أطلقت إذا قيل المقام المحمود فينصرف إلى هذه الشفاعة، وهناك شفاعات أخرى تدخل في مقامه المحمود كل شفاعاته تدخل فيما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ من هذه المزية العظيمة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وبعدها الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من يستفتح باب الجنة فيقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل أمتك من الباب الأيمن من الجنة ثم بعد ذلك يدخل الأنبياء وأممهم.

ثم الشفاعة في قوم يستحقون دخول النار؛ وهذه لا أعرف عليها دليلًا والله أعلم، ويمكن نحن ما وقفنا على شيء وغيرنا وقف عليه من الأئمة، قوم يستحقون دخول

= ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» [٣٤٧] عن عبد الرحمن بن صالح عن المحاربي عن أبي مالك الأشجعي به نحوه. والمحاربي هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد، قال ابن حجر في «التقريب»: «لا بأس به، وكان يدلس؛ قاله أحمد». قلت: ولم يصرح المحاربي هنا بالسماع، ويحتمل أنه أخذه عن الفضيل بن سليمان النميري فدلسه. والله أعلم.

النـار فيشـفع فيهـم فلا يدخلونها. ثم الشـفاعة هـذه في المذنبين من أهل التوحيد يشـفع فيهـم رسـول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كـما ورد في حديث الشـفاعة: أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَيُـؤْذَنُ لِـي فَأَقُومُ بَـيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِـدَ لا أَقْدِرُ عَلَيْهَـا الآنَ يُلْهِمُنِيهِ الله، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَـاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَـكَ وَقُلْ يُسْـمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَـفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَـعِيرَةٍ مِـنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِـقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّـةٍ مِـنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَـلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْـكَ الْمَحَامِـدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَـاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَـكَ وَقُلْ يُسْـمَعْ لَكَ وَسَـلْ تُعْطَهْ وَاشْـفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»(١).

ثـم بعد ذلـك تأتي رحمة أرحم الراحمين بعد ما تنتهي الشـفاعات كلها، فيخرج من النار كل من قال: لا إله إلا الله، برحمته عَزَّوَجَلَّ.

في الحديث الأول من الأحاديث التي أوردها الإمام الآجري ضعف.

الشـفاعة للمؤمنين ولا سـيما المذنبين، ولا تحل للكفار، إذ الكفـار حرم الله عليهم الشـفاعة، وحـرم عليهم الخروج من النـار، فهم خالدون فيها أبـد الآبدين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ

(١) متفـق عليـه: رواه البخـاري في «التوحيـد» حديـث [٧٥١٠]، ومسـلم في «الإيـمان» حديـث (٣٢٦/١٩٣).

....

﴿ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٠ - ١٠٢] آيات كثيرة وردت في أن الشفاعة لا تكون ولا تحل للكافرين والشفاعة للمؤمنين عمومًا، ولأهل الذنوب الكبائر الذين هم أشد احتياجًا إليها، وإنما قال ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتي**» لأنهم يحتاجونها أشد من غيرهم.

الحديث الأول فيه شيء من الغلط وهو قوله: «**قال لي جابر: يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟**» **يعني**: أنه مستغن عنها، فهذا الحديث ضعيف، في رواته محمد بن ثابت البناني وهو ضعيف، فهذا لا يصح نسبته إلى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا من أوهام هذا الراوي الضعيف محمد بن ثابت البناني، والأحاديث الصحيحة الصريحة واضحة في أن شفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لكل المؤمنين، شفاعة من هول الموقف، والشفاعة لدخول المؤمنين الجنة، والشفاعة لرفع درجات بعض المؤمنين في الجنة، وهكذا شفاعات لا يُستَغنَى عنها.

بعدها الشفاعة لأهل الكبائر من الأمة، نعم هم أشد الناس حاجة إلى هذه الشفاعة منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكذلك شفاعة الأنبياء لأممهم، وشفاعة المؤمنين، وشفاعة الملائكة، كل هذه شفاعات يحتاج إليها أهل الكبائر، فتأتي الشفاعة من الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتأتي من الأنبياء، وتأتي من الملائكة، وتأتي من العلماء، وتأتي من الشهداء، وتأتي من المؤمنين من عموم المؤمنين.

ثم كرر هذا الحديث مرارًا، مرة من طريق أنس، ومرة من طريق جابر، وبمجموعه يثبت يصل إلى درجة الحسن، ولكن المنكر فيه ما نُسِب إلى جابر، وما نُسِب إلى حذيفة

من استغناء المؤمنين عن شفاعة الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل المؤمنون جميعًا حتى الصحابة يطلبونها ويرجونها، حتى الصحابة طلبوها من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وألَحُّوا في الطلب لحاجتهم إليها، ونحن نسأل الله أن يُشَفِّعَ فينا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأننا بأشد الحاجة إلى شفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فما نُسِبَ إلى جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما نُسِبِ إلى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يثبت.

قال الرجل: «اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد»، فقال حذيفة: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يغني المؤمنين عن شفاعة محمد، ولكن الشفاعة للمذنبين من المؤمنين والمسلمين».

فهذا لا يقوله حذيفة، هذا من مشاكل الضعفاء، أما الكذابون فمفروغ منهم، لكن الضعفاء تأتي منهم مشاكل مثل هذه الأشياء فلا يُعتمد عليها؛ لأنها تصطدم بالأحاديث الثابتة الصحيحة من أن شفاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاملة للمؤمنين عمومًا وللأمم جميعًا أيضًا وللمؤمنين كما قلنا: في استفتاح باب الجنة لهم، وفي رفع الدرجات وإلى آخره.

على كل حال حديث حذيفة في إسناده الفضيل بن سليمان النميري، قال فيه ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم وغيره: ليس بالقوي، انظر «الكاشف»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: صدوق له خطأ كثير(٢).



(١) «الكاشف» (٢/ ١٢٤ رقم ٤٤٨٤- القبلة).

(٢) «تقريب التهذيب» (ص ٧٨٥-العاصمة).



ما رُوي أن الشفاعة لمن لم يشرك بالله تَعَالَى

٧٨٦- حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا أبو كريب محمد ابن العلاء قال: حدثنا أبو معاوية قال المطرز: وحدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا جرير جميعًا عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا»، لفظ أبي معاوية.

٧٨٧- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أخبرنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وأخرت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا»[1].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه المصنف بإسنادين صحيحين.
ورواه مسلم في «الإيمان» حديث [١٩٩] عن أبي كريب وأبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية به.
ورواه البخاري في «الدعوات» حديث [٦٣٠٤]، وفي «التوحيد» حديث [٧٤٧٤]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٩٩]، من طرق عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.



٧٨٨- حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا يحيى بن أيوب قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: أخبرني عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد ظننت يا أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من نفسه»[1].

هذا باب ما روي أن الشفاعة لمن لم يشرك بالله تَعَالَى، فقد مرَّ بكم أن شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتناول عموم المؤمنين، وهي تتناول أيضًا المذنبين الذين لقوا الله بذنوب يستحقون بها دخول النار ودخلوها فعلًا، وشفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أيضًا تنالهم من باب أولى.

في هذا الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو حديث صحيح-: **«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ الله مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا»** لفظ أبي معاوية.

يعني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يستجيب دعاء الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا شاء، وكثيرًا ما يستجيب لهم، لكن أعطى كلَّ نبيٍّ من الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعوة مستجابة مضمونة لابد أن يستجيب الله له وهو لا يخلف الميعاد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبعض الدعوات منهم تقبل، وبعضها لا يقبله الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه لما دعا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على المشركين:

---

(١) حديث صحيح: أخرجه المصنف بإسناد صحيح.
رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٧٠] عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر به.
ورواه في «العلم» حديث [٩٩] من طريق سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو به نحوه.

....

اللهم عليك بفلان، اللهم عليك بفلان، قال الله له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨][(١)].

والدعـوة المضمونـة للرسـول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يتعجلهـا في الدنيـا، بـل اختبأهـا وادَّخرهـا لأمتـه يوم القيامة، ثـم يدعو الله، وكثيرًا ما يسـتجيب له، كثـيرٌ من الدعوات اسـتجاب الله فيها لرسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ يوم بدر، ويوم حنين، ويوم أحد، وفي الاستسـقاء، وفي تبوك، وفي كثير من المواطن والمناسـبات يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيسـتجيب له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كل هذه ليسـت من الدعوة التي ضمن الله استجابتها، ويدعو الأنبياء ربهم كما قال زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤] يعني: عودتني إجابة الدعاء فاستجب لي وأعطني ولدًا بارًّا، فاسـتجاب الله له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ووهب له يحيى سيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين.

فـالله يسـتجيب لأنبيائـه، لكن هذه الاسـتجابات التي تـأتي في الدنيا غـير الدعوة المضمونـة، الدعوة المضمونة دعا نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على أُمَّته فأهلكهم الله: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، وموسـى دعـا عـلى فرعون وملئـه ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، وهـارون يؤمِّـن قـال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ قَدْ

---

(١) رواه البخـاري في «الاعتصـام» حديث [٧٣٤٦]، ولفظه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَـمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُـولُ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَرَفَعَ رَأْسَـهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «**اللهمَّ رَبَّنَا، وَلَـكَ الحَمْدُ فِي الأَخِيرَةِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اللهـمَّ العَـنْ فُلاَنًـا وَفُلاَنًـا**»، فَأَنْـزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فاستجاب الله دعوتهما فأهلك فرعون وقومه بالغرق، وهناك أنبياء لا أذكر نصًّا في دعوتهم على أممهم، ويكفينا هذا الخبر من رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله أعطى لأنبيائه لكل نبي دعوة مستجابة.

والنبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبّأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة، وهو كما وصفه ربه عَزَّوَجَلَّ في رأفته ورحمته بهذه الأمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيشق عليه ما يُعنت المؤمنين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحريص على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ومن رأفته بهم وحرصه على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ادَّخر لهم هذه الدعوة العظيمة، اختبأها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى إن الله ليخيِّره بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة فيختار الشفاعة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ(1)؛ لأنها يدخل بها في الجنة أكثر من هذا النصف، نسأل الله أن يرحمنا، ويمنَّ علينا بهذه الشفاعة، وأن يُجنِّبنا ما يشق علينا في الدنيا والآخرة.

فقال هنا: «**إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ الله مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا**».

---

(1) ونصُّ الحديث: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا**». رواه الترمذي (٤/ ٦٢٧)، «٣٨- كتاب صفة القيامة»، باب «ماجاء في الشفاعة ١٣ - باب منه»، حديث [٢٤٤١]، ورواه أحمد (٦/ ٢٨) في قصة. من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ورواه ابن ماجه في «سننه» (٢/ ١٤٤٤)، «٣٧ - كتاب الزهد» «٣٧ - باب ذكر الشفاعة»، حديث [٤٣١٧] نحوه. وله شاهدان أحدهما من حديث أبي موسى الأشعري رواه أحمد (٤/ ٤٠٤). وهو في «صحيح الجامع للألباني» (١/ ٧٢) رقم: [٥٦]، والآخر من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رواه أحمد (٢/ ٧٥).

فالمؤمنون المستقيمون وغير المستقيمين كلهم يلقون الله بغير شرك المذنبون الذين ما أشركوا فيستحقون الشفاعة، وهذا يدل على فضل التوحيد إذا ذكر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحاديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى ذرة من إيمان ممن قال لا إله إلا الله، وليس معنى ذلك أنه يجرئ الناس على المعاصي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقد أخبر عن مصير العصاة، وأن أناسًا منهم يدخلون النار، وأنهم يخرجون بالشفاعة و..و..إلى آخره، وفي نفس الوقت الذي يبين لهم فضيلة التوحيد يبين لهم أيضًا أن هناك نارًا تنتظر العصاة أهل الكبائر، وسيدخل أقوام -والعياذ بالله- بذنوبهم ويتفاوتون في العذاب، وفي طول المدة التي قد يمكث الإنسان دهورًا -والعياذ بالله- يُعذَّب في النار، ويكفيه هذا الإنذار المهم أنه لما يذكر هذه الأشياء ليس القصد من ذلك إلا بيان فضل التوحيد حتى إنه ذكر صاحب البطاقة كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ له تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ**»(١).

لكن هذه للمخلص الذي يقولها مخلصًا لا رياءً ولا نفاقًا ولا سمعةً، وإنما يريد بها وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، فقول: لا إله إلا الله هذا ينجيه إن شاء الله مع العمل إن شاء الله،

(١) رواه الترمذي في «أبواب الإيمان» حديث [٢٦٣٩]، وابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣٠٠]، وأحمد (٦٩٩٤-الرسالة). قال الترمذي: «حسن غريب».

فعلينا بالعمل؛ لأن الإيمان هو قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب وبالجوارح، ومن أعمال القلوب المحبة والرغبة والخوف والرجاء والتوكل على الله، هذه كلها أعمال قلبية، ولا يكون المرء مؤمنًا إلا بها أعمال القلوب لابد منها، فإذا قال لا إله إلا الله وليس عنده خوف من الله ولا رغبة فيما عنده ولا توكل عليه هذا ليس بمؤمن، فأعمال القلوب مهمة جدًا، ويجب مراعاتها كما يجب مراعاة أعمال الجوارح وأشد من مراعاة أعمال الجوارح، فأعمال القلوب إذا خلا منها القلب؛ من محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكان الرجل يبغض الله عَزَّوَجَلَّ لا ينفعه قول لا إله إلا الله، هذا أخو الشيطان، ما ينفعه قولها، يبغض رسول الله؟ لا ينفعه قول لا إله إلا الله، فلابد مع قول لا إله إلا الله من المحبة والرغبة والرهبة إلى آخره، ومن شروط لا إله إلا الله الإخلاص، ومن شروطها اليقين، ومن شروطها المحبة كما في قول القائل:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأوثان قد ألها

ثمانية شروط: منها الكفر بالطواغيت؛ كل أنواع الطواغيت، فهذه لا إله إلا الله تنفع من يدخل في النار بذنوبه ويخرج بها؛ لأن لها منزلة عند الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ورد في الحديث وفيه شيء من الكلام: «**لَوْ أَنَّ السَّمواتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إلا الله فِي كِفَّةٍ، لَمَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إلا الله**»[1]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمان، والحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله والحَمْدُ**

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» حديث [١٠٦٠٢]، وابن حبان في «الإحسان» حديث [٦٢١٨]، والبغوي في «شرح السنة» حديث [١٠٧٣]، كلهم بأسانيدهم إلى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودراج ضعيف الرواية عن أبي الهيثم. وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لله تَمـلآن - أَوْ تَمْـلأُ - مَـا بَينَ السَّـموات وَالأَرْضِ»(١)، فذكـر الله عظيم، ولا إله إلا الله أعظم من الحمد والتسبيح، هـي عظيمةٌ جدًّا، ولكنها تحتـاج إلى إخلاص، عندما تقول لا إلـه إلا الله وسـبحان الله والحمد لله تقولها مخلصًـا لله رب العالمين، فيكون لها وزن عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لها مكانة عند الله عَزَّوَجَلَّ ينفع الله بها القائل لأنه قالها صادقًا مخلصًا.

أسأل الله أن يتوفَّانا على التوحيد، وأن يثبتنا عليه، ويثبتنا على الإسلام عمومًا وعلى التوحيد خاصة.



(١) أخرجـه أحمـد في «مسـنده» (٥/ ٣٤٢)، ومسـلم في «الإيـمان» حديث [٢٢٣] من حديـث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأسئلة

سؤال: قلتم: إن حديث البطاقة خاص بمن يقولها مخلصًا من قلبه، ما فائدة تخصصيه بهذا مع أن لا إله إلا الله يشترط فيها الإخلاص على جميع المؤمنين.

جواب: أنا قلت خاصة بمن يقولها مخلصًا لأخرج المنافقين الذين يقولونها من غير إخلاص.

والإخلاص مشروط على الجميع حتى الأنبياء، ما أحد يُستثنى من هذا الشرط: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١] ورسول الله أمر أن يعبد الله مخلصًا له الدين؛ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[الزمر: ٢ - ٣].

سؤال: ما الصحيح في صفة العين والجمع بين النصوص والقول بأن لله عينين؟

جواب: من الأدلة على أن الله له عينان: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْس بِأَعْوَرَ»[1]، وقد يأتي لفظ العين مفردًا حينما يضاف إلى ضمير مفرد: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] هذا ضمير مفرد أضيفت إليه العين فاقتضت هذه الإضافة إفراد لفظ العين، أما في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] لماذا جمعت العيون هنا- وهذا موجود في اللغة-؟ لأنها أضيفت لضمير جمع ضمير الكبرياء والعظمة، فالعظيم يخاطب الناس بمضمرات الجماعة: فعلنا، قلنا، أمرنا، وكذا خلقنا..، وهنا قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] جاءت بصيغة الجمع وإن كانت العينان مثنى، فهذه الإضافة إلى ضمير الجمع اقتضت جمع لفظ الأعين.

---

(١) رواه البخاري في «التوحيد» حديث (٧٤٠٧، ٧٤٠٨)، ومسلم في «الفتن وأشراط الساعة» حديث [٢٩٣٣].

فكذلك لما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] **يعني:** لما أضيف لفظ العين إلى ضمير الجمع جاء مجموعًا، ولما أضيف إلى ضمير مفرد جاء مفردًا، والإنسان يقول: أنا رأيت بعيني هذه، ما يقول بعينيَ مثلًا، رأيت بعيني وسمعت بأذني، إذا قال إنسان: رأيت بعيني وسمعت بأذني، هل يقال: ليس له إلا عين واحدة؟! ليس له إلا أذن واحدة؟! هذه لغة العرب، ومن هنا أخطأ ابن حزم، وابن حزم ظاهري، وفي الأسماء والصفات وقع في التجهم، وفيه تناقض أيضًا، يقول له عينان وعين وأعين![(١)] هذا من ظاهريته السيئة، فالله له عينان كما في حديث الدجال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(٢)] وهو يبين لهم أن الدجال أعور، وإذا قال: أنا ربكم لا تصدقوه؛ لأن ربنا ليس بأعور، فيفهم منه أن لله عينين.

سؤال: في قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد ظننت يا أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك» أليس هذا من مناقب أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه حرص على طلب العلم، وهذا بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

جواب: بلى هذا من مناقبه، قال الناس: أكثر أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «إن إخواننا من المهاجرين شغلهم الصفق في الأسواق، وإخواننا من الأنصار شغلهم العمل في أموالهم. وكنت ألزم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا»[(٣)].

فبارك الله له، أسلم عام خيبر في السنة السابعة، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ توفي في أول الحادية عشرة، أقام مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع سنوات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة فحفظ خمسة آلاف حديث، وهذه قليلة بالنسبة لهذه المدة، لكن كان ملازمًا

---

(١) انظر: «المحلى» (١/ ٣٣-٣٤) و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ١٢٧).

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في «العلم»، حديث [١١٨]، وفي «المزارعة»، حديث [٢٣٥٠]، وفي «الاعتصام»، حديث [٧٣٥٤]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٩٢].

للرسـول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، النـاس قد يذهبـون في أعمالهم ولهم تجارات ولهـم مزارع وهو عاكف على العلم ملازم لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عرف هذه الميزة لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك**» يعني قبلك «**لما علمت من حرصك على الحديث**» فهذه من ميزاته، لكن أبو بكر أفضل منه، وعمر والخلفاء الراشـدون جميعًا، والعشرة المبشرين بالجنة وكثير من الصحابـة أفضل منه؛ لأنهم أسـلموا قبله وهاجروا وعُذِّبـوا وأوذوا وجاهدوا وهو جاء في عـزة الإسـلام، قـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، وفاته بدر وفاته أُحُد وفاتـه غـزوات كثيرة، وشـارك بعد خيبر شـارك في فتح مكة، وشـارك في فتح الطائف، وفاته غزوات كثيرة، وسـبقه السابقون لأسـبقيتهم وجهادهم وصبرهم، فهم أفضل من أبي هريرة، وكثير منهم أعلم منه لا سيما الخلفاء الأربعة، والإنسان قد يكون له ميزة على من هو أفضل منه، فموسـى كليم الله، وإبراهيم خليل الله، ومحمد أفضل منهما، وإن كان الله قد كلَّم محمدًا وهو خليل الله، لكن يعني نصيبه من الخلة يمكن أكثر، ونصيب موسى من التكليم أكثر، ومع ذلك محمد أفضل منهما عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

سؤال: هل الذات من صفات الله؟

جواب: لا، له ذات موصوفة بصفات، وهل يكون له صفات بلا ذات؟!

صفاتـه قائمة بذاتـه، له ذات عظيمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الكون كلـه كخردلة في كفه، هذه الـذات العظيمة الموصوف بالصفات العظيمـة، فالصفات تابعة للذات وقائمة بها، العلم قائم بالذات، والإرادة والحب والرضا والغضب والاستواء والنـزول كلها تتبع الذات.

وهذه الأسـئلة ليسـت طيبة، هذه مما نهى عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الأغلوطات والتعمق والتنطع في الأسـئلة هذه كان يغضب منها رسـول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا نتبع

المتكلمين والمتنطعين، وميزة أهل السنة أنهم بعيدون عن التنطع والتعمق والتكلف والأغلوطات.

سؤال: ما هو الثابت بعد الأذان أهو قول الصلاة الإبراهيمية أوَّلًا ثم يقول: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، أم العكس؟

جواب: إذا سمعت المؤذن تقول مثلما يقول، ثم تصلي عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأي صيغة؛ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذَا سَمِعْتُمُ النداء فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله وَأَرْجُو أَنْ أكونَ أنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(١)، يعني نجيب المؤذن، ثم نصلي عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم نقول: «**اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**».

سؤال: هل يجب على الخطيب الجلوس بين الخطبتين يوم الجمعة؟

جواب: الجلوس بين الخطبتين مهم جدًّا، فقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس بين الخطبتين، رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ قَائِمًا ثُمَّ يَقْعُدُ ثُمَّ يَقُومُ كما تَفْعَلُونَ الْآنَ»(٢).

وقال جَابِرُ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إنَّ رَسُولَ الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كان يَخْطُبُ قَائِمًا ثُمَّ يَجْلِسُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا، فَمَنْ نَبَّأَكَ أَنَّهُ كان يَخْطُبُ جَالِسًا، فَقَدْ كَذَبَ فَقَدْ والله صَلَّيْتُ معه أَكْثَرَ من أَلْفَيْ صَلَاةٍ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم في «الصلاة» حديث [٣٨٤].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: «الجمعة» حديث رقم (٩٢٠، ٩٢٨)، ومسلم في كتاب: «الجمعة» حديث [٨٦١].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: «الجمعة» حديث [٨٦٢].

فالخطبتـان واجبتـان ويشرع فيهما القيـام والقعود، وما أعرف أحـدًا قال بوجوب الجلـوس بين الخطبتـين، أما مشروعية ذلك فلا خلاف فيـه –والله أعلم–، لمداومة النبيِّ ﷺ على هذا الجلوس.

سؤال: هذا يسـأل أنه يصلي في مسجد يتضمن مجموعة من الفرق من كل الأشكال؛ الإمام صوفي وخرافي، ويقول الصوفية: هي الإسلام، ويقول: هو هو.

يعـني بذكـر الله مـا يقـول: لا إلـه إلا الله، يقول: هو هـو، مثل الكلـب ينبح، قبحهم الله، فهل يصلى وراء هذا الإمام؟

فأقول: إذا وجدتم مسجدًا لأهل السنة في أبعد مكان، فصلوا فيه، ولا تصلوا وراء هـذا الصـوفي الضال، وأظنه من أهل وحدة الوجود لا يبعد أبـدًا، من واجبكم أن تبيِّنوا لـه هذا الضلال، وأن قول: هو هو، هذا من لغة الكلاب، ليسـت من لغة الإسـلام «هو هـو» أبـدًا، هذه لغة الـكلاب، ونزه الله عنها الإسـلام، وأن هذا يدل أنـك تقول بوحدة الوجود لأنه لا يقولها إلا هؤلاء، بيِّنوا له، فإن أسـلم دخل في الإسـلام جديدًا فالحمد لله أو تـرك هـذا الضلال والكفر فالحمـد لله، وإلا لا تصلوا وراءه، أقيمـوا عليه الحجة فإن رجع فصلوا وراءه، وإن عاند فلا تصلوا وراءه.





٧٨٩- حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا يزيد بن خالد بن أبي موهب قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان الثقفي أخبره أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لكعب الأحبار: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لكل نبي دعوة يدعو بها، فأنا أريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي: شفاعة لأمتي يوم القيامة**»(١).

٧٩٠- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أخبرنا الحجاج بن أبي منيع، عن جده، عن الزهري قال: حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لكل نبي دعوة، فأنا أريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»(٢).

---

(١) **حديث صحيح**: وهذا إسناد صحيح.
أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [١٩٨] عن حرملة عن ابن وهب به.
وأخرجه أحمد (٧٧١٤-الرسالة) من طريق الزهري عن القاسم بن محمد، قال: اِجْتَمَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَعْبٌ، فَجَعَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ كَعْبًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَعْبٌ يُحَدِّثُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْكُتُبِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فذكره.
(٢) **متفق عليه**: وهذا إسناد حسن. الحجاج بن أبي منيع، قال في «التقريب»: «ثقة». =

٧٩١- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا عبدة - يعني ابن سليمان - عن محمد بن إسحاق، عن موسى بن يسار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكل نبي دعوة دعا بها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»(١).

٧٩٢- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا يعقوب الدورقي قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني خبَّأت دعوتي شفاعة لأمتي»(٢).

حديثا أبي هريرة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صحيحان، وقد أخرجهما الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما.

واختباء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته التي ضمن الله استجابتها في الدنيا، اختباؤه لها وتأخيره لها ليوم القيامة حيث تشتد إليها الحاجة جدًّا، لمن الأدلة على كمال رأفته ورحمته بهذه الأمة، ولقد شهد الله له بهذه الرأفة والرحمة، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ

= وجده هو عبيد الله بن أبي زياد الرصافي، قال في «التقريب»: «صدوق».
رواه المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك [١٦٢٣].
ورواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٤٧٤]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٩٨]، من طرق عن الزهري به.

(١) في إسناده محمد بن إسحاق بن يسار، صدوق، لكنه مدلس وقد عنعن. رواه هناد في «الزهد» [١٨٢].

(٢) متفق عليه: وهذا إسناد صحيح.
أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [٢٠٠]، وأحمد (١٣١٧٠-الرسالة)، من طريق روح به.
وأخرجه البخاري في «الدعوات» حديث [٦٣٠٥] من طريق معتمر عن أبيه، ومسلم في «الإيمان» حديث [٢٠٠]، من طرق عن قتادة، ومن طريق معتمر عن أبيه، كلاهما عن أنس نحوه.

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤوف رحيم بأمته في الدنيا والآخرة، والله الرؤوف الرحيم الذي منَّ على هذا النبيِّ الكريم بهذه الصفات العظيمة يعطي محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يرضيه في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى: ٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا قول الله عَزَّ وَجَلَّ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فسأله، فأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك»(١).

وهذا وعد آخر لرسوله الرؤوف الرحيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سيرضيه في أمته.

نسأل الله الكريم الرؤوف الرحيم أن يجعلنا من خيار أمته، ومن المتمسكين بشريعته، ومن أهل شفاعته.



(١) أخرجه مسلم في «الإيمان» حديث [٢٠٢]، وأبو عوانة حديث [٤١٥]، وابن حبان حديث [٧٢٣٥].

٦٦

بَابُ

ذكر قول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ خيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة، فاخترت الشفاعة»

٧٩٣- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد ابن السري قال: حدثنا عبدة - يعني ابن سليمان - عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي المليح - عوف بن مالك الأشجعي - قال: كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره - فذكر حديثًا طويلًا قال فيه -: وإن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءنا فقال: أتاني الليلة آت من ربي عَزَّ وَجَلَّ فخيرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، قلنا: يا رسول الله، اجعلنا في شفاعتك، فقال: إنكم أهل شفاعتي، ثم أقبلنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس فقال: إنه أتاني الليلة آت من ربي عَزَّ وَجَلَّ فخيرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، قالوا: يا رسول الله، اجعلنا من أهل شفاعتك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أشهد من حضرني أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا».

٧٩٤- حدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: حدثنا بشر بن بكر التنيسي.

....

قال ابن صاعد: وحدثنا يوسف بن سعيد المصيصي قال: حدثنا عمارة بن بشر - واللفظ لبشر بن بكر - قال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: سمعت سليمان بن عامر يقول: سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول: «كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «أتدرون ما خيرني ربي؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة»، فقلنا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: «هي لكل مسلم».

حديث عوف بن مالك رضي الله عنه صحيح، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٨، ٢٩)، والترمذي في «صفة القيامة» حديث [٢٤٤١]، والطيالسي في «مسنده» حديث [٩٩٨]، وهو دليل على رحمة الله الواسعة، وعلى إكرامه لنبيه محمد ﷺ بقبول شفاعته في هذه الأمة، وفيه دليل على حرص رسول الله ﷺ على دخول أمته الجنة، وعلى رحمته ورأفته بهم في الدنيا والآخرة، ولذا آثر الشفاعة وقدمها على العرض بدخول نصفهم الجنة.

وفيه إيمان الصحابة بشفاعته ﷺ وحرصهم على أن يشفع لهم هذا الرسول الرحيم، ووعد الرسول الكريم لهم بالشفاعة ثم وعد بها كل موحد لم يشرك بالله شيئًا، وهذا يشمل عصاة الموحدين الذين وقعوا في المعاصي، ويؤيد هذا الأحاديث الأخرى التي فيها أن شفاعته ﷺ لكل من لم يشرك بالله شيئًا.



٧٩٥- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا أبو معاوية، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سألت الله عَزَّ وَجَلَّ الشفاعة لأمتي، فقال: لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال: قلت: رب زدني، قال: قال: فحثا بين يديه وعن يمينه وعن شماله، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حسبنا يا رسول الله، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبا بكر، دع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر لنا، كما أكثر الله عَزَّ وَجَلَّ، قال: فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما نحن حفنة من حفنات الله عَزَّ وَجَلَّ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صدق أبو بكر»(١).

إسناد حديث أبي هريرة هذا ضعيف جدًّا، فيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك، لكن يغني عنه ما رواه البغوي في مسند علي بن الجعد برقم: [٢٨٤٩]، قال: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، نَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، نَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ سَعِيدٍ الْـمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وحدثنا عاصم: (يعني ابن علي) حدثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«سألت الله عَزَّ وَجَلَّ الشفاعة لأمتي، فقال لي: لك سبعون ألفًا، يدخلون الجنة بغير حساب، فقلت: يارب زدني، فقال: فإن لك هكذا، فحثا بين يديه وعن يمينه وعن شماله»**، فقال أبو بكر: حسبنا يا رسول الله، فقال عمر: دع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر لنا كما أكثر الله تَعَالَى لنا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صدق أبو بكر»**. وهذا لفظ حديث أبي معاوية. هذا حديث حسن.

---

(١) رواه هناد في «الزهد» [١٧٨].

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣١٨-الحوت) والبغوي في «مسند» ابن الجعد [٢٨٤٩] من طريق أبي معاوية به.

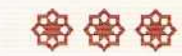
....

وله شـاهد من حديث أبي أمامة، وفيه: «مع كل ألف سـبعون ألفًا»، رواه الترمذي بإسناد حسن برقم: [٢٤٣٧]، وحسنه.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه برقم [(٤٢٨٦)].

فيرتقي هذا الحديث بمجموع طرقه إلى درجة الصحيح لغيره.

وفيه فضل الله على هذه الأمة ورحمة رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته، وطلبه المزيد على ما أخبره به ربنا الكريم واستجابة الله لدعائه.



٧٩٦- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أوتيت الشفاعة، فأشفع لمن كان في قلبه مثقال حبَّة من إيمان، ثم أشفع لمن كان في قلبه مثقال ذرة، حتى لا يبقى أحد في قلبه من الإيمان مثل هذا، وحرك الإبهام والمسبحة»(١).

حديث أنس حسن، في إسناده أبو هشام الرفاعي ليس بالقوي.

وقد روى البخاري في «التوحيد» حديث [٧٥٠٩] بإسناده إلى أبي بَكْرِ بْن عَيَّاشٍ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ، فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ الله ﷺ»**.

ثم ذكر البخاري عقب هذا الحديث حديثًا طويلًا عن أنس برقم: [٧٥١٠]، وفيه شفاعة الرسول عند ربه أربع مرات، يشفع في الأولى فيمن في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، وفي الثانية فيمن في قلبه ذرة أو خردلة من إيمان، وفي الثالثة فيمن في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان، والله يستجيب لشفاعته في هذه المرات، وفي الرابعة يقول رسول الله ﷺ لربه: **«يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول الله: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله»**.

وهذا الحديث في «صحيح مسلم» رقم: [١٩٣].

وفي الحديث سعة كرم الله ورحمته بالموحدين، وفيه بيان فضل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، وفيه بيان منزلة رسول الله ﷺ عند ربه، وفيه رحمة رسول الله ﷺ بعصاة الموحدين من هذه الأمة مهما ضعف إيمانهم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا كما في «النهاية» لابن كثير (٢/ ٢١٢) عن أبي هشام الرفاعي به مثله.

٧٩٧- أخبرنا ابن ذريح قال: حدثنا هناد قال: حدثنا ابن فضيل، عن ليث، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في قوله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]**، فقال: أدخل ابن عباس يده في التراب ثم رفعها، ثم نفخ، ثم قال: كل واحد من هؤلاء مثقال ذرة**[(١)].

حديث ابن عباس هنا في إسناده ليث بن أبي سليم، قال الحافظ: «صدوق، اختلط أخيرًا، ولم يتميَّز حديثه فتُرك»، وفي قوله: «فتُرك» نظر، فإن البخاري روى له تعليقًا، ومسلم روى له في الشواهد، وروى عنه الأربعة، وقال الذهبي في «الكاشف»: فيه ضعف يسير من سوء حفظه، واحتج به بعضهم.

وساق الآجري هنا تفسير ابن عباس لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] بمناسبة ما ذكر في أحاديث الشفاعة من أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ففي تفسير ابن عباس بيان لمثقال الذرة.



---

(١) رواه هناد في «الزهد» [١٩٣].
ورواه الحربي في «غريب الحديث» (١/ ٢٥٩) من طريق ابن فضيل به نحوه.

٦٧ بَابُ

الإيمان بأن قومًا يخرجون من النار، فيدخلون الجنة بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبشفاعة المؤمنين

٧٩٨- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الله بن عمر القواريري قال: حدثنا حماد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار: يا أبا محمد، سمعت جابر بن عبد الله يحدث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يخرج من النار قومًا بالشفاعة»؟ قال: «نعم»[(١)].

٧٩٩- حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا [ابن أبي عمر] - يعني محمد العدني - قال: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار أنه سمع جابرًا يشير إلى أذنيه يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يخرج ناسًا من النار، فيدخلهم الجنة»[(٢)].

حديث جابر صحيح، وأصله في الصحيحين.



---

(١) رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٥٨]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٩١]، من طريق حماد ابن زيد به.

(٢) رواه مسلم حديث [١٩١] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان به.

٨٠٠- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا الحسن بن ذكوان قال: حدثنا أبو رجاء قال: حدثنا عمران بن الحصين، عن النبي ﷺ قال: «يخرج الله من النار قومًا بشفاعة محمد ﷺ فيدخلهم الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميون».

حديث عمران بهذا الإسناد حسن، والمتن في البخاري[١] من طريق مسدد عن يحيى بن سعيد عن الحسن بن ذكوان به.



(١) رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٦٦].

٨٠١- حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي قال: حدثنا خالد بن عبد الله، عن مسعود بن أبي سلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما أهل النار الذين هم أهل النار: فإنهم لا يموتون فيها، وأما ناس من الناس: فإن النار تأخذهم على قدر ذنوبهم فيحترقون فيها، فيصيرون فحمًا، ثم يأذن الله عَزَّ وَجَلَّ لهم في الشفاعة، فيخرجون من النار ضبائر فيبثون، أو ينثرون على أنهار الجنة، فيؤمر أهل الجنة، فيفيضون عليهم من الماء، فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل»[1].

إسناد أبي سعيد هنا فيه تصحيف وسقط، مسعود بن أبي سلمة صوابه: «سعيد ابن يزيد أبو مسلمة»، كذلك هو في رواية عمرو بن عون عن خالد بن عبد الله عند الدارمي، وكذلك قاله الثقات: «عن سعيد بن يزيد بن أبي مسلمة»، هكذا رواه مسلم وأحمد وغيرهما[2].



---

(١) رواه الدارمي في «سننه» في «الرقاق» حديث [٢٨٥٩] عن عمرو بن عون عن خالد بن عبد الله - فقال:- عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ أَبِي مَسْلَمَةَ عن أبي نضرة به نحوه.

(٢) أخرجه أحمد (١١٠٧٧-الرسالة) عن إسماعيل بن علية.

ورواه أحمد (١١٧٤٦-الرسالة)، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٨٥] من طريق شعبة.

ورواه مسلم [١٨٥]، وابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣٠٩] من طريق بشر بن المفضل.

ثلاثتهم (إسماعيل، وشعبة، وبشر) عن سعيد بن يزيد أبي مسلمة به نحوه.

٨٠٢- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا وهب بن بقية الواسطي قال: أخبرنا خالد - يعني ابن عبد الله الواسطي - عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال الله برحمته: انظروا من كان في قلبه حبة من خردل، فأخرجوه من النار، قال: فأخرجوا، وقد عادوا حممًا، فيُلقون في نهر يسمى نهر الحياة، فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل، أو إلى جانب السيل، ألم تروا أنها تأتي صفراء ملتوية».

حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري في صحيحه حديث [٦٥٦٠]، قال: حدثنا وهيب حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه به.

وأخرجه مسلم حديث [١٨٤]، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٥٦).



٨٠٣- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا حميد، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان يوم القيامة: أوتيت الشفاعة، فأشفع لمن كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ثم أشفع لمن كان في قلبه مثقال ذرة حتى لا يبقى أحد في قلبه من الإيمان مثل هذا، وحرك الإبهام والمسبحة»(١).

حديث أنس هنا في إسناده أبو هشام الرفاعي ليس بالقوي، لكن المتن صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه، حديث [٧٥٠٩] بلفظ: سمعت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ. ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ**». فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) تقدم برقم: [٧٩٦].

٨٠٤- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا هدبة بن خالد قال: حدثنا همام بن يحيى قال: حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يخرج من النار قوم بعد ما يصيبهم منها سفع فيدخلون الجنة، يسميهم أهل الجنة: الجهنميون».

حديث أنس هنا صحيح، وقد أخرجه البخاري حديث [٦٥٥٩] من طريق هدبة به.



٨٠٥- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يحيى بن النضر قال: حدثنا أبو داود الطيالسي قال: حدثنا شعبة، عن حماد، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله : «ليخرجن قوم من النار قد محشتهم النار فيدخلون الجنة بشفاعة الشافعين، يسمون: الجهنميون»[١].

حديث حذيفة بهذا الإسناد فيه ضعف يسير بسبب حماد وهو ابن أبي سليمان.

وقد أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٠٢) عن محمد بن جعفر وحجاج عن شعبة عن حماد به بلفظ: «**يُخْرِجُ الله قَوْمًا مُنْتِنِينَ قَدْ مَحَشَتْهُمُ النَّارُ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ**».

❁ ❁ ❁

---

(١) الحديث عند أبي داود الطيالسي في «مسنده» (٤٢٠-التركي)، قال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ رِبْعِيِّ ابْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَحْيَانًا يَرْفَعُهُ وَأَحْيَانًا لَا يَرْفَعُهُ**» - قَالَ: وذكره.

٨٠٦- أخبرنا ابن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا أبو معاوية، عن إسحاق بن عبد الله، عن سعيد بن أبي سعيد، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لقد بلغت الشفاعة يوم القيامة، حتى إن الله عَزَّ وَجَلَّ ليقول للملائكة: أخرجوا برحمتي من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، قال: ثم يخرجهم حفنات بيده بعد ذلك» [1].

إسناد حديث ابن عمر ضعيف جدًّا، فيه إسحاق بن أبي فروة.



---

(١) رواه هناد في «الزهد» [١٩٢].

٨٠٧- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا علي بن مهران قال: حدثنا عبد الله - يعني ابن رشيد - قال: حدثنا عثمان بن مطر قال: حدثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما مجادلة أحدكم يكون له الحق على صاحبه: أشد من المؤمنين لربهم عَزَّوَجَلَّ في إخوانهم الذين دخلوا النار، يقولون: ربنا، إخواننا الذين كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون؟ أدخلوا النار؟ قال الله عَزَّوَجَلَّ: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم فيخرجونهم، ثم يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، حتى يقول: نصف مثقال، حتى يقول: خردلة، حتى يقول: ذرة، ثم يقول الله جل اسمه: شفعت الأخيار من المؤمنين، وبقي أرحم الراحمين، ثم يقبض قبضة أو قبضتين من النار فيدخلون الجنة».

إسناد حديث أبي سعيد هنا ضعيف، فيه عثمان بن مطر الشيباني، وفيه عبد الله بن رشيد وعلي بن مهران لا يعرفان، لكن هذا الحديث جزء من حديث طويل اتفق عليه البخاري ومسلم(١) فهو صحيح.



(١) رواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٥٨١]، وفي «التوحيد» حديث [٧٤٣٩]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٨٣]، من طريق زيد بن أسلم به مطوَّلًا.

٨٠٨- أخبرنا ابن ذريح قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا أبو معاوية، عن سفيان بن زياد العصفري، عن سعيد بن جبير في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] **قال: لما أمر بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد، قال من بها من المشركين: تعالوا فلنقل: لا إله إلا الله، لعلنا أن نخرج مع هؤلاء، فقالوا: فلم يصدّقوا، قال: فحلفوا:** ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾، **قال: فقال الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٤](١).

إسناد أثر سعيد بن جبير صحيح إليه في تفسير هذه الآية الكريمة.



(١) رواه هناد في «الزهد» [١٩٤] وعنه الطبري في «التفسير» (١١/ ٣٠٣).
ورواه الطبري (١١/ ٣٠٣، ٣٠٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٤) من وجه آخر عن سعيد بن جبير معناه مختصرًا.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد روي من غير وجه: أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع يوم القيامة لجميع ذرية آدم من الموحدين بأن يخرج من النار كل موحد، ثم يشفع آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم الأنبياء، ثم الملائكة، ثم المؤمنون، فنعوذ بالله ممن يكذب بهذا، لقد ضل ضلالًا بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا.

يؤكد المؤلف هنا على ثبوت الشفاعة للموحدين من الأنبياء ولاسيما محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والملائكة والمؤمنين، ويستعيذ بالله من حال من يكذب بالشفاعة الثابتة بالكتاب والسنة، فنعوذ بالله من ضلالهم.



٨٠٩- حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ذُكروا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «والذي نفسي بيده، إني لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وإن بيدي لواء الحمد، وإن تحته لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن دونه ولا فخر، قال: ينادي الله عَزَّوَجَلَّ يومئذ: آدم، فيقول آدم: لبيك رب وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم، أكرمك الله وخلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك جنته، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لذريتك، لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إلي اليوم، ولكني سأرشدكم، عليكم بعبد اتخذه الله خليلًا وأنا معكم، فيأتون إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقولون: يا إبراهيم، أنت عبد اتخذك الله خليلًا فاشفع لذرية آدم، لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إلي، ولكن سأرشدكم، عليكم بعبد اصطفاه الله عَزَّوَجَلَّ بكلامه ورسالته، وألقى عليه محبة منه: موسى، وأنا معكم، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت عبد اصطفاك الله عَزَّوَجَلَّ برسالته وكلامه، وألقى عليك محبة منه، اشفع لذرية آدم، لا تحرق اليوم بالنار، قال: ليس ذلك اليوم إلي، ولكن سأرشدكم، عليكم بروح الله عَزَّوَجَلَّ وكلمته: عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيأتون عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فيقولون: يا عيسى، أنت روح الله وكلمته، اشفع لذرية آدم، لا تحرق اليوم بالنار، قال: ليس ذلك اليوم إلي، عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين: أحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا معكم، فيأتون فيقولون: يا أحمد، جعلك الله

....

رحمة للعالمين، فاشفع لذرية آدم، لا تحرق اليوم في النار، فأقول:نعم، أنا صاحبها، فآتي حتى آخذ بحلقة باب الجنة، فيقال. من هذا؟ فأقول: أنا أحمد، فيفتح لي، فإذا نظرت إلى الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خررت ساجدًا، ثم يفتح الله لي من التحميد والثناء على الرب عَزَّوَجَلَّ بشيء لا يحسن بالخلق، ثم يقال: سل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ذرية آدم لا تحرق اليوم في النار، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ثم يعودون إلي، فيقولون: ذرية آدم: لا تحرق اليوم بالنار، فآتي حتى آخذ بحلقة باب الجنة، فيقال: من هذا؟ فأقول: أحمد، فيفتح لي فإذا نظرت إلى الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خررت ساجدًا فأسجد مثل سجودي أول مرة ومثله معه، فيفتح لي من الثناء على الرب عَزَّوَجَلَّ والتحميد مثل ما فتح لي أول مرة، فيقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: رب، ذرية آدم، لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال قيراط من إيمان، ثم يعودون إلي، فآتي حتى أصنع كما صنعت، فإذا نظرت إلى الجبار عَزَّوَجَلَّ خررت ساجدًا، فأسجد كسجودي أول مرة ومثله معه، ويفتح لي من الثناء والتحميد مثل ذلك، ثم يقال: سل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ذرية آدم، لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون ما لا يعلم عددهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ويبقى أكثرهم، ثم يؤذن لآدم بالشفاعة، فيشفع لعشرة آلاف ألف، ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون، حتى إن المؤمن ليشفع لأكثر من ربيعة ومضر».

حديث أنس هنا بهذه السياقة ضعيف في نظري، وفي إسناده سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفًا، إلا أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط».

....

لكن العلة الحقيقية لهذا الحديث هي الانقطاع بين أنس وسعيد بن أبي هلال، فإن روايته عنه مرسلة كما في [«التهذيب»: (٤/ ٩٤)]، والواسطة بينهما في هذا الحديث هو يزيد الرقاشي(١) وهو مشهور بالضعف.

وأنا أسوق هنا حديثًا لأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من صحيح البخاري حديث [٧٤١٠].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَجْمَعُ الله الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ الله إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ الله التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ الله وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ الله أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ**

(١) أخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ١١٠-١١١) بإسناده عن عيسى بن حماد زغبة عن الليث عن يزيد بن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد الرقاشي عن أنس نحوه. وعليه فيحتمل أنه سقط ذكره في إسناد الآجري سهوًا أو خطأ. والله أعلم.

يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ»، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً».

ورواه مسلم في الإيمان حديث [١٩٣] بإسناده إلى أبي عوانة عن قتادة عن أنس به.



٨١٠- وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يحدث، عن قتادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يأتي المؤمنون آدم يوم القيامة»[(١)]. وذكر الحديث بطوله نحوًا من حديث الفريابي.

ولهذا الحديث طرق.

في إسناد هذا الحديث أحمد بن المقدام قال فيه الذهبي: «ثقة»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق».

ساق الإمام الآجري هذه الأحاديث في هذا الباب لإثبات الشفاعة تأكيدًا لما أورده في الأبواب السابقة، وقصده بهذا الباب إثبات الشفاعة من الأنبياء، وعلى رأسهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإثباتها للملائكة والمؤمنين كما ساق ذلك في أحاديث هذا الباب.

وهذه الشفاعة تكون للموحدين المذنبين، فيخرج الله برحمته من في قلبه مثقال دينار من إيمان، ومن في قلبه مثقال نصف دينار من إيمان، ومن في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ومن عنده أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، فيدخلهم جميعًا الجنة، كل ذلك برحمته وبشفاعة الشافعين.

وينكر هذه الشفاعات وأحاديثها، بل وآياتها من خذلهم الله من أهل الضلال كالخوارج والمعتزلة، فيرون أن من يدخل النار لا يخرج منها.

وقابلهم غلاة المرجئة الذين يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب وأن الموحدين لا يدخلون النار.

---

(١) رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٦٠٥-٦٠٦) عن أبي الأشعث به.

وخالف أهل السـنة أهل هذين المذهبين الباطلين، وتمسـكوا بنصوص كتاب ربهم وسنة نبيهم الدالة على أن المؤمن إذا ارتكب كبيرة دون الشرك لا يخرج من الإيمان.

وأنه يسـتحق عـذاب النار وأن كثيرًا مـن المذنبين يدخلون النـار فيعذبهم الله بقدر ذنوبهم، ثم يخرجهم الله من النار، ويدخلهم الجنة بفضل رحمته وبشفاعة الشافعين، وهذا هو المذهب الحق الوسط بين غلو الخوارج والمعتزلة وبين تفريط غلاة المرجئة.





٨١١- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة و هشام بن عمار الدمشقي قالا: حدثنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معد يكرب، عن رسول الله ﷺ قال: «للشهيد عند الله عَزَّوَجَلَّ تسع خصال: يغفر له في أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه».

في إسناده إسماعيل بن عياش: «صدوق»، وفيه خالد بن معدان: ثقة إمام، لكنه يرسل عن المقدام.

قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: بينه وبين المقدام بن معد يكرب جبير ابن نفير، فإن كان الواسطة في هذا الحديث بين خالد بن معدان والمقدام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو جبير ابن نفير فالحديث حسن، ويقويه الحديث التالي.



٨١٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل ابن عياش، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «للشهيد عند الله عَزَّوَجَلَّ تسع خصال» - فذكر الحديث مثله - إلى قوله: «ويشفع في سبعين من أقاربه».

حديث عبادة بن الصامت حسن، من أجل إسماعيل بن عياش فإنه صدوق، وبقية رجاله ثقات، وهو يقوي الحديث الذي قبله، وفي حديث عبادة زيادة حيث قال فيه: «للشهيد عند الله تسع خصال»، فلا يضير هذه الزيادة ما في حديث المقدام بأن الخصال ست، فهذه الزيادة مقبولة إن شاء الله.

وقد أورد الألباني هذا الحديث في «الصحيحة» برقم: [٣٢١٣].

وأطال النفَس في الكلام على طرقه والزيادة والنقص، وذكر الشهادة لبعض الفقرات منه.

والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣١)، والترمذي في «الجهاد» حديث [١٦٦٣]، وابن ماجه في «الجهاد» حديث [٢٧٩٩] كلهم من حديث المقدام بن معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي عقبه: حديث صحيح غريب.



٨١٣- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح المصري وجعفر ابن مسافر قالا: حدثنا يحيى بن حسان قال: حدثنا الوليد بن رباح الذماري قال: حدثنا عمي نمران بن عتبة الذماري، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أقاربه»(١).

٨١٤- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: حدثنا يحيى بن حسان التنيسي قال: حدثنا الوليد بن رباح الذماري قال: حدثني نمران بن عتبة الذماري قال: دخلنا على أم الدرداء، ونحن أيتام صغار، فمسحت رؤوسنا وقالت: أبشروا يا بني، فإني أرجو أن تكونوا من شفاعة أبيكم، فإني سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»(٢).

إسنادا حديث أبي الدرداء ضعيفان، فيهما نمران بن عتبة الذماري، قال فيه الحافظ: «مقبول»، أي إذا توبع، وأنت ترى أن الفقرتين الأخيرتين من حديث المقدام ومن حديث عبادة تشهدان لحديث أبي الدرداء، فيرتقي إلى درجة الحسن.



---

(١) رواه أبو داود في «الجهاد» حديث [٢٥٢٢] عن أحمد بن صالح، وابن حبان في صحيحه حديث [٤٦٦٠] من طريق جعفر بن مسافر، كلاهما عن يحيى بن حسان به.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٢٢) من طريق الحسن بن عبد العزيز الجروي به.

٨١٥- حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن، عن علاق بن أبي مسلم، عن أبان بن عثمان، عن أبيه عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»[1].

هذا الحديث ضعيف جدًّا، في إسناده عنبسة بن عبد الرحمن الأموي، قال الحافظ ابن حجر: متروك، رماه أبو حاتم بالوضع، وقال الذهبي: «قال البخاري: تركوه»، وفي إسناده أيضًا علاق بن مسلم مجهول.



(١) رواه ابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣١٣] عن سعيد بن مروان عن أحمد بن يونس به.

٨١٦- حدثنا أبو العباس حامد بن شعيب البلخي قال: حدثنا محمد بن بكار قال: حدثنا حفص بن سليمان المقري قال: حدثنا كثير بن زاذان، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ القرآن واستظهره وحفظه أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار»(١).

هذا الحديث ضعيف جدًّا، في إسناده كثير بن زاذان، قال الذهبي في «الكاشف»: «لا يثبت حديثه»، وقال الحافظ ابن حجر: «مجهول».

وفيه أيضًا حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي مولاهم، قال الذهبي في «الكاشف»: «ثبت في القراءة، واهي الحديث، قال البخاري: تركوه».



(١) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٢٧٨-الرسالة) عن محمد بن بكار به.

ورواه الترمذي في «أبواب فضائل القرآن» حديث [٢٩٠٥]، وابن ماجه في «المقدمة» حديث [٢١٦] حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَحَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو عُمَرَ بَزَّازٌ كُوفِيٌّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ».

٨١٧- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا شبابة ابن سوار قال: حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي مثل أحد الحيين ربيعة ومضر».

قال: وكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله عنه[(١)].

حديث حسن أو صحيح، رجال إسناده ثقات، إلا عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي، قال الحافظ ابن حجر في التقريب: «مقبول»، وقال الذهبي: «ثقة».

أقول: وحسن المناوي الحديث في «فيض القدير»، وقال العراقي: إسناده حسن.

رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٧)، (٥/ ٢٦٧) لكن بلفظ: **«لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ أَوْ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ»**. قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ مَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَ: **«إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ»**.

وله متابعة بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن أبي الجذعاء، وهو صحابي، بلفظ: **«يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قيل: يا رسول الله سواك؟ قال: سواي»**.

قال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج هذا الحديث أيضًا الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٦٩-٤٧٠)، والطيالسي حديث [١٢٨٣].



---

(١) ومنهم الحسن البصري، انظر: الترمذي، حاشية حديث [٢٤٣٩].

٨١٨- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثنا يحيى بن نمار[(١)] قال: حدثنا جسر أبو جعفر، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع عثمان رضي الله عنه يوم القيامة لمثل ربيعة ومضر»[(٢)].

هذا حديث مرسل كما ترى.



(١) كذا، والصواب: يمان.

(٢) إسناده ضعيف منقطع: فيه جسر أبو جعفر وهو ابن فرقد القصاب ضعيف، قال فيه البخاري: ليس بذاك عندهم. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال النسائي: ضعيف. «الميزان». وفيه محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي ليس بالقوي، ويحيى بن يمان فيه كلام، قال في «التقريب»: «صدوق عابد يخطئ كثيرًا وقد تغير». ثم الحديث مرسل، ومرسلات الحسن من أضعف المراسيل.

رواه عبد الله بن أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة» [٨٦٦] من طريق الرفاعي عن يحيى بن يمان قال: حُدِّثنا عن الحسن به.

وقد جاء تفسير الحديث عن الحسن من قوله، فقد روى أحمد في «الزهد» [٢٠١٠]، وابنه عبد الله في الزوائد عليه [٦٧١] من طريقين عن حماد بن سلمة عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَيَخْرُجَنَّ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مَا هُوَ نَبِيٌّ أَكْثَرُ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**». قَالَ الْحَسَنُ: وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَنَّهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه أَوْ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ رضي الله عنه».

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد روي أنه ما من أهل بيت نبي إلا وله شفاعة.

٨١٩- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي قال: حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن عطية العوفي: أن كعبًا أخذ بيد العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: إني أدخر هذا للشفاعة، فقال: وهل شفاعة إلا للأنبياء؟ أو قال: هل لي شفاعة؟ قال: نعم، ليس من أهل بيت نبي إلا وكانت له شفاعة.

٨٢٠- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا زكريا ابن أبي زائدة، عن عطية بن سعد قال: أخذ كعب الأحبار بيد العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: إني احتسبتها للشفاعة عندك، فقال العباس: وهل لي شفاعة؟ قال: «نعم، ليس أحد من أهل بيت نبي إلا كانت له شفاعة يوم القيامة»(١).

٨٢١- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن يحيى بن فياض قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا زكريا بن أبي زائدة، عن عطية قال: «أخذ كعب بيد العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: احفظها لي عندك، تشفع لي بها يوم القيامة، فقال العباس: وهل لي من شفاعة؟ قال: نعم، إنه ليس أحد من أهل بيت نبي يُسلم إلا كانت له شفاعة»(٢).

في طرق هذا الحديث عطية بن سعد العوفي، قال الذهبي في «المغني»: مجمع على ضعفه، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرًا، فالحديث ضعيف.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة» [١٨٠٢] عن أبي هشام الرفاعي به.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة» [١٨٢٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٦) من طريق يزيد بن هارون به.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأنا أرجو لمن آمن بما ذكرنا من الشفاعة، وبقوم يخرجون من النار من الموحدين، وبجميع ما تقدم ذكرنا له، وبجميع ما سنذكره إن شاء الله من المحبة للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأهل بيته وذريته وصحابته وأزواجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين: أن يرحمنا مولانا الكريم، ولا يحرمنا وإياكم من فضله ورحمته، في أن يدخلنا وإياكم في شفاعة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشفاعة من ذكرنا من الصحابة وأهل بيته، وأزواجه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، ومن كذب بالشفاعة، فليس له فيها نصيب، كما قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أورد الإمام الآجري في هذا الباب عددًا من الأحاديث فيها الصحيح والحسن والضعيف.

أوردها لإثبات الشفاعة للأنبياء والملائكة والمؤمنين والشهداء.

ونحن نؤمن بهذه الشفاعة التي يكرم الله بها محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدرجة الأولى ثم الأنبياء، ومن ذكرنا سلفًا، وقد ذكر من ينكر الشفاعة ويرد الآيات والأحاديث المتواترة فيها، وهذا من جرأة أهل الضلال في هذا الباب وغيره.

ومن المناسب أن أورد هنا أنواع شفاعات نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حاشيته على سنن أبي داود» (١٣/ ٥٥):

فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة:

أحدها- الشفاعة العامة التي يرغب فيها الناس إلى الأنبياء نبيًّا بعد نبي حتى يريحهم الله من مقامهم.

النوع الثاني- الشفاعة في فتح الجنة لأهلها.

النوع الثالث- الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة.

النوع الرابع- الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار.

النوع الخامس- في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار.

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس:

أحدهما- في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها. وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه. وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.

والنوع الثاني- شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات.

وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سلمة وقوله: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**»(١).

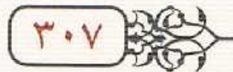
وقوله في حديث أبي موسى: «**اللهم اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**»(٢).

وفي قوله في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله**»(٣) سر من أسرار التوحيد وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد فمن كان أكمل توحيدًا كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تنال بالشرك بالشفيع كما عليه أكثر المشركين. وبالله التوفيق».

(١) رواه مسلم في «الجنائز» حديث [٩٢٠].

(٢) رواه البخاري في «المغازي» حديث [٤٣٢٣]، وفي «الدعوات» حديث [٦٣٨٣]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٩٨].

(٣) سبق تخريجه.





الإيمان بالحوض الذي أعطي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[٨٢٢] أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا عبدة يعني ابن سليمان، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله: «أنا عند حوضي يوم القيامة» قال: فسئل نبيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سعة الحوض؟ فقال: «مثل ما بين مقامي هذا إلى عمان». قال سعيد: ما بينهما شهر أو نحوه، وسئل نبيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شرابه؟ فقال: «أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يعبُّ فيه ميزابان من الجنة أو مداده من الجنة، أحدهما من ورق، والآخر من ذهب».

[٨٢٣] حدثنا أبو بكر محمد بن الليث الجوهري قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تردون على الحوض، وأنا أرد عنه الناس بعصاي» قلنا: يا رسول الله ما عرضه؟ قال: «كما بين مقامي إلى عمان» قلنا: ما آنيته؟ قال: «عدد النجوم، فيه ميزابان من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر

....

من ورق، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا» قال ثوبان: فادعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلكم وارديه.

[٨٢٤] حدثنا الفريابي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا يحيى بن الحارث الذماري، وشيبة بن الأحنف الأوزاعي قالا: سمعنا أبا سلام الأسود، يحدث عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر حوضه فقالوا له: يا رسول الله: من أول الناس ورودًا له؟ قال: «فقراء المهاجرين، الشعثة رؤوسهم، الدنسة ثيابهم الذين لا تفتح لهم السدد، ولا ينكحون المتنعمات»(١).

٨٢٥- حدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أنا محمد بن أبي عدي قال: حدثنا حسين المعلم، عن عبد الله بن بريدة قال: ذكر أن أبا سبرة ابن سلمة سمع ابن زياد يسأل عن الحوض؟ فقال: ما أراه حقًّا بعد ما سأل أبا برزة الأسلمي، والبراء بن عازب، وعائذ بن عمرو المزني، فقال: ما أصدق، فقال أبو سبرة: ألا أحدثك في هذا الحديث شفاء؟ بعثني أبوك إلى معاوية في مال فلقيت عبد الله ابن عمرو، فحدثني عبد الله بن عمرو بفيه، وكتبته بيدي، ما سمع من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم أزد حرفًا ولم أنقص حرفًا، حدثني أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في حديث طويل قال فيه: «موعدكم حوضي، عرضه مثل طوله،

(١) أورد الآجري حديث ثوبان من ثلاث طرق، الأولى منها صحيحة، والأخريان فيهما انقطاع بين ثوبان وسالم ابن أبي الجعد، وبين ثوبان وأبي سلام الأسود. والأولى أخرجها مسلم في «صحيحه» حديث [٢٣٠١]، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٨٠، ٢٨١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٢٢٦-٢٢٧) حديث (٧٠٨-٧٠٩)، ورواه غيرهم.

وهو أبعد ما بين أيلة إلى مكة، وذلك مسيرة شهر، فيه أباريق أمثال الكواكب، ماؤه أشد بياضًا من الفضة، من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا»(١).

فقال ابن زياد: ما حُدِّثت عن الحوض حديثًا هو أثبت من هذا، أشهد أن الحوض حق، وأخذ الصحيفة التي جاء بها أبو سبرة(٢).

[٨٢٦] وحدثنا أبو العباس حامد بن شعيب البلخي قال: حدثنا يحيى بن أيوب العابد قال: حدثنا أبو إسماعيل المؤدب، عن مجالد، عن الشعبي قال: حلف رجل عند ابن زياد فقال: لا سقاه الله من حوض محمد ﷺ، فقال له ابن زياد: ولمحمد حوض؟ قال: نعم، هذا أنس بن مالك يحدث أن له حوضًا فجاء أنس، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي حوضًا وأنا فرطكم عليه».

[٨٢٧] وحدثنا الفريابي قال: نا يزيد بن خالد بن موهب الرملي قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده ليردن الحوض علي رجال حتى إذا عرفتهم ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني».

---

(١) إسناده ضعيف، فيه أبو سبرة لا يعرف. لكن المتن أصله في «البخاري» في «الرقاق» حديث [٦٥٧٩]، وفي «صحيح مسلم» في «الفضائل» حديث [٢٢٩٢]، كلاهما من طريق نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

(٢) رواه المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك [١٦١٠].
ورواه أحمد (٦٥١٤-الرسالة)، (٦٨٧٢-الرسالة)، والحاكم (٢٥٣، ٢٥٤)، والبزار [٢٤٣٥]، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧١٨، ٧١٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» [١٥٥] من طرق عن ابن بريدة به. قال البزار: «وَلَا نَعْلَمُ رَوَى أَبُو سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي سَبْرَةَ إِلَّا عَبْدُ الله بْنُ بُرَيْدَةَ».

[٨٢٨] حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي قال: حدثنا أبو قطن، عن هشام، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين ناحيتي حوضي: كما بين صنعاء إلى المدينة، وكما بين المدينة وعمان»(١).

[٨٢٩] وحدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا أبو عبد الصمد العمي، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المضحية من آنية الجنة، يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل».

[٨٣٠] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة الظلماء المضحية، من آنية الجنة، من شرب فيها لم يظمأ، يشخب فيه ميزابان من الجنة، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»(٢).

....

(١) أورد الآجري حديث أنس رضي الله عنه من ثلاث طرق:
الأولى منها ضعيفة، **والثانية**- حسنة، **والثالثة**- صحيحة. وهذا الحديث عن أنس أصله في البخاري حديث [٦٥٨٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» حديث [٢٣٠٣] من طرق.

(٢) أورد الآجري حديث أبي ذر من طريقين كلاهما صحيح. وقد أخرجه مسلم في «صحيحه» في «الفضائل» حديث [٢٣٠٠]، والإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٤٩).

[٨٣١] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب هو ابن عبد الرحمن، عن أبي حازم قال: سمعت سهلًا يعني سهل بن سعد الساعدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا»(١).

[٨٣٢] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، فلأنازعن رجالا منكم، ولأغلبن عليهم، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(٢).

[٨٣٣] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن العلاء ابن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي من بعد من أمتك؟ قال: «أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون يوم القيامة غرًّا محجَّلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال»(٣).

---

(١) **حديث صحيح**: وقد اتفقا لشيخان على روايته. رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٨٣]، ومسلم في «الفضائل» حديث [٢٢٩٠].

(٢) **حديث صحيح**: وهو مما اتفق على روايته الشيخان. رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٧٦]، ومسلم في «الفضائل» حديث [٢٢٩٧] كلاهما عن شقيق عن عبد الله، وشقيق هو أبو وائل.

(٣) إسناد حديث أبي هريرة رضي الله عنه هنا حسن. وقد أخرجه مسلم في «الوضوء» حديث [٢٤٩] من طريقين عن العلاء به مطوَّلًا. وأخرجه حديث [٢٤٧] من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله...**» الحديث. وأورده مرة أخرى بتقديم وتأخير. وروى البخاري جزءًا من هذا =

[٨٣٤] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث: أن بكير بن عبد الله حدثه، عن القاسم بن عباس الهاشمي، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أم سلمة أنها قالت: كنت أسمع يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس، فقلت للجارية: استأخري عني، فقالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إني من الناس»، فقال رسول الله ﷺ: «إني فرط لكم على الحوض، فإياي لا يأتي أحدكم فيذب عنه كما يذب عنه البعير الضال» وذكر الحديث.

[٨٣٥] وحدثنا أبو بكر النيسابوري قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: أنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكيرًا، حدثه عن القاسم ابن عباس الهاشمي، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس فقلت للجارية: استأخري عني فقالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت: إني من الناس»، فقال رسول الله ﷺ: «إني لكم فرط على الحوض، فإياي لا يأت أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا»(١).

قال أبو بكر النيسابوري: ذكرت هذا الحديث لإبراهيم الأصبهاني فقال: هذا حديث غريب، كتب به إلينا يونس.

....

= الحديث في «المساقاة» حديث [٢٣٦٧].

(١) حديث أم سلمة رضي الله عنها صحيح من طريقيه. وقد رواه مسلم في «الفضائل» حديث [٢٢٩٥].

قال أبو بكر النيسابوري: وسمعت أبا إبراهيم الزهري وذكر هذا الحديث، فقال: هذا في أهل الردة.

٨٣٦- وحدثنا أبو بكر النيسابوري قال: حدثنا حماد بن الحسن الوراق قال: أنبأنا أبو عاصم قال: أنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم بين أيديكم، فإن لم تجدوني فأنا على الحوض، وحوضي: قدر ما بين أيلة إلى مكة» وذكر الحديث.

٨٣٧- وحدثنا أبو بكر النيسابوري أيضًا قال: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: أخبرني جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم بين أيديكم، فإذا لم تروني فأنا على الحوض، وحوضي: قدر ما بين أيلة ومكة» وذكر الحديث»[1].

٨٣٨- وحدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أنبأنا محمد بن أبي عدي قال: حدثنا حميد، عن أنس قال: دخلت على ابن

---

(١) حديث جابر أورده الآجري بإسنادين أولهما صحيح، وثانيهما فيه ابن لهيعة اختلط، لكنه يعتضد بما قبله. رواه اللالكائي [٢١١٥] من طريق أبي بكر النيسابوري عبد الله بن محمد بن يزيد به.
ورواه ابن حبان [٦٤٤٩]، والبزار [٢٩٧٥]، واللالكائي [٢١١٤] من طريقين عن أبي عاصم به نحوه، بزيادة.
ورواه الطبراني في «الأوسط» [٧٤٩]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٣٠٩) من طريقين عن ابن جريج به نحوه. ورواه أحمد (١٥١٢١-الرسالة) وابن أبي عاصم في «السنة» [٧٧١] من طريقين عن أبي الزبير به، إلا أن لفظه عند أحمد: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ». قَالَ: «فَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، قَالَ: فَيُقَالُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».
ورواه أحمد (١٤٧١٩-الرسالة) والطبراني في «الأوسط» [٩٠٧٠] من طريق ابن لهيعة به.

زياد، وهم يتذاكرون الحوض، فلما رأوني طلعت عليهم، قالوا: قد جاءكم أنس فقالوا: يا أنس ما تقول في الحوض؟ فقلت: «والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض، لقد تركت عجائز بالمدينة، ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها عَزَّوَجَلَّ أن يوردها حوض محمد صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[(١)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُٱللَّهُ: ألا ترون إلى أنس بن مالك رَحِمَهُٱللَّهُ يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة، حتى إن العجائز يسألن الله عَزَّوَجَلَّ أن يسقيهن من حوضه صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض، ويكذب به، وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ نبينا محمدًا صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كفاية عن الإكثار.

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف في الحوض فيها الصحيح وفيها الحسن، وهناك أحاديث كثيرة في الصحيحين تتحدث عن الحوض.

ثم إن الإيمان بالحوض عقيدةٌ من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل الإيمان برؤية الله والإيمان باستواء الله على عرشه ونزوله ومجيئه يوم القيامة...الخ، كل ذلك يدين الله به أهل السنة والجماعة؛ لأن كل ما ثبت عن الله وعن رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من صفاته

---

(١) حديث صحيح: وهذا إسناد رجاله ثقات، وحميد الطويل مدلس وقد عنعن، وهذا -والله أعلم- مما أخذه عن ثابت، قاله شعبة وغيره كما في «التهذيب» (٣/ ٣٩-٤٠).
رواه المروزي في «زوائد الزهد» لعبد الله بن المبارك [١٦٠٩].
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٠، ٢٦١)، والبيهقي في «البعث» [١٥٨] من طرق عن حميد به نحوه. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١١٢-الحوت)، وأبو يعلى [٣٣٥٥]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٦٩٨] من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس نحوه.
ورواه البيهقي في «البعث» [١٥٧] من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت به نحوه.

عَزَّوَجَلَّ وأسمائه وأفعاله وغير ذلك من العقائد يدين الله به الصحابة ومن تبعهم بإحسان من خيار التابعين، وهم أهل القرون المفضلة وأئمة الهدى بعدهم، وتشذُّ طوائفُ من أهل الضلال وتخالف في هذا الباب أو ذاك، وقد تجتمع لها كل الشرور، والعياذ بالله، فنسأل الله العافية.

تقدم لكم ذكر الجماعات أو الطوائف التي تنكر كثيرًا من الصفات أو تنكر أسماء الله ونزوله ومجيئه ورؤية المؤمنين له يوم القيامة وتنكر الحوض، ومن هذه الطوائف الخوارج والمعتزلة، فالخوارج ينكرون الحوض، وهم يشاركون سائر فرق الضلال في تعطيل الصفات وفي إنكار الشفاعة وغير ذلك من الضلالات التي وقعت فيها الفرق التي حادت عن منهج الله الحق وعن صراط الله المستقيم وعما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فأحاديث الحوض متواترة أبلغها بعضهم إلى خمسين، وبعضهم أبلغها ثمانين يعني عن ثمانين صحابيًا[(١)]، أورد البخاري ومسلم منها كثيرًا، روى البخاري حوالي ستة عشر حديثًا منها، ومسلم يمكن أكثر من هذا، قبل قليل عددتم ما رواه البخاري فإذا به ستة عشر حديثًا، وأظن أن مسلمًا روى أكثر من ذلك، وفي سائر كتب السنة ودواوين الإسلام رُوِيت هذه الأحاديث العظيمة التي تبشر المؤمنين بأنهم يردون الحوض، المؤمنون الصادقون المخلصون يردون الحوض ويشربون منه.

وأما المنحرفون كالمرتدين وكغلاة أهل البدع يُذادون عن هذا الحوض كما ورد هنا عن أحد الأئمة قال: إن المراد بهؤلاء الذين يذادون عن الحوض هم المرتدون، والبخاري قال مثل ذلك فيما أذكر[(٢)]، فحملوا هذا على المرتدين.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٤٦٩).

(٢) وقع في صحيح الإمام البخاري في كتاب «أحاديث الأنبياء»، باب: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت =

لكن أعداء الله الروافض وأعداء الصحابة يحملون هذه الأحاديث التي يقال فيها: «**يُذَادُ أَقْوَامٌ عَنِ الحَوْضِ**»، يحملونها على الصحابة الكرام وعلى رأسهم أبو بكر وعمر، قبَّح الله أعداء أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخزاهم، يحملون هذا على أصحاب رسول الله الذين قضوا على أهل الردة، فيعتبرون الصحابة مرتدين ويُكفِّرونهم، قبحهم الله، ولا يستثنون من الصحابة إلا أربعة أو خمسة، ويرون أنهم ارتدوا بعد رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لماذا؟ لأنهم اغتصبوا الإمامة من علي كما يفترون، قاتلهم الله، والله ما اغتصبوا الخلافة، وإنما بايع الصحابة أبا بكر وعمر وعثمان باختيارهم مثل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولم يغتصبوه، وكان وزيرًا لكل واحد من هؤلاء الأئمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا، وكانوا إخوة، وكان علي يقول وقد تواتر عنه: «لو أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر لجلدته حد المفتري»، ما كان يرضى لأحد أن يُفَضِّله على أبي بكر وعمر، وكان ينكر ذلك إنكارًا شديدًا، وأهل البيت كذلك فضلاؤهم يعترفون بهذه الفضيلة وهذه المزية لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقد وقع شيءٌ من الخلاف بين بعض العلماء من علماء السنة في أيِّهما أفضل علي أم عثمان، وانتهى هذا الخلاف بإجماع أهل السنة على تقديم عثمان على علي(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وعن سائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

الشاهد: إن خبثاء الروافض يحملون هذه المطاردة عن الحوض يحملونها على سادة الصحابة، فقد ضَلّ هؤلاء الروافض ضلالًا مبينًا، الذين يذادون هم المرتدون قطعًا؛ لأن الردة حصلت وقاتلهم الصحابة الكرام بقيادة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقضوا على هذه الردة

= من أهلها مكانا شرقيًّا»، بعد الحديث برقم [٣٤٤٧]: قال محمد بن يوسف -وهو الفربري راوي الصحيح-: «ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله -أي: البخاري- عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ: هُمُ الْمُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ». انظر: «الفتح» (٦/ ٤٩٠) و(١١/ ٣٨٥).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٥٢٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٣٤).

فـرضي الله عنهـم، حتى قال أبو بكر في حق الزكاة: «والله لو منعوني عقالًا أو عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم عليها»[1]، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ هذه مسألة.

المسـألة الثانية- اختلفت الروايات في تحديد مسـافة هذا الحوض؛ فبعضهم يقول شـهر، وبعضهـم يقول ثلاثـة أيام، وبعضهـم يقول ما بين مكـة إلى المدينـة وإلى صنعاء، وبعضهم يقول من مكة إلى عمان، وبعضهم يقول من أذرح إلى أيلة أو من أيلة إلى أذرح، فاختلفـت الروايات وكلها صحيحة، فكيف نُوفِّق بـين هذه الروايات؟ جاءت عدد من صور الجمع والتوفيق بين هذه الأحاديث التي اختلفت في تحديد مسـافة الحوض، فنُقل عن القرطبي أنه نقل عن عياض أن هذا الاختلاف إنما هو بحسـب المخاطبين وكان مرة يخاطب مثلًا شـاميًّا، فيقول: ما بين أيلة إلى أذرح، وفي **الثانية-** يخاطب يمنيًا فيقول: من صنعاء إلى عدن، **وثالثًا-** يخاطب أهل الحجاز فيقول: ما بين مقامي هذا إلى عَمَّان. ولكن هـذا غير مُسَـلَّم، هذا الجمع غير سـليم، وأولى منه ما قـرَّره النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجمع بين هذه الأحاديث أن المسـافات القليلة لا تنافي المسـافات الكثيرة، المسـافات الكثيرة تثبت في الأحاديـث المتواتـرة، فلا يُغلَّـب القليل على الكثير، وإنما يُغلَّـب الكثير على القليل[2] فالتحديد بالشـهر أو بالثلاثة الأيام يُوفَّق بينها بأن مسـافة الشـهر حُدِّدت بالإبل والخيل الثقيلـة وما شـاكل ذلك، والثلاثة أيام بمسـافة البريد، فإن البريـد في ذلك الوقت يقطع مسافة شهر في ثلاثة أيام، وبهذا تلتئم الأحاديث، يعني يُغلَّب الكثير على القليل.

ومن التوفيقات بينها والجمع بينها أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حدث أولًا بالمسافات القليلـة، ثم أخبره الله أنه زاده سِـعَةً فأخبرهم بمسـافة الشـهر وأخبرهم بمسـافة ما بين

---

(١) رواه البخاري في «الاعتصام بالكتاب والسنة» حديث [٧٢٨٤]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٢٠].

(٢) «شرح مسلم» للنووي (١٥/ ٥٨)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٤٧٢).

المدينـة وعـمان وما بـين المدينة إلى صنعاء، فأخبرهم بالمسـافات الطويلـة في الأخير، كان الإخبار بمسـافة ثلاثـة أيام أي ما بين أيلة وأذرح، ثم بعد ذلك وسَّـع الله على هذه الأمة فأخبره بما يدل على المسافات الطويلة الكثيرة مسافة الشهر ومسافة ما بين مكة وعدن أو ما بين المدينة وصنعاء وما شاكل ذلك(١).

فالحاصل أن التوفيق بين الأحاديث في المسـافات؛ مسافة الشهر والثلاثة أيام نقول فيها: إن مسافة الشهر تُحمَل على السير بالإبل الثقيلة ومسافة الثلاثة أيام تُحمَل على مسافة البريد السريع، فالبريد السريع يقطع مسافة الشهر في ثلاثة أيام.

ثم وقفت على كلام للحافظ ابن حجر يدل على أنه قد وقع غلط في مسافة الثلاث، نقل ذلك عن الحافظ ضياء الدين المقدسي، فقال:

«وأما مسـافة الثلاث فإن الحافظ ضياء الديـن المقدسي ذكر في الجزء الذي جمعه في الحوض أن في سياق لفظها غلطًا، وذلك لاختصار وقع في سياقه من بعض رواته، ثم ساقه مـن حديث أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه من «فوائد عبد الكريم بـن الهيثم الديرعاقولي» بسـند حسـن إلى أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًـا في ذكـر الحـوض فقـال فيـه: «عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح»، قال الضياء: فظهر بهذا أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره كما بين مقامي وبين جرباء وأذرح، فسقط «مقامي» و«بين».

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي بعد أن حكى قول ابن الأثير في النهاية هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام ثم غلطه في ذلك، وقال: ليس كما قال، بل بينهما غلوة سهم، وهمـا معروفتـان بين القـدس والكرك، قال: وقـد ثبت القدر المحذوف عنـد الدارقطني

(١) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٤٧٢).

وغيره بلفظ: «ما بين المدينة وجرباء وأذرح». قلت: وهذا يوافق رواية أبي سعيد عند ابن ماجه: «كما بين الكعبة وبيت المقدس» وقد وقع ذكر جرباء وأذرح في حديث آخر عند مسلم وفيه: «وافى أهل جرباء وأذرح بحرسهم إلى رسول الله ﷺ»، ذكره في غزوة تبوك، وهو يؤيد قول العلائي أنهما متقاربتان. وإذا تقرر ذلك رجع جميع المختلف إلى أنه لاختلاف السير البطيء والسير السريع»[(١)].

وأخيرًا فلا يُغَلَّب القليل على الكثير إنما يُغلَّب الكثير على القليل، وقد يكون من الأسباب أن الرسول أولًا أخبر بالمسافة القليلة، ثم بعد ذلك وسَّع الله على هذه الأمة وجعل المسافة ما بين المدينة وصنعاء والمدينة وعدن وما شاكل ذلك، فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأخبر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن من يأتي بعد الصحابة يعرفه رسول الله بعلامة، قالوا له: كيف تعرف من يأتي بعدنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ**».

فهذه الأمة تتميز عن سائر الأمم بهذه الميزة وهو أن الله يجعل من هذا الوضوء الذي يتوضأه الإنسان تقرُّبًا إلى الله ليؤدي هذه الصلاة ويقوم بهذا الركن العظيم يميزهم الله بهذه الميزة: الغُرَّة في الوجوه والتحجيل في الأيدي فتأتي غرة بيضاء في الوجوه والتحجيل في اليدين ضوء نور من آثار الوضوء، فلنحرص على الصلاة، ولنحرص على الوضوء

(١) انظر «فتح الباري» (١١/ ٤٨٠).

كوضوء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يؤهِّلنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بهذه الأعمال الصالحة والاستقامة على دين الله بأن نكون ممن يرد الحوض، وهذا الحوض مسافته كما ذُكِرَ لكم، وآنيته عدد نجوم السماء، ويشخب فيه ميزابان أحدهما من الذهب مجرى من الذهب، ومجرى من الفضة. الميازيب في الدنيا مليئة بالأوساخ وكذا، لكن هذان الميزابان الله أعلم بسعتهما تصب في الحوض أحدهما مجراه ذهب والثاني مجراه فضة؛ لأن أهل الجنة كذلك هناك جنة من ذهب وجنة من فضة جنة من ذهب آنيتها وما فيها من أوان والقصور والخيام واللؤلؤ وإلى غير ذلك وجنة آنيتها وما فيها من فضة(١).

جنة الذهب للمقرَّبين وجنة الفضة لأصحاب اليمين، وقد ميَّز الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى المقرَّبين وأصحاب اليمين في سورة الرحمن وفي سورة الواقعة، وأشار إلى ذلك في سورة فاطر بين أصحاب اليمين وهم الأبرار وبين السابقين وهم المقرَّبون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ
رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ
مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ
۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا
مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا
وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾
[الواقعة: ١ - ٢٦]

---

(١) كما في الصحيحين: البخاري كتاب: «التفسير» حديث (٤٨٧٨، ٤٨٨٠)، و«التوحيد» حديث [٧٤٤٤]. ومسلم كتاب: «الإيمان» حديث [١٨٠]. كلاهما من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا جزاء المقرَّبين وهم السابقون.

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٤٠]

وهـذا جزاء أصحـاب اليمين، فاحرصـوا أن تكونوا من المقربـين، وعلى الأقل أن تكونوا من أصحاب اليمين.

وأما أصحاب الشـمال: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة: ٤١ – ٥٥].

قـارن بين مصير أصحـاب اليمين والمقربـين، وبين مصير هـؤلاء المجرمين، كيف عيشـة هؤلاء وكيف عيشـة هـؤلاء، فنعوذ بالله مـن غضبه، ونعوذ بالله مـن الخزي ومن هـذا الذل والهوان الذي يلحق المتكبرين البطريـن الأشرين في هذه الحياة الدنيا، فعليكم يا إخوة أن تُشَمِّروا عن ساعد الجد وتكونوا من أصحاب اليمين أو من السابقين المقرَّبين، وإياكـم أن تكونـوا من أصحاب الشـمال -والعياذ بالله-، ولهذا قال الرسـول في حديث أم سـلمة: «**فَإِيَّـاي أَنْ يُذَادَ أَحَدُكُـمْ عَنِ الحَوْضِ**» هذا من التحذيـر، يعني لا تتعاطوا

الأسـباب التي توصلكم إلى هذا إلى أن تذادوا عن الحوض -والعياذ بالله- ويُذهَب بكم إلى النار، «إِيَّايَ» أي أحذركم، هذا من التحذير.

آنية هذا الحوض عدد نجوم السماء كما عرفتم، ويصب فيه ميزابان أحدهما من فضة وآخر من ذهب، واستطردنا إلى الجنة وفي سورة الرحمن قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] وذكـر هـذا للمقربـين. والثانيـة: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢] لأصحـاب اليمـين، فـالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فـرَّق بـين أصحـاب اليمين وبين المقرَّبين، فالمقرَّبون والسـابقون هم السابقون، وهم الذين يؤدون الواجبات والمستحبات ويجتنبـون المكروهـات والمحرمات، وأصحـاب اليمين هـم الذين يؤدون الواجبـات، وقـد يقـصرون في المسـتحبات، ويقعـون في بعـض المكروهـات، لهـذا ميز الله السـابقين عـلى هـؤلاء، وكلهم ممن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأدخلـه الجنة، ولكن هنـاك تفاوت على حسـب الإيمان وقوة الإيمان، وعلى حسـب قوة العمل، على حسـب مقـدار العمل كثرةً وقلـةً، وعـلى قدر الالتـزام بما جاء به محمَّـدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن يلتزم بكل ما جـاء به محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحذافـيره ويـؤدي الواجبات كاملـة من الصلاة والصيـام والصدقة والجهاد والأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنكـر وإلى آخره لا يـترك واجبًا إلا ويقـوم به، ولا يرى محرمًـا إلا ويجتنبه، ولا يـرى مكروهًا إلا واجتنبه، ولا يرى مسـتحبًا إلا وأتاه، ويبالغ في الطاعات، يقوم الليل ويتعب بدنه وينفق ماله؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٩]، فـرق بـين هـذا وبـين الذي يغط طول الليـل إلى الصباح وقد يفوته الوتر وقـد يفوته الفجر، وقد.. وقد.. وبين هذا الذي قلبه معلق بالمسـاجد، ولا يترك بابًا من أبواب الخير إلا ويقوم به، واجبًـا كان أو مسـتحبًا، فاحرصوا يا إخوة على اتباع محمَّـدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطاعته واحترام

....

ما جاء به، وأقبلوا على ذلك بِجِدٍّ وصدق؛ لأن أمامكم جنة موضع شبر منها خيرٌ من الدنيا وما عليها: «**وَلَقَابَ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»(١) فماذا تريدون؟.

أما الذين آمنوا بها فكأنما يرونها، فلا يقر لهم طرف فلا يجدون راحة في هذه الدنيا إلا الاهتمام والاستعداد للقاء الله عَزَّوَجَلَّ لنيل هذا الجزاء وليلقوا هذا الجزاء الذي وعد الله به، إنه لا يخلف الميعاد.

نسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم ممن يرد هذا الحوض ويشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وأن يجعلنا وإياكم من المقرَّبين السابقين إلى جنات النعيم.



(١) قطعة من حديث رواه البخاري في «كتاب الجهاد والسير» حديث [٢٧٩٦].

الأسئلة

سؤال: في حديث «والذي نفسي بيده ليردن علي الحوض رجال حتى إذا عرفتهم ورفعوا إلي اختُلجوا دوني» هؤلاء ما يعرفهم من آثار الوضوء؟

جواب: لعله عرفهم بغير هذه العلامة، وهم من الذين ارتدُّوا هم أناس كانوا مسلمين في حياته ثم ارتدُّوا ولهذا جاء وصفهم في حديث آخر بالمرتدين.

أما هؤلاء الذين يأتون وعليهم آثار الوضوء أفيطردون؟ فهذا غير صحيح.

وبهذه المناسبة فهناك من العقائد الفاسدة عقائد الصوفية يعتقدون أن الرسول كل ما يعمله الناس لا يغيب عليه شيء ويعلم الغيب ويطلع على أحوال الناس في هذه الدنيا، وهذا من الكذب على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قال الله عن محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١]، وزاد في الحديث قال: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، فلا يعلم هذا إلا الله عَزَّوَجَلَّ ما يعلمه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يدري بعد موته ماذا يعمل الناس، وفي حياته أيضًا لا يعلم الغيب؛ لأن الغيب من خصوصيات الله عَزَّوَجَلَّ.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة، والله هو الرقيب على عباده، والرسول ليس رقيبًا عليهم، وليس عليهم بوكيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان يشهد بما علم في هذه الحياة الدنيا، ويغيب عنه كثير وكثير في حياته، ويأتيه الناس بالأخبار عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأن الشهر قد استهل وبكذا، وبالخبر من عند كسرى، وبالخبر من عند قيصر، فما يعلم الغيب، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقالت عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث رواه الشيخان(١): «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ على الله الْفِرْيَةَ»، واحتجت بهذه الآية الكريمة.

---

(١) صحيح البخاري «التوحيد» حديث [٧٣٨٠]، وصحيح مسلم «الإيمان» حديث [١٧٧].

والمنافقـون موجـودن في حياتـه يعرف منهم أناسًـا ومنهم مـن لا يعرفهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١]، وكثير مـن الأشياء.

علـم الغيب من خصائص رب العالمين الربوبية، وعلم الغيب وملك السـموات والأرض والقدرة على كل شيء وعلم كل شيء هذه من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ، لا يشاركه فيهـا نبي مرسـل ولا مَلَكٌ مُقـرَّب، والعبادة لا يعبـدون إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وكل الناس عباد الله: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٤]، فالأنبياء يأتون عبيدًا، والملائكة كذلك، والصالحون والطالحون كلهم لا يأتون الله إلا عبيدًا، ويبعثهم الله حفاةً عراةً غرلًا لا يملكون شـيئًا، وأول من يُكسـى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[(١)].

يظهـر الله ملكـه وقدرته وهيمنتـه على عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلهـم يقفون أذلّاء بين يديه وفقراء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الغني الحميد.

الشـاهد: أن الصوفيـة يغلون والروافض يغلون في آل البيـت والصوفية يغلون في رسـول الله وفي الأموات ويعتقدون فيهم أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، إلى آخـر هـذه الترهـات والأباطيل التي ما جـاء بها الأنبيـاء ولا جاء بهـا محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بـل تعارض نصوص القرآن فجعلوا المخلوقـين شركاء في الربوبية وجعلوهم شركاء في الألوهية والعياذ بالله، فيدعونهم ويسـتغيثون بهم ويلجأون إليهم في الشـدائد والكروب

---

(١) كـما ثبـت في البخـاري في «أحاديـث الأنبياء» حديـث [٣٣٤٩]، وفي «التفسـير» حديـث [٤٦٢٥]، وفي «الرقـاق» حديث [٦٥٢٦]، ومسـلم في «صفة القيامة» حديـث [٢٨٦٠] من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ويعتقـدون فيهـم صفات الإله بأنهـم يعلمون الغيـب ويتصرفون في الكون ويكشـفون الكربات، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وما جاء الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وخاتمهم محمَّدٌ إلا لهدم هذه العقائد الفاسدة الضالة.

سؤال: هـل رؤيـة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحوض وصفاته في معراجه يثبت به وجود الحوض الآن؟

جواب: هو موجود، ورآه حقيقة، وليس تمثيلًا.

سؤال: من أول من يشرب من الحوض؟

جواب: لم يرد في الحديث هذه الأولية، وأحق الناس بهذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن قد يؤثر به بعض أمته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما بالنص أول من يشرب ما أعرف هذا، إذا كان أحـد يعـرف يتفضل، إذا أحد عنده حديث عن أول من يشرب فليفدنا، أقول: أحق الناس بهذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أعرف في هذا حديثًا.

سؤال: ما صحة حديث بأن أهل اليمن يزدحمون على الحوض يوم القيامة؟

جواب: ورد في الحديث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذود عـن الحوض لأهل اليمن، ولكن ليس لكل أهل اليمن، أهل اليمن اليوم فيهم بعثيون، وفيهم شـيوعيون، فهؤلاء يذادون عن الحوض.

والصالحـون ومن قبلهـم من الصحابة من أهل اليمن ومـن التابعين الأخيار ومن سـلك مسـلكهم في أي عـصر من العصـور كذلـك، وكل أمة محمد الصالحـون من أهل الشـام ومن أهل اليمن وخراسـان والأندلس ومن كل مكان كلهم إن شاء الله يشتركون في الشرب من الحوض.

سؤال: لماذا تميزت هذه الأمة عن سائر الأمم بآثار الوضوء، مع العلم أن الأمم قبلها قد شرع فيها الوضوء؟

جواب: الله أعلم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ضرب رسول الله ﷺ مثلًا لهذه الأمة ولمن قبلها فقال: «**مثلكم ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: مالنا، أكثر عملًا وأقل عطاءً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء**»(١). ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

سؤال: هل أهل الكبائر يذادون عن الحوض مثل أهل البدع؟

جواب: لا نستبعد والله أعلم، الذين يذادون هم أهل الردة -والله أعلم-، وقد يغفر الله لبعض أهل الكبائر، وقد يغفر الله لبعض أهل البدع لسبب من الأسباب، فيشربون.

سؤال: كيف الجمع بين حديث يدخل من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار، وحديث يدخل الجنة نصف أمتي؟

جواب: الرسول ﷺ بيّن ذلك، قال: من يأجوج ومأجوج تسعة وتسعون وواحد منكم، والواحد هذا الناجي من هذه الأمة.

---

(١) رواه البخاري في «الإجارة» حديث [٢٢٦٨].

الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشـعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض»**[(١)].

وهـذا لا يمنـع أن تكـون أمـة محمـد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصـف أهل الجنـة، أو أكثـر أهل الجنة.

سؤال: هل ورد أثر فيمن يسقي الناس عند الحوض؟

جواب: يقـال أبو بكر وعمـر في أحاديث ما تحقَّقت من صحتهـا إلى الآن فالله أعلم[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٣٠]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٢٢٢].

(٢) روى أبو بكر الشـافعي في «الغيلانيات» (١/ ١٠٦) رقم: [٦٣]، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٥٤) رقم: [٤٠٨]، وكذا ابن عسـاكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١٥٧) عن أنس قال: قـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن علـى حوضـي أربعـة أركان، فـأول ركـن منها في يـد أبي بكر، والركن الثاني في يد عمر، والركن الثالث في يد عثمان، والركن الرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عثمان، ومن أحب عثمان وأبغض عليًّا لم يسـقه عثمان، ومن أحب عليًّا وأبغض عثمان لم يسـقه علي»**... الحديث.
قـال ابـن الجـوزي: «هـذا حديث لا يصح فيـه مجاهيل، وعـلي بن عاصم؛ قـال فيه يزيد بـن هارون: مـا زلنا نعرفـه بالكذب». وقال الذهبـي في «تلخيص الواهيات»: «هذا باطل». كـما في تنزيه الشريعة لابن عراق (١/ ٤٠٥).
ورواه ابـن الجـوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٥٥) رقم: [٤٠٩] من حديث ابن عباس نحو حديث أنـس، ثم قال: «وهذا موضوع؛ والمتهم به إبراهيم المصيصي، قال ابن حبان: يسرق الحديث ويسـويه ويروي عن الثقات ما ليس من حديثهم». وقد أخرجه ابن حبان في «الضعفاء» كما في «تنزيه الشريعة» لابـن عـراق (١/ ٤٠٥) رقـم: [١٧٩]. وذكر لـه ابن عراق طريقًـا آخر ثم قال: «فيـه محمد بن عون الخراسـاني، قال النسـائي: متروك. ومحمد بن الصباح، قال الأزدي: ضعيف. وفيه غير واحد لم أقف لهم على تراجم». وقال أيضًا: «وجاء من حديث جابر بن عبد الله؛ أخرجه ابن عساكر، وفيه محمد ابن زكريـا الغـلابي». «تنزيه الشريعـة» (١/ ٤٠٥). **قلت:** الغلابي هذا ترجم له الحافظ في «لسـان الميزان» (٧/ ١٣٩)، وقال: «ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة. وقال ابن مندة: تُكُلِّم فيه. وقال الدارقطني: يضع الحديث» اهـ.

سؤال: ماذا تقول في حضور دروس الشيخ عبد الله البخاري في المدينة، أفيدونا مأجورين؟

جواب: أنا أنصح الشباب في المدينة أن يحضروا دروس الشيخ عبد الله البخاري؛ فإنه من خيار أهل السنة ومن الذابين عنها في كل مناسبة فيما أعرف، يكتب ويصول ويجول في الذب عن السنة وأهلها، أكثر من يحاربونه من أهل الأهواء القدامى والمُحْدَثين، وهو من خيار أهل السنة إن شاء الله، وأسأل الله أن يثبتنا وإياه على السنة، وأن ينفع بنا وبه، فما علمت فيه إلا أنه سلفي طيب، وكلنا خطاء، وخير الخطاءون التوابون.

فاحضروا دروس هذا الرجل؛ فإنه من أفاضل خريجي الجامعة الإسلامية وحملة الماجستير، هو الآن أظنه يحضر الدكتوراة، وهو من أذكى الناس، ومن أعرف الناس بالمنهج السلفي، فاحضروا عليه، واستفيدوا منه.

سؤال: هل من يشرب من الحوض لا يدخل النار؟

جواب: الظاهر -والله أعلم- أن الذي يشرب من الحوض لا يدخل النار إن شاء الله.





قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[٨٣٩] حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان - يعني ابن سعيد الثوري - عن أبيه، عن خيثمة، عن البراء بن عازب: «في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: نزلت في عذاب القبر»(١).

٨٤٠- حدثنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن عيسى المصري قال: حدثنا عبد الله ابن وهب قال: أخبرنا عمرو بن الحارث: أن أبا السمح درَّاجًا حدثه، عن ابن حجيرة -واسمه عبد الرحمن- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتدرون ما الضنك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه ليسلط عليه تسع وتسعون تنينًا، أتدرون ما التنين؟ تسع وتسعون حية، لكل حية سبعة أرؤس، ينفخون جسمه، ويلسعونه، ويخدشونه، إلى يوم القيامة»(٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٦٩]، ومسلم في «الجنة» حديث [٢٨٧١]، وفيه زيادة: «فيقال له: من ربك فيقول: ربي الله، ونبيي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ..» وساق الآية المذكورة في هذا الحديث.

(٢) حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا نقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن دراج به، ثم =

٨٤١- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري، عن سعيد بن أبي أيوب قال: سمعت درَّاجًا أبا السمح يقول: سمعت أبا الهيثم يقول: سمعت أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينًا تنهشه وتلدغه، حتى تقوم الساعة، ولو أن تنينًا منها نفخ على الأرض ما أنبتت خضراء»(١).

٨٤٢- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو الأحوص، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن مسروق، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخلت يهودية عليَّ فقالت: سمعتيه يذكر في عذاب القبر شيئًا؟ فقالت لها: وما عذاب القبر؟ قالت: فسليه، فلما أتاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألته عن عذاب القبر؟ فقال: «عذاب القبر حق»، قالت: فما صلى صلاة بليل إلا سمعته يتعوذ من عذاب القبر»(٢).

....

= قال: رفعه منكر جدًّا، وفسر الآية، فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤] أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غير هداه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أي ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره...الخ، انظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ٣٧٧-٣٧٨).. ولا مانع من أن يتناول الضنك عذاب القبر الثابت بالبراهين، لكن الغرابة في وصف التنين، وليس ذلك ببعيد، ولكن لا نقول عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ما ثبت عنه.

رواه أبو يعلى [٦٦٤٤] عن أحمد بن عيسى به. ورواه ابن حبان [٣١٢٢]، والطبري في «التفسير» (١٨/ ٣٩٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [٦٨] من طريق ابن وهب به.

(١) ضعيف؛ لأنه من رواية دراج عن أبي السمح، وهو ضعيف في روايته عن أبي السمح.

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٨-الحوت).

ورواه أحمد [١١٣٣٤]، وعبد بن حميد (٩٢٩-المنتخب)، والدارمي في «الرقاق» حديث [٢٨٥٧]، وابن حبان [٣١٢١] من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ به.

(٢) متفق عليه: وهذا إسناد صحيح. =

[٨٤٣] حدثنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير عن منصور، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دخلت علي عجوز، أو عجوزان من عجائز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: وكذبتهما فخرجتا، ودخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين من عجائز يهود المدينة دخلتا عليَّ، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها، قالت: فما رأيته بعد ذلك في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[(١)].

[٨٤٤] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يهودية دخلت عليها فأمرت لها بشيء: فقالت: أعاذك الله، أو أعاذكم الله، من عذاب القبر - فذكرت حديث الكسوف وقالت في آخره: - فدخل علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقول: «إني رأيتكم تفتنون في قبوركم مثل فتنة الدجال»، قالت: وسمعته يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار»[(٢)].

٨٤٥- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد بن أبي حميد الطويل قال قتيبة، وهو حميد بن طرخان، عن أنس

....

= أخرجه مسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» حديث [٥٨٦] عن هناد عن أبي الأحوص به.
ورواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٧٢] من طريق شعبة عن أشعث به.

(١) متفق عليه: وهذا إسناد صحيح.
أخرجه البخاري في «الدعوات» حديث [٦٣٦٦] عن عثمان بن أبي شيبة به. ومسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» حديث [٥٨٦] عن زهير وإسحاق كلاهما عن جرير به نحوه.

(٢) متفق عليه: وهذا إسناد صحيح. والحديث هنا مختصر، رواه الشيخان مطولًا، رواه البخاري في «الكسوف» حديث [١٠٤٩]، ومسلم في «الكسوف» حديث [٩٠٣].

ابـن مالـك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخـل حائطًا من حوائط بـني النجار، فسمع صوتًا من قبر، فقال: متى دفن صاحب هذا القبر؟ فقالوا: في الجاهلية، فسر بذلك، فقال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر».

٨٤٦- حدثنـا الفريابـي قـال: حدثنـا إسـحاق بن راهويـه قال: أخبرنـا المؤمل ابـن إسماعيـل قال: حدثنا حماد بن سـلمة، عن ثابت البنانـي، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـر علـى حائط لبـني النجار، وهو على بغلة شـهباء، فسـمع أصـوات أقـوام يعذبـون في قبورهم، فقال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لـولا أن لا تدافنوا لسألت الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسمعكم عذاب القبر»[١].

[٨٤٧] حدثنـا الفريابـي قال: حدثنا عثمان بن أبي شـيبة قـال: حدثنا وكيع ابن الجراح، عن شـعبة، عن عون بن أبي جحيفة السـوائي، عن أبيه، عن البراء، عن أبي أيوب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع أصواتًا حين غربت الشمس، فقال: «هذه أصوات اليهود تعذب في قبورها»[٢].

....

(١) حديث أنس طريقه الأولى صحيحة، والثانية حسـنة، من أجل مؤمل بن إسـماعيل، فإنه صدوق سيئ الحفظ، فيحسن حديثه من أجل المتابعة. رواه علي بن حُجر في «حديث إسماعيل بن جعفر» [٤٢].
ورواه النسـائي في «الجنائـز» حديـث [٢٠٥٨]، وأحمد -الرسـالة- (١٢٠٠٧، ١٢١٢٣، ١٢٧٩١، ١٣٠٨٠، ١٤٠٣١) من طرق عن حميد به. وصرح حميد بالتحديث في رواية عند أحمد.
ورواه أحمد [١٢٧٩١] عن المؤمل به.
ورواه أحمد (١٢٥٥٣، ١٤٠٣١) من طريقين آخرين عن حماد عن ثابت به.
ورواه مسـلم في «الجنة» حديث [٢٨٦٨]، وأحمد [١٢٨٠٨] من طريق شـعبة عن قتادة عن أنس عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مختصرًا، بدون القصة.

(٢) متفق عليه: وإسناد المصنف صحيح.
رواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٧٥]، ومسلم في «الجنة» حديث [٢٨٦٩].

٨٤٨- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير ابن عبد الحميد، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحائط من حيطان مكة أو المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يعذبان، وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «كان أحدهما لا يستنزه من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، ووضع على قبر كل منهما كسرة»، فقيل: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا، أو إلى أن ييبسا»[(١)].

٨٤٩- وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا زياد بن أيوب الطوسي قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي قال: حدثنا منصور والأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فإذا هو بقبرين فيهما رجلان يعذبان، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يعذبان في غير كبير، ثم قال: «بلى، إن أحدهما كان لا يستنزه من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»، ثم قال: «أروني عسيبًا، ففتَّه باثنين، فجعل على كل قبر واحدًا»، فقال الناس: لم فعلت هذا يا رسول الله؟ فقال: «لعله يخفف من عذابهما ما داما هكذا، أو لم ييبسا»[(٢)].

---

(١) حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه الآجري من أربع طرق، منها الصحيح ومنها الحسن. والمتن متفق عليه. وهذا إسناد صحيح. أخرجه البخاري في «الوضوء» [٢١٦] عن عثمان بن أبي شيبة به.
ورواه في «الأدب» حديث [٦٠٥٥] عن ابن سلام عن عبيدة بن حميد عن منصور به نحوه.

(٢) إسناده حسن: فيه زياد بن عبد الله البكائي، قال في «التقريب»: «صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين، ولم يثبت أن وكيعًا كذبه».
وتابعه شعبة عن الأعمش به نحوه، رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٧٦٨-التركي) والطبري في «تهذيب الآثار» (٩٠٠-مسند عمر)، وابن حبان [٣١٢٩] من طريقين عن شعبة. قال ابن حبان: =

٨٥٠- حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع بن الجراح قال: حدثنا الأعمش قال: سمعت مجاهدًا يحدث عن طاوس، عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يتنزه من بوله، ثم دعا بعسيب رطب، وذكر الحديث»[1].

[٨٥١] وحدثنا ابن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي ويعقوب بن إبراهيم الدورقي وزياد بن أيوب قالوا: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش.

قال ابن صاعد: وحدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا جرير وأبو معاوية ووكيع - واللفظ لوكيع - قال: حدثنا الأعمش قال: سمعت مجاهدًا يحدث عن طاوس، عن ابن عباس قال: مرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، وذكر الحديث بطوله»[2].

[٨٥٢] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: حدثنا يحيى بن حماد قال: حدثنا أبو عوانة - الوضاح بن عبد الله الواسطي - عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أكثر عذاب القبر في البول».

....

= سَمِعَ هَـذَا الْخَبَرَ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْـنِ عَبَّاسٍ، وَسَـمِعَهُ عَنْ طَـاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ، فَالطَّرِيقَـانِ جَمِيعًا مَحْفُوظَانِ».

(١) إسناد المصنف صحيح: رواه البخاري في «الأدب» حديث [٦٠٥٢]، ومسلم في «الطهارة» حديث [٢٩٢]، من طرق عن وكيع به.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه البخاري في «الوضوء» حديث [٢١٨]، وفي «الجنائز» حديث (١٣٦١، ١٣٧٨)، ومسلم في «الطهارة» حديث [٢٩٢]، من طرق عن الأعمش به.

[٨٥٣] حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا: حدثنا عفان بن مسلم قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أكثر عذاب القبر في البول»(١).

[٨٥٤] أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد ابن السري قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء، أو عن أبي عبيدة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] قال: «عذاب القبر»(٢).

٨٥٥- وأخبرنا ابن ذريح أيضًا قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا وكيع، عن العلاء بن عبد الكريم، عن أبي كريمة، عن زاذان في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧]، قال: «عذاب القبر»(٣).

[٨٥٦] أخبرنا ابن ذريح قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر قالت: «دخل علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا في حائط بني النجار، فيه قبور منهم، قد ماتوا في الجاهلية، قالت:

---

(١) حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الآجري بإسنادين كلاهما صحيح.
أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٦، ٣٨٩)، وابن ماجه في «الطهارة» حديث [٣٤٨].

(٢) **ضعيف الإسناد،** فيه أبو إسحاق مدلس وقد عنعن، وفيه شريك صدوق يخطئ كثيرًا.
رواه هناد في «الزهد» [٣٤٥]، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٦).

(٣) **في إسناده أبو كريمة لا يعرف: والصواب:** أبو كرمة، يروي عن زاذان وعنه العلاء بن عبد الكريم، وهو مجهول. انظر: «تاريخ البخاري» (٩/ ٦٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩/ ٤٣١).
رواه هناد في «الزهد» [٣٥٥].
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [١٤٥٩] من طريق وكيع به.
والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [٦٩] من طريق سفيان الثوري، عن العلاء به.

فخرج، وهو يقول: استعيذوا بالله من عذاب القبر، قالت: فقلت: يا رسول الله، وإنهم ليعذبون في قبورهم؟ قال: نعم، عذابًا تسمعه البهائم»(١).

[٨٥٧] حدثنا الفريابي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا خليد بن دعلج، عن قتادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نخلًا لبني النجار، فخرج مذعورًا، فقال: لمن هذه القبور؟ فقالوا: لقوم مشركين، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سلوا ربكم عَزَّ وَجَلَّ أن يجيركم من عذاب القبر، فوالذي نفسي بيده لولا أني أتخوف أن لا تدافنوا لسألت الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسمعكم عذاب القبر، إن الرجل إذا دخل حفرته، وتفرق عنه أصحابه، دخل عليه ملك شديد الانتهار، فيجلسه في قبره، فيقول له: ماكنت تعبد؟ فأما المؤمن فيقول: كنت أعبد الله وحده لا شريك له، فيقول: ما تقول في محمد؟ فيقول: عبد الله ورسوله، فما يسأله عن شيء غيرهما، فينطلق به إلى مقعده من النار، فيقول: هذا كان لك، فأطعت ربك وعصيت عدوك، ثم ينطلق به إلى منزله من الجنة فيقول: هذا لك، فيقول: دعوني أبشر أهلي، ويوسع له في قبره سبعون ذراعًا. وأما الكافر فيدخل عليه ملك شديد الانتهار فيجلسه، فيقول له: من ربك؟ وما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقول: لا دريت ولا تليت، فيقول له: فما تقول في محمد؟ فيقول: كنت أسمع الناس يقولون، فأقول. فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمع صوته من في الأرض إلا الثقلين، ثم ينطلق به إلى

---

(١) إسناده حسن: فيه أبو سفيان طلحة بن نافع، قال فيه الذهبي: «ليس به بأس»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق». أخرجه هناد في «الزهد» [٣٤٩].

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٦٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٨٧٥]، وابن حبان [٣١٢٥].

منزله من الجنة، فيقول له: هذا كان منزلك، فعصيت ربك، وأطعت عدوك، فيزداد حسرة وندامة، وينطلق به إلى النار، فيراهما كلاهما، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه من وراء صلبه»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالًا بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا.

١- من محتويات هذا الباب: عجائز اليهود يؤمنَّ بعذاب القبر.

سماع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصوات بعض المعذبين في القبور. والكفر والمعاصي من أسباب عذاب القبر، ومن تلك المعاصي النميمة وعدم التنزه من البول كما في حديث ابن عباس. وأكثر عذاب القبر من عدم التنزه من البول.

أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستعاذة بالله من عذاب القبر، كما في حديث أم مبشر.

من العذاب في القبر أن يضرب الكافر بمطراق من حديد فيصيح صيحة يسمع صوته من في الأرض إلا الثقلين، ويوبخ أشد التوبيخ.

---

(١) حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الإسناد ضعيف؛ لأن فيه خليد بن دعلج، قال فيه الذهبي في «المغني» (١/ ٢١٣): «ليس بالقوي، ضعَّفه أحمد وغيره»، وقال فيه الحافظ ابن حجر: «ضعيف».

لكن الإمام أحمد روى في «مسنده» (٣/ ٢٣٣) بنحوه ينقصه بعض الألفاظ من طريق عبد الوهاب ابن عطاء الخفاف عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعًا بنحوه، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» حديث [١٤٢٧] عن أبيه عن عبد الوهاب بنحو لفظ أبيه.

وعبد الوهاب بن عطاء، قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق ربما أخطأ، أنكروا عليه حديثًا في فضل العباس، يقال: دلسه عن ثور». وقال الذهبي فيه في «الكاشف»: «قال أحمد: عالم بسعيد وقال البخاري والنسائي: ليس بالقوي، وقال ابن معين: ثقة».

وإذن فحديثه لا يقل عن درجة الحسن، لاسيما وهو يروي هذا الحديث عن سعيد بن أبي عروبة، وهو كما قال الإمام أحمد: «عالم بحديث سعيد». وحديثه يعضد الحديث الذي رواه الآجري من طريق خليد بن دعلج الضعيف.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بنعيم القبر وعذابه، وهو من أصول عقائدهم، جاء بذلك آيات في القرآن الكريم.

ومن تلكم الآيات قول الله تَعَالَىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

وأما الأحاديث فقد تواترت بذلك، وذكر هذا التواتر عدد من العلماء، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

وذكر الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»، ذكر في هذا الكتاب اثنين وثلاثين حديثًا، ونقل التواتر عن القاضي عياض وعن اللُّقاني.

ونقل عن غير واحد أن أحاديث عذاب القبر متواترة، انظر «نظم المتناثر» ص: [٨٤]، وذكر في هذه الصحيفة أن أحاديث الاستعاذة من عذاب القبر متواترة.

٢- ذكر الإمام الآجري في هذا الباب في التصديق بعذاب القبر ثمانية عشر حديثًا. وورد في هذه الأحاديث أن من أسباب عذاب القبر الكفر والمعاصي، ومنها النميمة وعدم التنزه من البول. وأن أكثر عذاب القبر من عدم التنزه من البول.

ومنها أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستعاذة من عذاب القبر، بل هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ من عذاب القبر، وعلَّمنا أن نستعيذ في كل صلاة من صلواتنا من عذاب القبر.

وفي هـذه الأحاديـث التي ذكرها المصنـف أن الكافر يضرب بمطـراق من حديد، فيصيح صيحة يسمع صوته من في الأرض إلا الثقلين.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبرِ».

وهذا من رأفته ورحمته بهذه الأمة.

٣- وهنـاك مـن ينكر عـذاب القبر، ذكر الإمام ابـن القيم في كتابـه «الروح» ص: (٥١-٥٢) أصنافًا منهم، ألخص ما قاله فيهم:

(أ) قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا قول الفلاسفة المنكرين لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.

(ب) ويقولـه كثير مـن أهل الـكلام من المعتزلـة وغيرهـم، الذين يقـرون بمعاد الأبدان، لكن يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور.

(جـ) وقول ثالـث: وهو أن البرزخ ليـس فيه نعيم ولا عذاب، بـل لا يكون ذلك حتـى تقوم السـاعة الكـبرى، كما يقول ذلـك من يقوله مـن المعتزلة ونحوهـم ممن ينكر عـذاب القـبر ونعيمـه، بناء عـلى أن الروح لا تبقى بعد فـراق البـدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

فجميـع هـذه الطوائـف ضُلّال في أمـر البرزخ، لكنهـم خير من الفلاسـفة، فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى.

أقـول: وضـلال هـذه الطوائـف وإن أقـروا بالقيامـة ضـلال عظيم؛ لأنـه يصادم نصوص القرآن ويصادم النصوص النبوية المتواترة، وما أجمع عليه أهل الحق؛ أهل السنة والجماعة، وكفاهم بذلك ضلالًا.

٤- ولابن القيم بحوث في كتاب «الروح» تتعلق بهذا البحث، أنقل لكم البحث التالي: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ص: (٨٨-٨٩) من هذا الكتاب:

الأمر الثالث- أن الله سُبْحَانَهُ جعل الدور ثلاثًا: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هى التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيمًا أو عذابًا، فأحطْ بهذا الموضع علمًا واعرفه كما ينبغي يزيل منك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وأخيرًا، فإنَّا نسأل الله أن يعيذنا من عذاب القبر وفتنته ومن عذاب النار، ونسأله أن يتغمدنا برحمته، وأن يدخلنا فسيح جناته، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.



٧١ بَابُ

ذِكْر الإيمان والتصديق بمساءلة منكر ونكير

[٨٥٨] حدثنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا قُبِر أحدكم أو الإنسان، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، وينوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله عَزَّوَجَلَّ من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئًا، وكنت أقوله، فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه، حتى تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذَّبًا حتى يبعثه الله عَزَّوَجَلَّ من مضجعه ذلك»(١).

....

(١) إسناد حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حسن، فيه عبد الرحمن بن إسحاق القرشي المدني، قال فيه الذهبي: «قال أبو داود: «قدري ثقة، وضعَّفه بعضهم، وقال البخاري: ليس ممن يعتمد على حفظه»، =

٨٥٩- حدثنا الفريابي قال: حدثنا العباس بن الوليد النرسي قال: حدثنا يزيد ابن زريع قال: حدثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العبد إذا وُضِع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ في محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله عَزَّ وَجَلَّ به مقعدا من الجنة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيراهما كلاهما أو قال: جميعًا. قال قتادة: وذُكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم القيامة. ثم رجع إلى حديث أنس، قال: وأما الكافر، أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»(١).

٨٦٠- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن سنان قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أنبأنا مستلم بن سعيد قال: أنبأنا يعلى بن عطاء قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال له: إنك مُعَلَّم، وإنك على جناح فراق الدنيا، فعلِّمني خيرًا ينفعني الله به، فقال أبو الدرداء: «إمَّا لا، فاعقل، كيف أنت إذا لم يكن لك من الأرض إلا

= انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٤٧). وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق ورمي بالقدر».
رواه الترمذي في «أبواب الجنائز» حديث [١٠٧١] من طريق بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق به نحوه. وقال: «حسن غريب».

(١) **حديث أنس صحيح، ومتنه متفق عليه**: رواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٣٨] من طريق يزيد ابن زريع وعبد الأعلى، ومسلم في «الجنة» حديث [٢٨٧٠]، من طريق يزيد بن زريع وعبد الوهاب ابن عطاء، ثلاثتهم عن سعيد به.
ورواه مسلم حديث [٢٨٧٠] من طريق شيبان عن قتادة به نحوه.

موضـع أربعـة أذرع في ذراعين جاء بك أهلك الذين كانـوا يكرهون فراقك، وإخوانك الذيـن كانـوا يتحزبـون بأمـرك فتلـوك في ذلـك المتل، ثم سـدوا عليك مـن اللبن، وأكثـروا عليـك من الـتراب، وخلوا بينـك وبين متلك ذلـك، فجاءك ملـكان أزرقان جعـدان، يقـال لهما: منكر ونكير، فقالا: من ربـك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإن قلت: ربي الله، وديني الإسـلام، ونبي محمـد ﷺ فقد والله هديت ونجوت، وإن قلت: لا أدري فقد والله هويت ورديت»[(١)].

....

(١) إسـناد حديث أبي الدرداء ضعيف لانقطاعه، رجاله ثقات إلا مستلم بن سعيد فقال فيه ابن حجر في التقريب: «صدوق عابد ربما وهم»، ويعلى بن عطاء لم يذكر سـماعًا من أبي الدرداء، ولم أجد من ذكره في الرواة عنه، وإن بين وفاتيهما حوالي تسعين سنة. انظر «تهذيب التهذيب» (١١/ ٤٠٤-ترجمة يعلى) و(٨/ ١٧٦-ترجمة أبي الدرداء).

وقد روى هذا الأثر شعبة عن يعلى بن عطاء فقال: عن تميم بن غيلان بن سلمة عن أبي الدرداء.

أخرجه ابن أبي شـيبة في «المصنف» -طبعة الحوت- (٣/ ٥٣)، (٧/ ٥٩ و١١٣-١١٤)، ومن طريقه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» [٢٢٩]، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٥٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٨/ ١١١) من طريقين عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن تميم بن غيلان بن سلمة قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء نحوه. وقد وقع في «مصنف» ابن أبي شيبة في الموضع **الأول**- «عن تميم عن غيلان ابن سلمة»، وفي **الثاني**- «تميم بن غيلان عن سلمة»، وفي **الثالث**- «عن تميم بن غيلان بن سلمة» على الصـواب، ووقـع في «إثبات عذاب القبر»: «عن عمير بن سـلمة». وانقلب اسـمه على أحد الرواة في «تاريخ دمشق»، فقال: «غيلان بن تميم بن سلمة».

وتميـم بـن غيلان بن سـلمة ثقفـي، ترجم له البخـاري في «تاريخـه» (٢/ ١٥٣)، وكذا ابـن أبي حاتم في «الجـرح والتعديـل» (٢/ ٤٤١)، فقـال: «تميـم بـن غيـلان بـن سـلمة الثقفـي طائفـي، روى عن أبي الـدرداء، روى عنـه يعلى بن عطاء وعبد العزيز بن أبي رواد سـمعت أبي يقـول ذلك». وذكره ابن حبـان في «الثقات» (٤/ ٨٦). وذكـره بعضهم في «الصحابة» ولا يصح؛ انظر: «الإصابة» لابن حجر (١/ ٤٩٤-٤٩٥).

فالحاصل أن تميمًا هذا مجهول والإسناد ضعيف.

وروى هـذا الأثـر ابن المبـارك في «الزهد» [١٥٩٠] عن أبي معشر المـدني، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٥٨٣) عـن سـفيان عن عمرو بن دينـار، كلاهما عن محمد بن قيس، قَالَ: أَتَى رَجُـلٌ أَبَا الدَّرْدَاءِ، =

[٨٦١] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدثنا إبراهيم ابن سعد، عن أبيه، عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا عمر كيف أنت إذا أعد لك من الأرض ثلاثة أذرع وشبر في عرض ذراع وشبر؟ ثم قام إليك أهلك، فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يغيبوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب، ثم انصرفوا عنك، وأتاك مسائل القبر: منكر ونكير، أصواتهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، قد سدلا شعورهما، فتلتلاك وتهولاك وقالا: من ربك؟ وما دينك؟» قال: يا نبي الله ويكون معي قلبي الذي هو معي اليوم؟ قال: «نعم» قال: إذن أكفيكهما بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

[٨٦٢] حدثنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن عيسى المصري قال حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثني حيي بن عبد الله المعافري، أن أبا عبد الرحمن الحبلي، حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ: «ذكر فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أو ترد علينا عقولنا؟ قال: «نعم كهيئتكم اليوم» قال عمر: «في فيه الحجر»[(٢)].

= وذكر نحوه. ومحمد بن قيس هو المدني القاص، قال الحافظ في «التقريب»: «ثقة من السادسة وحديثه عن الصحابة مرسل». وعليه فروايته عن أبي الدرداء منقطعة، والأثر بحاله ضعيفًا. والله أعلم.

(١) حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إسناده انقطاع؛ لأن عطاء بن يسار لم يسمع من عمر.
رواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» [١٠٣] من طريق منصور بن أبي مزاحم به.
ورواه الحارث بن أبي أسامة (٢٨١-البغية) من طريق إبراهيم بن سعد به نحوه.

(٢) حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في إسناده حيي بن عبد الله المعافري، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «قال ابن معين: ليس به بأس، وقال البخاري: فيه نظر»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يهم».
فالحديث في نظري ضعيف، وأستبعد هذا من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. =

[٨٦٣] حدثنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن العلاء أبو كريب قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا عاصم، عن زر، عن عبد الله قال: «إذا توفي العبد بعث الله عَزَّوَجَلَّ إليه ملائكة فيقبضون روحه في أكفانه، فإذا وضع في قبره بعث الله عَزَّوَجَلَّ إليه ملكين ينتهرانه، فيقولان: من ربك؟ قال: ربي الله، قالا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، قالا: من نبيك؟ قال: محمد قالا: صدقت، كذلك كنت، أفرشوه من الجنة، وألبسوه منها، وأروه مقعده منها، وأما الكافر فيضرب ضربة يلتهب قبره نارًا منها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، أو تماس، ويبعث عليه حيات من حيات القبر كأعناق الإبل، فإذا خرج قمع بمقمع من نار أو حديد»[1].

٨٦٤- حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال يعني ابن عمرو عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلسنا حوله، كأنما على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات أو مرتين

....

= رواه ابن حبان [٣١١٥] من طريق أحمد بن عيسى المصري به.
ورواه أحمد [٦٦٠٣] من طريق ابن لهيعة عن حيي بن عبد الله به.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٨٨) من طريق ابن وهب به، ثم قال: «وبهذا الإسناد خمسة وعشرين حديثًا عامتها، لا يُتَابَعُ عليها».

(١) حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إسناده عاصم بن بهدلة صدوق له أوهام، ففي حديثه ضعف، لكن يشهد له الأحاديث الصحيحة في هذا الباب، فيرتقي إلى درجة الحسن.
رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٧٣٣-مسند عمر) عن أبي كريب به.
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٥٢-الحوت)، والطبري في «التهذيب» [٧٣٤]، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [٢٢٥] من طريقين عن عاصم به نحوه.

ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأنما وجوههم الشمس، حتى يجلسوا منه مد البصر، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، ثم يجيء ملك الموت، فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها[1] في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في تلك الأكفان وفي ذلك الحنوط، فيخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يصعدوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح، فيفتح له، فيستقبله من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، في السماء السابعة، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، وآمنت به، وصدقت به، فينادي مناد من السماء: صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من طيبها وروحها، ويفسح له في قبره مد بصره، يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي

....

(١) لم يدَعوها.

كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، يجلسون منه مد البصر قال: ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده قال: فيخرجها تتقطع معها العروق والعصب، كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها[1] في يده طرفة عين حتى يأخذوها في تلك المسوح، فيخرج منه ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة: إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون، فلا يفتح لهم» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، قال: فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتطرح روحه طرحًا» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، ويقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أفرشوا له من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها قال: ويضيق عليه

....

(١) لم يدَعوها.

قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة»[١].

٨٦٥- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد ابن السري قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء ابن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار وذكر الحديث بطوله[٢].

٨٦٦- حدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أنبأنا أبو معاوية الضرير قال: حدثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ وذكر الحديث بطوله[٣].

....

(١) حديث البراء إسناده حسن.
رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» -الحوت- (٣/ ٥٤-٥٥)، وعنه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٧-٦٨).

(٢) رواه هناد في «الزهد» [٣٣٩]، وعنه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٥٣].

(٣) رواه المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك [١٢١٩] ومن طريق ابن صاعد عنه، اللالكائي [٢١٤٠].
ورواه أحمد (١٨٥٣٤-الرسالة)، والحاكم (١٠٧، ٤١٤)، والطبري في «التفسير» (١٦/ ٥٩٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٣-٢٧٤)، وابن منده في «الإيمان» [١٠٦٤]، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [٤٤] عن أبي معاوية به.
ورواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٥٣]، وأحمد (١٨٥٣٥، ١٨٥٣٦)، والحاكم (١٠٧-١١١)، والطيالسي [٧٨٩]، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٦-الحوت)، والطبري في «التفسير» (١٦/ ٥٩٢، ٥٩٣) وغيرهم من طرق عن الأعمش به. =

٨٦٧- حدثنا ابن صاعد قال: حدثنا الحسين قال: أنبأنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب: في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: التثبيت في الحياة الدنيا: إذا جاءه ملكان في القبر فقالا له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، قالا له: فما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، قالا له: فمن نبيك؟ فيقول: نبيي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا التثبيت في الحياة الدنيا(١).

ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب: «باب ذكر الإيمان والتصديق بمسائلة منكر ونكير»، ولم يكتف بالمساءلة بل هناك أمور أخرى غير مجرد السؤال؛ وهي أن هناك في القبر عذابًا وفيه نعيمًا، وهناك سؤال عن محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسؤال عن هذا الدين، وسؤال عن الرَّبِّ قبل كل شيء، فالأمر عسير، ويحتاج والله لاستعداد لهذا اليوم الرهيب، فإنه -كما يقال- مُفتَرَق الطرق إما إلى جنَّة وإما إلى نار، فيجب أن نستعد

= قال ابن منده في «الإيمان» (٢/ ٩٦٥): «هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ مَشْهُورٌ. رَوَاهُ جَمَاعَةٌ، عَنِ الْبَرَاءِ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عِدَّةٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، وَعَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْمِنْهَالُ أَخْرَجَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ مَا تَفَرَّدَ بِهِ، وَزَاذَانُ أَخْرَجَ عَنْهُ مُسْلِمٌ، وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى رَسْمِ الْجَمَاعَةِ».

وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، فَقَدِ احْتَجَّا جَمِيعًا بِالْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو وَزَاذَانَ أَبِي عُمَرَ الْكِنْدِيِّ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَقَمْعٌ لِلْمُبْتَدِعَةِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِطُولِهِ، وَلَهُ شَوَاهِدُ عَلَى شَرْطِهِمَا يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى صِحَّتِهِ».

ورواه النسائي في «الجنائز» حديث [٢٠٠١]، وابن ماجه في «الجنائز» حديث [١٥٤٩]، من طريق المنهال بن عمرو به مختصرًا.

(١) **إسناد رجاله ثقات**: وفيه الأعمش مدلس وقد عنعن. رواه المروزي في «زوائد الزهد» [١٣٥٦].

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٥٣-الحوت)، وهناد في «الزهد» [٣٤٠]، والطبري في «التفسير» (١٦/ ٥٨٩)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [٣] عن أبي معاوية به.

ورواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٦٩]، ومسلم في «الجنة» حديث [٢٨٧١]، كلاهما من طريق شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء مرفوعًا نحوه.

هذه الأهوال، وبدايتها البرزخ وهو القبر، نستعد لذلك بالإيمان الصادق والأعمال الصالحة، فإن الأمر جِدٌّ والأمر خطير والله؛ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال هناك في وعيد الكفار: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، هذا البرزخ وهو يبدأ بأول ما يوضع العبد في القبر إلى أن تقوم الساعة، ماذا يلاقي فيه؟ المؤمن يلقى نعيمًا حسب إيمانه وعمله الصالح، والكافر والمنافق والفاجر يلقى أهوالًا وعذابًا نعوذ بالله.

فتعلَّموا العلم النافع واعملوا صالحًا، تقرَّبوا إلى الله بالأعمال الصالحة يكرمكم الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي بدايتها البرزخ، فلا منجاة من هذه الأهوال إلا الإيمان الصادق والعمل الصالح، ولابد لنا من العلم النافع الذي يقوم عليه الإيمان الصادق والعمل الصالح، فتعلَّموا فإن تعلُّم العلم يرفعكم عند الله درجات، وينجيكم من الأهوال إذا أنتم عملتم به، وإلا يكون العلم حُجَّة على صاحبه؛ «**وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»[1].

ساق المؤلف عددًا من الأحاديث فيها الحَسَن وفيها الضعيف، وتشترك كلها في أن هناك مَلَكَيْن يسألان العبدَ، وورد ذِكْرُهما في بعض الأحاديث أنهما يأتيان أسودان مهيبان إلى آخره وسمَّاهما بمنكر ونكير والشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُحسِّن هذا الحديث[2] الذي وردت فيه هذه التسمية، وورد في المساءلة -مساءلة المَلَكَيْن- في عددٍ من الأحاديث الصحيحة ولم يُسَمَّ فيها المَلَكان، فنؤمن بهذه المساءلة بأن الله يرسل مَلَكَين يسألان العبد

(١) رواه مسلم في «الطهارة» حديث [٢٢٣].

(٢) انظر: «التعليق على مشكاة المصابيح» (١/ ٦٤) ح: [٦]، و«السلسلة الصحيحة» [١٣٩١].

عـن ربِّه ودينِه ونبيِّه سـواء صحت تسـميتهما أو لم تصح، لابد من الإيمان بأنك ستسـأل هـذه الأسـئلة، فإن نجحـت فإلى النعيـم يفتح لك بـاب إلى الجنة ويُفرَش لـك من الجنَّة ويُفسَح لك سبعون ذراعًا أو أكثر، بل هناك أحاديث صحيحة وردت أن أرواح المؤمنين في الجنـة تـسرح من الجنة حيث شـاءت، وأن أرواحهم معلَّقـة بقناديل في العرش تسرح من الجنة حيث شـاءت، ولا مانع من أن يكون لها علاقة بالجسـد فتنعم الروح والجسـد إذا كان الرجل من أهل الجنة، ويُعَذَّب الروح والجسـد روح الكافر في سِـجِّين، ولا مانع أن يتنـاول العذاب الروح والجسـد، وهذه الأمـور الغيبية لا تدركهـا الحواس ولا حتى العقول، وإنما تُدرَك بالإيمان بالغيب فنُصدِّق هذا الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما أخبر به، ونطيعـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل مـا أمر به، وننتهي عـن كل ما عنه نهى وزجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن هنـاك أمـورًا لا يدركها البشر، فليس أمام الإنسـان إلا الاستسـلام لله والإيمان بما يقوله رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فـإن روحـك التي بين جنبيـك لا تدري ما هـي لا تعرف ما هي ولا تعـرف مـا في أحشـائك وما في قلبـك، فكيف تعرف هـذه الأمور؟! فلابـد فيها من الإيـمان بالأخبار الصادقة الصادرة عن الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى، ونؤمن بأننا نُسـأل وأن المؤمنين ينعمون ويُعَـذَّب الكافرون والمنافقون والفجار، وورد في الأحاديث أنه إذا فُرِغ من دفن الميت وانصرف أصحابه وهو يسـمع قرع نعالهم في هـذه الحـال يأتيـه ملكان يسـألانه، وتُـرَدُّ إليه روحه بعـد أن تعرج إلى السـماء -كما في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعاد إليه ويسأله الملكان فينصرف الناس وهو في هذه الحال: «**إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، ومن المشروع أن يقف المسلمون على قبره إذا دُفِن ويسألون الله له التثبيت فإنه في هذه الحال يسـأل[1] فيسألون الله له التثبيت، فإن دعاء المؤمنين لإخوانهم

---

(١) إشـارة لما رواه أبو داود في «سـننه» في «الجنائز» حديث [٣٢٢١] عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كَانَ النَّبِيُّ =

المؤمنين من الموتى ينفعهم، فالأموات مهما بلغوا من الصلاح والخير بأشدِّ الحاجة إلى أن يدعوَ لهم إخوانهم المؤمنون، بل قد تملأ قبورهم ظلمة فيُنَوِّرها الله بدعاء رسول الله ﷺ في حياته، ولعل ذلك يحصل لهم بدعاء المؤمنين بعد وفاته عليه الصلاة والسلام كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ الله يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**»(١)، فالمؤمنون يحتاجون إلى الدعاء والترحم لهم والتصدق عنهم يحتاجون إلى هذا حتى لو كانوا صحابة، فقد كان بعض الصحابة يتصدق عن أبويه بأمر من النبي عليه الصلاة والسلام، ولا أحد يلحق الصحابة في الفضل والمنزلة عند الله تبارك وتعالى فيحتاجون والله إلى الدعاء، لكن كثيرًا من الجهلاء والضلال قلبوا الأمر ظهرًا لبطن ورأسًا على عقب، فصاروا يعتقدون أن الأموات يُدْعَوْنَ من دون الله ويُستغاث بهم فيُفَرِّجُون الكروب ويُنقذون من الأهوال، وهم والله لا يفعلون من ذلك شيئًا ولا يسمعون من دعاهم، وإنهم والله بأشدِّ الحاجة لمن يدعو لهم، وكثيرٌ من هؤلاء المَدْعُوِّين قد يكونون من المُعَذَّبين الذين لا يصرفون عن أنفسهم شيئًا من هذا العذاب.

وقد يكونون من الصالحين وفي النعيم ولكنهم لا غنى بهم عن فضل الله الذي يزيدهم درجات فهم بحاجة؛ ولهذا يقول الرسول ﷺ: «**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الآخِرَةَ**»(٢).

= ﷺ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُو الأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**».

(١) رواه مسلم في «الجنائز» حديث [٩٥٦].

(٢) رواه أحمد (١٢٣٦-الرسالة)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٩-الحوت)، وأبو يعلى [٢٧٨] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإسناد ضعيف.

ورواه أبو داود في «الجنائز» حديث [٣٢٣٥]، والنسائي في «الضحايا» حديث (٤٤٢٩، ٤٤٣٠)، =

فأنت تذهب إلى القبر لا لتستفيد منه وتطلب منه، إنما تتذكر الآخرة؛ لأن مصيرك في قريب أو بعيد هو هذا المصير، وتتذكّر الآخرة وتذكر ما في هذا القبر من عذاب أو نعيم، ثم تدعو لهذا المقبور ما دام مسلمًا صالحًا كان أو طالحًا، تدعو له لأنه والله فقيرٌ ومحتاجٌ إلى رحمة الله، ومحتاجٌ إلى أن يرحمه المسلمون فيدعون له، «**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ**»(١).

فنرحمهم ونترحم عليهم وندعو لهم، ونعتقد أنهم فقراء لهذا الدعاء يحتاجون إليه، أما أن نعتقد أنهم أغنياء وأنهم يقسمون الأرزاق وأنهم يأتون بالمطر ويشفون المرضى ويستجيبون الدعاء ونقدم لهم الذبائح والنذور ونستغيث بهم ونستنجد بهم؛ فهذه من الضلالات الجاهلية الشركية التي سَرَّبَها إلى عقائد المسلمين الروافض وغلاة الصوفية الذين استمدُّوا هذا الضلال من غلاة الروافض والباطنية.

فعلى الدعاة إلى الله أن ينشروا دعوة الحق في الأرض، وأن ينقذوا بعون الله وتوفيقه من يستطيعون إنقاذه من المسلمين بعد عون الله منْ براثن هذا الضلال الذي أوقعهم فيه الجهل وأوقعهم فيه دعاة السوء ودعاة الضلال من الروافض والباطنية والملاحدة وغلاة الصوفية.

والذي يذهب إلى بعض البلدان يرى مدنًا أقيمت على القبور يشيدون عليهم القباب والمشاهد وإلى آخره، ويشدون إليهم الرِّحال، ويُقَدِّمون إليهم الذبائح والنذور

= والترمذي في «أبواب الجنائز» حديث [١٠٥٤]، وأحمد (٢٣٠٠٣، ٢٣٠٠٥، ٢٣٠١٥) عن بريدة بن الحصيب نحوه. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأصله في مسلم «الجنائز» حديث [٩٧٧] بدون قوله: «فإنه تذكركم الآخرة».

(١) رواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٢٨٤]، ومسلم في «الجنائز» حديث [٩٢٣].

ويستنجدون بهم من آلاف الأميال، يكون بين الميت وبين من يعتقد فيه هذه العقيدة الضالة آلاف الأميال وهو يستنجد به ويعتقد أنه يسمعه ويستجيب له ويقدر على إنقاذه من الشدة وينسى الله عَزَّوَجَلَّ! مع الأسف الشديد، وهذه حال سيئة لم يصل إليها الجاهليون الذين بُعِثَ فيهم محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقضاء على جاهليتهم وعلى شركهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أَخْلَصُوا له الدين في هذه الشدة، ما يشاركه أحد في هذا الدعاء، جرَّدوا هذه الدعوة لله، ما قالوا: يا فلان، ويا فلان، وينسون ما يشركون، ولقد شَهِدَ أناس يبلغون مبلغ التواتر أنهم يركبون في البَرِّ والبحر فتنزل الشدة بالمجموعة من المسلمين فإذا بالخرافيين ينسون الله ويتجهون إلى الأموات إلى البدوي والرفاعي وعبد القادر والزيلعي والعيدروس... ممن لا يملكون لأنفسهم ضَرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فهذا البلاء أحدق بكثير من المسلمين، فنسعى لإنقاذهم بعد عون من الله وفضل، ولا نسلك مسالك دعاة الضلال الذين يُقِرُّون هذه الضلالات التي حاربها جميع الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما بعثهم الله إلا للقضاء في الدرجة الأولى على هذه العقائد الفاسدة؛ العقائد في الأموات وفي الصالحين وفي الأشجار والأحجار وهذه موجودة، والله وجدنا من الخرافيين من يُقَدِّسون الأشجار ويُقَدِّمون لها القرابين، وترى الأعلام والرايات مربوطة بهذه الأشجار التي يعتقدون فيها أن فيها بركة وأنها تنفع وتستجيب لمن يدعوها ويلجأ إليها.

فنعوذ بالله من هذا الضلال الذي استهدف المجتمعات الإسلامية فطحنها طحنًا بهذه الأباطيل، فالمصلح الصادق الناصح المخلص السائر على طريق الأنبياء

عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبدأ بهذه الضلالات يُبَصِّر الناس فيها ويخرجهم من ظلماتها، وإذا خرجوا من ظلماتها رَحَّبُوا بكلِّ ما تقدمه لهم من خير من الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الأعمال والحاكمية وغيرها، فالأصل الأصيل الذي يقوم عليه الإسلام تصحيح معنى شهادة أن لا إله إلا الله، هذا الإصلاح تصحيح لمعنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا رسول الله الذي ضل فيه كثيرٌ وكثيرٌ من المسلمين، فلا يعلمون معنى لا إله إلا الله، ولا يعلمون ماذا يريدون بشهادة أن محمَّدًا رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله، والعبادة هي الصلاة والصوم والزكاة والحج والدعاء هذا الذي يتخلل كل العبادات ولا تستغني عنه عبادة من العبادات فهو لُبُّها، كيف يُصرَف لغير الله؟! والقرآن مليءٌ بتضليل وتكفير وإطلاق الشرك على من يدعو غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كيف يقع المسلمون وهم يحفظون القرآن ويتلونه في مساجدهم، كيف أوقعهم أعداء الله في هذه الضلالات في إفساد معنى لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله في عقولهم! ويتقبَّلون منهم هذا الفساد وهذا الضلال فلا يرجعون إلى لغة القرآن ولا إلى تفاسير القرآن ولا إلى العقائد التي قرَّرها المسلمون وبيَّنوا فيها معنى لا إله إلا الله ومعنى أشهد أن محمدًا رسول الله، فلا نعبد إلا الله، ولا ندعو إلا الله، ولا نستعين إلا بالله، ولا نلجأ في الشدائد إلا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نذبح إلا له، ولا ننذر إلا له إلى آخر العبادات.. نخافه ونتوكل عليه ونرجوه ونطمع فيما عنده، كل هذه العبادات لا تكون إلا لله، لا يجوز أن نشرك فيها أحدًا غير الله، لا نبيًّا مرسلًا ولا مَلَكًا مُقَرَّبًا ولا رجلًا صالحًا.

في بعض البلدان يقيمون أعيادًا لأهل القبور، ويُقَدِّمون لهم الذبائح والنذور، ويحضر كبار علماء ذلك البلد في هذه الأعياد يباركونها مع الأسف الشديد وهم يقرؤون القرآن ولا يستفيدون منه هذه العقيدة ولا يُغيِّرون بها منكرًا، بل يؤيدون هذه المنكرات!

فإلى الله المشتكى من حال بعض العلماء الذين لا يُصلحون ما أفسده الشيطان، بل يؤكِّدونه بتشجيعهم وتبريكهم لهذه الأعمال الجاهلية.

فتعلَّموا العقيدة وأتقنوها، العقيدة في الله وأسمائه وصفاته، والعقيدة في رسالة محمَّدٍ ﷺ صَحِّحوها، فإن خلاصة شهادة أن محمَّدًا رسول الله ﷺ أنك تُصدِّقه فيما أخبر، فلا تتردد في خبر ثبت عنه، تؤمن به وتُصدِّقه، وتعمل بكل ما أمرك، والأوامر الواردة في القرآن والواردة في السنَّة لا تتلكأ في تَقبُّل أي أمر، تعتقد أنه يجب عليك أن تنفذ هذا الأمر، وتعتقد أنه يجب عليك طاعة رسول الله ﷺ في هذا الأمر، وإذا حرّم عليك شيئًا ونهاك عن شيء فتعتقد أن هذا حرام حرَّمه عليك الله وحرَّمه رسوله الأمين الصادق المصدوق ﷺ وتعتقد أنه حرام يجب اجتنابه، كما تقوم بكل ما تستطيع من طاعته في الأوامر -صلوات الله وسلامه عليه-.

على كل حال أمامنا أمور يتجلى فيها المؤمن الصادق المخلص والمتظاهر بالإيمان كالمنافقين ولا نُسمِّيهم مؤمنين الذين يتظاهرون بالإيمان ويُسألون عن الله فيقولون: هاه هاه لا أدري، وعن رسول الله ﷺ فيكون جوابهم: «**هاه هاه لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»، أما من آمن وصدَّق واتَّبع هذا الرسول عليه الصلاة والسلام فتكون إجابته- كما كما في حديث أسماء -: «**هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ (ثلاثًا)**»[1].

تأمَّلوا العبارة: «**جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**» **يعني**: القرآن والسنَّة وما ينبع عنهما من الهداية والنور والإيمان، «**فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا**»، فاعرفوا هذه البيِّنات، واعرفوا هذا الهدى

(١) رواه البخاري في «العلم» حديث [٨٦]، وفي مواضع أخر، ومسلم في «الكسوف» حديث [٩٠٥].

حتى تُسَـدَّدُوا وتوفقوا في إجابة هذه الأسـئلة، فتُسَدَّدُوا وتُوَفَّقُوا في هذه الإجابة وتكون شهادة نابعة من العلم بهذه البينات وبهذا الهدى، وإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، والعلـم هـو العلـم الذي جـاء به محمَّـدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علـم الكتاب والسـنَّة، فـلا تُضَيِّعُوا أوقاتَكـم في القيل والقال وفي الثانويات وما بعـد الثانويات، عليكم بالأولويات، ابدأوا بها واهتموا بها، كما يقال الأولويات عند الآخرين هي الحاكمية وما شابهها، والأولويات عندنا هي الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمَّدًا رسول الله معرفتها وفهمها وتطبيقها والعمل بها، فاعرفوا الله بأسمائه وصفاته.

هـذه ليسـت مـن الأولويـات عندهـم، ولا تحقيـق شـهادة أن لا إلـه إلا الله مـن الأولويـات عندهـم، ولا محاربة الـشرك والبدع والضـلالات من الأولويـات عندهم، عندهم الأولويات الوصول للكراسي والأمور التي توصل إليها من الوسـائل الفاسـدة هـذه هـي الأوليات عندهـم، أما الأولويات -وهـذا التعبير هم يقولونـه- ونحن نقوله الآن- نقـول الأولويات إذا كانت الأولويات فهذه هي الأولويات، الأولويات التي بدأ بها الرسـل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما أخبر الله عنهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

كيـف تعبـد الله وأنت لا تعلم معنـى لا إله إلا الله؟ كيف تجتنـب الطاغوت وأنت مـا تعرف معنى لا إله إلا الله؟ إذن لا بـد أن نعبد الله عَزَّوَجَلَّ ونجتنب الطاغوت، والعبادة لا تحصل إلا بمعرفتها جملةً وتفصيلًا، فنعرف هذه العبادات ونتقرَّب بها إلى الله، والعبادة -كـما يقـول ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ- «هي أمر جامـع لكل ما يحبـه الله ويرضاه مـن الأقوال

والأعمال الظاهرة والباطنة» ويأتي في رأسها شهادة أن لا إله إلا الله من الأقوال وأن محمَّدًا رسول الله، والعمل بمضمونهما.

أجمع هذه الأحاديث حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد تكلم فيه بعض العلماء وطعنوا في إسناده، ومنهم ابن حزم، وأبو حاتم الرازي رَحِمَهُٱللَّهُ، ودافع عنه ابنُ القيم(١)، والحديث إن شاء الله يثبت ومضامينه صحيحة، ولها شواهد، فنقرأه ونفهمه ونُعَلِّمه للناس حتى يستفيدوا منه ويدركوا ما أمامهم من خير وشر.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لمعرفة دينه والعمل به، إن ربنا لسميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ٥٧) و«الروح» لابن القيم ص: [٤٣] وما بعدها.

الأسئلة

سؤال: هذا سائل يقول: لم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمة القبر للعبد المؤمن، فهل هي خاصة بالمنافق والكافر؟

جواب: ورد في حديث سعد بن معاذ أنه ضَمَّه القبر[1]، وهو من أفاضل الصحابة، ويمكن يحصل شيء خفيف ليس مثل ما يحصل للكافر.

سؤال: سائل يقول: ما معنى الحنوط؟ وهل التحنيط من السنَّة؟

جواب: نعم تحنيط الميت من السنَّة، التكفين والتحنيط من السنَّة وهو طيب، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أمَّ عطية لما غسَّلت ابنته زينب أن تجعل لها شيئًا من الطيب وهو الحنوط مثل الكافور[2].

سؤال: هل طلب الدعاء من الميت كقولهم: «يا رسول الله ادع الله لي بكذا» من الشرك الأكبر المخرج من الملة؟ أم هو من جملة الشرك الأصغر فقط؟

جواب: الظاهر أنه من الشرك الأكبر؛ لأنك تطلب منه ما لا يُطلَب إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، فلا تطلب منه شفاعة ولا دعاء؛ لأنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ روحه في الجنة ولا يسمع ولا يراك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه سنَّة الله في الأموات جميعًا أنبياء وغيرهم إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بيَّن فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ

---

(١) رواه النسائي في «سننه» في «الجنائز» حديث [٢٠٥٥]، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٣٠)، وصححه الألباني. وله طرق؛ انظر: «الصحيحة» للألباني (١٦٩٥، ٣٣٤٥).

(٢) رواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٢٥٨]، ومسلم في «الجنائز» حديث [٩٣٩].

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِرٍ: ١٣- ١٤] سماه شركًا، فالمسلمون كثير منهم الخرافيون يقرؤون هذه الآيات ولا يؤمنون بمضمونها ويحرِّفونها، فادرسوا هذه الآيات في قضايا الدعاء على طريقة السلف وعضوا عليها بالنواجذ.

سؤال: هذا يقول: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ الله»[1] أو كما قال: هل يكون هذا اسمًا من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ؟

جواب: لا، هذا من الإخبار؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات هذا من باب الإخبار، حتى على ما أظن ما أورده عالم من العلماء حتى الذين يتوسعون ما ذكروه في أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لكن الغيرة صفة نؤمن بهذه الغيرة وأنه لا أغير منه، لكن هل نشتق له منها اسمًا؟ الظاهر أن هذه من الألفاظ التي لا يشتق له منها اسم كقوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥] ما نقول مستهزئ، ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٤] ما نقول: الله ماكر، وإنما نسوق الآيات بسياقها بتمامها، ولا نستنبط منها أسماء وصفات.

سؤال: ورد الحديث بأمان الشهيد من فتنة القبر كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفى ببارقة السيوف فتنة»[2] فهل هذا خاص بشهيد المعركة أم يدخل فيه كل من أطلق عليه اسم الشهيد؟

---

(١) رواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٦٣٤]، ومسلم في «التوبة» حديث [٢٧٦٠].

(٢) رواه النسائي في «الجنائز» حديث [٢١٩١] من طريق ليث بن سعد عن معاوية بن صالح أَنَّ صَفْوَانَ ابْنَ عَمْرٍو، حَدَّثَهُ عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: فذكره نحوه.
وفي السند معاوية بن صالح، قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٣٥): «وثقه أحمد، وأبو زرعة، وغيرهما.
=

جواب: الله أعلم، وهذا الحديث ما أعرف صحته.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقـول: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

الشهداء ينعمون لا شك، لكن هل مستثنون من سؤال القبر؟ الله أعلم.



= وكان يحيى القطان يتعنت ولا يرضاه. وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وكذا لم يخرج له البخاري. ولينه ابن معين. وقال ابن عدي: هو عندي صدوق». اهـ.

٧٢ كِتَابُ

التصديق بالدجال، وأنه خارج في هذه الأمة

٧٣ بَابُ

استعاذة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة الدجال وتعليمه لأمته: أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال

[٨٦٨] أخبرنا الفريابي أبو بكر قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، ومن شر المسيح الدجال.

[٨٦٩] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا منجاب بن الحارث قال: حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وأعوذ بك من

....

فتنة القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم».

[٨٧٠] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو الطاهر - أحمد بن عمرو - قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني عبد العزيز بن محمد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كان يدعو بهؤلاء الكلمات، ذكر فيهن: وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»..وذكر الحديث[1].

وله طرق عن جماعة.

٨٧١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا أبو عامر العقدي – عبد الملك بن عمرو - قال: حدثنا شعبة، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يتعوذ من عذاب جهنم، وعذاب القبر، والمسيح الدجال»[2].

---

(١) حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صحيح متفق عليه، أورده الآجري من طرق.
أخرجه البخاري في «الدعوات» حديث (٦٣٦٨، ٦٣٧٥، ٦٣٧٦، ٦٣٧٧)، ومسلم في «كتاب الذكر» حديث [٥٨٩]، من طرق عن هشام بن عروة به بألفاظ متقاربة.
ورواه البخاري في «الأذان» حديث [٨٣٢]، ومسلم في «المساجد» حديث [٥٨٩] من طريق الزهري
عن عروة بن الزبير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا بلفظ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**»، قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟ فقال: **إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف**».
(٢) حديث صحيح. أورده الآجري من أربع طرق، بعضها صحيح، وبعضها حسن يتقوى بالصحيح منها.
وهذا إسناد صحيح، أخرجه مسلم في «كتاب المساجد» حديث [٥٨٨] من طريق شعبة به.

٨٧٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي،عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر وعذاب النار، وشر فتنة المحيا والممات، وشر فتنة المسيح الدجال»(١).

٨٧٣- حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا عبد الله ابن جعفر الرقي قال: حدثنا عيسى - يعني ابن يونس - عن الأوزاعي، عن حسان ابن عطية، عن محمد ابن أبي عائشة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا تشهد أحدكم، فليتعوذ من أربع: من عذاب القبر، وعذاب جهنم، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال»(٢).

٨٧٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال: حدثنا الهقل بن زياد قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن محمد ابن أبي عائشة قال: سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب القبر، وعذاب جهنم، وفتنة المحيا والممات، وشر المسيح الدجال، ثم ليدع لنفسه بعد بما شاء»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: وهذا إسناده حسن، فيه معاذ بن هشام، قال ابن حجر: «صدوق ربما وهم». وقد توبع: فالحديث رواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٧٧]، ومسلم في «كتاب المساجد» حديث [٥٨٨]، من طريقين عن هشام به.

(٢) في إسناده عبد الله بن جعفر الرقي، قال ابن حجر: «ثقة، لكنه تغير بأخرة فلم يفحش اختلاطه». وقد توبع، فقد أخرجه مسلم في «كتاب المساجد» حديث [٥٨٨] عن علي بن خشرم عن عيسى بن يونس به.

(٣) **إسناده حسن**: فيه أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن، قال ابن حجر: «صدوق يخطئ». وقد تابعه الحكم ابن موسى عند مسلم حديث [٥٨٨] عن الهقل به. =

ولهذا الحديث طرق جماعة.

[٨٧٥] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن أبي الزبير، عن طاوس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن ويقول: «قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ونعوذ بك من عذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات»(١).

٨٧٦- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو قال: أخبرنا ابن وهب قال: حدثني مالك(٢). وذكر الحديث مثله.

[٨٧٧] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا عبيد الله ابن موسى، عن شيبان، عن يحيى بن أبي سلمة(٣)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(٤).

في الأحاديث السابقة حديث عائشة وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث ابن عباس الاستعاذة بالله من عذاب النار، والاستعاذة بالله من فتنة المسيح الدجال، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ بالله من تلك الأمور.

= وقد رواه مسلم [٥٨٨] من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به. ورواه مسلم -أيضًا- [٥٨٨] من طريق طاووس، ومن طريق الأعرج، كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) حديث ابن عباس صحيح، وقد أخرجه مسلم في «المساجد» حديث [٥٩٠] عن قتيبة بهذا الإسناد.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) كذا، والصواب: عن يحيى عن أبي سلمة.

(٤) إسناد حديث أبي سعيد صحيح إن شاء الله، في إسناده شيبان بن عبد الرحمن حجة، وقوله في الإسناد: «يحيى بن أبي سلمة» غلط، وإنما هو يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وهو ابن عبد الرحمن، وهذا إسناد معروف، فالحديث صحيح.

وفي بعض طرق حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**إذا تَشَهَّدَ أحدكم** «يعني التشهد في الصلاة» **فَلْيَسْتَعِذْ بِالله من أَرْبَعٍ يقول: اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن»، أي أنه ﷺ لشدة اهتمامه بهذه الأمور لخطرها يحفظهم إياها كما يحفظهم السورة من القرآن، ومنها فتنة المسيح الدجال.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**».

والظاهر أن رسول الله ﷺ كان يستعيذ بالله من هذه الفتن في الصلاة وخارجها، فيجب على المسلم أن يستعيذ بالله من هذه الفتن في كل صلاة من صلواته، وينبغي أن يكثر من الاستعاذة بالله منها خارج صلواته.



(١) أخرجه مسلم في «المساجد» حديث [٥٨٨]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٧٧)، والنسائي في «المجتبى» حديث [١٣١٠].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد استعاذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدجال، وعلم أمته أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال.

فينبغي للمسلمين أن يستعيذوا بالله العظيم منه.

وقد حذر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته من فتنة الدجال، ووصفه لهم.

فينبغي للمسلمين أن يحذروا ويستعيذوا بالله من زمان يخرج فيه الدجال، فإنه زمان صعب، فأعاذنا الله وإياكم منه.

وقد روي أنه قد خلق، وهو في الدنيا موثق بالحديد إلى الوقت الذي يأذن الله عَزَّ وَجَلَّ بخروجه.

٨٧٨- حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا أبو موسى الهروي قال: حدثنا سفيان ابن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أما إنه قد أكل الطعام، ومشى في الأسواق» يعني: الدجال.

٨٧٩- وحدثنا أيضًا موسى بن هارون قال: حدثنا محمد بن عباد قال: حدثنا سفيان، عن ابن جدعان، عن الحسن، عن ابن مغفل: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لقد أكل الطعام، ومشى في الأسواق» يعني: الدجال[(١)].

---

(١) حديثا عمران بن حصين وعبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ضعيفان؛ لأن في إسنادهما علي بن زيد بن جدعان مشهور بالضعف.

رواه الحميدي [٨٥٤]، وأحمد (١٩٩٩٣-الرسالة)، والبزار [٣٥٧٤]، والطبراني (١٨/ ١٥٥/ ٣٣٩) من طريق سفيان عن علي بن زيد عن الحسن عن عمران به.

ورواه الطبراني في «الأوسط» [٨١٥٤] عن موسى بن هارون عن محمد بن عباد به. قال الطبراني: «هَكَذَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: عَنِ ابْنِ مُغَفَّلٍ وَرَوَاهُ الْحُمَيْدِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ =

٨٨٠- حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا محمد بن الصباح قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر»(١).

[٨٨١] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قالا: حدثنا بقية، عن بحير- يعني ابن سعد - عن خالد بن معدان، عن عمرو ابن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني قد حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج دعج مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم عَزَّوَجَلَّ ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»(٢).

= وَغَيْرُهُمْ: عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ».

قلت: لقد تابع محمد بن عباد إسحاق بن أبي إسرائيل عن سفيان به. أخرجه أبو يعلى (٦٧٦٤-جامع المسانيد والسنن) عنه.

ورواه البزار في «مسنده» [٣٥٧٥] من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن مرسلًا.

(١) حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح: رواه أحمد [١٣٠٨١]، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٩-الحوت) عن يزيد ابن هارون به. ورواه أحمد في «المسند» [١٢١٤٥] عن يحيى عن حميد به.

وقد رواه مسلم في «الفتن وأشراط الساعة» حديث [٢٩٣٣] من طريق شعيب بن الحبحاب عن أنس عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه، دون قوله: «**عليها ظفرة غليظة**». ورواه البخاري في «الفتن» حديث [٧١٣١]، ومسلم في «الفتن وأشراط الساعة» حديث [٢٩٣٣]، من طريق شعبة عن قتادة عن أنس عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولفظ البخاري: «**مَابُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ**»، ولفظ مسلم نحوه.

(٢) حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إسناده بقية بن الوليد مدلس، وقد عنعن هنا، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢٤)، قال: حدثنا حيوة بن شريح ويزيد بن عبد ربه قالا: حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان به. وبهذا يكون الحديث حسنًا. وكذا رواه أبو داود من طريق =

[٨٨٢] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يحيى بن عثمان قال: حدثنا ضمرة - يعني ابن ربيعة - قال: حدثنا السيباني - يعني أبا عمرو - عن عمرو بن عبد الله الحضرمي، عن أبي أمامة قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان في آخر خطبته: ما يحدثنا عن الدجال، ويحذرناه، فكان من قوله ﷺ: «يا أيها الناس، إنه لم تكن فتنة على وجه الأرض أعظم من فتنة الدجال، وإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يبعث نبيًّا إلا وقد حذره أمته، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله تعالى خليفتي على كل مسلم»(١).

[٨٨٣] وحدثنا أبوحفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي ﷺ ذكر الدجال يومًا، فقال: «إنه أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية»(٢).

....

= حيوة بن شريح أخبرنا بقية حدثني بحير به، انظر: كتاب: «الملاحم والفتن»، حديث [٤٣٢٠].

(١) إسناد حديث أبي أمامة ضعيف، فيه عمرو بن عبد الله الحضرمي لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي، وقال الحافظ ابن حجر فيه: «مقبول». وقال الذهبي فيه في «الكاشف»: «وثق»، إشارة إلى توثيق ابن حبان. وقد رواه نعيم بن حماد في «الفتن» [١٤٤٦]، وحنبل بن إسحاق في «الفتن» [٣٧]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٣٩١]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٠٠٨]، والروياني في «مسنده» [١٢٣٩]، والطبراني في «الشاميين» [٨٦١]، والدارقطني في «الرؤية» [٦٧] من طريق ضمرة بن ربيعة به.
ورواه ابن ماجه في «الفتن» حديث [٤٠٧٧]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٩-٤٦٠)، والطبراني [٧٦٤٤]، وفي «الشاميين» [٨٦١]، والدارقطني في «الرؤية» [٦٨]، والحاكم [٨٦٢٠]، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٨٥٠ و٨٥١) من طريق يحيى السيباني به.

(٢) حديث ابن عمر صحيح، ومتنه متفق عليه. رواه البخاري في «الفتن» حديث [٧١٢٣]، ومسلم حديث [١٦٩].

[٨٨٤] أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشي قال: حدثنا علي بن عبد الله المديني قال: أنبأنا الوليد بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثني يحيى بن جابر الطائي قال: حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي: أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فسألنا فقلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال الغداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، فإن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم» وذكر الحديث[١].

[٨٨٥] وحدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا خلف بن هشام البزار قال: حدثنا أبو شهاب الحناط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مجالد، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس قالت: صعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر وكان لا يصعد قبل يومئذ إلا يوم جمعة، أو كما قالت، فاستنكر الناس ذلك، فبين قائم وجالس فأومأ إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده: «أن اجلسوا، فإني لم أقم مقامي هذا لأمر ينفعكم لرهبة ولا لرغبة، ولكن تميمًا الداري أتاني، فأخبرني خبرًا منعني القيلولة من الفرح وقرة العين، ألا إن بني عم لتميم الداري ركبوا في البحر، أخذتهم عاصف في البحر، فألجأتهم إلى جزيرة من جزائر البحر لا يعرفونها، فقعدوا، وقال خلف مرة أخرى: فركبوا في قوارب السفينة، ثم خرجوا فصعدوا إلى الجزيرة، فإذا

---

(١) حديث النواس بن سمعان صحيح، أخرجه مسلم مطوَّلا في «كتاب الفتن» حديث [٢١٣٧]، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٨١ - ١٨٢) مطولًا، وأبو داود في «الملاحم» حديث [٤٣٢١]، والترمذي في «أبواب الفتن» حديث [٢٢٤٠] مطولًا.

هم بشيء أسود أهدب، كثير الشعر، فقالوا لها: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، فقالوا لها: أخبرينا عن الناس، فقالت: ما أنا بمخبرتكم شيئًا، ولا سائلتكم عنه، ولكن عليكم بهذا الدير فأتوه، فإن فيه رجلًا بالأشواق إلى أن يخابركم وتخابروه، فأتوه فاستأذنوا عليه، فدخلوا، فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق، شديد التشكي، مظهر للحزن، فقال: من أين نبأتم؟ فقالوا: من الشام، قال: فما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قوم من العرب عم تسأل؟ قال: ما فعل هذا الرجل الذي خرج؟ فقالوا: خيرًا ناوأه قومه، فأظهره الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، فأمرهم جميع، ودينهم واحد، ونبيهم واحد، وإلههم واحد، قال: ذلك خير لهم، فقال: ما فعلت عين زغر؟ فقالوا: يشربون منها لشفتهم، ويسقون منها زروعهم، قال: ما فعل نخل ما بين عمان وبيسان؟ فقالوا: يطعم جناه كل حين، قال: ما فعلت بحيرة الطبرية؟ فقالوا: يدفق جانباها من كثرة الماء، قال: فزفر عند ذلك ثلاث زفرات، ثم قال: إن انفلت من وثاقي هذا: لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجلي هاتين، إلا طيبة ليس لي عليها سلطان »، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة يعني: المدينة والذي نفس محمد بيده ما فيها طريق واحد، ضيق ولا واسع، سهل ولا جبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه إلى يوم القيامة**».

[٨٨٦] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني قال: حدثنا أبو حفص عمرو ابن علي الفلاس قال: حدثنا معتمر قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن مجالد، عن عامر قال: حدثتني فاطمة بنت قيس: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الظهر، ثم صعد المنبر، وكان لا يصعد عليه إلا يوم جمعة قبل ذاك اليوم، فاستنكر الناس ذلك، فمن بين قائم وجالس، فأشار إليهم بيده: أن اجلسوا فقال: «إني والله ما قمت مقامي هذا بأمر ينهمكم رغبة ورهبة، ولكن تميمًا الداري أتاني فأخبرني خبرًا منع مني

....

القيلولـة مـن الفرح، فأحببت أن أنشـر عليكم فرح نبيكم، إن بـني عم لتميم الداري أخذتهـم عاصفـة في البحـر، فألجأتهم الريـح إلى جزيرة لا يعرفونهـا فقعدوا على قوارب السـفينة، فصعدوا إليها فإذا هم بشـيء أهدب أسود، كثير الشعر، فقالوا: ما أنـت؟ قالت: أنا الجساسـة، فقالـوا: أخبرينا، قالت: ما أنا بمخبرتكم ولا سـائلتكم، ولكـن هـذا الدير قـد رهقتموه، وفيه رجـل هو بالأشـواق إلى أن تخبروه ويخبركم، فعمـدوا حتى أتوه، فاسـتأذنوا، فإذا هم بشـيخ موثق، شـديد الوثـاق، مظهر الحزن، شـديد التشـكي، فقال لهم: من أين نشـأتم؟ قالوا من الشـام، قال: ما فعلت العرب؟ قالـوا: نحـن قوم من العرب، عم تسـأل؟ قال: ما فعل هذا الرجـل الذي خرج فيكم؟ قالـوا: خيرًا، نـاوأه قوم، وصدقه قوم، فأظهره الله عَزَّوَجَلَّ عليهـم، قال: فدينهم واحد وإلههـم واحد؟ قالوا: نعم، قـال: ذاك خير لهم، قال: ما فعلت عين زغر؟ قالوا: خيرًا، يشربون، ويسقون منها زروعهم، قال: فما فعل نخل بين عمان وبيسان؟ قالوا: يطعم جنـاه كل عـام، قال: ما فعلت بحيرة الطبرية؟ فقالـوا: يدفق جنباها، كثيرة الماء، قـال: فزفـر عند ذلك، ثـم زفر، ثم زفر، ثم قال: لو قد انفلت من وثاقي هذا لم أترك أرضًـا إلا وطئتهـا برجلـي هاتين، إلا أن تكـون طيبة فليس لي عليها سـلطان، فقال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسـي بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسـع، ولا سهل ولا جبل إلا عليه ملك شاهر بالسيف إلى يوم القيامة»(١).

---

(١) حديث الشعبي عن فاطمة بنت قيس في إسناديه مجالد، قال الذهبي في «الكاشف»: ضعّفه ابن معين، وقـال النسـائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ثقة. وقـال الحافظ ابن حجر: «ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره».

لكن مسلمًا روى هذا الحديث في «صحيحه» في كتاب: «الفتن» حديث [٢٩٤٢] من طريق ابن بريدة، ومن طريق سيار أبو الحكم، ومن طريق غيلان بن جرير، ومن طريق أبي الزناد، كلهم عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس بنحو هذا الحديث.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا الحديث طرق جماعة، حدثناه ابن أبي داود، في كتاب «المصابيح».

إن الأحاديث في خروج الدجال وفتنته متواترة.

قال الكتاني: «أحاديث خروج المسيح الدجال ذكر غير واحد أنها واردة من طرق كثيرة صحيحة عن جماعة كثيرة من الصحابة، وفي التوضيح للشوكاني منها مائة حديث وهي في الصحاح والمعاجم والمسانيد، والتواتر يحصل بدونها، فكيف بمجموعها»[(١)].

وذكر نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قرب الساعة وحكمه في الناس، وأن الأحاديث في نزوله متواترة، وذكر أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع[(٢)].

وقد دان بها المسلمون وأجمع على ذلك أهل السنة، وأنكرها الملاحدة والفلاسفة وهم ملاحدة أيضًا، وبعض الخوارج والمعتزلة والجهمية.

وفي هذا العصر نشأت فرقة تُسمَّى القرآنية والقاديانية وفرق أخرى ممن ينكر الدجال وخروجه، وهؤلاء تأثروا بمدرسة أحمد خان الذي تربى في أحضان الإنجليز وألَّف كتبًا خطيرةً جدًّا ينحى فيها نحو تفسير الإسلام في ظل النظريات الغربية، ويريد أن يحرِّف الإسلام إلى ما يوافق هذه النظريات، وتبنَّى الطعن في الأحاديث أحاديث الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بحجة أنها أخبار آحاد، وما من صاحب فتنة القرآنيون أو القاديانية أو مدرسة محمد عبده ومنها أحمد أمين وأبو رية وأمثالهم، ما من أحد من هؤلاء إلا ويتكئ على إنكار أخبار الآحاد وأنها لا تفيد العلم، وهذا يعطي المسلم الناصح لله ودينه والحريص على استقامة دينه أن يقف الموقف السليم الصحيح ضد هذه الفكرة؛

---

(١) انظر: «نظم المتناثر» ص: [١٤٦].

(٢) انظر: «نظم المتناثر» ص: [١٤٧].

فكـرة أن أخبـار الآحاد تفيـد الظن، فإنها تـؤدِّي إلى هذه العقائد الفاسـدة الخبيثة وتفتح الباب على مصراعيه للزنادقة والملاحدة للطعن في الإسلام.

والقول بأن أخبار الآحاد تفيد الظن ما كانت تخطر على بال مسلم في عهد الرسول ﷺ والصحابـة والتابعين، حتى نبغت فرقة الضلال وهي فرقة المعتزلة فاخترعوا للنـاس فكرة أن أخبار الآحاد تفيد الظن، وحاربهم أهل السـنَّة من ذلك العهد إلى يومنا هذا، وانخدعت بهم بعض الفئات كالأشـعرية أو بعض الأشـعرية، وظنوا أن هذا منهج إسـلامي وطريقة إسـلامية، وليسـت كذلك، وإنما هـي من اختراع المعتزلـة خالفوا فيها إجمـاع الصحابـة والتابعـين وأئمة الإسـلام فهـذا مذهب خبيـث، الذي يـدرس حركة محمـد عبده وأحمـد خان وأمثالهم يـرى أنهم يتكئون كثـيرًا على القول بـأن أخبار الآحاد تفيـد الظـن، ويؤدي بهم هذا إلى إنكار الأحاديث المتواترة، ومنها أحاديث نزول عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأحاديث خروج الدجال ويقولون إنها أخبار آحاد، وكثير من العقائد أنكروها وهي ثابتة بالقرآن وبالتواتر، ويردونها باسم أنها أخبار آحاد، فهذا الأمر يجب أن ينتبه له المسلم بعد الدراسة الجادة لما كتبه ابن تيمية وابن القيم وغيرهما عن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبـول أنها تفيد العلم اليقيني، المتلقى بالقبـول قد يغالط فيه بعض الناس، كل حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته فهو يفيد العلم؛ لأن هذا من القرائن القوية على أنه يفيد العلم ويصدق عليه أنه مما تُلُقِّيَ بالقبول بين الأُمَّة.

محمـد عبـده نعوذ بالله من فتنته وهي كبيرة جدًّا، وفُتن به محمد رشـيد رضا في كثير من القضايا، ومنها قضية أخبار الآحاد مع الأسف الشديد، حتى كانت مجلة المنار تُشجِّع بعـض القرآنيين الذيـن لا يعتمدون على القرآن ولا يعتمدون من السـنَّة شـيئًا، فتجدها تجاملهم وتراوغ لهم وتميل معهم على يد محمد رشيد رضا غفر الله له، ويقال أنه تاب من

هذا الشيء، نسأل الله أن يكون كذلك، نسأل الله أن يكون قد مات تائبًا، ولكن ليس لدينا شيء من كتاباته تبين أنه قد تاب فالله أعلم، مثل توبة الغزالي والرازي لكن هذا شر خطير وداء وبيل يجب أن يتنبه له طلاب العلم.

يقول محمد عبده: ليس هناك دجال، الدجال هذا عبارة عن روح مادية تشبه روح اليهود وما يُسمَّى بعيسى روح دينية، فيتقابل الروحان، وليس هناك عيسى ولا دجال!.

تأويل فاسد، ارجعوا له في «تفسير المنار» في تفسير قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، يقول: عيسى مات وما رفع..(١).

هذا والأحاديث متواترة في رفع عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومتواترة في نزوله.

على كل حال، فكر محمد عبده وفكر أحمد خان سبَّب مشاكل للإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ونشأت عن فكرهما طوائف في غاية الضلال تحارب سنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعقيدة أن الدجال يخرج وأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل ويملأ الدنيا عدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا، وأنه يقتل الدجال وأنه يصلي بالناس، وأنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب، هذه من عقائد المسلمين التي لم يختلفوا فيها، وإنما خالفهم فيها الزنادقة والفلاسفة وهم زنادقة أيضًا، وتابعهم العقلانيون في هذا العصر مدرسة أحمد خان ومدرسة محمد عبده، فنحذر من هذه العقائد الفاسدة.

---

(١) انظر: «تفسير المنار» (٣/ ٢٦٠-٢٦١)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠م.

حديث الجساسة أصلُه في مسلم حديث فاطمة بنت قيس، وساقه المؤلف بألفاظ وفقرات تختلف عن الألفاظ والفقرات الموجودة في مسلم، فالحديث في أصله صحيح، وأحاديث الجساسة والدجال ثابتة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا شك فيها، لكن بعض العبارات وبعض الفقرات تختلف تمامًا عما في «صحيح مسلم» و«سنن ابن ماجه» و«مسند أحمد».

نكتفي بهذا القدر، وأحاديث الباب واضحة والحمد لله.



الأسئلة

سؤال: يقول السائل: أنا أسكن في مدينة لا يوجد فيها إلا مسجد واحد، وإمام هذا المسجد على عقيدة الأشاعرة، ويمدح سيد قطب، وليس عنده مشكلة مع التصوف؛ فبسبب هذا الحال تركنا هذا المسجد نحن السلفيون، واستأجرنا مكانًا نصلي فيه، ولكننا فقراء ولا نستطيع أن ندفع الإيجار، وبعد ذلك أقمنا صلاة الجمعة في أحد منازل إخواننا السلفيين وصلينا الصلوات الأخرى في بيوتنا، ونحن على هذا إلى الآن، فما الحكم في هذا، بارك الله فيكم؟

جواب: العمل في هذا أننا ما نكفر هذا الإنسان، فإن وجدنا مسجدًا لأهل السنَّة نصلي فيه فلا نصلي مع هذا الإمام، وإذا لم نجد إلا هذا المسجد فلنصلِّ مع المسلمين، فإني أرى في السؤال أنكم تصلُّون في بيوتكم وتتركون الجماعة، وقد كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يصلُّون وراء الخوارج، وبعضهم كان يصلي وراء المختار بن أبي عبيد قبل أن يظهر كفره، ظهر دجله وخبثه وشرُّه، لكن ما ظهر كفره فكانوا يصلُّون وراءه.

فصلاة الجماعة عظيمة جدًّا ومن شعائر الإسلام، وما تُترَك لوجود إنسان ضال بحجة أنه ضال، ونذهب نصلي في بيوتنا؛ هذه بدعة فلنحذرها، نحاول أن ننشئ مسجدًا لا بأس، نحاول أن نصلي في مسجد آخر فيه سُنِّي أو إنسان مستور لا نعرف حقيقة عقيدته، فإن هذا أهون من الذي يجاهر ببدعته وضلالته، وأرى أنه إذا كان الأمر يلجئهم إلى الصلاة في بيوتهم، فلينتقلوا إلى بلادهم أولًا، ولا نقول انتقلوا إلى بلاد كافرة إلى مدينة أخرى، نقول: هاجروا إلى بلدانكم، فإن فيها المساجد، والحمد لله تؤدُّون فيها هذه الشعيرة العظيمة، وتؤدُّون شعائر الإسلام الأخرى، وأنتم في بلاد الكفر والله معرَّضون للخروج من الإسلام، وأبناؤكم غالبًا ممكن معرَّضون للخروج من الإسلام، والرزق على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا كان عيشكم في أوروبا لأجل لقمة العيش التي تتلقونها عن طريق الذل والهوان والخضوع والخنوع لأعداء الله.

والله يقـول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ثـم تذهـب تذل الإسـلام وتذل نفسـك لكافر هذا مـن المصائب في الدين والعيـاذ بالله، إضافـة إلى ذلك قد يتعـرَّض أولادك للخطر؛ لأنهـم يجبرونكم على تعليم أولادكم في مدارسهم، ويُلَقِّنُونهم عقائدهم الملحدة الكافرة، كيف يسلم الأطفال ونحن نـرى شـبابًا جامعيين يفتنـون في هذه البـلاد وفي غيرها من بلاد المسـلمين، فكيف ببلاد الكفر! والكفار حريصون على إخراج المسلمين من الإسلام كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، يعني يتمنى الكفار أن يخرجونا من الإسـلام، وهـم يبغضون هذا الإسـلام بغضًا شـديدًا، ويبغضون أهله، ويحرصون أشـد الحرص على إخراج المسلمين من الإسـلام، وهذه الأسـباب تفرض عليكم أن تعودوا إلى بلدانكـم، وأن تحافظوا على دينكـم، فإن أصررتم على البقاء فأنتم آثمون لا شـك، ولكن لا تزيدوا الطين بلة، صَلُّوا في المساجد، ولا تتركوا الجماعة.

سؤال: يقـول السائل: هل الجساسـة التي في الحديث هي الدابة التي من علامات قيام الساعة الكبرى؟

جواب: لا أعتقد أنها الدابة، الدابة منهجها غير منهج الدجال، الدابة تخبر الناس أن الناس بآيات الله لا يؤمنون، والدجال يدعو إلى الكفر ويدَّعي الألوهية، فكيف تكون جساسة له؟! الدابة شيء آخر.

سؤال: يقول السائل: هل يدخل الدجال مكة المكرمة؟

جواب: لا يدخل مكة ولا المدينة، كما في حديث أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة[1].

(١) انظر: في «صحيح مسلم» كتاب: «الفتن»، حديث [٢٩٢٧].

سؤال: هل الدجال يرى الملائكة عيانًا؟

جواب: الظاهر من الحديث أنه يراهم، لكن لا يراهم إكرامًا له، وإنما يراهم تخويفًا وإهانةً له، فالأنبياء يرون الملائكة على سبيل الإكرام ويراهم بعض من يُكرمه الله عَزَّوَجَلَّ مثل عمران ابن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى اكتوى فلما اكتوى غابت عنه الملائكة[1] وظهرت لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولذلك الذي زار أخًا له في الله[2] على سبيل الإكرام.

أما الدجال فيريه الله الملائكة على سبيل الإهانة والزجر والردع والمطاردة، كما يرى الكفار ملائكة العذاب وهم يحتضرون ويرونهم في جهنم.

سؤال: هل أحمد خان هو المقصود بمؤسس القاديانية؟

جواب: لا، نشأت القاديانية عن فكره وأسَّس جامعة أنشأها للفتن والمشاكل، وأفضل ما فيها الآن أنهم يدرِّسون كتب أبي حامد الغزالي باسم الإسلام، لا يدرِّسونهم الكتاب والسنَّة والمنهج الموجود في المواد الإسلامية، يدرسونهم فيها كتب الغزالي «الإحياء» وغيره من كتب الضلال.

سؤال: كيف يمكن الجمع بين قول المصنف: إن الدجال قد خُلق وهو حي إلى يوم القيامة، وبين قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الدجال يقتله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»؟

جواب: **لا أذكر هذا عن المؤلف**، والدجال يقتله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو موجود كما في حديث الجساسة، وأنه يأتي من قبل المشرق بين الشام والعراق، ويخرج معه اليهود يتبعه سبعون ألفًا من يهود أصبهان لعنة الله عليهم، ويقتل عيسى الدجالَ، ويقتل

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» كتاب: «الحج» حديث [١٢٢٦].

(٢) انظر: «صحيح مسلم» كتاب: «البر والصلة والآداب» حديث [٢٥٦٧].

المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي خلف الحجر والشجر، فينادي الحجر والشجر: تعال يا مسلم ورائي يهودي فاقتله، فيقتله.

سؤال: يقصد السائل كيف الجمع بين حديث الجساسة ووجود الدجال في الجزيرة وبين قوله ﷺ: «لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ مِمَّنْ هُوَ حَيٌّ الْيَوْمَ»؟[1].

جواب: لكلِّ قاعدة استثناء، ولكل عام تخصيص، فهذا ليس فيه إشكال يموت الناس وتبقى بعض الأشياء مستثناة، استثناء الصوفية للخَضِر من الدَّجَل.

والدجال جاءت فيه أحاديث صحيحة وأحاديث متواترة وأنه يخرج، وأحاديث نصت على أنه في هذه الجزيرة، ولا يبعد أن يكون هو ابن صياد. والله أعلم.

سؤال: الرؤيا التي رآها النبي ﷺ حيث رأى الدجال يطوف بالكعبة[2] هل هذا يُحمل قبل الفتنة؟

---

(١) رواه أحمد [٧١٨]، وأبو يعلى (٤٦٧، ٥٨٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» [٣٧٢]، والحاكم [٨٥٢٠]، والطبراني (١٧/ ٦٩٣)، وفي «الأوسط» [٥٨٥٩]، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وله شواهد من حديث ابن عمر وأبي سعيد وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، انظر: «صحيح مسلم» كتاب: «الفضائل» الأحاديث (٢٥٣٧-٢٥٣٩).

(٢) يشير السائل إلى ما رواه البخاري في «التعبير» حديث [٦٩٩٩]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٦٩] عن عَبْد الله بْن عُمَرَ قال: ذَكَرَ رَسُول الله ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ الْـمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْـمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْـمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْـمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْـمَسِيحُ الدَّجَّالُ»**.

جواب: لعله، وأشار إلى هذا القاضي عياض، نقله عنه النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٣٤).

سؤال: ما هي حقيقة قصة السفياني المتداولة هذه الأيام؟

جواب: صدام ليس السفياني، السفياني ثبتت فيه أحاديث صحيحة، لكنه ليس صدام؛ هذا يقوله المشعوذون.

سؤال: هل ثبت أن من الصحابة من رأى سد يأجوج ومأجوج؟

جواب: لم أقف على مثل هذه الأخبار فلا أثبتها ولا أنفيها.

سؤال: أيهما أفضل العيش في مكة أم المدينة؟

جواب: العيش في مكة أفضل والموت في المدينة أفضل، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عمن مات في المدينة «**مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْمَدِينَةَ**»(١) هذه من مزايا المدينة، والمفضول قد تكون فيه مزايا وخصائص لا توجد في الفاضل، فمكة لها فضائل والمدينة لها فضائل، وفي الجملة مكة أفضل الصلاة في مسجدها بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألف صلاة(٢)، وفي بيت المقدس بخمسمائة(٣)، ويوجد مثل هذه الفضيلة في المدينة،

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم في «الحج» حديث [١٣٦٣].

(٢) أخرج أحمد (٣/ ٣٤٣ و٣٩٧)، وابن ماجه في «إقامة الصلاة» حديث [١٤٠٦] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**».
وصححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٣)، وقال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٨١): «رجال إسناده ثقات». وصححه الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٤٦).

(٣) روى الطحاوي في «مشكل الآثار» [٦٠٩]، والبزار في «مسنده» [٤١٤٢]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٥٤-الرشد) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «**فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي**
=

فالبركة فيها مضاعفة، البركة في الطعام في التمر في المدينة مضاعفة على مكة؛ لأن الرسول ﷺ دعا لها من البركة بمثل ما دعا إبراهيم وضعفه[(١)]، فمكة فيها الصلاة بمائة ألف، وفيها مسجد الكعبة، وفيها مشاعر الحج، وحرمتها أشد، لم يختلفوا في حرمة قتل الصيد وفي قطع الشجر في مكة، واختلفوا فيه في المدينة، وإن كانت الأحاديث ثابتة أنه لا يجوز أن يقطع شجرها، ولا يصاد صيدها، حتى أن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «لَوْ رَأَيْتُ الظِّبَاءَ بِالْـمَدِينَةِ تَرْتَعُ مَا ذَعَرْتُهَا»[(٢)].

سؤال: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٣)] فهل كان يفعل ذلك مرة واحدة، وهل يجوز لنا أن نزيد على المائة؟

جواب: صحَّ عن النبي ﷺ أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[(٤)].

وورد أنه ﷺ كان يستغفر الله في اليوم مائة مرة كما في حديث الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[(٥)].

= **الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ**».

(١) روى البخاري في «فضائل المدينة» حديث [١٨٨٥]، ومسلم في «الحج» حديث [١٣٦٩] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**اللهمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ**».

(٢) رواه البخاري في «فضائل المدينة» حديث [١٨٧٣]، ومسلم في «الحج» حديث [١٣٧٢].

(٣) رواه البخاري في «الدعوات» حديث [٦٣٠٧].

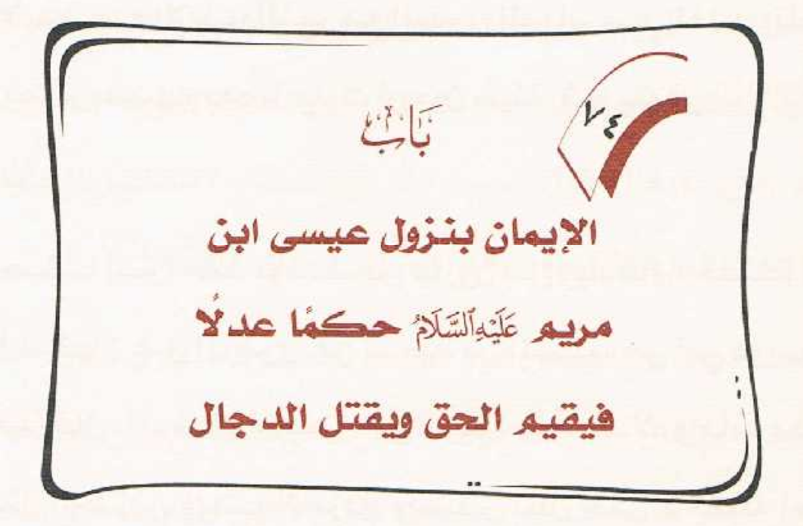
(٤) رواه البخاري حديث رقم: [٦٣٠٧]. (٥) أخرجه مسلم حديث [٢٧٠٢].

وورد أنـه كان يقولها في مجلس واحد كما في حديث ابن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُـولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْـمَجْلِسِ يَقُـولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَـيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مِائَةَ مَرَّةٍ(١).

فـإذا عمل ذلك المسـلم في مجلـس واحد فلا ينبغي لـه أن يزيد عـن المائة مرة؛ لأن السـنة أن تفعـل كما فعل رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـلى الوجه الذي فعل، كما يقول شـيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.



(١) أخرجه أحمد في «مسـنده» (٢/ ٢١)، وأبو داود حديث [١٥١٦]، والترمذي حديث [٣٤٣٤]، وابن ماجه حديث [٣٨١٤].



[٨٨٧] حدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا، وليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعو إلى المال فلا يقبله أحد».

[٨٨٨] وحدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محمد بن يزيد أخو كرخويه قال: أخبرنا وهب بن جرير قال: حدثنا هشام عن قتادة عن عبد الرحمن ابن آدم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الأنبياء أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، وإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال، ويقاتل الناس على الإسلام، حتى يهلك الله في إمارته الملل كلها غير الإسلام، وحتى يهلك الله عَزَّ وَجَلَّ في إمارته مسيح الضلالة الأعور الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض،

....

حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضًا، يلبث أربعين سنة، ثم يتوفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويصلي عليه المسلمون».

[٨٨٩] وحدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد قال: حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يوشك أن ينزل ابن مريم حكمًا عدلًا، وإمامًا مقسطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: والذين يقاتلون مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين يقاتلون عيسى اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال، ويقتل المسلمون اليهود، ثم يموت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويصلي عليه المسلمون، ويدفن مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع أبي بكر و عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) ساق الآجري أحاديث نزول عيسى من طرق عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

الطريق الأولى- رجالها ثقات، ما عدا عطاء بن ميناء، أورده الذهبي في «الكاشف»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق».

فالحديث بهذا الإسناد حسن، يتقوى بالمتابعات فيرتقي إلى درجة الصحيح.

أما المتن فمتفق عليه، أخرجه البخاري في «البيوع» حديث [٢٢٢٢]، وفي مواضع أخر، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٥٥] من طرق.

الطريق الثانية- فيها عبدالرحمن بن آدم صاحب السقاية، قال فيه الذهبي: «وثق»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق»، فالحديث من هذا الطريق حسن. والشطر الأول منه متفق عليه.

والطريق الثالثة- فيها ابن أبي عمر صدوق، فالحديث حسن بهذا الإسناد.

أما المتن فمتفق عليه، أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء» حديث [٣٤٤٨]، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٥٥].

[٨٩٠] حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن بشر العبدي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتقاتلن اليهود ولتقتلونهم، حتى إن الحجر ليقول: يا مسلم، هذا يهودي فتعال فاقتله»(١).

[٨٩١] حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري قال: «حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي قال: حدثنا عبد الله بن نافع الصائغ، عن الضحاك بن عثمان، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه قال: الأقبر المنارية: قبر النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقبر رابع يدفن فيه عيسى ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

[٨٩٢] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: «حدثنا زياد بن أبي أيوب الطوسي قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به»(٣).

---

(١) حديث ابن عمر إسناده صحيح. والمتن متفق عليه، أخرجه البخاري في «الجهاد» حديث [٢٩٢٥]، ومسلم في «الفتن» حديث [٢٩٢١].

(٢) أثر عبد الله بن سلام من الإسرائيليات.
وفي إسناده الضحاك بن عثمان، قال فيه الذهبي: «وثقه ابن معين، وقال أبو زرعة: ليس بقوي»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يهم». رواه الطبراني (١٣/ ١٥٨-١٥٩/ ٣٨٤) من طريق عبد الله ابن نافع عن عثمان بن الضحاك عن يوسف به نحوه. ورواه الترمذي في «أبواب المناقب» حديث [٣٦١٧] من طريق أبي مودود عن الضحاك بن عثمان به. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، هَكَذَا قَالَ: عُثْمَانُ بْنُ الضَّحَّاكِ، وَالمَعْرُوفُ الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ الْمَدِينِيُّ».

(٣) إسناد تفسير أبي مالك للآية صحيح.

٨٩٣- حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سعيد(١) **قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] **يعني: أنه سيدركه أناس من أهل الكتاب حتى يبعث عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فيؤمنوا به** ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩](٢).

هذه الأحاديث ذكر فيها المؤلف هذه الآية العظيمة وهي نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخر الزمان، فيكون حَكَمًا عدلًا مُقسِطًا، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية - يعني لا يقبل من أحد إلا الإسلام - يضع الجزية فلا يقبلها لا من اليهود ولا من النصارى ولا من غيرهم ولا يقبل إلا الإسلام.

= رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨٠) من طريق هشيم به.

ورواه الطبري (٩/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١١٣) من طرق عن حصين عن أبي مالك معناه.

(١) كذا، وصوابه: أبو جعفر محمد بن سعد، وهو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد ابن جنادة، العوفي. ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» -الكتب العلمية- (٢/ ٣٦٧-٣٦٨) ولينه، وذكر عن الدارقطني قوله فيه: «لا بأس به». وأورده الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٦٠).

(٢) أثر صحيح، وإسناد المصنف ضعيف. فيه أبو جعفر محمد بن سعد، سبق الكلام عليه.

وفيه سعد بن محمد بن الحسن بن عطية. ترجم له الخطيب في «تاريخه» (٩/ ١٢٨). وروى عن الإمام أحمد قوله فيه: جهمي. وقال أيضًا: لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذاك.

وعمه هو الحسين بن الحسن بن عطية. ترجمته في «الميزان» (١/ ٥٣٢). وقال: ضعفه يحيى بن معين وغيره، وقال ابن حبان: روى أشياء لا يتابع عليها، لا يجوز الاحتجاج بخبره.

والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨١) عن محمد بن سعد به.

ورواه الطبري (٩/ ٣٨٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١١٤)، والحاكم (٢/ ٣٣٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ٥١٢-٥١٣)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٢٣٨/ ٢٥٠) من طريقين عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس معناه. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

والأحاديث في نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بلغت حد التواتر، وحكى ذلك عدد من الأئمة، حكوا الإجماع على نزوله، وألَّفوا في ذلك المؤلفات في نزوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو قد أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ في وقته لما همَّ اليهود بقتله، أكرمه الله بأن رفعه إلى السماء كما أخبر الله بذلك، وكذَّب اليهود والنصارى في قولهم: إنه قُتِل وإنه صُلِب، وهذا من أكاذيب اليهود، وقلَّدهم في ذلك النصارى، فعيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يُقتَل ولم يُصلَب، بل رفعه الله بروحه وجسده، ولقيه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السماء الثانية عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فعيسى لم يمت، وإنما يتحقق موته بعد نزوله في آخر الزمان وبعد قتله الدجال، ثم يعيش مدة يطبق فيها الشريعة الإسلامية شريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه العقيدة دان بها جميع المسلمين على اختلاف فرقهم، لم يخالف في ذلك إلا الملاحدة والفلاسفة وبعض الخوارج والمعتزلة والجهمية، وتابعهم في هذا العصر بعض الفرق كالقاديانية والقرآنية والعقلانيون من مدرسة محمد عبده.

محمد عبده عنده منهج خطير تلقاه عن جمال الدين الأفغاني الرافضي الباطني الذي نسب نفسه إلى أهل السنة وسمى نفسه الأفغاني وهو إيراني كيدًا للإسلام، إيراني باطني رافضي ماسوني كاد للإسلام وجال في بلاد المسلمين يدعو إلى القوميات ويدعو إلى مذاهب هدامة، وينشر أفكارًا خبيثة ومنها الفكر الباطني ومنها تحريف القرآن، وكان مُجَنَّدًا من بلاد الغرب لتحريف الإسلام وإضلال المسلمين، ومثله السير أحمد خان، فهما في وقت واحد وخرج لهذا مدرسة ولهذا مدرسة، مدرسة القرآنيين والقاديانية في الهند، يعني نشأت في هذا الوقت تحت رعاية الإنجليز، ونشأت فكرة جمال الدين الأفغاني في مصر والشام ولبنان وغيرها وتركيا، كان رجلًا نشيطًا جدًّا وذكيًّا جدًّا وماكرًا في



غاية المكر، ونشـأ على فكره كُتَّاب وعقلانيون وعلى رأسـهم محمد عبده، ومحمد عبده له تأويلات ذهب يفسر القرآن من مكره ويدس فكره في تفسـير القرآن، ومع الأسـف كان يدوِّن فكره محمد رشيد رضا في كتابه «تفسير المنار».

ومحمد رشـيد رضا أمـره عجيب..!! يعنـي يحب ابن تيمية ويحب السـلف ويحب الدعوة السـلفية ويحب أهل الحديث، ومن جهة أخـرى يحب محمد عبده وفكرَه، فجمع بين المتناقضات الغريبة، ومن الأفكار التي انحرف فيها محمد رشـيد رضا -مع الأسـف الشـديد- أخبار الآحـاد التي تؤدي إلى تأويل وتحريف العقائـد، ومنها خروج الدجال، ونـزول عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطلوع الشـمس من مغربهـا، وإلى عقائد أخـرى؛ مثل الميزان وما شـاكل ذلك، كل هذه تُذكَر في عقائد العقلانيين، ونشـأ في مدرسة محمد عبده كتَّاب مجرمون ينكرون السـنَّة، ومنهم أبو رية وأحمد أمين ومحمد صدقي وهو أسـوأهم إذ نادى في أول أمـره بفكرة القرآنيين، وقال: «ما عندنا دين إلا القرآن»! والقرآن في نفس الوقت يحرفونـه ويتلاعبـون بنصوصـه، وتصدى للرد عليـه علماء في وقته ومنهم بعض شـيوخ الأزهر، ومنهم أحد السلفيين في الهند صالح بن علي اليافعي الذي نأسف على قوة علمه وفقهـه لم نجـد له ترجمـة لا في علماء اليمن ولا في علماء الهند، وهـو يمني من علماء اليمن وعـاش في حيـدر أباد في الهند، وله مقالات قوية جدًّا في الدفاع عن السـنة وإبطال شـبه خصومها،حتى كنت أظن أن الشـيخ المعلِّمي من تلاميذه، أسـلوبه في القوة وفي التمكن من العلم يشبه أسلوب الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، وآسف أننا لم نجد له ترجمة، الهنـود حينـما ترجمـوا لعلمائهـم لم يترجموا لهـذا الرجل، فلا نـدري لمـاذا..؟ الذين ترجموا أحنـاف، فلعله كان هذا الرجـل يغيظهم، فهذا الرجل تصدى لمحمـد صدقي ورد عليه

في مقـالات في غاية الروعـة والقوة، ومن كلامه الذي ما رأيت مثلـه: «إن أخبار الآحاد الصحيحة إذا تأملناها نجد أنها متواترة».

كلام نفيـس جدًّا، وقمع هذا الرجل قمعًا قويًّـا، وجعله يتراجع إلى الوراء، وصار بعد ذلك يعترف ببعض السنة -السنة الفعلية-.

هـذا من ثمار محمد عبده تلميـذ جمال الدين الأفغاني، ولا نزال نعاني من العقلانيين إلى يومنـا هـذا، العقلانيـين المنكرين لسـنَّة محمـد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأثر بهذه المدرسـة محمد الغـزالي وطعن في أهل الحديث وطعن في السـنة وفعل وفعـل، ورد عليه بعض الكتاب، وأنا الضعيف رددتُ عليه في كتابي «كشـف موقف الغزالي من السـنة وأهلها ونقد بعض آرائه».

طعـن في بعض الصحابة كابن مسـعود وكعبد الله بن عمـرو، وطعن في البخاري، وطعـن في عبـد الله بـن أحمد وأظـن ابن خزيمـة، وطعن في السـنة، وهو من أفـراخ هذه المدرسة، والقرضاوي على طريقته وتلميذه ويعتز به ويرفعه إلى السماء يغلو فيه مع الأسف الشديد، والإخوان المسلمون إلى يومنا هذا يُعظِّمون جمال الدين الأفغاني، رغم أن الناس قد كتبوا فيه وبيَّنوا أنه باطني ماسـوني، ولا يزال الإخوان المسلمون يُمَجِّدونه ويدافعون عنـه، الله أعلم مـا الرابط بينهم وبينـه؟! الرابط السري بينهم وبين هذا الرجل الماسـوني الباطنـي ما أدري ما الرابط السري بينهم وبينه؟ هذا مما يريبك في الإخوان المسـلمين مع الأسـف، وأنا قلت إن محمد رشـيد رضا عـلى انحرافه وتأثره بمحمد عبـده كان له مجلة تخدم السنة، وقام عليها جماعات في الشرق والغرب، يعني فكر محمد عبده الذي كان قد ينشره في مجلته كان لا يتأثر به الناس، وكانوا يتأثرون بكتاباته في توضيح السـنة والعقيدة

السلفية ومحاربته الخرافات والتقليد الباطل التقليد الأعمى يحاربه حربًا لا هوادة فيها؛ ولهذا نشأ جماعات في مصر وفي السودان وفي شرق آسيا في الهند على كتاباته.

أما حسن البنا فلم يُخرج سلفيًّا واحدًا، ومن دخل في تنظيمه من الروافض والخوارج وسائر المذاهب كالصوفية الغلاة لا يتغير أبدًا؛ لأنه اشترط على نفسه أنه ما يتدخل في عقائد من ينضوي تحت رايته، يؤمن بتنظيمه فقط وبالأفكار التي وضعها وبأصوله التي وضعها، ولا شأن له في عقيدة هذا الإنسان، فلم يُصلح أحدًا ممن دخل في تنظيمه ودعوته، بل من دخل من السلفيين في تنظيمه فسد مع الأسف، هذه نقولها إبراءً للذمة في حق محمد رشيد رضا، ويقال أنه تاب عن هذا الانحراف، وبلغني أن الشيخ عبد الرزاق حمزة السلفي الثقة وكان ينتقد محمد عبده وينتقد محمد رشيد رضا، لكن شهد له أن تاب، فنسأل الله أن يكون قد تاب الله عليه، لكن لا تبرأ ذمته من هذا التراث الخبيث الذي خلَّفه في مجلته المنار وفي تفسيره المنار، نسأل الله العافية.

كتب الشوكاني وكتب غيره وقرروا تواتر الأحاديث التي تتعلق بعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كابن جرير وابن كثير والشوكاني له تأليف خاص والألباني، وأنور شاه الكشميري وغيرهم، جمعوا أحاديث عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونقلوها كما هي على طريقة التواتر، وحكوا الإجماع على الإيمان بها، ولم يخالف في نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحكمه في الأرض إلا من ذكرتُه لكم، وقلنا لكم في الدرس السابق إن محمد عبده يقول: إنه ليس هناك دجال حقيقة، ولا ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل عيسى عنده قد مات، وإنما الدجال عبارة عن خرافات وقبائح وشعوذات وما شاكل ذلك تسود في الناس وينتعش الإسلام الذي هو عبارة عن نزول عيسى ويقضي على هذه الخرافات بتطبيق روح الإسلام -كما يقول- وبيان مقاصده وكلام حول هذا يقوله محمد عبده، ويقول في الملائكة أنها هي

نوازع الخير في الإنسان، وهذا تكذيب بالملائكة والعياذ بالله، والشياطين عبارة عن نوازع الشر، وهذا تفسير باطني أخذه -والله أعلم- من جمال الدين.

وينـزل ابن مريم حَكَمًا عدلًا يحكم بهذه الشريعة الإسلامية كما أخبرنا بذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشريعة الإسلامية[1] فيها فرض الجزية على أهل الكتاب إذا أذعنوا للإسلام وبذلوا الجزية وهم أهل كتاب نقبل منهم الجزية، ونقرهم على ما هم عليه من دين فاسد، ولكن وضع المسلمون لذلك شروطًا؛ وهي: أن يكون زيهم غير زي المسلمين.

وأن يؤدوا الجزية وهم صاغرون؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، يعني في صورة الذليل يقدم جزيته، ولو كان أكبر يهودي أو نصراني يقدِّم جزيته عن يد وهو صاغر ذليل.

وإذا لقي المسلمون اليهودي أو النصراني فلا يبدؤونه بالسلام ويلجؤنه إلى أضيق الطريق، وأن يخالفوا في ركوبهم ركوب المسلمين، وأن يخالفوا المسلمين في لباسهم.

وإذا جاء المسلم يقوم له اليهودي ويجلس المسلم في مكانه.

ولا يبنون الكنائس في بلاد المسلمين، وإذا فتحنا بلدًا من بلدانهم صلحًا وصالحناهم على كنائس فلا يجوز لهم ترميمها ولا بناؤها من جديد، فلو تمسَّك المسلمون بدينهم وبقوا على عزَّتهم ونفذت هذه الشروط ما وجدت كنيسة الآن في بلاد المسلمين، ومع الأسف الإخوان المسلمون يعترفون بحق النصارى في بناء الكنائس، ولهم أن يأخذوا من

(١) وعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يقبل الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، ويقتل الخنزير، وليس هو مخالفًا للإسلام، بل الله ثم رسوله قررا أن يحكم عيسى بهذا.

الكنائس بنسبة مئوية إذا كان في البلد عشرون في المائة لهم عشرون في المائة من الكنائس، وإذا كانت نسبتهم خمسين فلهم فيها خمسون، خمسون في المائة كنائس وخمسون في المائة مساجد، وكان الإخوان المسلمون يتعاونون مع النصارى في بناء الكنائس ويدخلونهم في تنظيمهم؛ أمر غريب! ويأتون إلى هذه البلاد ويتظاهرون بالسلفية نفاقًا ثم ينشرون فكرهم الخبيث في شباب المسلمين، الفكر المعادي الذي يهدف إلى سحق الدعوة السلفية وإقامة الفكر الإخواني الخليط من ملل وبلايا اشتراكية إسلامية ديمقراطية إسلامية، وحدة أديان موجودة عندهم ويعقدون لها المؤتمرات، هذا البلاء يريدون أن يحلوه محل الدعوة السلفية التي هي الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، وإلى الآن لا يزالون يضحكون على المسلمين، لا يزالون يضحكون على شباب هذه البلاد، وما نفعتهم الكتابات ولا التنبيهات ولا الملاحظات ولا نفعت فيهم مع الأسف الشديد، اجتاحوا عقول الشباب وسيطروا عليها، فأصبح البنَّا وفكره مُقَدَّسًا عندهم، والدعوة السلفية مهمَّشة عندهم، وكثير منهم لا يتخذها إلا ستارًا لنشر فكر الإخوان المسلمين مع الأسف الشديد، وأسوأ من فكرهم فكر سيد قطب الذي فيه الحلول ووحدة الوجود وإلى آخره، وبالمناسبة سيد قطب ينكر كثيرًا من هذه الأشياء، يعني لا يؤمن بالميزان ولا يعترف بالاستواء ويقول بأزلية الروح، وتراه يتلاعب في نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي رفعه إلى السماء، يلف ويدور وما يُصرِّح مثل ما يُصرِّح أهل السنة في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] من أن عيسى لم يقتل ولم يصلب كما نطق بذلك القرآن، وأنه سينزل في آخر الزمان فيقتل الدجال ويحكم بشريعة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وفي تفسير قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] قولان للمفسرين:

التفسير الأول- أن المراد بقوله: «عند موته» أي عند موت الكتابي، أي كتابي في أي عصر من عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا يؤمن عند موته بعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ هذا أحد التفسيرين ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني بعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني قبل موت الكتابي.

التفسير الثاني- ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ يعني بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] قبل موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا يكون في آخر الزمان، واختار هذا التفسير ابن جرير وأيده ابن كثير(١).

فرفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السماء حيًّا هو إكرامٌ له وإنقاذٌ له من غدر وكيد اليهود، وتكذيبٌ لليهود في أنهم قتلوه وصلبوه، كذب اليهود على النصارى بأنهم قتلوا عيسى وصلبوه فصدَّقهم النصارى.

والإسلام والقرآن المنزَّل من عند الله العليم الخبير أخبر أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُقتَل ولم يُصلَب بل رفعه الله إليه حيًّا، والسنة تواترت بنزوله في آخر الزمان وقتله للدجال وحكمه بشريعة الإسلام.

محمد عبده وجماعته يقولون أماته الله ورفع روحه كما ترفع أرواح الناس يقولون هكذا، وهذا مصادم للقرآن والسنة.

هذا ما نقوله في هذه القضية.

---

(١) انظر: «تفسير» الطبري (٩/ ٣٨٦-٣٨٨)، و«تفسير» ابن كثير - سامي ابن سلامة- (٢/ ٤٥٤- ٤٥٥).

الأسئلة

سؤال: يقول السائل: قال محقق كتاب الشريعة: بأن دفن عيسى في حجرة عائشة مما لا تقوم به حجة، فما قولكم في ثبوت الحديث أو عدمه؟

جواب: أنا أوافقه، أن الحديث ضعيف لا يثبت.

سؤال: يقول السائل: ما معنى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عيسى: «فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض»، ما معنى قوله مربوع؟

جواب: مربوع القامة ليس بالطويل وليس بالقصير، المربوع معروف ما يحتاج، المربوع طوله وسط، لا طويل فارع ولا قصير، هو وسط، مثل وصف النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ليس بالطويل ولا بالقصير كان مربوعًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه أحسن الصور.

سؤال: يقول السائل: ما حكم لبس الخاتم الذي يزيد وزنه عن عشرة جرام؟

جواب: ما حدد الشارع، ولكن ينبغي للإنسان أن يمشي على العرف على عرف المسلمين.





الإيمان بالميزان: أنه حق توزن به الحسنات والسيئات

٨٩٤- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يوضع الصراط يوم القيامة، وله حد كحد الموسى، قال: ويوضع الميزان ولو وضعت في كفته السموات والأرض وما فيهن لوسعتهن، فتقول الملائكة: ربنا لمن تزن بهذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك».

٨٩٥ - حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو أن فيه السموات والأرض لوسعها، فتقول الملائكة: يا ربنا، لمن تزن بهذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك»[1].

.....

(١) أثر سلمان صحيح، وروي مرفوعًا. والله أعلم.
رواه حسين المروزي في «زوائد الزهد» [١٣٧٥].
رواه أسد بن موسى في «الزهد» [٤٣]، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٩ -الحوت)، وابن الأعرابي في «معجمه» [١٨٢٧]، وابن أبي زمنين في «السنة» ص: [١٦٥] من طرق عن حماد بن سلمة به.
ورواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [٢٢٠٨] من طريق حماد بن سلمة عن ليث -كذا- عن أبي عثمان به مثله.
=

٨٩٦- حدثنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا النضر بن شميل قال: أخبرنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة قال: سمعت رجلًا يقال له: عطاء يحدث عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من الخلق الحسن**».

٨٩٧- حدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا بندار محمد بن بشار قال: حدثنا محمد ابن جعفر يعني غندرًا قال: حدثنا شعبة قال: سمعت القاسم بن أبي بزة يحدث عن عطاء الكيخاراني عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**».

٨٩٨- وحدثنا ابن صاعد قال: حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة عن عطاء الكيخاراني عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**».

٨٩٩- وحدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر قال: حدثنا ابن أبي عمر - يعني محمد العدني - قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: حدثنا عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أفضل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن**».

٩٠٠- وحدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين وإبراهيم بن سعيد الجوهري قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن

....

= ورواه الحاكم [٨٧٣٩] عن محمَّد بن صَالِحِ بْنِ هَانِئٍ، ثَنَا الْـمُسَيَّبُ بْنُ زُهَيْرٍ، ثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عن ثابت به مرفوعًا. وصححه على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أثقل شيء يوضع في الميزان: الخلق الحسن»(١).

٩٠١- وحدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: أخبرنا عبد الله بن عامر بن زرارة قال: حدثنا شريك عن خلف بن حوشب عن ميمون بن مهران قال: قلت لأم الدرداء: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قالت: نعم، سمعته يقول: «إن أول شيء يدخل في الميزان الخلق الحسن»(٢).

[٩٠٢] حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة برجل إلى الميزان، ويؤتى بتسعة وتسعين سجلًا، كل سجل منها

---

(١) حديث أبي الدرداء أورده الآجري من خمس طرق الثلاث الأولى صحيحة، والرابعة والأخيرة في إسنادهما يعلى بن مملك، قال في «التقريب»: «مقبول»، فحديثه حسن لغيره، والحديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٤٢، ٤٤٦ و٤٤٨)، وأبو داود في «الأدب» حديث [٤٧٩٩]، والترمذي في «أبواب البر والصلة» حديث [٢٠٠٣]، من طرق عن عطاء الكيخاراني عن أم الدرداء به.

ورواه أحمد (٢/ ٤٥١ و٤٥٢)، والترمذي في «أبواب البر والصلة» حديث [٢٠٠٢] من طريق سفيان بن عيينة به. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) **ضعيف**: في إسناده شريك بن عبد الله النخعي القاضي، قال في التقريب: «صدوق يخطىء كثيرًا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة».

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٢-الحوت)، والطحاوي في «مشكل الآثار» [٤٤٢٦]، والطبراني (٢٤/ ٢٥٣/ ٦٤٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧٥). والحديث ضعفه أبو حاتم كما في علل ابنه (٥/ ٦٤٩-٦٥٠) برقم [٢٢٣٢]، (٦/ ٧٠) برقم: [٢٣٢٣]. وانظر: «الضعيفة» للألباني [٣٣٥٢].

مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فتوضع في كفة الميزان، ثم يخرج بقدر أنملة فيها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتوضع في الكفة الأخرى، فترجح بخطاياه وذنوبه»(١).

[٩٠٣] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: «حدثنا سفيان ابن عيينة عن عمرو - هو ابن دينار - عن عبيد بن عمير قال: يؤتى بالرجل الطويل العظيم يوم القيامة، فيوضع في الميزان، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]».

[٩٠٤] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو كريب قال: «حدثنا عبد الله بن إدريس قال: حدثنا الليث عن أبي الزبير عن عبيد بن عمير في العُتُلِّ، قال: هو القوي الشديد الأكول الشروب، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفًا دفعة واحدة في النار»(٢).

---

(١) إسناد حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ضعيف، لأن فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وهو ضعيف.
رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٣٣٩-المنتخب)، والطبراني (١٣/ ٢٩/ ٦١) من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن الأفريقي به.
لكن الحديث صحيح من وجه آخر رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣)، والترمذي في «أبواب الإيمان» حديث [٢٦٣٩]، كلاهما بإسنادهما إلى الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري قال: سمعت عبد الله بن عمرو بلفظ أطول، ورواه غيرهما من الأئمة.
(٢) إسناد حديث عبيد بن عمير الأول صحيح موقوف عليه.
رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٥-الحوت).
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥)، وأسد بن موسى في «الزهد» [٦٨]، كلاهما عن سفيان به. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١١) من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار به نحوه.
ومن جهة أخرى هو مرفوع صحيح، فقد رواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٧٢٩]، ومسلم =

[٩٠٥] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن سنان قال: حدثنا يحيى بن إسحاق السالحيني قال: أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «أما عند ثلاث فلا: أما عند الميزان حتى يميل أو يخف فلا، وأما عند الكتب حتى يعطى كتابه بيمينه أو شماله فلا، وأما حين يخرج عنق من النار، فيقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة: وكلت بالذي ادعى مع الله إلهًا آخر، ووكلت بكل جبار عنيد، ووكلت بكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»(١).

٩٠٦- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا حميد بن عياش الرملي قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا مبارك عن الحسن قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «بينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجري، فذكرت قربه مني في الدنيا، وتباعد الناس بأعمالهم في الآخرة، فبكيت، فقال لي: ما يبكيك يا عائشة؟ فقلت: ذكرت قربك مني في الدنيا، وتباعد الناس بأعمالهم في الآخرة، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة يا رسول الله»

قال: «أما في ثلاثة مواطن، إذا تطايرت الصحف، وقيل: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] لم يذكر أحد أحدًا، حتى يعلم: أبيمينه أم بشماله؟ وإذا وضعت الأعمال

= في كتاب: «صفة الجنة والنار» حديث [٢٧٨٥]، كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه مرفوعًا. وأثره الثاني ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط.
رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٦) عن أبي كريب به.

(١) حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في إسناده ابن لهيعة اختلط بأخرة، لكن يشهد لأكثر فقراته الحديث بعده عن الحسن عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
رواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [٩١١] عن الفريابي به.
ورواه أحمد (٢٤٧٩٣-الرسالة) عن يحيى بن إسحاق به.

في الميـزان لم يذكـر أحد أحدًا، حتى يعلم: أيثقل ميزانه أم يخف؟ وإذا حمل الناس على الصراط لم يذكر أحد أحدًا، حتى يعلم: ينجو أم لا؟»(١).

٩٠٧- وأخبرنـا الفريابـي قال: حدثنا هشـام بن عمار الدمشـقي قـال: حدثنا صدقـة بـن خالـد قال: حدثنا عثمان بـن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسـم عـن أبي أمامة قـال: «لما نزلـت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـني هاشـم، فأجلسـهم علـى الباب، وجمـع نسـاءه وأهله، فأجلسـهم في البيت، ثم اطلع فقال: «يا بني هاشـم، اشـتروا أنفسـكم من الله، لا تغرنكم قرابتكم مـني، فإنـي لا أملك لكم من الله شـيئًا، ثم أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشـة ابنة أبـي بكـر ويـا حفصة ابنـة عمر ويا أم سـلمة ويـا فاطمة ابنـة محمد ويـا أم الزبير يـا عمة النبي اشـتروا أنفسـكم من الله، واسـعوا في فكاك رقابكم، فإنـي لا أملك لكم من الله شيئًا»، فبكت عائشـة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثم قالت: أي حبي، وهل يكون ذلك يوم لا تغني عني شـيئًا؟ فقال: نعم، في ثلاثـة مواطن: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]، فعنـد ذلـك لا أغـني عنكم مـن الله شـيئًا، وعند النور: مـن شـاء الله عَزَّ وَجَلَّ أتم نوره، ومن شـاء تركه في الظلمة يعمه فيها، فلا أملك لكم من الله شـيئًا، وعند الصراط،

....

(١) إسناده ضعيف: فيه مؤمل بن إسماعيل صدوق سيئ الحفظ، ومبارك بن فضالة مدلس وقد عنعن. لكن رواه أبو داود في سننه «السنة» حديث [٤٧٥٥]، والحاكم [٨٧٢٢]، والبيهقي كما في «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (٢/ ٢٩-٣٠)، من طريق يونس بن عبيد عن الحسن به نحوه.
وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، لَوْلَا إِرْسَالٌ فِيه بَيْنَ الْحَسَنِ وَعَائِشَةَ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ صَحَّتِ الرِّوَايَاتُ أَنَّ الْحَسَنَ كانَ يَدْخُلُ وَهُوَ صَبِيٌّ مَنْزِلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأُمِّ سَلَمَةَ».

من شاء الله عَزَّوَجَلَّ سلمه وأجاره ومن شاء كبكبه في النار، قالت عائشة: أي حبي، قد علمنا أن الموازين: هي الكفتان يوضع في إحداهما هذا الشيء، وفي الأخرى هذا الشيء فترجح إحداهما، وتخف إحداهما، وقد علمنا النور والظلمة، فما الصراط؟ قال: طريق بين الجنة والنار، يجاز الناس عليها، وهي مثل حد الموسى، والملائكة صافون يمينًا وشمالًا، يتخطفونهم بكلاليب، مثل شوك السعدان، وهم يقولون: رب سلم سلم، أفئدتهم هواء، فمن شاء الله عَزَّوَجَلَّ سلمه، ومن شاء كبكبه فيها»(١).

٩٠٨ - حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال: حدثنا هشام ابن عمار الدمشقي قال: حدثنا معاوية بن يحيى الأطرابلسي قال: حدثنا محمد ابن الوليد الزبيدي عن جبير بن نفير عن سبرة بن الفاكه(٢) قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الميزان بيد الله عَزَّوَجَلَّ، يرفع قومًا ويضع قومًا. وذكر الحديث»(٣).

---

(١) حديث أبي أمامة ضعيف، في إسناده عثمان بن أبي العاتكة، قال في «التقريب»: «صدوق، ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني»، قلت: وهذه منها، وعلي بن يزيد هو الألهاني، وهو مشهور بالضعف.
رواه الطبراني [٧٨٩٠] من طريق هشام بن عمار به.
والصحيح ما رواه الإمام مسلم في «الإيمان» حديث [٢٠٤] بإسناده إلى أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشًا فاجتمعوا فعم وخص فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها».
ونحوه عن ابن عباس في «صحيح مسلم» حديث [٢٠٨].
(٢) في الأصل: «فاتك»، وهو خطأ.
(٣) إسناد حديث سبرة بن الفاكه فيه إرسال محمد بن الوليد الزبيدي لم يدرك جبير بن نفير كما قال أبو زرعة، انظر «المراسيل» لابن أبي حاتم رقم الترجمة [٣٥٣]. ومعاوية بن يحيى الأطرابلسي فيه =

[٩٠٩] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: أخبرنا المؤمل بن الفضل ومحمد بن سعيد الأصبهاني قالا: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت محمد بن يزيد بن جابر يقول: حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النواس بن سمعان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الميزان بيد الرحمن عَزَّوَجَلَّ، يرفع أقوامًا، ويخفض آخرين إلى يوم القيامة»[١].

....

= كلام، قال في «التقريب»: «صدوق له أوهام».

رواه الطبراني [٦٥٥٧]، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١٤١٩/ ٣٥٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٤٣) من طرق عن هشام بن عمار به.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٢٢٠]، والطبراني في «مسند الشاميين» [١٨٣٥]، وابن منده في «معرفة الصحابة» (١/ ٨٢٢-٨٢٣) من طريق هشام بن عمار عن معاوية بن يحيى عن الزبيدي عن عبد الرحمن بن جبير عن جبير...، وهذا اختلاف على هشام بن عمار، ولعل الاضطراب منه، فإن فيه كلامًا، قال في «التقريب»: «صدوق، كبر فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح».

ورواه البخاري في «التاريخ» (٤/ ١٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» [٥٥١]، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ٣٠٤) من طرق عن محمد بن حرب عن الزبيدي عمن حدثه عن جبير بن نفير...، ومحمد بن حرب هو الأبرش كاتب الزبيدي ثقة كما في «التقريب». ويبدو أن هذا الوجه هو الصحيح.

وقد جاء عن الإمام أحمد أن الزبيدي لا يأخذ إلا عن الثقات. ذكره مغلطاي في «الإكمال» (١٠/ ٣٨٢) وابن حجر في «التهذيب» (٩/ ٥٠٣)، فإن صح هذا عن أحمد، فالحديث صحيح. والله أعلم.

ويشهد لهذا الحديثَ الحديثُ بعده عن النواس بن سمعان.

كما يشهد له حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم في «الزكاة» حديث [٩٩٣] ونصه: «يمين الله ملآى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه». قال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض»، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٥٠٠-٥٠١).

(١) إسناد حديث النواس بن سمعان حسن، وقد رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٢) بلفظ أطول، فقال: «حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَعْنِي ابْنَ جَابِرٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ الله الْحَضْرَمِيُّ =

وقال ابن الأصبهاني: والميزان بيد رب العالمين.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد روي عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «رأيتني دخلت الجنة، فأوتيت بكفة ميزان، فوضعت فيها، وجيء بأمتي، فوضعت بكفته الأخرى، فرجحت بأمتي وذكر الحديث»(١).

فنعوذ بالله ممن يكذب بالميزان.

= أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ وَكَانَ يَقُولُ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».

وأخرجه ابن ماجة في «المقدمة» حديث [١٩٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٢١٩] كلاهما من حديث هشام بن عمار عن صدقة بن خالد عن ابن جابر عن بسر بن عبيد الله بنحو نص الإمام أحمد. فالحديث صحيح بحمد الله.

(١) حديث ضعيف. رواه أحمد في «المسند» (٢٢٢٣٢-الرسالة)، وفي «فضائل الصحابة» [٢١١] وهناد في «الزهد» [٦٠٣]، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٦٢-البغية)، والطبراني [٧٨٦٤]، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» [١٥٢]، والآجري في «الشريعة» [١٣٣٢]، وأبو نعيم الأصبهاني في «فضائل الخلفاء الراشدين» [٩٩]، كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، في حديث طويل. وهذا إسناد ضعيف جدًّا. عبيد الله بن زحر أكثر الأئمة على تضعيفه كما في «الميزان» (٣/ ٦-٧)، وعلي بن يزيد قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال الدارقطني: متروك. «الميزان» (٣/ ١٦١).

ورواه الطبراني [٧٩٢٣] من طريق صَدَقَة بْن عَبْدِ الله، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ جَمِيلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ يحدث عن أبي أمامة، وذكره في حديث طويل.

وإسناده ضعيف أيضًا، فيه صدقة بن عبد الله، قال في «التقريب»: «ضعيف». والوليد بن جميل لينه أبو زرعة. وقال أبو حاتم: «له عن القاسم أبي عبد الرحمن أحاديث منكرة». «الميزان» (٤/ ٣٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن من العقائد التي جاء بها الإسلام في القرآن والسنة اعتقاد أن هناك ميزانًا في الآخرة يزن به الله أعمال عباده، وذكر هذا في عدد من الآيات القرآنية، وذكر في هذه الأحاديث منها الصحيح ومنها الضعيف، وهو من عقائد أهل السنة التي آمنوا بها وصدَّقوا بها، وخالفهم في ذلك المعتزلة وما أكثر مخالفاتهم؛ لأنهم بنوا دينهم على عقولهم الكاسدة الفاسدة المتأثرة بمناهج الفلاسفة اليونان وغيرهم، درسوا هذه الفلسفة وتأثروا بها وواجهوا بها النصوص القرآنية والنبوية، ما كان متواترًا تأوَّلوه، وما زعموا أنه غير متواتر قالوا أخبار آحاد؛ وأخبار الآحاد لا تفيد العلم عندهم، وإنما تفيد الظن، والعقيدة لا تقام على الظنون وهكذا، لعب بهم الشيطان وزين لهم أن عقولهم هي الموازين في قضايا العقيدة وغيرها فتاهوا والعياذ بالله، وإلا فعلى العقل أن يستسلم للشرع، وأن ينقاد له، وأن يتتلمذ عليه، لا أن يملي آراءه على شرع الله ودينه وعقائده، فنعوذ بالله من هذا المنهج الفاسد الذي تأثرت به كثيرٌ من الفِرَق المنحرفة عن هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فالإنسان يقرأ سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦-١١]، ويقرأ قول الله تبارك وتعالى في السور المكية: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾: نصَّ على أنها موازين.

ولا يُظلَم أحد، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]، فهذه آيات قرآنية واضحة في أن أعمال العباد توزن، فمن ثقلت موازينه ورجحت كفَّة حسناته فهذا من المفلحين، ومن خفَّت موازينه وطاشت -والعياذ بالله- كفَّة الحسنات ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾.

فأهل السنة دانوا بهذه النصوص القرآنية والنبوية، واعتبروا عقيدتهم في الميزان عقيدة أصيلة من عقائدهم التي فارقوا بها فرق الضلال والعياذ بالله، لأن كثيرًا ممن ينكرون صفات الله عَزَّوَجَلَّ والصراط والميزان وعذاب القبر وأشياء كثيرة أوصلها الشيخ الألباني في أحد كتبه إلى ثماني وأربعين عقيدة أو خمسين عقيدة ضلوا فيها وتاهوا فيها والعياذ بالله بعقولهم التائهة، يعني هذه كلها ترتبت على قول أن أخبار الآحاد لا تفيد العلم نسأل الله العافية.

ثم ساق المؤلف الحديث الأول: وهو موقوف على سلمان، قال: «**يُوضَعُ الصِّرَاطُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ المُوسَى**».

الموسى: هو الموس المعروف، الآن نسميه الموس مثل السكين الحاد.

قال: «ويوضع الميزان ولو وضعت في كفته السموات والأرض وما فيهن لوسعتهن، فتقول الملائكة: ربنا لمن تزن بهذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك».

....

هذا ساقه المؤلف على أنه من قول سلمان، ولهذا قال المحقق أنه رواه الحاكم مرفوعًا وصححه ووافقه الذهبي، ونحن نستبعد أن يقول هذا سلمان من عقله، إلا أنَّ سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان على النصرانية الحقة؛ لأنه كان يبحث عن الحق، أصله مجوسي وكان يبحث عن الحق وترك قومه وأباه، وذهب يبحث عن دين الله الحق، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا،

....

ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ:

ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ

تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا، أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**كُلُوا**» وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ،

....

قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدَبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَحَوَّلْ**» فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ..» الحَدِيثَ(1).

فهذا ربما يكون أخذه من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أخذه من الإسرائيليات، ويحتمل أنه مرفوع إلى النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنه جاء من طريق أصح مرفوعًا إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشاهد فيه الإيمان بالميزان وأنه لو وضعت فيه السموات لوسعهن، وليس ذلك ببعيد على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، توزن به أعمال العباد، من ثقلت حسناته ففي الجنة إن شاء الله، ومن رجحت سيئاته ففي النار والعياذ بالله، لو تزيد حسنة مثل مثقال ذرة للمؤمن، يرجح الله بها حسناته، الله لا يظلم أحدًا، ويرجح الميزان بمثقال الذرة ويدخل بسبب ذلك الجنة ولا يظلم ربك أحدًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا

---

(1) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٧٣٧-الرسالة)، والبزار [٢٥٠٠]، والطبراني [٦٠٦٥]، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٥٨-٢٦٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٩٢-٩٧). وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة» [٨٩٤].

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والذي تطيش كفة حسناته بعد هذا فيا حسرتاه عليه يعني هذا الخير الكثير والعطاء الجزيل والمضاعفات الكثيرة والسيئة بواحدة فقط ثم ترجح كفة سيئاته! فلا حول ولا قوة إلا بالله إلا أن تدركه رحمة الله؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، كما سيأتي في حديث صاحب السِّجلات، والذي فيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف لا شك، لكن الحديث له شواهد أو متابعات تقويه يصل إلى درجة الحسن على الأقل أو إلى درجة الصحيح: «**يؤتي يوم القيامة برجل إلى الميزان، ويؤتى بتسعة وتسعين سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فتوضع في كفة الميزان، ثم يخرج بطاقة بقدر أنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فتوضع في الكفة الأخرى، فترجح بخطاياه وذنوبه**»: هذا يا إخوة لبيان فضل التوحيد لا للتجرئة على المعاصي، فالمعاصي لا يحتقرها المسلم أبدًا، حتى ولو كانت من الصغائر والمحقِّرات، فقد حذر النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من هذه المحقرات، فإنهن إن إذا اجتمعن على المرء أهلكنه[1]، ولا سيما إذا أصر عليها، أما الكبائر فلا حول ولا قوة إلا بالله، فقد ورد في كل كبيرة منها وعيد شديد؛ قتل النفس والزنا والسحر وإلى آخر السبع الموبقات المعروفة، وتصل إلى سبعين[2]، وتصل إلى

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه أحمد (٢٢٨٠٨-الرسالة) وغيره عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**». وله شاهد من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٣٨١٨-الرسالة) وغيره. والحديثان ثابتان. انظر: «الصحيحة» للألباني (٣٨٩، ٣١٠٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٤٧)، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في «أحكام القرآن» =

سبعمائة كما يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، فالموبقات كثيرة، فليحترز المسلم على نفسه من الموبقات يعني المهلكات، وليحذر من الصغائر، ولينظر إلى من يعصي، فإذا نظر المؤمن إلى من يعصي وهو الله رب العالمين فإنها بهذا الاعتبار تكون كبيرة ولو كانت من أصغر المعاصي، انظر إلى من تعصيه ومن تخالف أمره ومن تخالف نهيه، إذا نظرت بهذا المنظار الجيد أدركت أن الصغيرة ليست بصغيرة؛ ولهذا قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كما في البخاري-: «إنكم لتعملون أعمالًا هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله من الموبقات»[(٢)].

انظر كيف ضعف الحس الإسلامي في مدة يسيرة، أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدرك الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يحتقرون شيئًا من المعاصي، وأن الصغيرة يرونها عظيمة جدًّا -كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

روى البخاري في «صحيحه» في «الدعوات» حديث [٦٣٠٨] بإسناده إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إِنَّ الْـمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»، قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. ورواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٣)، ورواه الترمذي في «صفة القيامة والرقائق» حديث [٢٤٩٧].

= (٨٦/ ٣٩)، وابن جرير في «التفسير» (٨/ ٢٤٥، ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٦٧١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٩١٧، ١٩١٨).

(١) رواه ابن جرير (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤)، وابن المنذر (٢/ ٦٧١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١٩١٩].

(٢) صحيح البخاري «كتاب الرقاق» حديث [٦٤٩٢].

الصغيرة يراها المؤمن الصادق كأنها جبل يسقط عليه؛ لشدة الخوف من الله وشدة المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ وتعظيمه، فالأمر الصغير يرونه كالجبل ويرونه من الموبقات، ومن بعدهم ولو كانوا من خير القرون هناك فرق بينهم وإن كان بقي في التابعين من عنده هذا الإحساس، ولكن يمكن غلب هذا الإحساس على من أدركوا أنسًا وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فكيف بعهدنا أناس يمارسون الكبائر طول حياتهم ولا يحسون بشيء ما عندهم هذا الإحساس، فنسأل الله أن يهدينا وإياهم.

الشاهد أن هذا وقع في معاصٍ كثيرة يعني ملأت تسعةً وتسعين سِجِّلًا كل سِجِّل مدُّ البصر، لكن هل لك أن تغتر بهذا الحديث؟ لا يغتر به إلا المرجئة الذين يتهاونون بالمعاصي ويقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص على واحد، فالله يفعل ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتفضل على من يشاء من عباده، ويدخل أناسًا من المذنبين إلى الجنة برحمته، ويدخل آخرين في النار، وهو لا يظلم أحدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولو عذَّب الناس جميعًا ما كان ظالمًا؛ لأن العباد لا يستطيعون أن يقوموا بشكر أقل نعمه، ومع ذلك فالله يتفضل على عباده ويؤتي فضله من يشاء، وقد فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأمة على اليهود والنصارى، ضرب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلًا لمن قبلنا منهم اليهود والنصارى، فقال: «**مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ**»، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: «**هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟**»

....

قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَذَلِكَ، فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَـاءُ»(١)، فالله يختص برحمته من يشاء، لكن المؤمن الصادق لا يغتر بشيء من نصوص الوعد، بل يعمل ويرجو ويخاف، وقلنا لكم إن الرسول ﷺ كان أشد الناس خوفًا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكان الصحابة أشد الناس خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، وأنهم فتحوا الدنيا وملؤوها عدلًا وكانوا يريدون السلامة والكفاف، كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما قام به من فتوحات وعدل يريد أن يبقى له ما عمله في عهد الرسول ﷺ، وما بعده يرضى منه بالكفاف لا له ولا عليه(٢)، يريد السلامة فلا يغتر أحد منا بعمله، وكان بعض السلف يقول: «لئن أعلم أن الله قبل مني ركعتين لكان خيرًا لي من الدنيا وما عليها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»(٣)، فنسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبنا الرياء وحب السمعة.

الشاهد: أن مسألة التوحيد قضية التوحيد قضية عظيمة أشاد بها رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة لبيان فضلها، وأنه يخرج بها من النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ولكن هل أنت تطيق النار؟ وتصبر حتى تأتيك الشفاعة وتخرج؟ نسأل الله العافية، عند أهل السنة الذنوب كلها خطيرة، وعند المرجئة الغلاة قبَّحهم الله يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب. وأسقطوا العمل من الإيمان؛ فالعمل عندهم ليس من الإيمان؛ وهذا جهل وضلال، ومصادم لنصوص كثيرة في القرآن والسنة، لو تستعرض الآيات: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا

(١) رواه البخاري في صحيحه: في «الإجارة» حديث [٢٢٦٨]، وفي مواضع أخرى.
(٢) انظر: «صحيح البخاري» كتاب: «المناقب» حديث [٣٩١٥].
(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في «تفسير» الحافظ ابن كثير (٣/ ٨٥- سامي سلامة).

بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، كل هـذا مترتـب على الأعمال، فالأعمال عظيمة في الإسـلام؛ ولهذا نجد أن أهل السـنة والجماعة قالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وبعضهـم يقول: «قول وعمل» ويدخـل العمل القلبي وعمل الجوارح في العمل، فهنا العبارة اختلفت لكن مؤداها واحد.

الشاهد: أن هناك فرقًا بين أهل السنة وبين المرجئة، فأهل السنة يعتبرون العمل من الإيمان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ينقص بالمعاصي إلى أن لا يبقى منه إلا أدنى مثقـال ذرة من الإيـمان وأدنى من ذلك بالمعـاصي، ينقص بارتـكاب المعاصي والإصرار عليهـا حتـى لا يبقى منه إلا هذا القدر الضئيل وقد يزول والعياذ بالله، بعضهم يزيغ قلبه فيقع في الكفر - نسـأل الله العافية - ويدخـل في النفاق، وبعضهم تدركه رحمة الله فيبقى عنده شيء ضئيل ينجو به من النار في آخر الأمر لكن متى؟ الله أعلم فلا يغالط الإنسـان نفسـه، الإنسـان الآن لو قيل له: إنك تدخل السـجن، يرتعش ويضطـرب ولا يتحمل، لـو أدخلوه في الزنزانة يومين ثلاثـة لا يتحمل هذا؟ فكيف بالنار؟ فيجب أن نحذر النار أشد الحذر.

ورسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال لمعـاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسـول الله وسـعديك، قال: «**يا معاذ**». قال: لبيك يا رسـول الله وسـعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟**» قـال: الله ورسـوله أعلم، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشـركوا به**

....

شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»، قال: ألا أبشر الناس يا رسول الله؟، قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»[١].

عليه الصلاة والسلام الرحيم الحكيم، حجب عنهم هذه البشرى خشية أن يقعوا في مفسدة عظيمة وهي الاتكال على قضية التوحيد فينكلوا عن العمل، ثم يتساهلون ويقعون في المعاصي، فسدَّ هذا الباب سدَّ باب الفتنة وسدَّ باب الضرر عن الأمة، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا ينبغي أن تشاع هذه الأحاديث عند العوام فيحصل لهم الاتكال على العمل، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرع لنا هذا، فيعني هذا أن لا نبشر بهذه الأمور من يجهل ويحمله الجهل والسفه على ترك العمل، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّر جماعة من أصحابه بالجنة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والله ما ازدادوا إلا خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ ولم يغترُّوا، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتح الفتوحات وأقام العدل وملأ الدنيا عدلًا وما كان يغتر بهذه الفتوحات وهذه الأمور العظيمة ما كان يغتر بها يريد السلامة منها، يقول لأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أرأيت أعمالنا التي عملناها وجهادنا وصلاتنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليت أن الأمر برد لنا على ذلك وما كان بعد ذلك نود أن يكون كفافا لا لنا ولا علينا»[٢]، هذه الفتوحات العظيمة يريد منها السلامة فقط، فانظروا للخوف من الله عَزَّوَجَلَّ ومراقبة الله عَزَّوَجَلَّ.

في زماننا هذا الإنسان يعمل أقل الأعمال فيصيح بها: عملت أنا.. وينشر هذا في الصحف والمجلات.

أما المؤمن فيبني عمله على الإخلاص ويتستر بأعماله، وإذا أنفق لا تدري شماله ما أنفقت يمينه، وأنا أعرف كثيرًا من أهل الخير على هذا النوع الطيب، قد يبني مساجد

---

(١) رواه البخاري «الجهاد والسير» حديث [٦٨٥٦]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٣٠].

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

ويعمل مشاريع ولا يُعرف من هو، ولكنهم قليل، ولكن قليل منهم، وكثير من الناس يتبجحون بأعمالهم والعياذ بالله.

هذا ومن أجلِّ الأعمال وأثقلها في ميزان المؤمن مكارم الأخلاق كما مر بنا في حديث أبي الدرداء: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من حسن الخلق**»[1]، وحسن الخلق يشمل الصدق والكرم والتواضع وحسن الجوار وبر الوالدين وصلة الأرحام والعطف على الضعفاء والمساكين وخفض الجناح للمؤمنين...الخ.

والله سُبْحَانَهُ مدح رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ويقول الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2].

فعلينا أن نتحلى بالأخلاق العالية وأن نجتنب سفاسفها، لنلقى الله بعد التوحيد والقيام بالفرائض بأحسن الأخلاق التي تثقل بها موازيننا، وفق الله الجميع لذلك.



---

(١) سبق برقم: (٨٩٦-٩٠٠).

(٢) سبق تخريجه.

الأسئلة

سؤال: حديث البطاقة يدل على عدم التخليد أو عدم التعذيب مطلقًا؟

جواب: يدل على عدم دخول هذا الرجل، هذا ما دخل النار، هذا عند الميزان قبل دخول النار أو الجنة، لأن الناس يدخلون بعد الوزن؛ ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩]، فدخول النار أو الجنة بعد الميزان، وهذا عفا الله عنه قبل دخول النار بفضله ورحمته، على كل حال: حديث البطاقة يدل على فضل التوحيد، أما الاتكال فلا، حاربه رسول الله ﷺ فلا تتكل، دخلت امرأة النار في هرة حبستها[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ الله لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»[2].

فلا ينظر إلى أحاديث الوعد بمنظار المرجئة، ولا ينظر فقط إلى أحاديث الوعيد كما فعل المعتزلة والخوارج، بل نجمع بين نصوص الوعد والوعيد فنخاف ونرجو نجمع بين الخوف والرجاء، -وكما يقال-: «من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالجمع بين الحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد»[3]، فلابد من الجمع بين الخوف من الله ومراقبته وحبه ورجاء فضله ورحمته في نفس الوقت، ولا نغتر ولا نأمن مكر الله؛ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ولا يغتر إلا جاهل.

---

(١) كما في «صحيح البخاري»، «بدء الخلق» حديث [٣٣١٨]، و«صحيح مسلم» «الآداب» حديث [٢٢٤٢].

(٢) رواه مسلم في «الإيمان» حديث [١٣٧].

(٣) «مجموع فتاوى» شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٨١).

سؤال: ما الذي يوزن في الميزان؟

جواب: الأعمال، وقد يكون الأشخاص، ورد في الأشخاص، وورد في الأعمال نفسها، ورد أن الأشخاص أنفسهم يوزنون وأن الأعمال توزن، المتكبر الجافي الغليظ يوزن فلا يزن جناح بعوضة، هذا المتكبر المتنفخ الذي يرى نفسه قد ملأ الدنيا وكل الناس تحت أقدامه فيأتي يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، ويأتي هؤلاء المتكبرون في صورة النمل في أصغر صورة، فيعاقب المتكبر بنقيض قصده والعياذ بالله، وهذا الحديث يدل على أن الصحف والأعمال توزن.

سؤال: يقول السائل: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي وثقه العلامة أحمد شاكر في سنن الترمذي، فما الراجح فيه؟

جواب: الراجح أنه ضعيف، الشيخ أحمد شاكر من علماء الحديث الكبار، ولكن كل يؤخذ من قوله ويرد، عنده شيء من التساهل مثل تساهل ابن حبان أو أقل، ومن أئمة الجرح والتعديل من يتشدد ومنهم من يتوسط وفيهم المتساهل.

والمنصف يعذر هؤلاء، ويعتبرهم مجتهدين، ويتحرى الحق ويدرس الترجمة التي يحتاج إليها دراسة واعية في ضوء منهجهم وقواعدهم حتى يتوصل إلى النتيجة التي يقتنع بها أمام الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعد ذلك يبني حكمه إما بالضعف وإما بالثقة والعدالة.

سؤال: يقول السائل: ذكر المحقق أن حديث عائشة عندما سألت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟» أنه ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، والذي روى عنه هذا الحديث هو يحيى بن إسحاق، فيحيى من الذين قد روى عن ابن لهيعة قبل اختلاطه ويحسن حديثه أم لا؟

جواب: العلماء القدامى علماء الحديث يعتبرون أن من روى عنه قبل الاختلاط أربعة وهم: عبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرئ وعبد الله بن مسلمة القعنبي وعبد الله ابن وهب هؤلاء رواياتهم عنه صحيحة، ومن عداهم تعتبر رواياتهم عنه ضعيفة، وزاد بعض الناس -وأعتقد أنهم قد تكلَّفوا- وأوصلوا من روى عنه قبل الاختلاط إلى سبعة عشر أو ثمانية عشر رجلًا، وهذه تحتاج إلى نظر أولًا في ثبوت ما يقولون، وثانيًا الدرجة، هل هم من طراز عبد الله بن المبارك وأمثاله أو هم من طراز آخر، هذا يحتاج دراسة، لكن وجدنا الأوَّلين على هذا، ورأيهم لنا أحمد من رأينا.

سؤال: يقول السائل: ثبت عند أبي داود بسند حسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابا من أبواب الربا»(١) كيف نوفق بين هذا الحديث وبين قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من صنع إليكم معروفا فكافئوه» الحديث(٢).

جواب: الصورة غير الصورة: «**صنع إليكم معروفًا**»؛ لأنك ما خدمته، صنع إليك معروفا ابتداء فكافئه، هذا أمر محبوب، أما هذا لا، هذه الشفاعة يجب أن يحتسب فيها المسلم: «**اشفعوا تؤجروا**»(٣)، فالإنسان يتقرب إلى الله بالشفاعة لأخيه ونفعه، فلا يأخذ في مقابلها شيئًا، فإذا أعطاه شيئًا فقبله يكون قد أتى بابًا من أبواب الربا، فلا يجوز أن يأخذ على شفاعته شيئًا.

يحتاج الإنسان إلى مسؤول فيشفع له، فإذا أخذ منه مالًا صار كالربا.

---

(١) رواه أبو داود في «البيوع» حديث [٣٥٤١]، وأحمد (٢٢٢٥١-الرسالة).

(٢) رواه أبو داود في «الزكاة» حديث [١٦٧٢]، والنسائي في «الزكاة» حديث [٢٥٦٧]، وأحمد (٥٣٦٥، ٥٧٠٣، ٥٣٤٧، ٦١٠٦-الرسالة)، وابن حبان [٣٤٠٨]، والحاكم (١٥٠٢-١٥٠٤)، وصححه على شرط الشيخين.

(٣) رواه البخاري في «الزكاة» حديث [١٤٣٢]، ومسلم في «البر والصلة» حديث [٢٦٢٧].

سؤال: يقول السائل: هل هذا الحديث صحيح: «أعلى درجات الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[(1)]؟

جواب: لكن بأي طريقة؟ الطريقة التي كان عليها الصحابة، أسامة بن زيد، قالوا: لماذا لا تكلم عثمان في قضية الوليد؟ قال: «أتريدون أن لا أقول شيئًا إلا أسمعكم إياه، فقد كلمته فيما بينه وبيني»[(2)]، **الشاهد:** أنه كلمه فيما بينه وبينه، وآخر من سادة قريش كلم عثمان سرًّا، ولو أنك تقول لإنسان جاهل ضعيف لا حاكم ولا كبير وليس له مكانة ومن أجهل الناس وتقول له أمام الناس: يا فلان افعل كذا ولم لا تفعل كذا يغضب منك، فكيف بالحاكم؟ فالذي يريد الخير للمسلمين ويريد إبعاد الخطأ والشر عنهم يسلك الطرق الحكيمة والتي تنفع وليس بالصعود على المنبر والتشهير بفلان وفلان، هل ترضى أن يشهر بك إنسان على المنبر وهل تقبل منه؟ وأنت ضعيف مسكين ما تقبل هذا الأسلوب، إنسان قد يضرب شخصًا ضربًا فيقبل منه ولا يراه عارًا، وقد تقول كلمة خبيثة ما يقبلها منك فالناس يتفاوتون، بعضهم يعتبره الحاكم كأنه أبوه، مثل ابن تيمية لو كلم إنسانًا أمام الناس يمكن يخجل، ويأتي واحد أصغر من ابن تيمية بمئات المراحل ويريد التطاول لا يقبل منه أحد.

---

(1) رواه النسائي في «البيعة» حديث [٤٢٠٩]، وأحمد (١٨٨٣٠-الرسالة)، ولفظه: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**».

ورواه ابن ماجه في «الفتن» حديث [٤٠١٢]، وأحمد (٢٢١٥٨ و٢٢٢٠٧)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَمَى الْجَمْرَةَ الثَّانِيَةَ، سَأَلَهُ، فَسَكَتَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ لِيَرْكَبَ، قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ**».

(2) رواه البخاري في «الفتن» حديث [٧٠٩٨]، ومسلم في «الفتن» حديث [٢٩٨٩].

سؤال: يقول السائل: إمام مسجد سلفي في أمريكا يسأل: يصلي في مسجدنا من يقوم ببيع المخدرات المحرمة في الشوارع، هل لنا أن نبعده عنا على أنه قد يكون وجوده معنا يؤدي إلى دخول الشرطي الكافر للمسجد ومشاكل أخرى كثيرة؟

جواب: والله يعلِّمونه ويبينون له أن هذا ذنب كبير، وأكبر من شرب الخمر، ولعن رسول الله شارب الخمر(١)، ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه(٢)، فيبين له خطورة المخدرات وهي أخبث من الخمر، وقد لعن رسول الله شارب الخمر، وهذه أخبث منها، يخوف بالله ويحذر من عقابه، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، ويقال له: خذ بالأسباب المشروعة في اكتساب الرزق وبيِّن له، لعل الله أن ينفعه ولا يطردونه من الصلاة، وإذا دخل الكافر المسجد لغرض لا مانع، نصارى نجران دخلوا مسجد النبيِّ(٣) عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ورسول الله أسر ثمامة وهو مشرك في المسجد(٤)، فإذا دخل فأنت ما ترضى هذا، لكن أنت معذور، لكن تطرد الناس من الصلاة واحد ضال ضايع مسكين لعل الله أن يهديه بهذه الصلاة، لعله يسمع ذكرى في المسجد فيستفيد، تحول بينه وبين هذا الخير هذا غلط، دعه يصلي ويسمع الصلاة ويسمع التلاوة للقرآن، وذكروه بالله وخوفوه بالحكمة والموعظة الحسنة، لعله يستفيد، ولا يمنع من الصلاة، هذا رأيي. والله أعلم.

---

(١) رواه أبو داود في «الأشربة» حديث [٣٦٧٤]، وابن ماجه في «الأشربة» حديث [٣٣٨٠]، وأحمد (٤٧٨٧، ٥٣٩٠، ٥٧١٦-الرسالة)، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
ورواه الترمذي في «البيوع» حديث [١٢٩٥]، وابن ماجه في «الأشربة» حديث [٣٣٨١]، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَـذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».
(٢) رواه مسلم في «البيوع» حديث [١٥٩٨].
(٣) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٦٠-مختصر ابن هشام).
(٤) رواه البخاري في «الصلاة» حديث [٤٦٩]، ومسلم في «الجهاد والسير» حديث [١٧٦٤].

سؤال: يقول السائل: نحن طلبة علم مبتدئون وقد التحقنا هذا العام بمعهد الحرم، فما توجيهكم لنا حفظكم الله؟

جواب: أنصحكم بتقوى الله والإخلاص له والجد في طلب العلم، والبعد عن الأفكار والآراء التي تتعارض مع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ومنهج السلف الصالح، فإن الإنسان الآن أينما ذهب يجد دعاة للشر، أينما ذهب في المدارس، في الجامعات، في أي مكان.

احذروا من مجالسة الدعاة إلى الشر لا تجالسوهم أبدًا، لأن رسول الله قد حذر من ذلك وقال: «**مثل الجليس السوء والجليس الصالح كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة**»(١). فالجليس السوء لابد أن يؤذيك في دينك ويضرك في دينك وعقلك، والجليس الخير الصالح يعطيك الخير ولا تجد منه إلا خيرًا، على كل الأحوال تستفيد منه، وذاك على كل الأحوال تتضرر منه، ولهذا حذَّر رسول الله ﷺ من جلساء السوء، وحذَّر من مجالسة أهل الأهواء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما حذَّر الله من ذلك أيضًا، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، بيَّن الله مقاصد أهل الزيغ وأنهم يتقصدون فتنة الناس وتضليل الناس وصرفهم عن الحق، ثم لما تلا رسول الله هذه الآية قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»(٢)، ما قال: فادخلوا معهم وتعلموا منهم، فلتكن على غاية الحيطة والحذر لا تجالسهم ولا تسمع لهم، إلا إذا كنت

---

(١) رواه البخاري في «البيوع» حديث [٢١٠١]، ومسلم في «البر والصلة» حديث [٢٦٢٨].

(٢) سبق تخريجه.

قويًّا أقوى منهم وأشد تأثيرًا، فوجههم وانصحهم، وإذا كنت ضعيفًا فابتعد عنهم، ترون قد يكون المتصدي لهم عالمًا كبيرًا والله يؤثر عليه مبتدع صغير، قد يكون عالمًا كبيرًا، ويأتي مبتدع شيطاني فيحرفه ويدخله في البدعة، وقد عرفنا هذا في التأريخ وعرفناه من واقعنا، أناس عندهم علم ولكن شخصياتهم ضعيفة ومهزوزة، فيأتي صغير من صغار أهل البدع فيحرفه عن المنهج الصحيح، عرفنا هذا في الواقع وفي السابق.

فالبدع شر، والسلامة لا يعدلها شيء، فمن كان قويًّا متمكنًا يدعوهم بمختلف الوسائل، يدعوهم بالشريط وبالكتاب وبالكلمة وبقدر ما يستطيع يدعوهم إلى الله ويبين لهم، ويناظر إذا كان عنده قدرة على المناظرة، وإذا كان عنده ثقة بنفسه أنه ينصر الحق، أما إذا كان يُهزم فلا، فهذا يضر بالدعوة السلفية، وأنصح كثيرًا ممن يدخلون في باب المناظرات وهم ضعفاء أن لا يشوهوا الدعوة السلفية ويعرضوها للطعن.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين



كِتَابُ

الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان وأن نعيم أهل الجنة لا ينقطع عن أهلها أبدًا، وأن عذاب النار لا ينقطع عن أهلها الكفار أبدًا

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن القرآن شاهد: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الجنة والنار، قبل أن يخلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وخلق للجنة أهلًا، وللنار أهلًا، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة، فنعوذ بالله مم كذب بهذا.

فإن قال قائل: بين لنا ذلك.

قيل له: أليس خلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم وحواء عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وأسكنهما الجنة؟ وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البَقَرَة: ٣٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأَعۡرَاف: ١٩].

....

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١١٦ - ١٢١].

وقال عَزَّوَجَلَّ لإبليس: ﴿ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [الحجر: ٣٤].

فأخرج الله عَزَّوَجَلَّ آدم وحواء من الجنة، ثم تاب عليهما، ووعدهما أن يردهما إلى الجنة، ولعن إبليس وأخرجه من الجنة، وآيسه من الرجوع إلى الجنة.

٩١٠- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي قال: حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي قال: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا قيس، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة: ٣٧] قال: «أي رب، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسبق رحمتك إلي قبل غضبك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أي رب، أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم»(١).

....

(١) سبق تخريجه برقم: [٧٥٥].

٩١١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: قال أبو عمرو الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: «بكى آدم على الجنة ستين عامًا، وعلى ابنه حين قتل أربعين عامًا»(١).

٩١٢- وحدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون العسكري قال: حدثنا إبراهيم ابن الجنيد الختلي، قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثني يحيى بن إسحاق قال: حدثنا عمارة بن زاذان الصيدلاني، عن يزيد الرقاشي قال: «لما طال بكاء آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجنة، قيل له في ذلك، فقال: أبكي على جوار ربي في دار تربتها طيبة، أسمع فيها أصوات الملائكة»(٢).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

وسنذكر من السنن الثابتة في أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خلق الجنة والنار، وأعد في كل واحدة لأهلها ما شاء، مما لا يدفعها العلماء، والحمد لله على ذلك.

٩١٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا الفضل بن موسى قال: حدثنا محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لما خلق الله عَزَّوَجَلَّ الجنة والنار، أرسل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ

....

(١) **أثر ضعيف:** وإسناده صحيح إلى حسان بن عطية، وهو من صغار التابعين، ولم يذكر عمن أخذه. ولعله أخذه من الإسرائيليات. رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» [٣٢١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٧) من طريق الوليد بن مسلم به.

(٢) **أثر ضعيف:** الرقاشي تابعي ضعيف، ولم يذكر عمن أخذه، ولا يبعد أن يكون من الإسرائيليات. والله أعلم.

رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» [٣١٧]، وفي «العقوبات» [١١٣] عن محمد بن الحسين البرجلاني به.

إلى الجنـة فقـال: انظر إليها، وما أعددت فيها لأهلها، فنظر إليها فرجع إليه فقال: وعزتـك لا يسـمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بهـا فحجبت بالمكاره، فقال: اذهب فانظر إليهـا، فـإذا هي قد حجبت بالمكاره، فقال: وعزتك، لقد خشـيت أن لا يدخل أحد، ثم قال: اذهب فانظر إلى النار وإلى ما أعددت لأهلها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها».

٩١٤- وأخبرنـا الفريابـي قـال: حدثنـا وهـب بن بقية قـال: أخبرنـا خالد بن عبد الله الواسـطي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سـلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال...فذكر مثله[(١)].

٩١٥- حدثنـا أبـو شـعيب عبـد الله بـن الحسـين الحزامـي[(٢)] قـال: حدثنـا عبد العزيز بن أبي رؤاد[(٣)] الحراني قال: حدثنا حماد بن سـلمة، عن ثابت، عن أنس

(١) حديث حسن: رواه المصنف بإسنادين، في كليهما محمد بن عمرو بن علقمة، وهو صدوق له أوهام.
رواه النسائي في «الأيمان والنذور» حديث [٣٧٦٣] عن إسحاق بن راهويه به.
ورواه أبو يعلى في «مسنده» [٥٩٤٠]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٩-الرشد)، من طريق وهب ابـن بقية به. ورواه أبو داود في «السـنة» حديـث [٤٧٤٤]، والترمذي في «أبواب صفة الجنة» حديث [٢٥٦٠]، وأحمد -الرسالة- (٨٣٩٣، ٨٦٤٨، ٨٨٦١)، وابن حبان [٧٣٩٤]، والحاكم (٧١، ٧٢)، من طرق عن محمد بن عمرو به. قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي.

(٢) كذا، والصواب: أبو شـعيب عبد الله بن الحسـن الحراني. ثقة مشـهور يروي عنه المصنف كثيرًا في هذا الكتاب، وثقه الدارقطني وغيره. وكان مولده سنة (٢٠٦هـ). تاريخ بغداد (١١/ ٩٤-بشار) و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٣٦-٥٣٧).

(٣) كـذا، والصـواب: عبد العزيز بن داود الحـراني. وثقه أبو حاتم كما في «الجـرح والتعديل» (٥/ ٣٨١)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٩٥) وأرخ وفاته سنة (٢٢٤هـ).

ابـن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حفـت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**».

٩١٦- وحدثنـا أبـو القاسـم عبـد الله بـن محمد بن عبـد العزيز البغـوي قال: حدثنا أبو نصر التمار، وعبد الله بن محمد العبسي[(١)] قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عـن ثابـت، عن أنس قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حفت النار بالشـهوات، وحفت الجنة بالمكاره**»[(٢)].

٩١٧- حدثنـا أبـو محمـد يحيى بن محمد بـن صاعد قال: حدثنا يوسـف بن موسى القطان ومحمد بن إسماعيل البخاري وأحمد بن الوليد بن أبان قالوا: حدثنا إسماعيل ابن أبي أويس قال: حدثني مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حجبت النار بالشـهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**»[(٣)].

٩١٨- حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا علي بن الجعد قال: أخبرني صخر ابـن جويريـة قال: سمعت أبا رجاء قال: حدثنـا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال محمد

---

(١) كذا **والصواب**: عبيد الله بن محمد العيشي.

(٢) حديث صحيح. رواه «المصنف» بإسنادين صحيحين.

رواه مسـلم في «الجنة» حديث [٢٨٢٢]، والترمذي في «أبواب صفة الجنة» حديث [٢٥٥٩]، وأحمد -الرسالة- (١٣٦٧١، ١٤٠٣٠) من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد وثابت عن أنس به مثله.

(٣) حديث صحيح متفق عليه. وإسـناد المصنف حسـن، فيه إسـماعيل بن أبي أويس، قال في «التقريب»: «صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه».

رواه البخـاري في «الرقـاق» حديـث [٦٤٨٧] عن ابن أبي أويس به. ورواه مسـلم في «الجنة» حديث [٢٨٢٣] عن ورقاء عن أبي الزناد به مثله.

ﷺ: «اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء والمساكين، وإلى النار - أو في النار - فرأيت أكثر أهلها النساء».

٩١٩- وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا أبو الأشعث قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن قال: حدثنا أيوب، عن أبي رجاء قال: سمعت ابن عباس يحدث عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة، فإذا أكثر أهلها الفقراء»[1].

٩٢٠- حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري قال: حدثنا أحمد ابن بديل اليامي قال: حدثنا ابن فضيل قال: حدثنا عطاء بن السائب، عن عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اختصمت الجنة والنار، فقالت النار: ما لي لا يدخلني إلا المتكبرون وأصحاب الأموال؟ وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا الضعفاء والمساكين؟ فقال الله عَزَّوَجَلَّ للجنة: أنت رحمتي، أُدخلك من شئت، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من شئت، وكلاكما سأملأ».

....

(١) حديث صحيح متفق عليه: أخرجه المصنف من طريقين، فالطريق الأولى صحيحة. والثانية حسنة، في إسنادها محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، قال في «التقريب»: «صدوق يهم».

قلت: هو متابع كما سيأتي في «التخريج».

رواه البغوي في «مسند» ابن الجعد [٣٠٤٤]، وعلقه البخاري في صحيحه في «الرقاق» عقب حديث [٦٤٤٩]، ووصله في «تاريخه» (٤/ ١٨٢) من طريق صخر بن جويرية به.

ورواه البغوي -أيضًا- [٣٠٤٧] عن أبي الأشعث أحمد بن المقدام عن الطفاوي به.

وتابع الطفاوي ثقتان عن أيوب به، فرواه مسلم في «الرقاق» حديث [٢٧٣٧]، والترمذي في «صفة النار» حديث [٢٦٠٢] كلاهما من طريق ابن علية، والنسائي في «الكبرى» [٩٢١٧] من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي.

٩٢١- حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا ابن أبي عمر-يعني محمد العدني - قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله** عَزَّوَجَلَّ **لهذه: أنت عذابي أصيب بك من أشاء - وربما قال: أعذب بك من أشاء - وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»**(١).

٩٢٢- حدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **أن رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال: «إن أحدكم إذا مات عرض**

---

(١) **حديث صحيح متفق عليه**: رواه المصنف من طريقين، الأولى ضعيفة؛ فيها أحمد بن بديل اليامي، قال في «الكاشف»: «قال النسائي: لا بأس به، وليَّنه ابن عدي والدارقطني». وقال في «التقريب»: «صدوق له أوهام». لكنه لم يتفرد به كما سيأتي. وفيه عطاء بن السائب صدوق اختلط. وفي حديث ابن فضيل عنه غلط واضطراب، قاله أبو حاتم. «التهذيب» (٧/ ٢٠٥).

رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٥١-الحوت)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٩٦) من طريق ابن فضيل به مثله.

وقد اضطرب عطاء في إسناده، فرواه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به مثله، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢١٥) من طريق جرير عنه.

ورواه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا بلفظ: «افتخرت الجنة والنار..» وذكره نحوه.

أخرجه أحمد -الرسالة- (١١٠٩٩، ١١٧٤٠)، وأبو يعلى [١٣١٣]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٥٢٨]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢١١-٢١٢)، وابن حبان [٧٤٥٤]، والدارقطني في «الصفات» (٦، ١٢) من طرق عن حماد بن سلمة عنه.

أما الطريق الثانية فصحيحة.

رواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٨٥٠]، وفي «التوحيد» حديث [٧٤٤٩]، ومسلم في «صفة القيامة والجنة والنار» حديث [٢٨٤٦]، من طرق عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوه.

على مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة: فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عَزَّوَجَلَّ إليه يوم القيامة»(١).

٩٢٣- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي قال: حدثنا ابن أبي فديك قال: حدثني ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح، وريحان ورب غير غضبان، قال: فيقولون ذلك حتى تخرج - فذكر الحديث بطوله -قال: فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع، ثم يقال: فيم كنت؟ فيقول في الإسلام، قال: فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله، جاءنا بالبينات من قبل الله عَزَّوَجَلَّ، فآمنا وصدقنا، فيفرج له فرجة من قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال: انظر إلى ما وقاك الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال: هذا مقعدك». وذكر الحديث(٢).

---

(١) حديث صحيح متفق عليه: رواه المصنف بإسناد صحيح.
رواه مالك في «الموطأ» في «الجنائز» حديث [٤٧].
ورواه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٧٩]، وفي «بدء الخلق» حديث [٣٢٤٠]، وفي «الرقاق» [٦٥١٥]، ومسلم في «صفة القيامة والجنة والنار» حديث [٢٨٦٦]، كلاهما من طريق مالك وغيره عن نافع به مثله.

(٢) حديث صحيح: وإسناد المصنف حسن. فيه محمد بن إسماعيل ابن أبي فديك، قال في «التقريب»: «صدوق». قلت: وهو متابع كما سيأتي في «التخريج». رواه ابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» حديث (٧٢٦-مسند عمر)، وفي «التفسير» (١٢/ ٤٢٥) عن محمد ابن عبد الحكم عن ابن أبي فديك به. =

٩٢٤- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: أن أباه كعب بن مالك كان يحدث: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة، حتى يرجعه الله عَزَّوَجَلَّ في جسده يوم يبعثه»(١).

٩٢٥- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الله ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا: أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟» قال: «فقال الله عَزَّوَجَلَّ: أنا أبلغهم»، فأنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩](٢).

= ورواه ابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٢٦٨]، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٧٨، ١١٩٢٥)، وأحمد -الرسالة- (٨٧٦٩، ٢٥٠٩٠)، وابنه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٠٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٦-٢٧٧)، والطبري في «تهذيب الآثار» حديث (٧٢٥-مسند عمر)، وفي «التفسير» (١٢/ ٤٢٤)، وابن منده في «الإيمان» [١٠٦٨]، من طرق عن ابن أبي ذئب به.

(١) حديث رجال إسناده ثقات رجال الشيخين. رواه مالك في «الموطأ» في «الجنائز» حديث [٤٩]، ومن طريقه: النسائي في «الجنائز» حديث [٢٠٧٣]، وابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٢٧١]، وأحمد (١٠٧٧٨-الرسالة).

ورواه الترمذي في «أبواب فضل الجهاد» حديث [١٦٤١]، وأحمد (١٥٧٨٠، ٢٧١٦٦) من طريق الزهري عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، مرفوعًا، نحوه. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) إسناده ضعيف: فيه محمد بن إسحاق بن يسار صدوق إلا أنه مدلس. وفيه أبو الزبير المكي صدوق، =

٩٢٦- حدثنا أبو بكر بن محمد بن الليث الجوهري قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم - مالك السلولي - عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سأل الله عَزَّ وَجَلَّ الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار الله تَعَالَى من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار».

٩٢٧- وحدثنا ابن صاعد قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين - وذكر الحديث مثله -[1].

....

= وهو مدلس أيضًا.

رواه أبو داود في «الجهاد» حديث [٢٥٢٠]، وأبو يعلى [٢٣٣٣١]، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٢٣٨٩-الرسالة)، والحاكم في «المستدرك» [٢٤٤٤]، وغيرهم، من طريق عثمان بن أبي شيبة به. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي.

وأخرجه الواحدي في «التفسير الوسيط» (١/ ٥١٩) من طريق أبي كريب عن ابن إدريس به.

ورواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٩-المنتخب) عن يوسف بن بهلول عن ابن إدريس به. وليس فيه سعيد بن جبير.

ومن هذا الوجه رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١١٩-السقا)، ومن طريقه: أحمد (٢٣٨٨-الرسالة)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٠٤-الحوت)، والبزار [٤٩٩٤]، والطبري في «التفسير» (٧/ ٣٨٥)، وابن المبارك في «الجهاد» [٦٢]، وهناد في «الزهد» [١٥٥] من طرق عنه. وفي «السيرة» ورواية أحمد، وابن المبارك تصريح ابن إسحاق بالسماع.

أما أول هذا الحديث، فقد صح من رواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم في «الإمارة» حديث [١٨٨٧].

(١) حديث صحيح. وإسناد المصنف صحيح رجاله ثقات. وفيه أبو إسحاق السبيعي ثقة متفق عليه، إلا أنه اختلط بأخرة، وهو مدلس وقد عنعن، وقد رواه عنه ابن ابنه إسرائيل وهو من أثبت الناس فيه، وتابعه ابنه يونس.

رواه النسائي في «الاستعاذة» حديث [٥٥٢١]، والترمذي في «أبواب صفة الجنة» حديث [٢٥٧٢] وابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣٤٠] من طريق أبي الأحوص به مثله. =

٩٢٨- وحدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا عباد بن عباد المهلبي، عن هشام بن زياد، عن يحيى بن عبد الرحمن، عن عطاء، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الجنة بيضاء، وإن أحب الزي إلى الله البياض، فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم»(١).

٩٢٩- وحدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا أبو كريب محمد ابن العلاء قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنان، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، فلله عَزَّوَجَلَّ عتقاء من النار كل ليلة»(٢).

=

ورواه أحمد (١٣١٧٣-الرسالة)، والحاكم [١٩٦٠]، والطبراني في «الدعاء» [١٣١٠] من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به. قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

ورواه أحمد (١٢١٧٠، ١٢٤٣٩، ١٢٥٨٥، ١٣٧٥٥)، وابن حبان [١٠١٤]، وغيرهما، من طرق عن يونس بن أبي إسحاق عن بريد بن أبي مريم به مثله.

(١) حديث ضعيف جدًّا. في إسناده هشام بن زياد، قال في «التقريب»: «متروك».
رواه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» [٥٩٤] من طريق الحسن بن عرفة به.
ورواه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» [٥٩٣]، وأبو نعيم الأصبهاني في «صفة الجنة» [١٢٩] من طريق هشام بن زياد عن عبد الرحمن بن حبيب عن عطاء به.

(٢) في إسناده أبو بكر بن عياش، قال في التقريب: «ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه، وكتابه صحيح».
والحديث رواه الترمذي في «أبواب الصوم» حديث [٦٨٢]، وابن ماجه في «الصيام» حديث [١٦٤٢] كلاهما عن أبي كريب به.
قال الترمذي: «حديث أبي هريرة الذي رواه أبو بكر بن عياش، حديث غريب لا نعرفه من رواية أبي بكر بن عياش عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، إلا من حديث أبي بكر. وسألت محمد ابن إسماعيل عن هذا الحديث؟ فقال: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش،
=

٩٣٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا نحن يومًا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ سمعنا وجبة، فقال لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتدرون ما هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفًا، الآن حين انتهى إلى قعرها»(١).

....

= عن مجاهد، قوله: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، فذكر الحديث. قال محمد: وهذا أصح عندي من حديث أبي بكر بن عياش».

أما متنه فقد روى البخاري في «الصوم» حديث [١٨٩٩]، وفي «بدء الخلق» [٣٢٧٧]، ومسلم في «الصيام» حديث [١٠٧٩] من طريق نَافِع بْن أَبِي أَنَس عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**». ليس فيه الزيادة.

وروى النسائي [٢١٠٨]، وأحمد -الرسالة- (١٨٧٩٤، ١٨٧٩٥، ٢٣٤٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٢٩-الرشد)، من طريق شعبة وغيره عن عطاء بن السائب عَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ: «كُنْتُ فِي بَيْتٍ فِيهِ عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّهُ أَوْلَى بِالْحَدِيثِ مِنْهُ، قَالَ: فَحَدَّثَ الرَّجُلُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**فِي رَمَضَانَ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغَلَّقُ أَبْوَابُ النَّارِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا طَالِبَ الْخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَمْسِكْ**». وفي إسناده عرفجة بن عبد الله الثقفي، قال في «التقريب»: «مقبول».

وروى أحمد في المسند [٧٤٥٠] عن أبي معاوية، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٥٧) عن أبي إسحاق الفزاري، كلاهما عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزاد أبو معاوية: أو أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، شَكَّ الْأَعْمَشُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ لله عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَلِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُم دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**».

(١) **حديث حسن**: في إسناده يزيد بن كيسان وهو اليشكري، قال في «التقريب»: «صدوق يخطئ». وفيه خلف بن خليفة، قال في «التقريب»: «صدوق اختلط في الآخر».

قلت: رواه مسلم في «صفة القيامة والجنة والنار» حديث [٢٨٤٤] من طريق خلف بن خليفة ومروان ابن معاوية الفزاري كلاهما عن يزيد بن كيسان به.

٩٣١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: حدثنا أبو معاوية، عن يزيد الرقاشي، عن أنس: أن رسول الله ﷺ سمع دويًّا، فقال لجبريل: ما هذا؟ فقال: «حجر ألقي من شفير جهنم منذ سبعين خريفًا، الآن حين استقر قرارها»(١).

قال أبو بكر: هكذا أصبته في الأصل، عن يزيد الرقاشي فلا أدري سقط علي، أو هو مرسل عن يزيد، وأكثر الأحاديث: أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد، والله أعلم.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه السنن وغيرها مما يطول ذكرها تدل العقلاء وغيرهم ممن لم يكتب العلم على أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خلق الجنة والنار.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت الجنة» في غير حديث، سنذكر منها ما ينبغي ذكره. كل ذلك ليعرف الناس: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خلق الجنة والنار.

٩٣٢- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال: حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمارة بن غزية أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني المعلى يقول: سمعت ثابتًا البناني يحدث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: «أنه قال لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما لي لم أر ميكائيل ضاحكًا قط؟ قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»(٢).

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا: يزيد الرقاشي ضعيف، وفيه انقطاع بين يزيد وأبي معاوية، وبينهما الأعمش كما في «التخريج». رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٢ -الحوت)، وهناد في «الزهد» [٢٤٩]، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» [١٦]، والبيهقي في «البعث والنشور» [٤٨٤] من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن الرقاشي به.

(٢) إسناده ضعيف: فيه إسماعيل بن عياش روايته ضعيفة عن غير الشاميين، وعمارة بن غزية مدني. وفي =

٩٣٣- وحدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عوف قال: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ناركم هذه - التي يوقد بنو آدم - جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم، فقيل: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلهن مثل حرها»(١).

ولهذا الحديث طرق، والله أعلم.

أهل السنة متفقون مجمعون على أن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان، ولهم أدلتهم القاطعة من الكتاب والسنة.

وقد احتج الإمام الآجري بعدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات أنهما مخلوقتان موجودتان حقيقة. وأضيف بعض الآيات التي تدل على أنهما مخلوقتان موجودتان.

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

= الإسناد -أيضًا-: حميد بن عبيد مولى بني المعلى مجهول كما في «تعجيل المنفعة» (١/ ٤٧٣).
رواه أحمد في «المسند» [١٣٣٤٣]، وفي «الزهد» [٣٥٩] عن أبي اليمان به.
ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» [٢١٩]، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨١٤) من طريق إسماعيل ابن عياش به مثله.

(١) **حديث صحيح متفق عليه**: وإسناد المصنف صحيح.
رواه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢٦٥]، ومسلم في «صفة القيامة والجنة والنار» حديث [٢٨٤٣]، كلاهما من طريق أبي الزناد به مثله.

فمعنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿أُعِدَّتْ﴾ أي هيئت، فهي موجودة مهيأة لعباده المتقين.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تَعَالَىٰ في رؤية رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل على هيئته التي خلقه الله عليها ورؤية غيره في السموات من الآيات الكبرى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١١-١٨].

فقد أرى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا من آيات الله الكبرى، ومنها الجنة، ومنها سدرة المنتهى عندها جنة المأوى.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ الله: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧]»(١).

وأما الأدلة على أن النار موجودة مخلوقة:

فمنها قول الله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢٤٤]، ومسلم من طرق في «كتاب الجنة» حديث [٢٨٢٤].

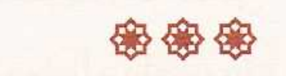
فأهـل السـنة والجماعـة، وعلى رأسـهم أصحـاب رسـول الله ﷺ يؤمنون بوجـود الجنة والنار، وأنهـما مخلوقتان، وإيمانهم هذا مبني على نصوص الكتاب والسـنة، وماعُلـم مـن الدين بالضرورة من أخبار الرسـل عليهم الصلاة والسلام وخالفهم أهل الضلال والبدع من القدرية والمعتزلة فلا علم ولا هدى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح» ص: (١٨-١٩):

«لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصـوص الكتـاب والسـنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسـل كلهـم من أولهم إلى آخرهـم، فإنهم دعـوا الأمم إليها، وأخبروا بهـا إلى أن نبغت نابغة مـن القدرية والمعتزلة فأنكـرت أن تكـون مخلوقـة الآن، وقالت بل الله ينشـئها يوم القيامـة، وحملهم على ذلك أصلهـم الفاسـد الـذي وضعوا بـه شريعة فيما يفعلـه الله، وأنه ينبغـي لـه أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسـوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهـم فيهم فصاروا مع ذلك معطلـة في الصفات، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث، فإنهـا تصير معطلة مـددًا متطاولة ليس فيها سـكانها، قالوا: من المعلـوم أن ملكًا لو اتخذ دارًا وأعـد فيهـا ألوان الأطعمـة والآلات والمصالح وعطلها من النـاس ولم يمكنهم من دخولهـا قرونًا متطاولة لم يكن ما فعله واقعًا على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سـبيلًا إلى الاعتراض عليه !! فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة!! وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا

عليهـم فيها العقلاء ولهذا يذكر السـلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها».

ثـم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ شـبه هؤلاء الضالـين ص: (٤٥-٤٦)، ثم كـرَّ عليها بالإبطال من آخر ص: (٤٦-٤٩).





باب ٧٧

دخول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: قد تقدم ذكرنا في الباب الذي مضى مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء».

وسنذكر في هذا الباب ما لا يجهله العلماء بالحديث أنها حق.

٩٣٤- أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، أن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنبأهم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينما أنا أسير في الجنة، إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقال الملك: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، وضرب بيده إلى أرضه، فأخرج من طينه المسك»[1].

٩٣٥- وحدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: حدثنا محمد بن أبي عدي قال: حدثنا حميد الطويل، عن أنس قال: قال

---

(١) **حديث صحيح متفق عليه**: أخرجه المصنف بإسناد صحيح، وفيه قتادة مدلس وقد عنعن، لكنه صرح بالتحديث عند البخاري.

رواه ابن حبان [٦٤٧٤] عن الحسن بن سفيان عن عبد الأعلى به مثله.

وأخرجه أحمد (١٣٤٢٥-الرسالة) من طريق سعيد بن أبي عروبة به نحوه.

ورواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٨١] من طريقين عن همام عن قتادة به نحوه.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دخلت الجنة، فرأيت فيها نهرًا، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ».

٩٣٦- وأخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد ابن السري قال: حدثنا عبيدة بن حميد، عن حميد الطويل، عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي في مجرى مائه، فإذا مسك أذفر، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

٩٣٧- حدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا أبو بكر بن عياش قال: حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أدخلت الجنة، فرفع لي فيها قصر، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لرجل من قريش وظننت أني أنا هو، فقلت: من هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب..»، وذكر باقي الحديث.

....

(١) حديث صحيح: أخرجه المصنف من طريقين الأولى صحيحة والثانية حسنة. وحميد مدلس وقد عنعن، وقد صرح بالتحديث عند اللالكائي.
رواه الحسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك [١٦١٢]. ورواه هناد في «الزهد» [١٣٤].
ورواه أحمد في «المسند» (١٢٠٠٨، ١٢١٥١، ١٣٧٧٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٥-الحوت)، وأبو يعلى (٣٧٢٦، ٣٨٢٣)، وابن حبان [٦٤٧٢]، والحاكم [٢٦٦]، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [٢٢٥١]، من طرق عن حميد به بألفاظ متقاربة نحوه.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.
وأخرجه أحمد [١٣٥٧٨]، وأبو يعلى [٣٥٢٩]، وابن حبان [٦٤٧١] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعًا نحوه. وهذا سند صحيح على شرط مسلم.

قال أبو بكر بن عياش: «قلت لحميد: في النوم؟ أو في اليقظة؟ قال: لا، بل في اليقظة»(١).

٩٣٨- حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن رزق الله الكلوذاني قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني الحسين بن واقد قال: حدثني عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: سمعت أبي يقول: «أصبح رسول الله ﷺ يومًا فقال: «إني دخلت الجنة البارحة، فرأيت فيها قصرًا مربعًا من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لرجل من العرب، فقلت: فأنا من العرب، فلمن هذا؟ فقيل: لرجل من المسلمين، من أمة محمد، قلت: فأنا محمد، فلمن

---

(١) حديث صحيح: وإسناد المصنف صحيح رجاله ثقات، إلا أبا بكر بن عياش فقد تكلم بعض الأئمة في حفظه، وحديثه هذا متابع عليه كما سيأتي في «التخريج».

رواه المصنف مكررًا [١٣٧٧]، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٢٠٧٧) من طريق قاسم بن زكريا المطرز به مثله. وذكر المصنف تمام الحديث: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ إِلَّا غَيْرَتُكَ يَا أَبَا حَفْصٍ، قَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ الله؟ وَهَلْ رَفَعَنِي الله تَعَالَىٰ إِلَّا بِكَ وَهَدَانِي؟ وَهَلْ مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيَّ إِلَّا بِكَ؟ قَالَ: وَبَكَى».

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» [١٩٧] من طريق محمد بن العلاء به.

ورواه الترمذي في «أبواب المناقب» حديث [٣٦٨٨]، والنسائي في «الكبرى» [٨٠٨٣]، وأحمد (١٢٠٤٦، ١٢٨٣٤، ١٢٩٨٣، ١٣٧٧٥)، وفي «فضائل الصحابة» [٧١٥]، وابنه عبد الله [٤٥١]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٢٦٦]، وأبو يعلى (٣٧٣٦، ٣٨٦٠)، وابن حبان [٦٨٨٧]، وغيرهم من طرق عن حميد عن أنس نحوه مطوَّلًا ومختصرًا. إلا قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَهَلْ رَفَعَنِي الله تَعَالَىٰ إِلَّا بِكَ وَهَدَانِي؟ وَهَلْ مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيَّ إِلَّا بِكَ؟» فلم يذكروه في رواياتهم. قال الترمذي: «حسن صحيح».

ورواه أحمد (١٢٩٨٣، ١٣٨٤٧)، وابنه عبد الله في «فضائل الصحابة» [٤٥١]، وأبو يعلى (٣٧٣٦، ٤١٨٢)، وابن حبان [٥٤] من طريقين عن أنس نحو رواية الجماعة عن حميد.

هـذا القصـر؟ فقيل: لعمر بن الخطاب»، فقال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فلولا غيرتك يا عمر، لدخلت القصر»، فقال له عمر: يا رسول الله، ما كنت لأغار عليك»[١].

٩٣٩- وحدثنـا أبـو القاسـم عبـد الله بـن محمد بن عبـد العزيز البغـوي قال: حدثنـا كامـل بـن طلحـة الجحدري قـال: حدثنـا الليث بن سـعد، عـن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينا نحن عند رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا أنا بامرأة شـوهاء[٢] - يعني: حسناء - إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكـرت غيرتـك، فوليـت مدبـرًا»، قال أبو هريـرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فبكى عمـر، فقال: بأبي وأمي، أعليك أغار؟[٣].

---

(١) إسـناده حسـن: فيه زيد بن الحباب صـدوق يخطئ في حديث الثوري، قالـه في «التقريب». قلت: لقد توبع كما سيأتي في «التخريج».
رواه أحمـد في «المسـند» (٢٢٩٩٦-الرسـالة)، وفي «فضائـل الصحابة» [١٧٣١]، وابن أبي شـيبة في «المصنف» (٦/ ٣٥٥ و٣٩٦-الحوت)، وابن حبان [٧٠٨٦] من طريق زيد بن الحباب به.
ورواه الترمـذي في «أبـواب المناقب» حديث [٣٦٨٩]، وأحمد في «المسـند» [٢٣٠٤٠]، وفي «فضائل الصحابـة» [٧١٣]، وابـن خزيمة [١٢٠٩]، والحاكم في «المسـتدرك» (١١٧٩، ٥٢٤٥) من طريقين آخرين عن حسين بن واقد به نحوه، تامًّا ومختصرًا. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ: «أَنِّي دَخَلْتُ البَارِحَةَ الجَنَّةَ» يَعْنِي: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، هَكَذَا رُوِيَ فِي بَعْضِ الحَدِيثِ، وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: «رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين».
(٢) في البخاري ومسلم «تتوضأ»، وهو الصواب.
(٣) حديث صحيح متفق عليه: رواه المصنف بإسناد حسن. رجاله ثقات خلا كامل بن طلحة الجحدري، فقد تكلم فيه ابن معين، وسئل أحمد بن حنبل عنه وعن أحمد بن محمد بن أيوب، فقال: «ما أعلم أحدًا يدفعها بحجة». وقال أبو حاتم: «لا بأس به». «التهذيب» (٨/ ٤٠٨-٤٠٩).
قلت: لقد تابعه جمع من الثقات عن الليث.
=

حدثنا ابن صاعد أبو محمد قال: حدثنا بحر بن نصر الخولاني قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثني زمعة بن صالح[(١)]، عن عيسى بن عاصم، عن زر ابن حبيش، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلينا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح، فبينا هو في الصلاة مدَّ يده ثم أخَّرَها، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، صنعت في صلاتك هذه ما لم تصنع في صلاة قبلها؟ قال: «إني أريت الجنة عرضت علي، ورأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالدُّبا، فأردت أن أتناول منها فأوحي إلي: أن استأخر، فاستأخرت، ثم عرضت علي النار بيني وبينكم، حتى رأيت ظلي وظلكم، فأومأت إليكم أن استأخروا». وذكر الحديث[(٢)].

بعد أن ساق المؤلف في الباب السابق الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان أضاف في هذا الباب الأدلة على رؤية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٢٧٢]، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» [٩٧]، واللالكائي [٢٤٧٧] من طريق كامل بن طلحة به.

ورواه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢٤٢] عن سعيد بن أبي مريم، وفي «التعبير» حديث [٧٠٢٣] عن سعيد بن عفير، و[٧٠٢٥] عن يحيى بن بكير، ثلاثتهم عن الليث بن سعد به نحوه.

ورواه البخاري في «النكاح» حديث [٥٢٢٧]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٣٩٥] من طريق الزهري عن ابن المسيب به نحوه.

(١) كذا، والصواب معاوية بن صالح، كما في جميع المصادر التي ورد فيها هذا الحديث. وانظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٦/ ٣٩٥)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦/ ٢٨٣)، و«التهذيب» (٨/ ٢١٦-٢١٧).

(٢) في إسناده معاوية بن صالح قاضي الأندلس، صدوق له أوهام.

رواه ابن خزيمة في «صحيحه» [٨٩٢]، والطحاوي في «مشكل الآثار» [٥٧٦٢] كلاهما عن بحر بن نصر الخولاني عن ابن وهب عن معاوية بن صالح به مثله.

ورواه الطبراني في «الشاميين» [٢٠٧٨]، والحاكم في «المستدرك» [٨٤٠٨]، وأبو نعيم في «صفة الجنة» [٣٤٩]، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٢١٣٦) من طرق عن ابن وهب عن معاوية ابن صالح به نحوه. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي. قلت: في سند رواية الحاكم نعيم بن حماد الخزاعي، وفي حديثه بعض المخالفة لرواية الجماعة.

للجنة ودخوله فيها وسيره فيها ورؤيته لبعض قصورها وبعض أنهارها، وأهل السنة يؤمنون بذلك ولا يرتابون فيه.

وهذا من فضائل الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن جملة الدلائل على منزلته عند ربه جَلَّ وَعَلَا.



٧٨

باب

ذكر الإيمان بأن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأن أهل النار من الكفار والمنافقين، خالدون فيها أبدًا

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بيان هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

....

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧ - ٤٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣١].

وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾

[الواقعة: ٢٧ - ٣٤]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٧ - ٨].

....

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا في القرآن نظائر كثيرة، تخبر أن المتقين في الجنة خالدين فيها آمنين، لا يذوقون فيها الموت أبدًا، ولا يخرجون من الجنة أبدًا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾

[الدخان: ٥١ - ٥٦]

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه أهل النار الذين هم أهلها، يخلدون فيها أبدًا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ

....

هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الجاثية: ٣١ - ٣٥].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقرآن شاهد: أن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، في جوار الله عَزَّوَجَلَّ، في النعيم يتقلبون.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٤]

وأن أهل النار الذين هم أهلها في العذاب الشديد أبدًا ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٥].

٩٤١- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا النضر بن شميل، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح أعفر، فيوقف بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ثم يقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيرون أن الفرج قد جاءهم فيدعى فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة، خلود لا موت فيه، ويا أهل النار، خلود لا موت فيه»[1]. قال إسحاق: قال النضر: الأعفر الذي فيه بياض وسواد.

(١) حديث صحيح: وإسناد المصنف فيه عاصم بن أبي النجود، قال في «التقريب»: «صدوق له أوهام».

رواه أحمد - الرسالة - (٩٤٤٩، ١٠٦٥٧)، والدارمي [٢٨٥٣]، والبزار [٩٠٢١] من طرق عن حماد بن سلمة به نحوه.

ورواه ابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣٢٧]، وأحمد (٧٥٤٦، ١٠٦٥٦)، وابن حبان [٧٤٥٠]، والحاكم [٢٧٨] من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي =

٩٤٢- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بن المديني قالا: حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، أتعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، فيقولون: هذا الموت، ويقال: يا أهل النار، أتعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: هذا الموت، فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار، خلود ولا موت»، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩][1].

ولهذين الحديثين طرق جماعة.

ساق الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب عددًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات أن أهل الجنة خالدون فيها أبدًا في نعيم دائم لا انقطاع له، وأن أهل النار من الكفار والمنافقين خالدون فيها أبدًا في عذاب مقيم ودائم أبدًا لا انقطاع له.

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معناه. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي.

ورواه الترمذي في «أبواب صفة الجنة» حديث [٢٥٥٧]، وأحمد [٨٨١٧]، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢١٥-٢١٧)، وابن منده في «الإيمان» [٨١٥] من طريقين عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا نحوه، في حديث طويل. وقال الترمذي: «حديث حسن».

وروى البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٤٥] من طريق الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ**».

(١) **حديث صحيح، متفق عليه**: أخرجه المصنف بإسناد صحيح.

رواه مسلم في «الجنة وصفة نعيمها» حديث [٢٨٤٩] عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، كلاهما عن أبي معاوية به مثله.

ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٧٣٠] عن حفص بن عمر عن أبيه عن الأعمش به نحوه.

ومن الأدلة القرآنية الكثيرة الدالة على خلود أهل الجنة:

قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

ساق المؤلف هذه الآية وغيرها من الآيات الدالة دلالات واضحة على خلود أهل الجنة فيها خلودًا مؤبدًا لا انقطاع له.

وقوله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ... ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**».

والقول بدوام الجنة والنار دوامًا لا ينقطع هو قول أهل السنة والجماعة وأدلتهم نصوص الكتاب والسنة القاطعة بذلك، وخالفهم في ذلك الجهمية، فقالوا بفناء الجنة والنار، ولم يرفعوا رؤوسهم بهذه النصوص القطعية من الكتاب والسنة، كما هو منهجهم في سائر مخالفاتهم للكتاب والسنة ولأهل الحق وعلى رأسهم الصحابة الكرام، ومن مخالفاتهم الخطيرة قولهم بتعطيل صفات الله وأسمائه.

ومن ذلك إنكار علو الله واستوائه على عرشه اللذين قامت عليهما الأدلة الكثيرة والبراهين القاطعة من النقل والعقل.

نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الحق وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه سميع الدعاء.





فضائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم.

أما بعد: فينبغي أن نبين للمسلمين من شرائع الحق التي ندبهم الله عَزَّوَجَلَّ إليها، وأمرهم بلزوم الجماعة، وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإني أبين لهم فضل نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليعلموا قدر ما خصهم الله عَزَّوَجَلَّ به، إذ جعلهم من أمته، ليشكروا الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البَقَرَة: ١٥١ - ١٥٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قبيح بالمسلمين أن يجهلوا معرفة فضائل نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما خصه الله عَزَّوَجَلَّ به من الكرامات والشرف في الدنيا والآخرة، وقد رسمت في هذه أربعة أجزاء مختصرة، حسنة جميلة، مما خص الله تَعَالَىٰ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حالًا بعد حال.

وقد أحببت أن أذكر في هذا الكتاب الذي وسمته بكتاب الشريعة من فضائل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لا ينبغي للمسلمين جهله، بل يزيدهم علمًا

وفضلًا وشكرًا لمولاهم الكريم، والله الموفق لما قصدت له، والمعين عليه إن شاء الله تَعَالَىٰ.

ذكر الإمام الآجري في هذا الباب فضائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومزاياه؛ الأمور التي دلَّ عليها كتاب الله:

منها: أن الله أرسله يتلو على أمته آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وفي هذا المعنى ثلاث آيات، ذكر الآجري آية واحدة من سورة البقرة، وبقيت اثنتان من سورة آل عمران ومن سورة الجمعة.

وهذه الآيات فيها بيان فضائل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الفضائل من أكثر النعم على هذه الأمة، ولذا قال في آخر هذه الآية من سورة البقرة: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢].



٨٠

بَابُ

ذكر ما نعت الله عَزَّوَجَلَّ به نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه من الشرف العظيم، مما تقر به أعين المؤمنين

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن الله عَزَّوَجَلَّ شرف نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعلى شرف، ونعته بأحسن النعت، ووصفه بأجمل الوصف، وأقامه في أعلى الرتب.

أخبرنا مولانا الكريم: أنه بعثه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد حذر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنذر وبشر وما قصر.

ثم أخبرنا مولانا الكريم: أن محمدًا دعوة أبيه إبراهيم، ودعوة أبيه إسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وبشر به عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فاستجاب الله عَزَّوَجَلَّ لإبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، فاختص من ذريتهما من أحب، وهو محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشرف قريش نسبًا، وأعلاها قدرًا، وأكرمها بيتًا، وأفضلها عترة، فبعثه بشيرًا ونذيرًا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

فأثبت الله عَزَّوَجَلَّ على النصارى ببشارة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم بمحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن الله جل ذكره: أخبر عن أهل الكتابين اليهود والنصارى: أنهم يجدون صفة محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة والإنجيل، وأنه نبي، وأوجب عليهم اتباعه ونصرته، فقال جل ذكره: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

....

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقطع الله عَزَّوَجَلَّ حجج أهل الكتابين بما أخبر عن صفته في كتبهم، وأن الذي جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو النور، وهو الحق، وأنه يخرجهم به من الظلمات إلى النور، وأنه يهديهم به إلى صراط مستقيم.

ثم أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: أن الذي يدعو إليه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق وهو الصراط المستقيم، فأوجب على الخلق: الإنس والجن، قبوله، وأخبر عن الجن، لما سمعوا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما أمره الله عَزَّوَجَلَّ أن يبلغهم، عرفوا أنه الحق، وآمنوا به وصدقوا واتبعوه.

فقال جل ذكره: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَـٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ يَـٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المؤمنون: ٧٣].

....

ثـم أخـبر عَزَّوَجَلَّ: أنه يظهـر دين نبيـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل ديـن خالفه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾.

ثم أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: أنه لا يتم لأحد الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وحده، حتى يؤمن بالله ورسوله.

ثـم أخـبر عَزَّوَجَلَّ أن من لم يؤمن بالله وبرسـوله: لم يصح له الإيمان، فقال جل ذكـره: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النور: ٦٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح: ١٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: ٨].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الحديد: ٧ - ٨].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

ثم أعلمنا مولانا الكريم: أن علامة صحة محبة من ادعى محبة الله عَزَّوَجَلَّ: أن يكون محبًّا لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متبعًا له، وإلا لم تصح له المحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

....

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل الله عَزَّوَجَلَّ محبة رسوله واتباعه علمًا ودليلًا لصحة محبتهم له، مع اتباعهم رسوله فيما جاء به، وأمر به، ونهى عنه.

ثم أخبر عَزَّوَجَلَّ أن من كفر برسوله: فهو كمن كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن كذب رسوله فقد كذب الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ في قصة المنافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٠].

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ أمر المؤمنين أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جهاد معه، والصبر معه على كل مكروه يلحقهم.

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ

ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ثم إن الله عز وجل أقام نبيه صلى الله عليه وسلم مقام البيان عنه.

فقال عز وجل: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]

وكان مما بينه لأمته: أن الله - جل اسمه - أوجب عليهم الطهارة والصلاة في كتابه، ولم يخبرهم بأوقات الصلاة، ولا بعدد الركوع، ولا بعدد السجود، ولا بما يطلب من القراءة فيها، وما تحريمها؟ وما تحليلها؟ ولا كثير من أحكامها، فبين صلى الله عليه وسلم مراد الله عز وجل من كل ذلك.

وكذلك أوجب الزكاة في كتابه، ولم يبين: كم في الورق؟ ولا كم في الذهب؟ ولا كم في الغنم؟ ولا كم في الإبل؟ ولا كم في البقر؟ ولا كم في الزرع والثمر؟ فبين النبي صلى الله عليه وسلم مراد الله عز وجل من كل ذلك.

وكذلك الصيام بين ما يحل فيه للصائم، وما يحرم عليه فيه.

وكذلك فرض الله عز وجل على عباده الحج على من استطاع إليه سبيلاً، ولم يخبرنا عز وجل كيف الإهلال بالحج؟ ولا ما يلزم المحرم من كثير من الأحكام؟ فبينه صلى الله عليه وسلم حالاً بعد حال.

وكذلك أحكام الجهاد، وكذلك أحكام البيع والشراء.

وكذلك حرم الله عز وجل الربا على المسلمين، وتوعدهم عليه بعظيم العقاب، ولم يبين لهم في الكتاب: كيف الربا؟ فبينه الرسول صلى الله عليه وسلم.

....

وهذا في كثير من الأحكام، مما يطول شرحه، لم يعقل ما في الكتاب إلا ببيان الرسول ﷺ، زيادة من الله عز وجل لنبيه ﷺ، فيما أعطاه من الفضائل التي شرفه بها.

ثم فرض على جميع الخلق طاعته، وحرم عليهم معصيته، وذلك في غير موضع من كتابه، فقد قرن طاعة رسوله ﷺ إلى طاعته عز وجل، وأعلمهم أنه من عصى رسول الله فقد عصى الله.

قال عز وجل: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]

وقال عز وجل: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣١ - ١٣٢].

وقال عز وجل: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣ - ١١٤]

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٩٥].

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]

....

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]

ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا في القرآن كثير في نيف وثلاثين موضعًا، أوجب طاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرنها مع طاعته عَزَّوَجَلَّ، ثم حذر خلقه مخالفة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لا يجعلوا أمر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا أمرهم بشيء، أو نهاهم عن شيء - كسائر الخلق، وأعلمهم عظيم ما يلحق من خالفه: من الفتنة التي تلحقه.

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ أوجب على من حكم عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكمًا، أن لا يكون في نفسه حرج أو ضيق مما حكم به عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يسلم لحكمه ويرضى، وإلا لم يكن مؤمنًا.

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فالحرج ههنا: أن لا يشك.

ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ أثنى على من رضي بما حكم له النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو حكم عليه، ورضي بما أعطاه من الغنيمة، من قليل أو كثير، وذم من لم يرض.

....

فقال جل اسمه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩].

ثم إن الله جل ذكره أخبرنا عن أهل النار - إذا هم دخلوها - كيف يتأسفون ويتحسرون على ترك طاعتهم لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله إذ لم يطيعوا الله ورسوله، يوم كانوا في الحياة الدنيا ميسرًا لهم طاعة الله ورسوله، فندموا حيث لم ينفعهم الندم وأسفوا حيث لم ينفعهم الأسف، فقال جل ذكره: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧] إلى قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ألا ترون - رحمكم الله - كيف شرف الله نبينا محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، في كل حال؟ يزيده شرفًا إلى شرف في الدنيا والآخرة. ثم اعلموا: يا أمة محمد، يا مؤمنين، أن الله أوجب على جميع الخلق أن يعظموا قدر نبيِّه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بالتوقير له والتعظيم، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، ولا يجهروا له في المخاطبة، كجهر بعضهم لبعض، بل يخفضوا أصواتهم عند صوته، كل ذلك إجلالًا له، وأعلمهم أن من خالف ما أمر الله به من ذلك التعظيم لرسوله: أنه يحبط عمله وهو لا يشعر.

فقال جل ذكره: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ١ - ٢].

ثم وعد جل ذكره من قبل من الله عَزَّوَجَلَّ ما أمر به في رسوله: من خفض الصوت والتوقير له: المغفرة مع الأجر العظيم، فقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

كل ذلك يحذر الله تَعَالَىٰ عباده مخالفة رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويعظم قدره عندهم.

ثم أمر جل ذكره خلقه، إذا هم أرادوا أن يناجوا النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بشيء مما لهم فيه حظ: أن لا يناجوه حتى يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وكان الرجل إذا أراد أن يناجيه بشيء تصدق بصدقة، كل ذلك تعظيمًا للرسول، وشرفًا له، فلما فعلوا ذلك ضاقت على بعضهم الصدقة، فاحتاج إلى مناجاته، فتوقف عن مناجاته، فخفف الله عَزَّوَجَلَّ ذلك على المؤمنين رأفة منه بهم، فقال جل ذكره في ابتداء الأمر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [المجادلة: ١٢]. هذا لمن قدر على الصدقة.

....

ثم قال تفضلًا على من لم يجد صدقة: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[المجادلة: ١٢]

ثم قال تفضلًا على الجميع على من قدر على الصدقة وعلى من لم يقدر، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣].

فخفف عنهم الصدقة، وأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله عَزَّوَجَلَّ، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إن الله جل ذكره أعلم جميع خلقه، وأعلم نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنه قد تمت نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه، بأن هداه إلى الصراط المستقيم، وأعلمه أنه ينصره نصرًا عزيزًا، فقال جل ذكره: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ - ٣].

ثم أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن الذين يبايعون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنما يبايعون الله عَزَّوَجَلَّ، وكل ذلك تعظيمًا لقدر محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ربه عَزَّوَجَلَّ، فقال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ثم أخبرنا عَزَّوَجَلَّ برضائه عنهم، إذ بايعوا نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقوا في بيعته بقلوبهم، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

....

ثم أمر الله جل ذكره المؤمنين أن يتأسوا في أمورهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال جل ذكره: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم أوجب الله عَزَّ وَجَلَّ على المؤمنين أن ينصحوا لله عَزَّ وَجَلَّ، ثم أعلمهم أن من نصح لله فلينصح لرسوله وقرنهما جميعًا، ولم يفرق بينهما، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١].

ثم أخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أنه من خان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كمن خان الله عَزَّ وَجَلَّ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]

ثم حذر الخلق من إيذاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يؤذوه في حياته ولا بعد موته، وأخبر أن المؤذي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمن آذى الله عَزَّ وَجَلَّ، وأخبر أن المؤذي لله ولرسوله مستحق اللعنة في الدنيا والآخرة، فقال جل ذكره: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

ثـم أخبرنـا الله عَزَّوَجَلَّ: أنه من حاد الرسـول بالعداوة فقد حاد الله عَزَّوَجَلَّ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾

[المجادلة: ٢٢]

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

ثم أعلمنا مولانا الكريم أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بالمؤمنين من أنفسـهم، وأنه إذا أمـر فيهـم بأمـر فعليهـم قبول ما أمر بـه، ولا اختيـار لهم إلا ما اختار رسـولهم لهم: في أهليهم، وفي أموالهم وفي أولادهم، فقال جل ذكره: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثـم إن الله عَزَّوَجَلَّ رفـع قدر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزاده شـرفًا إلى شـرفه، وفضَّله على سـائر خلقه، بأن حرم أزواجه على جميع العالمين أن يتزوجوهن بعد موته، وكذلك إذا طلـق امـرأة من نسـائه دخل بهـا أو لم يدخل بها، فقد حرمـت على كل أحد أن يتزوجها، لأنهن أمهات المؤمنين.

فقد خصه الله الكريم بكل خلق شريف عظيم.

ثـم فـرض على خلقه أن يصلوا على رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعلمهم أنه يصلي عليه هو وملائكته شرفًا له.

....

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فصلى الله عليه وعلى آله أجمعين في الليل والنهار، صلاة له فيها رضى، ولنا بها مغفرة من الله عَزَّوَجَلَّ، ورحمة إن شاء الله، وعلى آله الطيبين، ولا حرمنا الله النظر إليه، وحشرنا على سنته، والاتباع لما أمر، والانتهاء عما نهى.

واعلموا - رحمنا الله وإياكم - لو أن مصليًّا صلى صلاة فلم يصل على النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيها في تشهده الأخير وجب عليه إعادة الصلاة.

واعلموا رحمكم الله أن جميع ما نهى عنه النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فحرام على الناس مخالفته والنهي على التحريم، حتى يأتي عنه دلالة تدل على أنه نهى عنه لمعنى دون التحريم، وإلا فنهيه على التحريم بجميع ما نهى عنه. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُٱللَّهُ:

فهذا الذي حضرني ذكره مما شرفه الله عَزَّوَجَلَّ به في القرآن، فذكرت منه ما فيه بلاغ لمن عقل.

وأنا أذكر بعد هذا مما شرفه الله عَزَّوَجَلَّ به ما جاءت به السنن عنه والآثار عن صحابته، حالًا بعد حال، مما يقر الله به أعين المؤمنين، ويزدادوا بها إيمانًا إلى إيمانهم، ومحبة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتعظيمًا له، والله الموفق لذلك، والمعين عليه.

عقد الإمام الآجري رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه هذا «الشريعة» في فضائل النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ودلائل نبوته ستة وعشرين بابًا.

وألّف كتابًا خاصًا في فضائل النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ألَّف في دلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدد من العلماء منهم الإمام الطبراني المتوفى سنة [٣٦٠] وهو ممن عاصر الآجري.

وأبو الشيخ الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المتوفى سنة [٣٦٩].

والحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، المتوفى سنة [٤٣٠].

وهو من تلاميذ أبي الشيخ، وكتابه في مجلد كبير.

والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة [٤٥٨] وكتابه في سبع مجلدات.

وألّف في حقوقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القاضي عياض كتابه «الشفاء في حقوق المصطفى».

وألّف شيخ الإسلام ابن تيمية في الذب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وغيرهم رحم الله الجميع.

في هذا الباب ساق الإمام الآجري آيات تدل على الشرف العظيم والمكانة العالية التي أنعم الله بها على رسوله الكريم.

ومنها أن الله أرسل هذا الرسول الكريم بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا، بشيرًا للمؤمنين يبشرهم برضى الله عنهم وبجنات النعيم والنعيم المقيم، ونذيرًا للكافرين بغضب الله عليهم وإدخالهم الجحيم خالدين في عذابها المقيم.

وأن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسباب بعثته دعوة أبيه إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشرى عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أشادت بذكره وبعثته التوراة والإنجيل، وأن أهل الكتاب يجدون صفات هذا النبي فيهما.

ومنها أنه النبي الأمي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وهذا من ميزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وميزات شريعته الغراء.

وقد أقام الله على أهل الكتابين الحجج والبراهين بما في هذه الآية وغيرها مما ذكره المؤلف ومما لم يذكره.

ومنها: أن الله أرسله إلى الثقلين الجن والإنس.

وساق الآية من سورة الأحقاف، وفيها أن نفرًا من الجن استمعوا القرآن وأنهم بعد أن سمعوه ذهبوا إلى قومهم من الجن يخبرونهم بهذا الكتاب، القرآن المنزل من الله وأنه مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنه يهدي إلى صراط مستقيم.

والله يقول في عموم رسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس كافة: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

ويقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والعالمين يشمل الجن والإنس جميعًا إلى يوم القيامة.

وفي أحاديث لا يتسع المقام لذكرها.

ومن مزايا هذا الرسول ﷺ أن الله وعده بإظهار دينه على الأديان كلها، ساق بهذ االصدد آية التوبة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ومثلها آية من سورة الصف.

وقد أنجز الله وعده فأظهر دينه فعلًا، ونصره على سائر الأديان.

ثم ساق المؤلف في هذا الباب عددًا من الآيات التي تدل على أنه لا يكون أحد من العباد مؤمنًا إلا إذا آمن بهذا الرسول وبما جاء به وانقاد له وأطاعه وأحبه.

وأن دعوى محبة الله لا تغني شيئًا حتى يتبع المدعي هذا الرسول الكريم، وأن محبة الله ورسوله يجب أن تقدم على الأبناء والآباء والإخوان والأزواج والتجارة والأموال والمساكن، وأن من لا يكون حاله هكذا فاسق معرض للوعيد الشديد.

وساق المؤلف آيات لبيان أن من كفر بهذا الرسول فقد كفر بالله وكذلك سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وذكر المؤلف أن مما أكرم الله به نبيه ﷺ أن أسند إليه بيان المجملات من آيات القرآن وتخصيص العمومات وتقييد المطلقات منه، فقام ﷺ بذلك أفضل قيام.

ومن ذلك بيان عدد الصلاة ومواقيتها وما لها من أحكام وأقوال لا تقوم الصلاة إلا بها، ومنها القيام والقراءة فيها والركوع والسجود وسائر الأعمال والأذكار المشروعة.

وكذلك جاءت نصوص الزكاة في القرآن مجملة، فبيّن رسول الله ﷺ الأموال التي تجب فيها من الزروع والثمار والأنعام والذهب والفضة، وبيّن مقاديرها في كل هذه الأنواع، وكذلك الصيام والحج والجهاد ومحل تفاصيلها كتب السنة وكتب الفقه.

ثم ذكر المؤلف بعض النصوص التي توجب طاعته ﷺ على جميع المكلفين، وتحرم عليهم معصيته، وأن من يطع هذا الرسول ﷺ فقد أطاع الله، ومن يعصه فقد عصى الله.

ثم قال المؤلف: «**هذا في القرآن كثير في نيف وثلاثين موضعًا، أوجب طاعة رسوله ﷺ، وقرنها مع طاعته عَزَّوَجَلَّ، ثم حذر خلقه مخالفة رسوله ﷺ، وأن لا يجعلوا أمر نبيه ﷺ - إذا أمرهم بشيء، أو نهاهم عن شيء - كسائر الخلق، وأعلمهم عظيم ما يلحق من خالفه: من الفتنة التي تلحقه**».

وساق آيات في هذا المعنى، منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثم دعا المؤلف أمة محمد ﷺ أن يوقروه وأن يدركوا ما أوجبه الله على جميع الخلق أن يعظموا قدر هذا الرسول ﷺ وأن يخفضوا أصواتهم عنده احترامًا له وتوقيرًا.

....

وساق آيات في هذا المعنى، **منها**: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقوله تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ثم ذكر إكرام الله لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن فتح الله له فتحًا مبينًا، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهداية الله له إلى الصراط المستقيم، ونصر الله له النصر العزيز، ورضاه عنه وعن أصحابه الكرام الذين بايعوه تحت الشجرة.

وأمر الله -جلَّ ذكره- المؤمنين أن يتأسوا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أمورهم الدينية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال: ثم أوجب الله عَزَّ وَجَلَّ على المؤمنين أن ينصحوا لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله.

وأخبر الله أن من خان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كمن خان الله عَزَّ وَجَلَّ وساق الآية في ذلك.

قال: ثم حذر الخلق من إيذاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يؤذوه في حياته ولا بعد موته وأخبر أن المؤذي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمن آذى الله عَزَّ وَجَلَّ.

أقول: إن مذهب السلف ومن تبعهم أن من يسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافر سواء كان مستحلًا أو غير مستحل.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ص: (٣-٤):

«المسألة الأولى أن من سبَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله.

هـذا مذهـبٌ عليه عامة أهل العلم، قال ابن المنـذر: «أجمع عوام أهل العلم على أن حدَّ من سب النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتلُ».

وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

قـال: وحُكـي عـن النعمان لا يقتـل، يعني الذي هـم عليه من الـشرك أعظم. وقد حكى أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حدَّ من سبَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتلُ كما أن حد من سـبَّ غيره الجلد. وهذا الإجماع الذي حكاه هذا محمولٌ على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين أو أنه أراد به إجماعهم على أن ساب النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجـب قتله إذا كان مسـلمًا، وكذلك قيَّده القاضي عيـاض فقال: أجمعت الأمة عـلى قتل متنقِّصه من المسـلمين وسـابه، وكذلك حكي عن غير واحـد الإجماع على قتله وتكفيره.

وقال الإمام إسـحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: «أجمع المسـلمون على أن من سـب الله، أو سـبَّ رسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو دفع شـيئًا مما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ: أنه كافر بذلك وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل الله.

قال الخطابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبيَّ ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتلُ، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

وتحرير القول فيه: «أن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماعَ على ذلك إسحاقُ ابن راهويه وغيرُه، وإن كان ذِمِّيًّا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة، وسيأتي حكاية ألفاظهم، وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث»(١).

وذكر الإمام الآجري حال الكفار في الآخرة الذين كذبوا رسول الله ﷺ كيف يتأسفون ويتحسرون ويندمون، حيث لا ينفعهم الأسف ولا الندم، ويقولون يوم تقلب وجوههم في النار: ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]

وذكر أن من يحاد الرسول ﷺ فقد حاد الله، وساق آيتين في ذلك.

وذكر أن من ميزات رسول الله ﷺ أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وساق الآية في ذلك.

وذكر أنه إذا قضى الله ورسوله أمرًا لم يكن للمؤمن خيرة في طاعة الله ورسوله، وأن من يخالف ما قضاه الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا.

---

(١) وانظر: ص: [٥١٧] من «الصارم المسلول».

ولمكانة رسول الله ﷺ وعظم قدره أن حرم الله أزواجه على جميع العالمين؛ لأنهن أمهات المؤمنين.

وذكر أن الله قد فرض على المؤمنين أن يُصلوا على رسوله الكريم ﷺ وساق الآية في ذلك.

وذكر أن من لم يصل على النبيِّ ﷺ في التشهد الأخير وجبت عليه الإعادة؛ لأن صلاته باطلة.

وذكر أن نواهي النبيِّ ﷺ تقتضي التحريم إلا أن يوجد صارف يصرفها عن التحريم إلى الكراهية.

وبعد أن ذكر الآجري هذه الفضائل والخصائص للنبي ﷺ قال: وأنا أذكر بعد هذا مما شرفه الله...الخ.





[٩٤٣] قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا يعقوب ابن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا منصور ابن سعد، عن بديل يعني ابن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: يَا رَسُولَ الله مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

[٩٤٤] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زيد بن أخزم قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن منصور بن سعد، عن بديل، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: يَا رَسُولَ الله: مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

[٩٤٥] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا هارون بن عبد الله البزاز قال: حدثنا شعيب بن حرب قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان قال: حدثنا بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»(١).

....

(١) أسانيد حديث ميسرة كلها صحيحة. والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٥٩)، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» حديث [٨٦٤]، وابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٤١٠]، كلهم من طريق =

[٩٤٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمر بن حفص بن يزيد الدمشقي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ».

[٩٤٧] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي قال: حدثني يحيى ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ فَقَالَ: «بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ»(١).

[٩٤٨] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن رزق الله الكلوذاني قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح قال: حدثني سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض ابن سارية السلمي قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ الله وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»(٢).

....

= عبد الرحمن بن مهدي به. وبلفظ: «متى كتبت نبيًّا»، وهو الصواب، ولعل لفظة: «كنت» تحرفت على بعض الرواة.

(١) حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح، روي من طرق إلى الوليد بن مسلم به. رواه الترمذي في «المناقب» حديث [٣٦٠٩]، لكن الوليد عند الترمذي عنعن عن الأوزاعي، قال الترمذي عقبه: «حسن غريب»، وأشار المحقق في الحاشية بقوله: في (م) و(ي) حسن صحيح غريب.
ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٨٣٠) حديث [١٤٠٣] بإسناده إلى أحمد ابن محمد بن عثمان قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا الأوزاعي... به، فصرّح الوليد هنا بالتحديث.

(٢) حديث العرباض بن سارية هنا ضعيف، في إسناده سعيد بن سويد الكلبي، قال الذهبي فيه في =

[٩٤٩] حدثنا أبو عبد الله بن شاهين قال: حدثنا محمد بن حماد أبو بكر بن حماد المقرئ قال: حدثنا خلف قال: حدثنا سعيد بن راشد قال: سَأَلْتُ عَطَاءً: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَبِيًّا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ؟ قَالَ: «إِي وَاللهِ، وَقَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الدُّنْيَا بِأَلْفَيْ عَامٍ مَكْتُوبًا أَحْمَدُ»(١).

[٩٥٠] أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد التاجر قال: حدثنا أبو مروان العثماني قال: حدثني أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: «مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَابَ اللهُ بِهَا عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَيْكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! وَمَا يُدْرِيكَ بِمُحَمَّدٍ؟ قَالَ: يَا رَبِّ! رَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ مَكْتُوبًا عَلَى عَرْشِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِكَ عَلَيْكَ»(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه؛ أما بعد:

= «الميزان» (٢/ ١٤٥): «ذكره ابن عدي مختصرًا، وقال البخاري: لا يتابع في حديثه». رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٧) من طريقين، مدارهما على سعيد بن سويد. وعبد الله بن أحمد في «السنة» حديث [٨٦٥] من طريق سعيد بن سويد هذا، ورواه البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٠٧)، وفي إسناده سعيد بن سويد.

(١) أثر عطاء ضعيف جدًّا؛ لأن في إسناده سعيد بن راشد أبو محمد، قال النسائي في «الضعفاء» رقم [٢٩٥] فيه: «يروي عن عطاء، متروك بصري»، وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٣٥) فيه: «قال البخاري: منكر الحديث، وقال عباس عن يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك».

(٢) أثر أبي الزناد ضعيف جدًّا، فيه عثمان بن خالد الأموي، قال فيه الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٢): «قال البخاري: ضعيف، عنده مناكير، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بخبره»، وقال الحافظ ابن حجر: «متروك الحديث».

فإن نبيَّنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيد ولد آدم[(١)]؛ آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة[(٢)] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أشاد به في التوراة والإنجيل، وهو دعوة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَةِ: ١٢٧ - ١٢٩]، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ

(١) كما ثبت في «صحيح مسلم» في «المناقب» برقم: [٢٢٧٨]، من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رويت هذه اللفظة في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٨١): «إسناده جيد».

ومن حديث أبي سعيد الخدري عند الطيالسي برقم: [٢٧١١]، والترمذي برقم: (٣١٤٨، ٣٦١٥)، وابن ماجه برقم: [٤٣٠٨]، قَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَد رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ».

قلت: هو مختصر، وفيه علي بن زيد بن جدعان، قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ٥٢): «علي ابن زيد بن جدعان ضعيف، لكن يتقوى بحديث عبد الله بن سلام الآتي» ثم ساقه بتمامه. وقد رواه حديث ابن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطبراني (١٣/ ١٦١/ ٣٩٩)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٠١/ ٧٤٩٣)، وعنه ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٣٩٨/ ٦٤٧٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٥٦/ ١٣٩٢٣): «فيه عمرو بن عثمان الكلابي، وثقه ابن حبان على ضعفه، وبقية رجاله ثقات».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٣/ ٨٢) من حديث عبادة بن الصامت، وصححه على شرط الشيخين، قال الذهبي: «إنه منقطع فإن إسحاق لم يدرك عبادة، قاله غير واحد من الحفَّاظ»، وقال الهيثمي (١٠/ ٦٨٤/ ١٨٥١٢): «رواه الطبراني وإسحاق بن يحيى لم يدرك عبادة، وبقية رجاله ثقات».

وجاء من حديث أنس عند البزار - كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٧٠) -، «وقال: لا نعلم رواه عن عبد العزيز إلا مبارك وقد حدث عنه بمناكير، ولا نعلم روى مبارك عن غير عبد العزيز».

وقد صححه وتحدث عنه الإمام الألباني بما يغني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٩٩) رقم: [١٥٧١].

....

﴿ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ولهذا جاء في بعض الأحاديث[١] أنه دعوة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبشارة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أشاد به في الكتب كما في قوله تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه مذكورون في التوراة والإنجيل كما وصف الله وضرب الله لهم هذين المثلين العظيمين.

لا شك أن هذا من ميزات الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأمته؛ ميزاته على الأنبياء، وميزات أمته على سائر الأمم فإبراهيم يدعو هو وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ **يعني**: العرب، وقالا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

---

(١) روى ابن إسحاق في «السيرة» -كما في «السيرة النبوية» لابن هشام- (١/ ٣٠٢-الجيل)، وعنه ابن جرير في «التفسير» (٣/ ٨٢)، و«التاريخ» (١/ ٤٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٥٦/ ٤١٧٤) وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٣-٨٤)، عن خالد بن معدان أن نفرًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك. قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام».
ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٠- صادر) عن خالد بن معدان مرسلًا.
قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١١٠- سامي بن سلامة): «إسناده جيد، ورُوي له شواهد من وجوه أخر».
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم: (١٥٤٥، ١٥٤٦).

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فاستجاب الله دعوة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعث محمدًا في هذه الأمة يزكيها ويعلمها الكتاب والحكمة.

وهذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ترجع إلى تقدير الله السابق، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدر المخلوقات كلها عَلِمَها وقدرها وكتبها في اللوح المحفوظ، قدرها في علمه وفيها كتبه في اللوح المحفوظ، ومحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أفضل مخلوقاته التي علمها وكتبها في اللوح المحفوظ، وكتبه مرة ثانية ميزة له على غيره وآدم بين الجسد والروح، بعد أن خلق الله جسم آدم وقبل أن يركب فيه الروح كتب الله نبوته مرة أخرى.

والكتابة أنواع: الكتابة في اللوح المحفوظ، والكتابة عند خلق الإنسان عندما تُرَكَّب الروح في الجسد كما في حديث ابن مسعود(١)، والكتابة السنوية، والكتابة الشهرية، والكتابة اليومية(٢)، هذه كتابات متعددة، فهذه من جملة الكتابات التي يكتبها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فمعنى هذا أن محمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن موجودًا حينئذ، لكن الصوفية يقولون: إن الرسول موجود قبل أن يخلق الخلق جميعًا، بل خلق الله السموات والأرض واللوح والقلم والعرش والكرسي كلها من نور محمد، الله انتزع من نوره نورِ العزة - نورَ محمد - وقسمه عشرة أجزاء، فخلق من القسم الأول اللوح، ومن الثاني القلم، ومن الثالث العرش، ومن الرابع الكرسي والسموات والأرض والأنبياء وإلى آخره.. هذا

(١) رواه البخاري: برقم: [٦٥٩٤]، ومسلم: برقم: [٢٦٤٣].

(٢) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم ص: (٦-٢٤)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (٢٦٧-٢٦٨) ط: السلام. و«معارج القبول» لحافظ الحكمي (٣/ ٩٢٨-٩٤٠)، ط: دار ابن القيم.

كلـه من أسـاطير وأكاذيب الروافض والصوفية -والعياذ بـالله-، فالنبي ما كان موجودًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا بعـد أن ولـد في التاريخ المعين عام الفيل بين أبوين آمنة وعبد الله، هذا وجـوده الحقيقي، أما الكتابة والإشـادة بـه في الكتب؛ فهـذا متقدم عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أمـا وجـوده الحقيقي فهـذا لم يكن إلا بعـد أن وجد وخلـق من عبد الله بـن عبد المطلب ابن هاشـم ومـن آمنة بنت وهب في مكـة في عام الفيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هنـا كان وجوده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والإشـادة بـه وبذكـره متقدمة حتـى إن الله أخذ العهد عـلى الأنبياء لئن جاءهـم رسـول مصدق لما معهـم ليؤمنن بـه وليتبعنه وهو محمـد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأخذ العهـد على كل نبـي أنه إن جاء محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في وقته ليؤمنُنَّ بـه وليتبعنَّه وليأمرن أممهـم أن تتبع هذا النبيّ الكريم[(١)] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن هنا قال: «**لو كان موسـى حيًّا لما وسعه إلا اتباعي**»[(٢)]، وحينما يُنـزل الله عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخر الزمان يَنزل تابعًا لمحمَّدٍ حاكمًا بشريعته عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فالخرافات وأساطير الصوفية مرفوضة، والحقائق العلمية الثابتة بكتاب الله وبسنة الرسـول هذه التي ندين الله بها، وما يقولـه الصوفية من أخبث أنواع الغلو الذي يرفضه

---

(١) قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسـيره» (٢/ ٦٧): «قال علي بن أبي طالب وابن عمـه عبـد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما بعـث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثـاق: لئن بَعَث محمدًا وهـو حَـيٌّ ليؤمنن بـه ولينصرنه، وأمَـرَه أن يأخذ الميثـاق على أمته: لئن بعـث محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهـم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧-الميمنية)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٧)، والدارمي (١/ ١٢٦/ ٤٣٥)، ومسدد في «مسـنده» (٣٧٦- إتحاف الخيرة المهرة) من طريق مجالد بن سـعيد عن الشـعبي عن جابر بن عبد الله. قـال الحافـظ في «الفتـح» (١٣/ ٣٣٤): «رجاله موثوقون إلا أنَّ في مجالد ضعفًا». وحسَّـنه لشـواهده الشيخ الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٤-٣٨).

الإسـلام، والذي حذر منه رسـول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسـوله** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»(١)، وما ذكر الله وذكره رسوله من الفضائل والشمائل، والمعجزات عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا نؤمن به وندين الله به.

والأحاديـث التي سـاقها المؤلف فيها مـا يثبت، وفيها ما لا يثبـت، وقد تقدم بيان ذلك.

قولـه: «**إِنِّي عَبْدُ الله وَخَاتَمُ النَّبِيِّـينَ وَإِنَّ آدَمَ لَـمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ**»؛ هذا الحديث لا يثبت؛ لأن في إسناده سعيد بن سويد لا يتابع على حديثه.

والحديث الثاني أيضًا هذا الذي فيه التوسـل؛ فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسـلم(٢): إن آدم توسل بالنبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**ما حملك على التوسل بهذا؟ قال: إنـي وجـدت مكتوبًا في العـرش لا إله إلا الله محمد رسـول الله**»، فهذا ليس بصحيح، فهذا من الكذب.

وأثر عطاء فيه راو متروك وهو سعيد بن راشد(٣).

ومـن الخرافـات التـي يتعلق بها الصوفيـة وغيرهم من أهل الضـلال في مشروعية التوسـل بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ اللهم بجاه فلان وبحق فلان، توسعوا في ذلك يتوسلون

---

(١) رواه البخاري في «أحاديث الأنبياء» حديث [٣٤٤٥].

(٢) ضعفه أحمد وعلي، وأبو داود، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازي، والنسائي والدارقطني، وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، فاستحق الترك. «الضعفاء»، و«المتروكين» لابن الجوزي (٢/ ٩٥- الكتب العلمية).

(٣) انظر: «الكامل» لابن عدي (٣/ ٣٨١-٣٨٣)، و«الضعفاء»، و«المتروكين» لابن الجوزي (١/ ٣١٧) رقم: [١٣٨٤]، و«لسان الميزان للحافظ» ابن حجر (٣/ ٢٧) رقم: [٩٤].

بجاه النبيّ وبحق النبيّ وبالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبقبره وبقبته... إلى غير ذلك من خرافاتهم

إنما يشرع التوسل بأسماء الله وصفاته؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فندعو الله بأسمائه: يا عليم، يا سميع، يا بصير، يا حكيم، كل اسم بما يناسبه، إذا كنت تريد المغفرة تقول: يا غفور اغفر لي، التوبة؛ يا تواب تب علي، تريد الرحمة: يا رحيم ارحمني، هذا توسل بأسماء الله الحسنى.

والتوسل بالأعمال الصالحة؛ كما في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار في ليلة مطيرة وانطبقت عليهم صخرة سدت عليهم باب ذلك الغار؛ فَقَالُوا: «**إنه لا يُنْجيكُمْ من هذه الصَّخْرَةِ إلا أَنْ تَدْعُوا الله بِصَالحِ أَعْمَالِكُمْ، فقال رَجُلٌ منهم: اللهم إنه كان لي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا ولا مَالًا فَنَأَى بِي في طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فلم أُرِحْ عَلَيْهِمَا حتى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أو مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ على يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حتى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا**»: **يعني**: هذا مثال للبر الذي لا نظير له؛ يرعى الغنم ويأتي وأول ما يبدأ به أن يعطي والديه غبوقهما، **يعني**: اللبن الذي يحلبه لهما قبل أولاده وقبل نفسه، انظر لهذا البر! وليلة من الليالي جاء وقد ناما فكعادته حلب لأبويه الغبوق هذا الحليب، ووقف عند رأسيهما ينتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فلما استيقظا وهو قائم على قدميه وقدحه في يده وأولاده يتضاغون بين يديه يبكون يريدون الطعام، فيأبى إلا أن يقدم أبويه برًّا بهما، قال: «**اللهمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ**».

«وقـال الآخَـرُ: اللهم كانـت لي بِنْتُ عَمٍّ كانـت أَحَبَّ الناس إلـي فَأَرَدْتُهَا عن نَفْسِـهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السِّـنِينَ فَجَاءَتْني فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَـةَ دِينَـارٍ علـى أَنْ تُخَلِّـيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِـهَا فَفَعَلَتْ حتى إذا قَـدَرْتُ عليها، قالت: لا أُحِـلُّ لك أَنْ تَفُضَّ الْخَـاتَمَ إلا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ من الْوُقُوعِ عليها، فَانْصَرَفْتُ عنها وَهِـيَ أَحَـبُّ الناس إلي وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أَعْطَيْتُهَـا، اللهم إن كنت فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِـكَ فَافْـرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غير أَنَّهُمْ لا يَسْـتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ منها».

ثـم قـال ثالثهما: «اللهمَّ! إنِّي اسْـتَأْجَرْتُ أُجَـرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُـمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَـالَ: يَـا عَبْـدَ الله! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِـنْ أَجْرِكَ مِن الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الله! لا تَسْتَهْزِئ بِي! فَقُلْتُ: إِنِّي لاأَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللهمَّ! فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»(١).

هذا توسل بالعمل الصالح، وهذه أعمال عظيمة جدًّا في البر وفي العفة وفي الأمانة، فمـن توفـرت فيه هذه الثلاث يبتغي بهـا وجه الله عَزَّوَجَلَّ فنعم الخصـال والله! وينبغي أن نتحلى بها، وإذا وقع الإنسـان منا في شـدة أو كربة ويعلم أن له عملًا صالحًا -ونسـأل الله تكـون أعمالنا صالحة- فليتوسـل: اللهم إن كنت تعلم أني فعلـت كذا وكذا؛ فافرج عني وفرج كربي وأعطني كذا وأعطني كذا؛ هذا من التوسل المشروع.

(١) رواه البخـاري في «الإجـارة» حديث [٢٢٧٢]، ومسـلم في «الرقاق» حديـث [٢٧٤٣]، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

ومن التوسلات المشروعة عند الحاجة أن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك؛ كما كان الصحابة يطلبون من الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا قحطوا أن يستسقي لهم(١)، هذا توسل مشروع؛ لأن التوسل وسيلة أي سبب من الأسباب، وهذه من الأسباب.

كذلك كان يتوسل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدعاء العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسل إليك بنبينا، وإن هذا عم نبينا»(٢)، فتقبل الله عَزَّ وَجَلَّ دعاءه، فكان التوسل بدعاء النبيّ وبدعاء العباس، لا بذاتهما، إنما كان التوسل بدعاء العباس لا بذاته، وكان التوسل بدعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بذاته إنما كان التوسل بالدعاء، والدعاء من الأعمال الصالحة، والله يستجيب الدعاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما أن تتوسل بذات فلان أو بجاهه؛ فليس لك فيهما أي حق، لا تتوسل بعمله هو؛ ليس لك فيه حق؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]، فزكِّ نفسك وتوسل التوسلات المشروعة التي شرعها الله، واترك التوسلات الممنوعة.

ولجهل وضلال الصوفية وغيرهم من الروافض وغيرهم نسوا هذه التوسلات المشروعة بأنواعها، وأقبلوا على التوسلات الممنوعة التي هي من وسائل الشرك.

---

(١) روى البخاري في «الجمعة» برقم: [١٠١٤]، ومسلم في «الاستسقاء» برقم: [٨٩٧] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ الله يُغِثْنَا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللهمَّ أَغِثْنَا اللهمَّ أَغِثْنَا اللهمَّ أَغِثْنَا**» الحديث.

(٢) رواه البخاري في «الجمعة» برقم: [١٠١٠]، وغيره. من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبالمناسبة أقول: إن أهل الأهواء تعلَّقوا بحديث الأعمى[(١)]، وحديث الأعمى والله حجة عليهم لا لهم، وهو أنه كان هناك رجل كان أعمى ضريرًا، وجاء للنبيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: «**يا نبي الله ادْعُ الله أن يعافيني، فقال: إن شِئْتَ أَخَّرْتُ ذلك فَهُوَ أَفْضَلُ لآخِرَتِكَ وإن شِئْتَ دَعَوْتُ لك، قال: لا، بَلِ ادْعُ الله لي**»، يعني يطلب الدعاء من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخيَّره الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بين الصبر وبين أن يدعوَ له؛ فاختار أن يدعوَ له.

«**فَأَمَرَهُ أن يَتَوَضَّأَ وأن يصلي رَكْعَتَيْنِ وأن يَدْعُوَ بهذا الدُّعَاءِ اللهم إني أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الرَّحْمَةِ يا محمد إني أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّي في حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى وتشفعني فيه وَتُشَفِّعُهُ فِيَّ**»[(٢)]، **يعني:** تقبل دعاءه لي فطلب من رسول الله الدعاء، والرسول خيره بين الدعاء والصبر، كما خيَّر الجارية التي كانت تصرع قال: «**إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك؟**»، فقالت: بل أصبر، ولكني أتكشف، فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها ألا تتكشف وصبرت، فكان الناس يشهدون لها بالجنة، وهي ممن شهد لهم رسول الله بالجنة[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٨)، وعبد بن حميد (٣٧٩-المنتخب)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠)، والترمذي [٣٥٧٨]، وابن ماجه [١٣٨٥]، وابن خزيمة (٢/ ٢٢٥/ ١٢١٩)، والطبراني في (٩/ ٣٠/ ٨٣١١)، وفي «الصغير» (١/ ٣٠٦/ ٥٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٨، ٧٠٠، ٧٠٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٦٦-١٦٨).

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال البيهقي: «إسناده صحيح». وصححه الألباني في «التوسل وأحكامه» (٦٩-٧٠). وانظر: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠١-٢١٧) بتحقيق الشيخ ربيع بن هادي حَفِظَهُ اللهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨-الميمنية).

(٣) أخرجه البخاري في «المرضى» حديث [٥٦٥٢]، ومسلم في «البر والصلة والآداب» حديث [٢٥٧٦]، =

وهذا الأعمى صمم على الدعاء فدعا له رسول الله ودعا هو بنفسه، يعني الإنسان له أن يدعو، وعلمنا رسول الله أن ندعو لأنفسنا، وما وكلنا على دعائه فقط؛ لأن الدعاء عبادة، فادع أنت بنفسك، وغيرُك لا بأس إن شئت أن يدعو لك.

هذه هي التوسلات المشروعة، أما توسلات أهل الضلال الباطلة المفضية إلى الشرك هذه كلها خرافات. وما ذكرناه لكم من التوسل المشروع هو من العلم الصحيح المأخوذ من كتاب الله ومن سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو الذي كان عليه سلفنا الصالح؛ فلنميز بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع، بل إن تعلق أهل الضلال بالتوسل البدعي جرهم إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فيستغيث بالله ويذبح لغير الله ويقول: هذا توسل! وهو شرك أكبر ويسميه توسلًا! هذا من المغالطات التي يروجها الرافضة والصوفية والعياذ بالله.

فهذه الأمور من المحدثات الخطيرة؛ التي منها الشرك، **ومنها** البدع الغليظة، **ومنها** البدع التي توصل إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، **ومنها** البناء على القبور من وسائل الشرك، وما شاكل ذلك، فلنحذر من الغلوّ، ولنحذر من البدع، ولنحذر من الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن البدع التي توصل إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

وبهذا التقرير نكون فرَّقنا بين وجود محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين كتابة نبوته في اللوح المحفوظ وكتابته عند خلق آدم؛ كتب الله نبوته عند خلق آدم بعد تكوين الجسد وقبل نفخ الروح فيه في هذه الحال يعني كتبت نبوة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما وجوده فما كان موجودًا إلا في التاريخ المعروف في عام الفيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويكفيه شرفًا وفضلًا

= من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ما ذكره الله في كتابه، وما ذكره هو عن نفسه في سنته الثابتة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما نسب من الأقوال إلى الرسول الكريم وهي لا تصح فلا يجوز أن نتعلق بها ويجب أن نحذر منها.



الأسئلة

أحسن الله إليكم وجزاكم الله خيرًا! وهذه بعض الأسئلة من الإخوة:

سؤال: يقول صاحب السؤال: حديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك..»(١) هل يصح أن نقول: إنه صحيح المعنى، وإن لم يصح الحديث؟

جواب: نعم؛ حق السائلين الإجابة؛ لأن الله وعد بالإجابة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وهذا الحق ليس بواجب عليه؛ فإن الله لا يجب عليه شيء لعباده، وإنما هو تفضل منه، هو أوجبه على نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا نفهم من لفظ الوجوب أنه يجب على الله أشياء كما يجب للمخلوق على المخلوق، تعالى الله عن ذلك! وإنما هو شيء تفضل به وأوجبه على نفسه(٢)، فهذا الحديث ضعيف إسنادًا، وعلى فرض ثبوته هذا هو المعنى: **«اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي إليك»**.

الممشى وعد الله على لسان رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«من يمشي إلى المسجد بأن له بكل خطوة حسنة، وبالأخرى تحط عنه خطيئة»**(٣)، وهذا وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأوجب على نفسه تنفيذه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تفضلًا منه وتكرُّمًا على عباده، فالمعنى يصح إذا وجهناه هذا التوجيه.

سؤال: أحسن الله إليكم! كثير من الناس يرمون دعوة الشيخ الإمام محمد ابن عبد الوهاب أو الوهابية بالتنقص من ذات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدم احترامه، بل ويرمونهم بسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه ابن ماجه في «المساجد والجماعات» حديث [٧٧٨]، وأحمد (١١١٥٦-الرسالة)، وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث ضعيف. انظر: «التوسل والوسيلة» لابن تيمية (٢٣٢-٢٣٤) و«الضعيفة» للألباني حديث [٢٤].

(٢) انظر: «الاستغاثة في الرد على البكري» لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٢٣).

(٣) رواه مسلم في «المساجد» حديث [٦٥٤].

جواب: يرمون الإمام محمدًا وأتباعه بالوهابية تنفيرًا منهم.

ويتهمونهم بأنهم يتنقصون من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، **يعني**: مثل اتهام النصارى للمسلمين الذين لا يعتقدون في عيسى الألوهية يقولون: هذا تنقص؛ إذا قلنا: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه؛ يقولون: هذا تنقص، وهؤلاء عندما نقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أفضل الخلق، وسيدهم، والشفيع يوم القيامة، وصاحب المقام المحمود، وتذكر فضائل النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها، وتؤمن بها، وتدعو إليها، لكنك إذا قلت: ما يجوز التوسل بالنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأنت عندهم تنتقص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!! الرسول ما شرع هذا؛ حرمه بجعل هذا من البدع قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»**(١)، حرم هذا بأن نهانا عن الإطراء والغلو؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنما أهلك من كان قبلكم الغلو»**(٢)، وقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»**(٣)، فهذا

---

(١) وردت هذه الجملة في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند النسائي في «سننه»: برقم: [١٤٨٧]، وابن خزيمة: في «صحيحه» [١٧٨٥]، والفريابي: في «القدر» ص: [٢٥١] برقم: [٤٤٨]، وعنه الآجري في «الشريعة» (١/ ٣٩٨-٣٩٩) برقم: [٨٤]، والبيهقي: في «الأسماء والصفات» (١/ ٢٠٢) برقم: [١٣٧]، والاعتقاد ص: [٣٠٠]، وابن بطة: في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٨٥) برقم: [١٤٩١]، وأبو نعيم: في «الحلية» (٣/ ١٨٩)؛ وأصل الحديث عند مسلم: برقم [٨٦٧]، وأحمد: (٣/ ٣١٠) بدون قوله: «وكل ضلالة في النار».

وصحّح هذه الزيادة الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإرواء» (٣/ ٧٣).

(٢) رواه النسائي في «مناسك الحج» حديث [٣٠٥٧]، وابن ماجه في «المناسك» حديث [٣٠٢٩]، وأحمد -الرسالة- (١٨٥١، ٣٢٤٨)، وابن خزيمة (٢٨٦٧، ٢٨٦٨)، وابن حبان [٣٨٧١]، والحاكم [١٧١١]، وقال: «على شرط الشيخين».

(٣) سبق تخريجه.

الإطراء والغلو هو التنقص من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم ما اكتفوا بما جاء في الكتاب والسنة، فهذا تنقص لله عَزَّ وَجَلَّ، وتنقص للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنقص لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا إشارة منهم إلى أنه غير كامل، فدين الله غير كامل عندهم فهم يكملونه! فهم أجدر بالطعن في الله عَزَّ وَجَلَّ وفي كتابه وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم ما اكتفوا بتشريعه، ما كفاهم تشريعه، فهم الذين يطعنون في الله وفي رسوله وفي تشريعه من حيث لا يدرون، وأما من يصفونهم بالوهابية وهم أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والطائفة المنصورة فهم برآء مما يرمونهم به، وهم على الحق ثابتون، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الشاهد: الذي يتنقص الله ورسوله هو الذي يدعي عدم الكمال في تشريعه، ويخترع البدع والضلالات ومن هنا يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]؛ ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]، فما يشرعه لهم الخرافيون والمبتدعون وبعض الملاحدة يقبلونه، ويقبلون عليه، ويقدمونه على تشريع الله عَزَّ وَجَلَّ، وتأتي تقول لهم: قال الله، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله حرم الدعاء لغير الله**» وتقرأ الآية: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وتسوق الأدلة من كتاب الله فلا يسمعون! وتقول لهم: إنَّ الله حرّم الذبح لغيره؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١ - ٢] قرن النحر بالصلاة، فهو عبادة عظيمة فلا يجوز أن يذبح لغير الله، وقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[1] فيردون الأدلة؛ الأدلة الثابتة من الكتاب والسنة، ويتعلقون بالخرافات، ويتشبثون بالباطل، فمن هو المتنقص؟! من هو المتنقص؟! افهموا هذا.

---

(١) أخرجه مسلم في «الصيد والذبائح» حديث [١٩٧٨] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فـردوا عليهـم مثل هذه الردود ليدركوا أنفسـهم أنهم هـم المتنقصون لا نحن ولله الحمـد، أمـا نحن فنثبت كل ما أثبته الله لنفسـه في كتابه أو أثبته له رسـوله، وهم يعطلون صفـات الله، ويعتـبرون ما أثبتـه الله لذاته من الأسـماء والصفات تنقصًا من أهل السـنة -نعـوذ بـالله عَزَّوَجَلَّ-، ونؤمن بـما ثبت من صفات الرسـول في كتاب الله وفي سـنته ومن كمالاته، ويرون هذا تنقصًا إن كان هذا تنقصًا فيكون الرسـول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تنقص نفسـه والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تنقصـه! لأنـه ما جاء في كتاب الله وفي سـنة رسـول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مثل هـذه الأسـاطير والخرافات التي جـاء بها هؤلاء، هـم واقعون في وادٍ مـن الهلاك -نعوذ بـالله-، فابذلـوا أقصى جهودكـم لإنقاذ هؤلاء المسـاكين بعـون الله؛ فإنهـم على ضلال، واصدعوا بالحق، وبينوا الحجج بالحكمة والموعظة الحسنة.

سؤال: أحسن الله إليكم؛ هل يجوز طلب الإنسان من الإنسان في حال الإلحاح بوجه الله عليك أو بجاه الله عليك، وهل يجوز استعمال عبارة: «أنا في وجه الله».

جواب: السؤال بوجه الله ورد النهي عنه.

روى أبو داود في «السـنن» حديث [١٦٧١] بإسـناده إلى جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**».

لكنه حديث ضعيف، في إسـناده سـليمان بن معاذ، وهو ابن قـرم، قال الذهبي فيه في «الكاشـف»: «قال أبو زرعة وغيره: ليس بذاك»، وقال فيه الحافظ ابن حجر: «سـيئ الحفظ، يتشيع».

وروى النسـائي في «سـننه» حديـث [٢٥٦٩] عـن محمد بن رافع قـال: حدثنا ابن أبي فديـك، قـال: أنبأنـا ابـن أبي ذئب، عن سـعيد بن خالـد القارظي، عن إسـماعيل بن عبد الرحمن، عن عطاء بن يسـار، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسـول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ألا أخبركـم بخـير الناس منـزلًا؟**» قلنا: بلى يا رسـول الله، قال: «**رجـل آخذ برأس

فرسه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ **حتى يموت أو يقتل، وأخبركم بالذي يليه؟»**. قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «**رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس، وأخبركم بشر الناس؟»** قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «**الذي يسأل بالله** عَزَّوَجَلَّ **ولا يعطي به**».

وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات، إلا سعيد بن خالد، قال الحافظ فيه: «صدوق».

قال السندي في شرح هذا الحديث (٥/ ٨٤): «الذي يسأل بالله على بناء الفاعل أي الذي يجمع بين القبيحين: **أحدهما**- السؤال بالله. **والثاني**- عدم الإعطاء لمن يسأل به تَعَالَىٰ، فما يراعي حرمة اسمه تَعَالَىٰ في الوقتين جميعًا».

فيؤخذ من هذا أنه لا يجوز السؤال بوجه الله ولا به تَعَالَىٰ.

وعليه فكل هذه الأسئلة لا تجوز، -أستغفر الله العظيم!- لا يجوز هذا؛ بل عليك أن تعظم الله وتجله وتنزهه عن السؤال بوجهه الكريم من أجل مسألة تافهة![(١)] اسأله كما تريد، لكن أن تدخل وجه الله وتتوسل بطريقة غير مشروعة فهذه من الخسة، فالسؤال سؤال الناس في ذاته محرم، إلا في حال الضرورة.

سؤال: يصادف طالب العلم في قراءته لبعض الكتب أن بعض العلماء من أهل السنة يوردون بعض الأدلة في جواز التوسل بذوات الصالحين والأنبياء، فكيف يتعامل مع ذلك؟

---

(١) أخرج ابن المبارك في «الزهد» [٢١٤]، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٧٩-الحوت)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» - من طريق ابن المبارك- (٢٨١/ ٦٣٠- الكتب العلمية)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٨-٢٠٩) عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ليعظم جلال الله أن تذكروه عند الحمار والكلب، فيقول أحدكم لكلبه أولشاته: أخزاك الله! وفعل الله بك!». واللفظ لأبي نعيم.

وانظر: «الصحيحة» للألباني (٥/ ٣٦٣) رقم: [٢٢٩٠].

جواب: من هذا الذي أورد نصًّا في هذا النوع من التوسل؟! إنما ينقل قول عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]، في التوسل بالنبيِّ فقط، ومع هذا فكل يؤخذ من قوله ويرد كائنًا من كان، ونعذره لأنه في وقته ما ظهرت مشكلة التوسل بالقبور والخرافات والأشياء هذه، ونهوض أهل السنة في مواجهة هذه المشكلات ما حصل إلا متأخرًا لما أقبلت الصوفية والخرافيون على التوسل والشرك والذبح والنذر، فنهض أهل السنة في مواجهة أهل الباطل، فبيَّنوا باطلهم بالبراهين الواضحة وأقاموا عليهم الحجة، وأما من وقع في مثل هذه الأشياء ولم يقم عليه أحد الحجة؛ فهذا لا نبدعه، مثل ما حصل للمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه ساق حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي قال فيه مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر له رجل حديثًا سنده منقطع قال: «اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[(٢)]، يعني تبكيتًا له، يأتي بمثل هذه الأساطير، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا ضعيف جدًّا[(٣)]. والدليل هذا الحديث الذي أورده المؤلف، ونحن لا نقبل الخطأ من أحد كائنًا من كان، ولو كان مثل هذا الإمام، لكننا ما نهينه، نلتمس له العذر: ربما أشكل

(١) انظر: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٩٩ - بتحقيق الشيخ ربيع).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص: [١٩٩]: «فإن كان مقصود المتوسلين التوسل بالإيمان به وبمحبته وبموالاته وبطاعته؛ فلا نزاع بين الطائفتين، وإن كان مقصودهم التوسل بذاته فهو محل النزاع، وما تنازعوا فيه يرد إلى الله والرسول. وليس مجرد كون الدعاء حصل به المقصود مما يدل على أنه سائغ في الشريعة».

(٢) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٣٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٧٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٥٨)، وغيرهم.

قلت: روى ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٧٠) عن موسى بن العباس سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «حدثك أبوك عن أبيه عن جده أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين؟ قال: نعم!».

(٣) انظر: «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: [١٨٢]، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٥٦٤-٥٦٦/ ٤٨٦٨)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٦/ ١٦١-١٦٢).

عليه، ربما...، أو تأول أنه في الفضائل أو شيء من التأويل، لكننا ما نقبل هذه التأويلات؛ لأن لها من النتائج والآثار السيئة ما لو رأى بعضه هذا الرجل هذا الإمام والله ما يروي هذا الحديث؛ فنلتمس له العذر، ولنعتقد أنه لو بُيِّن له الأمر لانقاد للحق.

سؤال: أحسن الله إليكم؛ ما حكم زيارة الأماكن التي تسمى تاريخية كغار حراء وغار ثور والمكتبة المكية التي يظن أنها مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

جواب: الجواب ما قاله رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» و«**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»، الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نبأه الله في غار حراء كان يذهب إليه يتعبد فيه، لكن بعد أن بعثه الله ما ذهب إلى هذا المكان، ولا كان يرتاده أصحابه الذين كانوا يأتون من المدينة إلى مكة، ومن أسلم منهم من أهل مكة ما كانوا يرتادون هذا المكان لا غار حراء ولا جبل ثور ولا مكان المولد ولا شيء من هذه أبدًا، حتى جاء الخرافيون الذين قال عنهم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**».

فهؤلاء الخرافيون يتبعون اليهود والنصارى في تتبع الآثار، ولا سيما لما استعمر الكفار بلاد المسلمين وجاءوا بمثل هذه الترهات: العناية بالآثار، والتنقيب عن الآثار، والآثار.. والآثار.. فزادوا ضغثًا على إبالة كما يقال.

الخرافيون كان أصل ضلالتهم من دس اليهود والمجوس، فتأثروا بمثل هذه الأشياء، ولما جاء الاستعمار أكد هذه الخرافات بالاهتمام بالآثار.

إنما يكون الاهتمام بالشريعة؛ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأصحابه الكرام كانوا مهتمين بنشر دين الله الحق، ولا يهتمون بالآثار، ولهذا كم قتل من الصحابة في العراق وفي

الشـام وفي مصر وغيرها، أين قبورهم لو كانوا يهتمون بالآثار؟ إذًا لكانوا أشادوا عليهم القبـور في ذاك الوقـت، وشرعـوا الزيارة إلى قبورهم، ولو كانت زيـارة غار حراء وجبل ثور والمساجد السبعة التـي تثار الآن ضجة حولها لو كانت مشروعة؛ لـكان الصحابة أسبقنا إلى القيام بهذه الأمور، فهؤلاء الخرافيون جنوا على الشريعة وعقائدها ومناهجها، وتعلقوا بما يتعلق بأمثاله اليهود والنصارى.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأى أناسًا يومًا بعدما صلى الفجر يذهبون هنا وهناك، فقال: ماذا يصنـع هـؤلاء؟ قالوا: يصلـون في الأماكن التي صلى فيها رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: **«هَكَـذَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا آثَـارَ أَنْبِيَائِهِمْ بِيَعًا من عَرَضَتْ له مِنْكُمْ فيه الصَّلاَةَ فَلْيُصَـلِّ وَمَنْ لم تَعْرِضْ لـه مِنْكُمْ فيه الصَّلاَةَ فَلَا يُصَلِّ»**، **يعني**: لا يتحرى ولا يقصد هذه الأماكن التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قعد فيها أو مرّ بها.

فالأماكن منها ما يتحراه الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده بالعبادة، فهذا يجب أن نتبعه فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومنها ما يأتيه اتفاقًا لم يقصده؛ فهذه لا يجوز أن نتخذها آثارًا، فالبيعة تحت الشـجرة ما قصد هذه الشـجرة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاءت اتفاقًا، ولهذا جاء في رواية في البخاري: «أن الله أزالها» ذهبوا في السنة الثانية فلم يجدوها، كفاهم الله مؤنتها واستأصل شـأفتها؛ حتى لا يضل بها الناس، ورواية تقول إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر بقطعها هـذا أو ذاك فربما شـجرة أخرى كانـت عندها فأمر عمر بقطعها، كيف هذا؟ اسـتئصالًا لشـأفة هـذه الخرافة! ينبغي أن تعالج هذه المشـاكل لحماية الأمة مـن الوقوع في الضلال؟ والخليفة الراشد فعل هذا، بل والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبله.

هات لنا حديثًا صحيحًا في البخاري ومسـلم أو غيرهما فيه أن الرسـول أمر بزيارة هذه الأماكن، أو أن الرسول كان يزورها؛ وعلى الرأس والعين! وإذا لم يجدوا الأدلة على ذلـك! فـلا نقبل الدعـاوى الباطلة، ونقـول: **«كل محدثة بدعـة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»**، أسأل الله أن يكفينا وإياكم شر الضلال وأهله.



٩٥١- حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد صاعد قال: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب.

قال ابن صاعد: وحدثنا محمد بن إسحاق - يعني الصاغاني - قال: حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار قالا: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا دراج أبو السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتاني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: إن ربي عَزَّوَجَلَّ يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: إذا ذُكرتُ ذكرتَ معي».

٩٥٢- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي قال: حدثنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الرقي السراج قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير المصيصي قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثني دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال لي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن ربك عَزَّوَجَلَّ يقول لك: أتدري كيف رفعت لك ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: إذا ذكرت ذكرت معي»[1].

....

(١) أورد الآجري حديث أبي سعيد بإسنادين، مدارهما على ابن لهيعة عن دراج، ورواية دراج عن =

٩٥٣- حدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا أبو عبيد الله المخزومي قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] قال: «لا أذكر إلا ذكرت معي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

٩٥٤- وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن ميمون الخياط قال: حدثنا سفيان قال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، هاتان الآيتين من ابن أبي نجيح، عن مجاهد «في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]، قال: لا أذكر إلا ذُكرت معي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] قال: يقال: ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟ فيقال: من قريش»(١).

....

= أبي الهيثم ضعيفة، قال الذهبي فيه في «الكاشف»: «وثقه ابن معين، وقال أبو داود وغيره: حديثه مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم».

وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق في حديثه، عن أبي الهيثم ضعيف». وفيهما ابن لهيعة اختلط في الأخير من حياته.

رواه أبو يعلى [١٣٥٤]، والخلال في «السنة» [٣١٨] من طريق ابن لهيعة به.

ورواه ابن حبان [٣٣٨٢]، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٤٩٤-٤٩٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٤٣٠-تفسير ابن كثير) عن دراج أبي السمح به مثله.

(١) تفسير مجاهد للآية المذكورة أورده الآجري بإسنادين أولهما صحيح، والثاني حسن؛ لأن فيه محمد بن ميمون الخياط، «وثقه ابن حبان، وقال: ربما وهم، وقال النسائي: ليس بالقوي» «الميزان» (٤/ ٥٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، ربما أخطأ». وحسنته؛ لأنه يشهد له ما قبله، وقد تابعه جمع من الثقات على تفسير مجاهد للآية الثانية، وهي قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فهو صحيح لغيره.

=

٩٥٥- وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: حدثنا طالوت ابن عباد قال: حدثنا أبو حمزة، عن الحسن في قول الله عَزَّوَجَلَّ: «﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُذكر في موطن إلا ذُكر نبيُّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه»[(١)].

٩٥٦- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو الحارث الفهري قال: أخبرني سعيد بن عمرو قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل ابن بنت أبي مريم قال: حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما أذنب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسالك اللهم بحق محمد إلا غفرت لي، قال: فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه: وما محمد؟ ومن محمد؟ قال: تبارك اسمك، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرًا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه: يا آدم، وعزتي وجلالي، إنه لآخر النبيين من ذريتك، ولولاه ما خلقتك»[(٢)].

= رواه البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٩٦، ٩/ ٤٨١)، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [١٠٣]، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٤٣٧)، والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٤٩٤) والخلال في «السنة» (٢١١، ٣١٧)، من طرق عن سفيان به باللفظ الأول.

ورواه الشافعي في «الرسالة» ص: [١٣]، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١١-الحوت)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١٧٣)، والطبري (٢١/ ٦١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٦٥) من طرق عن ابن عيينة عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فذكره مثله.

(١) **أثر الحسن إسناده حسن**: رواه أبو القاسم ابن المرزبان البغوي في حديث «طالوت بن عباد الصيرفي» [٨٣]. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣١١-الحوت)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٤٨١)، ووكيع الضبي في «أخبار القضاة» (٣/ ٥٣) عن الحسن معناه.

(٢) الأثر المنسوب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضعيف، وفي معناه نكارة. في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ ولا برأ ولا ذرأ أكرم عليه من محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما سمعت الله عَزَّوَجَلَّ أقسم بحياة أحد إلا بحياة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجر: ٧٢]. قال: وحياتك يا محمد، إنهم لفي سكرتهم يعمهون»(١).

حديث أبي سعيد ضعيف من طريقيه.

في الأولى- ابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه.

ودراج أبو السمح ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، وهذه منها.

وفي الطريق الثانية- فيها أيضًا دراج عن أبي الهيثم.

والأثران عن مجاهد صحيحان.

وأثر الحسن إسناده حسن.

وأثر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ضعيف، في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، والمتن منكر.

ومن المناسب أن أنقل ما يأتي في تفسير قول الله تَعَالَىٰ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، مما يؤيد تفسير مجاهد.

قال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٠) بعد أن ذكر تفسير مجاهد السابق وغيره قال:

= رواه الطبراني في «الأوسط» [٦٥٠٢]، وفي «الصغير» [٩٩٢]، والحاكم [٤٢٢٨] وصححه، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٨-٤٨٩)، وضعفه. رووه كلهم من طريق عبد الرحمن بن أسلم به. قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «موضوع».

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٣٤-البغية)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٨) من طريق سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به. وهذا إسناد لا بأس به.

«وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا أبو عُمر الحَوضي، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سألت ربي مسألة وَدَدْتُ أني لم أكن سألته، قلت: قد كانت قبلي أنبياء، منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى. قال: يا محمد، ألم أجدك يتيمًا فآويتك؟ قلت: بلى يا رب. قال: ألم أجدك ضالًّا فهديتك؟ قلت: بلى يا رب. قال: ألم أجدك عائلًا فأغنيتك؟ قال: قلت: بلى يا رب. قال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلى يا رب**»[1].

وقال أبو نعيم في «دلائل النبوة»: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا موسى بن سهل الجَوْني، حدثنا أحمد بن القاسم بن بَهْرام الهيتي، حدثنا نصر بن حماد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض. قلت: يا رب، إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته، جعلت إبراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله، أني لا أذكر إلا ذُكِرْتَ معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهرًا، ولم أعطها أمة، وأعطيتك كنزًا من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[2].

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٥). ورواه الحاكم في «المستدرك» [٣٩٤٤] والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠/ ١٢٥-١٢٦)، والطبراني [١٢٢٨٩]، وفي «الأوسط» [٣٦٥١]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٦٢) من طرق عن حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد - وفي بعض الروايات: وأظنه عن سعيد - عن ابن عباس به مثله. قال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٥٣٨].

(٢) أورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٣٦٩-هجر)، وقال: «وَهَذَا إِسْنَادٌ فِيهِ غَرَابَةٌ».

وحكى البغوي، عن ابن عباس ومجاهد: أن المراد بذلك: الأذان. **يعني**: ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغَـرّ عَلَـيه للنبوة خـاتم ... مِـنَ الله مـن نُـور يَلـوحُ وَيشْهَد

وَضمَّ الإلـهُ اسم النبي إلى اسمه ... إذا قَـالَ في الخَمْس المـؤذنُ: أشهدُ

وَشَـقَّ لَـهُ مِـن اسمـه ليُجِلَّه ... فَذُو العَرشِ محمودٌ وهَذا مُحَمَّدُ

وقـال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخريـن، ونوه به، حين أخذ الميثاق على جميـع النبيين أن يؤمنوا بـه، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شـهر ذكره في أمته فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه.

وما أحسن ما قال الصرصري، رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يَـصِـحُّ الأذانُ في الـفَـرْضِ إلا ... بـاسمِه العَـذْب في الفم المَرْضي

وقال أيضًا:

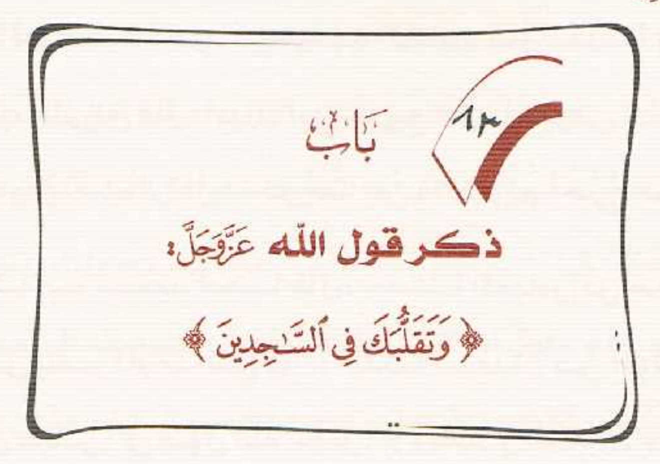
ألَم تَـر أنَّـا لا يَـصـحُّ أذانُـنَـا ... وَلا فَـرْضُـنـا إنْ لم نُـكَـررْه فيهما

أقول: وإسناد حديث ابن عباس صحيح، فيه عطاء بن السـائب سمع منه حماد بن زيد قبل اختلاطه.

وأورده الألباني في «الصحيحة»، وعزاه إلى الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» وإلى الحاكم والبيهقي في «الدلائل» والضياء في «المختارة».

فصلى الله على نبينا الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.





قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن النكاح كان في الجاهلية على أنواع غير محمودة، إلا نكاحًا واحدًا نكاحٌ صحيحٌ: وهو هذا النكاح الذي سَنَّه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأُمَّتِه، يَخْطِب الرَّجُل إلى الرَّجُل وَليَّتَه فَيُزَوِّجُهُ على الصداق وبالشهود، فرفع الله عَزَّوَجَلَّ قَدْرَ نَبِيِّنَا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وصانه عن نكاح الجاهلية، ونقله في الأصلاب الطاهرات بالنكاح الصحيح، من لدن آدم، بنقله في أصلاب الأنبياء، وأولاد الأنبياء، حتى أخرجه بالنكاح الصحيح صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

٩٥٧- أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بنُ صالح البخاري قال: حدَّثنا محمد بنُ أبي عمر العدني قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ قال: أشهد على أبي يُحَدِّث عن أبيه، عن جَدِّه، عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ»(١).

---

(١) حديث ضعيف: في إسناده محمد بن جعفر بن محمد، قال في الميزان: «تكلم فيه، ولم يترك». وقد خولف في إسناده.

رواه ابن أبي عمر العدني في «مسنده» (٤٢١٠-المطالب العالية)، ومن طريقه: الطبراني في «المعجم الأوسط» [٤٧٢٨]، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» ص: [٤٧٠]، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» =



٩٥٨- أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الشاهد قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري قال: أنا عبد الرزاق قال: أنبأنا ابن جريج قال: أخبرني جعفر بن محمد، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ»(١).

٩٥٩- وحدثنا أبو سعيد أيضًا قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: حدثنا الحسن بن بشر الهمداني قال: حدثنا سعدان بن الوليد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: «مازال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أُمُّهُ»(٢).

....

= (١/ ٥٧) برقم: [١٤]. قال الطبراني: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ».

قلت: وروى هذا الحديث ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦٠-صادر)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٠٣-الحوت)، وابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢/ ٧١٦/ ٢٩٧٢) من ثلاث طرق عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبيِّ ﷺ بمثله. مرسل. وهذا هو الصواب الموافق لرواية ابن جريج وابن عيينة كما سيأتي في «تخريج» الحديث الذي بعده.

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٧/ ٣٠٣).
ورواه البيهقي في «الكبرى» (٧/ ٣٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٨٥) وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٣٨) من طرق عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد في قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية. قال: وقال النبيُّ ﷺ، فذكره.

(٢) رواه ابن الأعرابي في «معجمه» [١٧٥٠] عن الدوري به.
ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٢٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٥٨) برقم: [١٧] من طريق الحسن بن بشر به.
وروى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٥-صادر)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٢٨)، والطبراني في [١٢٠٢١] من طريق أبي عاصم عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، قال: «مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجْتَ نَبِيًّا». وشبيب بن بشر مختلف فيه، قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ. وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يخطئ كثيرًا. «التهذيب» (٤/ ٣٠٦).
=

٩٦٠- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: ثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثني عمر بن خالد قال: حدثنا أبو عبد الله محمد الحلبي، عن عبد الله بن الفرات، عن عثمان بن الضحاك، عن ابن عباس: أن قريشًا كانت نورًا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأهبطني الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح في سفينته، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط»[(١)].

٩٦١- حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: «حدثنا محمد ابن سنان القزاز أبو الحسن قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن أبيه، عن ابن المسور بن مخرمة، عن أبيه، عن العباس بن عبد المطلب قال: قال عبد المطلب: قدمت اليمن، فنزلت على أسقف بها، وكان حبر من اليهود يمرُّ بي، فقال لي يومًا: يا عبد المطلب: ألا تكشف لي عن جسدك لأنظر إليه؟ فقلت: أكشف لك عن جسدي ما خلا عورتي، فكشفت عن جسدي، فتشممني ثم تشمم منخري الأيمن، ثم تشمم منخري الأيسر، فقال: أرى يا عبد المطلب في منخرك الأيمن نبوة، وفى الأيسر ملكا، ألك شاعة؟ قلت: وما الشاعة؟ قال: امرأة، قلت: أما اليوم فلا قال: فتزوج في بني زهرة قال: فقدمت فتزوجت في بني زهرة، فقالت قريش: أفلج عبد الله على أبيه عبد المطلب»[(٢)].

....

(١) رواه العدني في «مسنده» (٤٢٠٩-المطالب العالية).

(٢) حديث ضعيف جدًّا، في سنده محمد بن سنان القزاز، أورده الذهبي في «الميزان» وقال: «رماه أبو داود بالكذب، وابن خراش يقول: ليس بثقة. =

فالمؤلف يسوق هذه الأحاديث في بيان ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يُولَد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وساق هذه الأحاديث وأكثرها موضوع وفيها الضعيف، وأورد هذه الأحاديث تحت الآية: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، ونقل عن ابن عباس أن المراد في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ تقلبه في أصلاب الأنبياء، فالأنبياء من الساجدين لله عَزَّوَجَلَّ، لكن هذا لا يصح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما الصحيح في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨] أي: إلى الصلاة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ في أصحابك حينما تُصَلِّي بهم.

وهناك قول آخر: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨] يعني قيامك وجلوسك وحالاتك، والمقصود أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان تحت رعاية الله عَزَّوَجَلَّ وعنايته به

= وأما الدارقطني فمشاه، وقال: لا بأس به». وشيخه يعقوب بن محمد الزهري، قال في «الميزان»: «قال ابن معين: ما حدث عن الثقات فاكتبوه.

وقال أبو زرعة: ليس بشيء يقارب الواقدي. وقال حجاج بن الشاعر: غير ثقة. وقال أبو حاتم: هو على يدي عدل. وقال أحمد: ليس بشيء.

وقال مرة: لا يساوي حديثه شيئًا. وقال الساجي: منكر الحديث». وعبد العزيز بن عمران، قال في «التقريب»: «متروك، احترقت كتبه فحدث من حفظه، فاشتد غلطه، وكان عارفًا بالأنساب». وأبوه عمران منكر الحديث، قاله يحيى والبخاري، كما في «الميزان».

وقد روى هذا الحديث الحاكم في «المستدرك» (٤١٧٦، ٤٨٩٧)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [٢٧١] الطبراني [٢٩١٧]، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٩) برقم: [٧١]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٦)، من طرق عن يعقوب بن محمد الزهري عن شيخه عبد العزيز بن عمران عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَخْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنِ الْمِسْوَرِ به نحوه. قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «يعقوب وشيخه ضعيفان». قلت: وفي حديثهم زيادة مفسِّرة: «فَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى مَكَّةَ، فَتَزَوَّجَ هَالَةَ بِنْتَ وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَمْزَةَ، وَصَفِيَّةَ، وَتَزَوَّجَ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَهْبٌ وَوُهَيْبٌ أَخَوَانِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ حِينَ تَزَوَّجَ عَبْدُ اللهِ: فَلَجَ عَبْدُ اللهِ عَلَى أَبِيهِ».

....

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] **يعني:** في المصلِّين من أصحابه رضوان الله عليهم.

وصحيح: أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما جاء إلا من طريق النكاح الصحيح من عهد آدم إلى عهد أبويه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يكن من سفاح حاشاه، وكذلك الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما كانوا إلا من أشرف الأنساب، ما من نبي إلا وبُعِثَ في نَسَبِ قومه من أعلى الأنساب وأنظفها وأطهرها عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وذكر هنا أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما جاء إلا من نكاح صحيح الذي شرعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرَع في النكاح الصورة الصحيحة، بينما كان في الجاهلية صور للنكاح منها الزنا المعروف، ومنها الاستبضاع يذهب الرجل أو يأمر الرجل زوجته أن تذهب إلى الرجل المعروف بالشجاعة والبسالة لتستبضع منه يجامعها فتأتي بولد نجيب، هذا من صُوَر النكاح، ومنها أن المرأة كانت يأتيها العدد من الرجال فتلد ولدًا فتدعوهم وتقول: يا فلان ابني هذا منك، فيُنسَب إليه.

والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شَرَعَ النكاح الصحيح، وهو الذي يتم عن طريق تزويج ولي الأمر لهذا الزوج، يخطب إليه وَلِيَّته فيُزَوِّجُه إياها بِمَهْرٍ وشهود كما أكد ذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقوله: **«لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ»**(١) وأيضًا قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِدُونِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ بَاطِلٌ بَاطِلٌ»**(٢).

(١) رواه البيهقي في «سننه الكبرى» (٧/ ١٢٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٨٥).
(٢) أخرجه الترمذي في «النكاح» حديث [١١٠٢]، وحسّنه، وله فيه بحث طويل، انظر: (٢/ ٣٩٣-
=

فتلك الصُوَر من النكاح كلُّها باطلة، من تُزَوِّجُ نَفْسَها بدون ولي هذا نكاح باطل، أن تستبضع لتأتي بولد نجيب هذا باطل، أن يزني بها عدد من الرجال وتنجب ولدًا وتدعو من ترى أنه ابنه وتقول هذا ولدك هذا باطل.

والنكاح الصحيح هو الذي يتم بولي وشاهدي عدل ومهر، هذه الأمور لابد منها، ولا يصح النكاح إلا بها، وإن خالفت بعض المذاهب فرأت أن للمرأة أن تزوج نفسها، وهذا الخلاف لا قيمة له، لاسيما إذا واجه النصوص فلا قيمة له، وإن تعلق به أهل العصبية العمياء، وربما يتعلق بهذا المذهب الآن بعض الناس في بعض الدول والعياذ بالله، النكاح الصحيح الذي شرعه رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بولي وشاهدي عدل وبمهر.

ونكاح المتعة موجود عند الشيعة وهو نوع من الزنا والعياذ بالله، وهو نكاح باطل، ومن أخبث أنواع النكاح، وينسجون حوله هالات، ويضفون عليه من الفضائل -قاتلهم الله- كما ينسجون لسائر ضلالاتهم وأباطيلهم من الأكاذيب على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين.

في الحديث الأول الذي ساقه بعد هذا: «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين..».

هذا الحديث ضعيف، في إسناده محمد بن جعفر، قال فيه الذهبي في «المغني» (٢/ ٥٦٣): «تُكلم فيه، ولم يترك».

= ٣٩٦)، وذكر في هذا البحث من يقول بمضمونه من الصحابة والتابعين وغيرهم. وراجع الحديثين في «صحيح أبي داود» (٦/ ٣٠٢، ٣٢١).

أما الإسناد الثاني ففي إسناده إرسال، أبو جعفر هو محمد الباقر عن النبيِّ ﷺ مرسل، وفي إسناده الدبري، في روايته عن عبد الرزاق كلام.

ونصه: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم، إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء».

هذا لم يثبت، ولكن كما قلنا الأنبياء كلهم ما أَتَوْا إلا من أشرف الأنساب وأطهرها.

وساق في تفسير الآية عن ابن عباس: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: ما زال رسول الله ﷺ يتقلَّب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أُمُّهُ.

إسناده ضعيف، فيه سعدان بن الوليد كذلك لم أقف له على ترجمة، فهو إسناد ضعيف، والثابت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩] في المصلين حينما يصلي بالناس جماعة صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الشعراء: ٢١٨]، الله يرى رسوله في كل حركاته كرؤيته لكل شيء في هذا الوجود، لكن الرؤية المذكورة في الآية الكريمة خاصة، وهي حين يقوم إلى صلاته وفي صلاته، ولله الحكمة البالغة في هذا التخصيص.



٩٦٠- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: ثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثني عمر بن خالد قال: حدثنا أبو عبد الله محمد الحلبي، عن عبد الله بن الفرات، عن عثمان بن الضحاك، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن قريشًا كانت نورًا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عَزَّوَجَلَّ آدم ألقى ذلك النور في صلبه»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأهبطني الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح في سفينته، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط»[1].

هذا حديث يبدو أنه موضوع لا يصح، في إسناده محمد بن عمر بن خالد لم أقف له على ترجمة، وكذلك عبد الله بن الفرات، وقريش الكثير منهم كانوا كُفَّارًا وحاربوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وآذوه حتى هاجر وقاتلوه في بدر وأحد أشد القتال، فكيف يكونون من نور وهذا حالهم؟! فهذا ليس بصحيح.

على كل حال محمَّدٌ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَتَبَ الله نُبُوَّته كما تقدَّم لنا في اللوح المحفوظ كما كتب سائر الأشياء، وكتبه مرة أخرى عند ما كان آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بين الروح والجسد قبل أن تُركَّبَ الروح في جسد آدم وتقدَّم هذا، فنبوته معروفة، وبَشَّرَ به إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتحدَّث عنه التوراة الإنجيل وضرب الله الأمثلة به وبأصحابه في التوراة والإنجيل كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] هكذا هذا الوصف وهذا المثل موجود في التوراة: ﴿مُّحَمَّدٌ

---

(١) رواه العدني في «مسنده» (٤٢٠٩-المطالب العالية).

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى آخر هذه الآية: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

هذا المثل الثاني أيضًا موجود في الإنجيل فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مذكور في التوراة وفي الإنجيل، وهو دعوة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حينما كانا يبنيان الكعبة، وبَشَّرَ به عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إن جاءهم هذا الرسول ليؤمنن به ولينصرنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فهذا النبي الرسول الذي أخذ الله العهد على كل واحد من النبيين إن جاء في عهده ليؤمنن به وليأمرن أتباعه بالإيمان به هذا هو محمَّدٌ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فله شأن عظيم وأيُّ شأن! ويكفينا هذا ويغنينا عن الأحاديث الضعيفة الواهية وعن الأحاديث الموضوعة لسنا بحاجة إلى ذلك، ولقد تساهل المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ غاية التساهل في إيراد هذه الأحاديث وغيرها في أبواب فضائل الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا داعي لها ولا لزوم لها، فكفاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرفًا أن يُشيد الله به في القرآن الكريم وعلى ألسنة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأن تتحدَّث عنه الكتب المُنَزَّلَة من السماء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكفينا هذا، ويغنينا عن تكلف الأحاديث الضعيفة الهزيلة أو الموضوعة.

وطريقة بعض المحدثين في بعض العصور وبعض المتأخرين في قرون مُعيَّنة بعد أحمد وبعد هؤلاء يروون الأحاديث الضعيفة يعني استنادًا إلى الأسانيد، يعني إذا ساق

لـك الإسـناد فقد أحالك لتكتشـف حال هـذا المتن هل هو صحيح أو ضعيف تكتشـفه مـن خلال الإسـناد، فهذا عندهم أنه قـد أدَّى واجبه وأحالك على الإسـناد، كان الناس في القرون السـابقة عندهـم عناية بالأحاديـث ويميِّزون بين الرواة الضعفـاء والكذَّابين والثقات العدول وغيرهم.

وأمـا في هذه العصور المتأخرة فالذي يسـوق حديثًا ضعيفًا فيجب عليه أن يُبيِّنه أو حديثـا موضوعًـا يجب عليه أن يُبيِّنه، ولا يكفي أن نسـوق مجرد الأسـانيد لضعف عناية النـاس بالأحاديث ورواتها، فلا يميزون بين الأحاديث الصحيحة والأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وقصة عبد المطلب ضعيفة أيضًا وفيها سقط، ولا داعي لمثل هذا كما قلنا.

«فكشفت عن جسدي، فتشممني ثم تشمم منخري الأيمن، ثم تشمم منخري الأيسر، فقال: أرى يا عبد المطلب في منخرك الأيمن نبوة، وفي الأيسر ملكًا».

الحديـث ضعيـف، وفي روايـة المصنـف اختصـار أو سـقط، وقـد رواه الحاكم في «المسـتدرك» (٤١٧٦، ٤٨٩٧)، والطـبراني [٢٩١٧]، وأبـو نعيـم في «دلائـل النبـوة» (١/ ١٢٩) برقم: [٧١]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٦)، من طرق عن يعقوب ابن محمد الزهري عن شـيخه عبد العزيز بن عمران عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ الْمَخْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ مَوْلَى الْمِسْـوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنِ الْمِسْـوَرِ به نحوه، وفي حديثهم زيادة مفسِّرة: «فَرَجَعَ عَبْـدُ الْـمُطَّلِـبِ إِلَى مَكَّـةَ، فَتَزَوَّجَ هَالَـةَ بِنْتَ وُهَيْبِ بْنِ عَبْـدِ مَنَافِ بْنِ زُهْـرَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَمْزَةَ، وَصَفِيَّةَ، وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الله بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ رَسُـولَ الله صلى الله عليه وسلم، وَوَهْـبٌ وَوُهَيْـبٌ أَخَوَانِ، فَقَالَتْ قُرَيْـشٌ حِينَ تَزَوَّجَ عَبْـدُ الله: فَلَجَ عَبْدُ الله عَلَى أَبِيهِ». قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «يعقوب وشيخه ضعيفان».

....

لكن ذكر بعض أهل التواريخ والأنساب أن حمزة بن عبد المطلب وصفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هما من ولد هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة(١).

اقرأ في مناقبه وفي فضائله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفضائل أصحابه في القرآن واقرأها في «صحيح البخاري»، وفي «صحيح مسلم»، وفي غيرها من الكتب، فالحمد لله فضائل الصحابة وفي الشمائل وفي غيرها أحسن من هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف غفر الله له، فارجعوا لما رواه البخاري في فضائل الأنبياء وغيره.



(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد - دار الكتب العلمية - (٣/ ٥ - ترجمة حمزة)، (٨/ ٣٤-ترجمة صفية)، و«نسب قريش» لمصعب الزبيري (ص١٧-المعارف - مصر)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٩٠-المعارف - مصر)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص١٥-الكتب العلمية)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٢٢٠-تدمري)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦٩-الرسالة)؛ كلاهما للذهبي، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١١٩/ وفيات سنة عشرين-إحياء التراث العربي)، و«الإصابة» لابن حجر (٢/ ١٠٥-ترجمة حمزة)، (٨/ ٢١٣- ترجمة صفية).

الأسئلة

سؤال: يقول السائل: ما حكم زواج الرجل بالتي زنى بها وكيف يكون استبراؤها؟

جواب: الإجابة على هذا السؤال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حرَّم نكاح الزواني: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢-٣].

فعلى القول الصحيح في تفسير الآية أنه لا يجوز أن يتزوج أحدٌ بالزانية ما دامت زانية سواء الذي زنى بها أو غيره، ما دامت زانية لا يجوز الزواج بها؛ لأن الله حرَّم ذلك على المؤمنين، لكن إذا تابت توبة نصوحًا وصحَّت توبتها فلِمَن زنى بها أن يتزوجها بشروط، وكذلك غيره له أن يتزوج بها، ومن الشروط أن يختبرها؛ لأنه يجوز أنها تتظاهر بالتوبة وهي باقية على عادتها السيئة يعني أنها زانية، فيختبرها ويحتال عليها ويعرض عليها الزنى، فإن استسلمت عرف أنها كاذبة في توبتها، فيتركها، وأشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره(١) لسورة النور.

فالشاهد: أن أبرز الشروط أنها تظهر توبتها التوبة النصوح، فإنها إذا تابت فلا يجوز لأحد أن يقول أنها زانية، وخرجت عن هذا الوصف القبيح بتوبتها كما يخرج كل عاص من ذنبه شركًا كان أو غيره، فالذي كان مشركًا وخرج إلى التوحيد لا يجوز أن يقال عنه: إنه مشرك، والذي يتوب من شرب الخمر لا يجوز أن يقال عنه: إنه شارب خمر، والذي يتوب من الزنا لا يجوز أن يقال: إنه زانٍ؛ لأنه قد تاب والتوبة تجبُّ ما قبلها.

سؤال: يقول السائل: الزواج الأبيض أو العرفي أو القضائي هل يدخل في الأنكحة الباطلة، وكيف يفعل من وقع في ذلك؟

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٨٧).

جواب: أنا ما أعرف هـذه الأنكحة، الزواج العرفي يمكـن أعرفه وهو أن يدفع مهرهـا ويعقد عليها بواسـطة وليها وشـاهدين، هذا الآن يسـمونه النـكاح العرفي؛ لأنه لم يذهـب للمحكمة، فهذا فيما بينه وبين الله صحيح يخلو بها ويجامعها لأنها زوجته، لكن الأولى به أن يثبت نكاحه في المحكمة حتى لا يواجه مشاكل.

القاضي لا يعقد على المرأة ولا يزوجها إلا إذا علم أن وليها قد عضلها عن النكاح، أو ليس لها ولي آخر يتولى عقد النكاح، فحينئذ السـلطان ولي من لا ولي لها، فيعقد عليها الحاكم في صورة معينة، وليس له الحق أن يتولى عقود النساء إذا كان أولياؤهن موجودين، الحـق الأول لوليهـا، فإذا عَدِمَ الـولي أو عضل حينئذ تنتقل الولاية إمـا إلى قريب منه من عصبته، أو تنتقل إلى القاضي الشرعي، أو الخليفة، أو نائب من نوابه.

سؤال: المقصود بالزواج الأبيض: أن تقول المرأة للرجل زَوَّجْتُكَ نفسي؟

جواب: هـذا زواج أبيض؟!هـذا زواج أخبث من الأسـود، مخالـف لأقوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحكامه التي أسلفناها، ومن صوره نكاح المتعة نكاح الروافض، ويقولـون: «مـن تمتـع مرة واحـدة فهو في مرتبـة الحسـين، وإذا تمتع مرتين فهـو في مرتبة الحسن، وإذا تمتع ثلاث مرات فهو في مرتبة علي، وإذا تمتع أربع مرات فهو في مرتبة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»[1].

هذه المتعة التي يروج لها الروافض بالأكاذيب، ومن صور هذا النكاح ما نقلناه عن بعض المذاهب، وهو مذهب مصادم للنصوص النبوية.

سؤال: يقول السائل: جاء في المصحف المطبوع عندنا في ليبيا الإسناد من الإمام قالـون إلى أبـي بـن كعـب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قـال: والنبيُّ أخـذه من جبريل، وجبريل أخذه عن اللوح المحفوظ، عن رب العزة.

---

(١) «تفسير منهج الصادقين» لملا فتح الله كاشاني ص: [٣٥٦].

سؤال: هل يُفهَم من قوله: إن النبي أخذه عن جبريل، وجبريل أخذه عن اللوح المحفوظ نفي أن الله تكلم بصوت وحرف؟

جواب: قد يقصدون هذا؛ لأن الأشاعرة ينفون أن يكون الله يتكلم بصوت وحرف، ولأن المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق. والأشاعرة دائمًا في قضايا كثيرة يمسكون بوسط العصا، رِجْل مع أهل السنَّة ورِجْل مع أهل البدع في كثير من القضايا، ومنها القول بخلق القرآن، فهم يقولون: القرآن هذه الحروف والألفاظ الموجودة والمكتوبة في المصاحف ليست كلام الله، إما تكلم بها محمد أو تكلم بها جبريل، الله يتكلم بكلام نفسي قائم بذاته، وكلامه قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت، ويقولون: إما جبريل أو غيره عرف المعنى المراد الذي في نفس الله عَزَّوَجَلَّ، فيُعَبِّر عنه، فهذا تشبيه قبيح لله بالأخرس الذي لا يستطيع أن يتكلم ويأتي من يفهم حركات نفسه فيُعَبِّر عنه! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فالله تكلم في الأزل ويتكلم متى شاء وإذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]، وتكلّم الله بهذا القرآن.

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، هذا كلام صريح مؤكد يرفع احتمال المجاز الذي يدّعيه أهل الباطل، وهم يعرفون القواعد، قواعد اللغة العربية، وأن الكلام المؤكد تأكيدًا لفظيًا أو معنويًا يرفع احتمال المجاز، وتثبت به الحقيقة، ولكنهم يتلاعبون بعقول الناس - مع الأسف الشديد - المعتزلة والخوارج والروافض والأشاعرة كل هذه الفِرَق لها تلاعب في كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يُسَلِّمُون بأن الله تكلم بهذا القرآن ولا بغيره من الكتب التي أوحاها إلى أنبيائه عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل الله يتكلم بها ويأمر جبريل بتبليغها إلى الرسل الكرام.

أما كونه كُتِبَ في اللوح المحفوظ فهذا حق، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج:٢١-٢٢]، فكل شيء قد كتبه الله في اللوح المحفوظ، ومع ذلك فالله يتكلم بالوحي متى شاء، فيسمعه جبريل من الله ثم يبلغه بأمر الله إلى رسله الكرام، ومنهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أنزل عليه القرآن.

والذي ندين الله به: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُنْزِلُ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في المناسبات والأحداث فينزل الله السورة الفلانية أو الآيات منها في مناسبة مُعَيَّنَة يسمع جبريل هذا الكلام من الله عَزَّ وَجَلَّ ويُبَلِّغُه إلى محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

فهذه الحادثة وما شاكلها يتكلم الله فيها ويرسل جبريل بهذا الكلام إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سؤال: ما حكم زواج المسيار؟

جواب: الله أعلم، أنا لا أرى جوازه لما فيه من المفاسد وتضييع كثير من المقاصد في النكاح، وكان -كما علمت- الشيخ ابن عثيمين يفتي بالجواز، فلما تبين له ما فيه من المفاسد حرَّمه؛ لأن فيه أمورًا تنافي مقصود العقد، فهذا هو الصحيح. والله أعلم.

سؤال: يقول السائل: يقع كثير من المسلمين في بلاد الكفر في إطلاق ألفاظ الطلاق دون العمل بها، فتجد من طلّق زوجته المرات العديدة متساهلين في هذا الأمر، فما نصيحتكم لهم؟

جواب: نصيحتي لهم أن يلتزموا بشريعة الإسلام، وأن يحافظوا على حدود الله ولا يتعدوها، وأن لا يتخذوا آيات الله هزؤًا كما قال الله في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ [البقرة: ٢٣١]، هذا في شأن الزواج والطلاق، فالنكاح الواقع بعقد شرعي صحيح محترم في الإسلام يجب احترامه ولا يعبث به السفهاء، فإنه نكاح يقوم على كتاب الله وعلى سنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعهود ومواثيق على هذا العقد، فيجب أن يحترم العهود والمواثيق وقيام هذا النكاح على كتاب الله وعلى سنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله قد حدَّد الطلاق، فقال: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

فإذا طلقها ثلاثًا فلا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره، فهذا هو حكم النكاح والطلاق في الإسلام له شروطه وحدوده، فيجب أن نحترم حدود الله عَزَّوَجَلَّ، وأن لا نخالف شريعة الله وأحكامه لا في النكاح ولا في الطلاق ولا في غيرهما.

سؤال: يقول السائل: كيف يكون الإحسان بين العبد ونفسه، وهل الخشوع يكون في القلب والسمع والبصر، والخضوع يكون في البدن، أو الخضوع هو الخشوع، وهل البصر والسمع والقلب والصوت هي الخشوع؟

جواب: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، يخشع قلبه وبدنه، بدنه ما يتحرك، وقلبه كأنما يرى الله؛ «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(١)].

والخضوع غير الخشوع قد يخضع الإنسان لغير الله، الخشوع هو سكون القلب والجوارح، والخضوع قد يكون بالجسد ولا دخل للقلب فيه، يخضع ظاهرًا وفي الباطن يُكِنُّ الحقد والبغض.

---

(١) قطعة من حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أخرجه البخاري في «الإيمان» حديث [٥٠]، ومسلم في «الإيمان» حديث (٨، ٩).

سؤال: قال الإمام أحمد بن حنبل: «أكذب الناس القُصَّاص والسُّؤَّال، وما أحوج الناس إلى قاصٍّ صدوق؛ لأنهم يُذَكِّرُون الموت وعذاب القبر»[(١)]، فما هو معنى كلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «إلى قاصٍّ صدوق لأنهم يُذَكِّرُون الموت وعذاب القبر»؟

جواب: نعم كثر الكذب في القُصَّاص وأكثرهم جهال، وإذا كان الإنسان يقص يعني يأخذ من كتاب الله ومن سنَّة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخوِّف الناس بذلك فالناس يحتاجون لمثل هذا، فهذا شرطٌ منه في القاص أن يكون صادقًا أمينًا أن لا يكذب على الله وعلى رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كثيرًا من القُصَّاص لا يتورعون من الكذب على الله وعلى رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يتورعون عن تحريف الآيات.

عندكم جماعة التبليغ كم يُحرِّفون من القرآن، آيات الجهاد يُحرِّفونها إلى خروجهم الفاسد، وهم من القُصَّاص السيِّئين، لو أن سلفيًّا صادقًا مخلصًا يُذَكِّر الناس بتوحيد الله، يُذَكِّرُهم بالجنة والنار، يُخَوِّفهم بالله، يسوق الآيات والأحاديث، الناس يحتاجون هذا، والرسول كان يعظ أصحابه؛ وعظنا رسول الله موعظةً وَجِلَت منها القلوب وذَرَفَت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**»، إلى آخر الحديث[(٢)].

فالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعظُ؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

فإذا كان الإنسان يعظ الناس ويقول لهم قولًا بليغًا، يأخذ من كتاب الله ومن سنَّة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتحرَّى المعاني الجزلة في كلامه، فهذا والله مطلوب، وما الخطب التي شرعها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الجُمَع والأعياد إلا مواعظ وتذكير بالله وتذكير بالجنة والنار.

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح (٢/ ٨٢-عالم الكتب).

(٢) سبق تخريجه.

٨٤

بَابُ

ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه ومنشئه إلى الوقت الذي جاءه الوحي

[٩٦٢] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو علي الحسين بن علي الصدائي قال: حدثنا محمد بن عبيد السلمي قال: حدثنا عمر بن صبح التميمي، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، عن شداد بن أوس قال: بينا رسول الله ﷺ يحدثنا على باب الحجرة، إذ أقبل شيخ من بني عامر، وهو مدره قومه، وسيدهم من شيخ كبير يتوكأ على عصا، فتمثل بين يدي النبي ﷺ قائما، ونسبه إلى جده، فقال: يا ابن عبد المطلب، إني نبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس بما أرسل به موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك تفوهت بعظيم، إنما كانت الخلفاء والأنبياء في بيتين من بيوت بني إسرائيل، فلا أنت من أهل هذا البيت، ولا من أهل هذا البيت، إنما أنت رجل من العرب، ممن كانت تعبد هذه الحجارة والأوثان، فما لك وللنبوة؟ ولكن لكل قول حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك، وبدء شأنك قال: فأعجب النبي ﷺ بمساءلته وقال: «يا أخا بني عامر، إن للحديث الذي تسأل عنه نبأ ومجلسًا، فاجلس» فثنى رجله، ثم برك كما يبرك البعير، واستقبله النبي ﷺ بالحديث، فقال: «يا أخا بني عامر، إن حقيقة

....

قولي، بدء شأني: إني دعوة أبي إبراهيم، وبشر بي أخي عيسى ابن مريم، وإن أمي حملتني، وإني كنت بكر أمي، حملتني كأثقل ما تحمل النساء، حتى جعلت تشتكي إلى صواحباتها ثقل ما تجد، ثم إن أمي رأت في المنام: أن الذي في بطنها نور قالت: فجعلت أتبع النور بصري، فجعل النور يسبق بصري، حتى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها، ثم إنها ولدتني فنشأت، فلما نشأت بغضت إلي أوثان قريش، وبغض إلي الشعر، وكنت مسترضعًا في بني ليث بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلي، مع أتراب لي من الصبيان، في بطن واد، نتقاذف بيننا بالجلة إذ أقبل إلي رهط ثلاثة، معهم طست من ذهب ملآن ثلجا، فأخذوني فانطلقوا بي من بين أصحابي، وانطلق أصحابي هرابا، حتى انتهوا إلى شفير الوادي، ثم أقبلوا على الرهط، فقالوا: ما رابكم إلى هذا الغلام؟ إنه ليس منا، هذا من سيد قريش، وهو مسترضع فينا، من غلام يتيم، ليس له أب ولا أم، فماذا يرد عليكم قتله؟ وماذا تصيبون من ذلك؟ إن كنتم لابد قاتليه فاختاروا منا أينا شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه، ودعوا هذا الغلام، فإنه يتيم، فلما رأى الصبيان أن القوم لا يحيرون إليهم جوابًا، انطلقوا هرابًا مسرعين إلى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعًا لطيفًا، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، وأنا أنظر إليه، فلم أجد لذلك مسًّا، ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها ثم أعادها مكانه، ثم قال الثاني منهم لصاحبه: تنح، فأدخل يده في جوفي فأخرج قلبي فصدعه، وأنا أنظر إليه، فأخرج منه مضغة سوداء، فألقاها، ثم قال بيده كأنه يتناول شيئًا فإذا بيده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه، فختم به قلبي، ثم أعاده إلى مكانه، فامتلأ قلبي نورًا، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي

....

دهرا، ثم قال الثالث منهم لصاحبه: تنح، فتنحى عني، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضًا لطيفًا، ثم أكبوا علي وضموني إلى صدورهم، وقبلوا رأسـي وما بين عيـني، ثـم قالوا: يا حبيب، لن تراع، إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك، ثـم قـال الأول الذي شـق بطني: زنوه بعشـرة من أمته، فوزنوني بهـم فرجحتهم، ثم قال: زنوه بمائة من أمته، فوزنوني، فرجحتهم، ثم قال: زنوه بألف من أمته، فوزنوني، فرجحتهم فقال: دعوه، فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، فبينا نحن كذلك، إذ أنا بالحـي قد جاءوا بحذافيرهم، وإذا بأمي وهى ظئري أمام الحي تهتف بأعلى صوتها وهي تقول: يا ضعيفاه، استضعفت من بين أصحابك، وقتلت لضعفك، فأكبوا علي وضمونـي إلى صدورهم، وقبلوا رأسـي، وما بين عيـني، وقالوا: حبذا أنت من ضعيف، ومـا أكرمك علـى الله، ثم قالت: يا وحيداه، فأكبوا علـي، وضموني إلى صدورهم، وقالـوا: حبـذا أنت من وحيد، ومـا أنت بوحيد، إن الله معـك وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض، ثم قالت ظئري: يا يتيماه، فأكبوا علي وضموني إلى صدورهم، وقبلوا رأسـي ومـا بين عيني، وقالوا: حبـذا أنت من يتيم، ما أكرمـك على الله فلما نظرت أمـي وهـي ظئـري قالت: يـا بـني ألا أراك حيا بعـد، وضمتني إلى حجرهـا، فوالذي نفسـي بيـده إني لفي حجرها قـد ضمتني إليها، وإن يدي لفـي يد بعضهم، وظننت أن القوم يبصرونهم، فإذا هم لا يبصرونهم، فقال بعض القوم: قد أصاب هذا الغلام طائـف الجـن، فاذهبوا به إلى كاهن، حتـى ينظر إليه ويداويه فقلـت: يا هناه، إني أجد نفسـي سـليمة وفؤادي صحيحًا ليـس بي قلبة، فقال أبي: وهـو زوج ظئري أما ترون كلامه كلام صحيح؟ إني أرجو أن لا يكون على ابني بأس، فاتفق رأيهم على أن يذهبـوا بي إلى الكاهن، فاحتملوني، فذهبـوا بي إليه، فقصوا عليه قصتي فقال:

....

اسكتوا، حتى أسأل الغلام، فإنه أعلم بأمره منكم، فسألني فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها، فضمني إليه، وقال: يا للعرب، يا للعرب، اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، واللات والعزى، لئن تركتموه وأدرك، ليخالفن دينكم ودين آبائكم، وليخالفن أمركم، وليأتينكم بدين لم تروا مثله، فانتزعتني أمي من حجره، وقالت: أنت أعته وأجن من ابني هذا، ولو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيت به، فاطلب لنفسك من يقتلك، فإنا غير قاتلي هذا الغلام، واحتملوني وأدوني إلى أهلي، فأصبحت معزا[(١)] مما فعل بي، وأصبح أثر الشق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي كأنه الشراك، فذلك يا أخا بني عامر: حقيقة قولي وبدوء شأني». فقال العامري: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن أمرك لحق... وذكر الحديث[(٢)].

[٩٦٣] وأخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: «حدثنا عبد الله بن شبيب المكي قال: حدثني أحمد بن محمد قال: وجدت في كتاب أبي، عن الزهري، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه عبد الرحمن بن عوف قال: كنت تِربًا لرسول الله ﷺ قال عبد الرحمن: فأخبرتني أمي قالت: لما ولد محمد

....

(١) يقول المحقق معلِّقًا على هذه اللفظة: «وفي تأريخ ابن جرير: مفزعًا».

(٢) هذا الحديث المنسوب إلى شداد بن أوس ضعيف جدًّا، أو موضوع، في إسناده عمر بن صبح الخراساني، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/ ٢٠٦-٢٠٧): «عمر بن صبح الخراساني ليس بثقة ولا مأمون، قال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال الأزدي: كذاب». وقال الحافظ ابن حجر فيه: «متروك، كذبه ابن راهويه».
رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦٠-١٦٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/ ٤٦٩-٤٧٣) من طريق عمر بن صبح به مثله مطوَّلًا. قال ابن عساكر: مكحول لم يدرك شداد.
ورواه ابن عساكر (٣/ ٤٦٦-٤٦٩) من وجه آخر عن شداد بن أوس نحوه. وقال: «هذا حديث غريب وفيه من يجهل».

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقع على يدي استهل، فسمعت قائلًا من ناحية البيت يقول: يرحمك ربك قالت: فلما لينته وأضجعته أضاء لي نور، حتى رأيت قصور الروم، ثم غشيتني ظلمة ورعدة، ثم نظرت عن يميني فلم أر شيئا، فسمعت قائلًا يقول: أين ذهبت به؟ قال: ذهبت به إلى المغرب قالت: ثم أصابتني رعدة وظلمة قالت: ثم نظرت عن يساري، فلم أر شيئًا، فسمعت قائلًا يقول: أين ذهبت به؟ قال: ذهبت به إلى المشرق قال عبد الرحمن: فكان الحديث من شأني، حتى بعث الله عَزَّوَجَلَّ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان أول قومه إسلامًا»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذا الباب أحاديث قد ذكرتها في كتاب فضائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩٦٤- حدثنا أبو علي الحسين بن زكريا السكري قال: «حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال:

....

(١) هذا الحديث المنسوب إلى عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضعيف جدًّا، في إسناده عبد الله بن شبيب المكي، قال فيه الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤٣٨): «أخباري علامة، لكنه واهٍ، قال أبو أحمد الحاكم: «ذاهب الحديث»،وبالغ فَضْلك الرازي فقال: يحل ضرب عنقه، ...قال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسرقها».

وقال الذهبي في «المغني» (١/ ٣٤٢): «واهٍ، قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث».

رواه البزار في «مسنده» [١٠١٩] عن عبد الله بن شبيب به، ببعضه.

ورواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٥-١٣٦) برقم: [٧٧] من طريق النضر بن سلمة عن أحمد ابن محمد ثنا أبي به نحوه. قلت: والنضر بن سلمة متهم، قال الذهبي في «الميزان»: «سئل عباس بن عبد العظيم عنه فأشار إلى فمه.

وسمعت عبدان يقول: قلت لعبد الرحمن بن خراش: هذه الأحاديث التي يحدث بها غلام خليل من حديث -المدينة- من أين له؟ قال: سرقها من عبد الله بن شبيب، وسرقها ابن شبيب من شاذان، ووضعه شاذان: واسمه النضر بن سلمة».

حدثني ابن أبي جهم، مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب، وكان يقال: مولى الحارث بن حاطب قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب يقول: حُدِّثت عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التي أرضعته: أنها قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس بها الرضعان في سنة شهباء فقدمت على أتان لي قمراء، كانت أذمة الركب، ومعي صبي لنا، وشارف لنا، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذلك، ما يجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فإذا قيل: إنه يتيم، تركناه، وقلنا: ما عسى أن تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقي من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي ليس معي رضيع، لأنطلق إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فقال: لا عليك، فذهبت فأخذته، فوالله ما أخذته: إلا أني لم أجد غيره، فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء الله من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه فلم يزل الله عَزَّوَجَلَّ يزيدنا خيرًا، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا، فوالله لقطعت أتاني الركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى إن صواحباتي ليقلن: ويحك يا بنت أبي ذؤيب، أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم، والله إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأنًا، حتى قدمنا أرض بني

....

سعد، فما أعلم أرضًا من أرض الله عَزَّوَجَلَّ أجدب منها، فإن كانت غنمي لتسرح، ثم تروح شباعًا لبنًا، فنحلب ما شئنا وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياعًا، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم: انظروا حيث تسرح غنم ابنة أبي ذؤيب، فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي حيث تسرح، فيريحون أغنامهم جياعا، وما فيها قطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا، فنحلب ما شئنا، فلم يزل الله عَزَّوَجَلَّ يرينا البركة، ونتعرفها حتى بلغ سنتين، فكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلامًا جفرًا، فقدمنا به على أمه، ونحن أضن شيء به، مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته أمه، قلنا لها: يا ظئر، دعينا بابننا هذه السنة الأخرى، فإنا نخشى عليه أوباء مكة، فوالله مازلنا بها حتى قالت: فنعم، فسرحته معنا، فأقمنا به شهرين أو ثلاثة، فبينا هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا، جاءنا أخوه يشتد، فقال: أخي ذلك القرشي، قد جاءه رجلان عليهما بياض، فأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعًا لونه فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئًا فطرحاه، ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، انطلقي بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت: فاحتملناه، فلم ترع أمه إلا به، قد قدمنا به عليها، فقالت: ما ردكما به فقد كنتما عليه حريصين؟ فقلنا: لا والله يا ظئر، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أدى عنا، وقضينا الذي علينا، وقلنا: نخشى الإتلاف والأحداث، فقلنا: نرده على أهله، فقالت: ما ذاك بكما؟ فأصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله،

....

ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن، ألا أخبركما خبره؟ قلنا: بلى قالت: حملت به، فما حملت حملًا قط أخف منه وأريت في النوم حين حملت به: كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حيث ولدته وقوعًا ما يقعه المولود معتمدًا على يديه، رافعًا رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما»(١).

[٩٦٥] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي أبو بكر، وعثمان(٢) بن أبي شيبة قالا: حدثنا حماد ابن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك عنه: أن رسول الله ﷺ: «أتاه

....

(١) الحديث المنسوب إلى عبد الله بن جعفر ضعيف، فيه راويان مبهمان. وفيه الجهم بن أبي الجهم، قال الذهبي في «المغني» (١/ ١٣٨): «... لا أعرفه، له قصة حليمة السعدية».
وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي، قال فيه الذهبي في «الميزان» (١/ ١١٢): ضعّفه غير واحد، قال ابن عدي: رأيتهم مجمعين على ضعفه، ولا أرى له حديثًا منكرًا، إنما ضعّفوه لأنه لم يلق الذين يُحدِّث عنهم». وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف، وسماعه للسيرة صحيح».
الحديث في «السيرة» لابن إسحاق -مختصر ابن هشام-(١/ ١٦٢-١٦٥) قال: «حَدَّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ الْجُمَحِيُّ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. أَوْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ. أُمَّ رَسُولِ الله ﷺ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ، تُحَدِّثُ: فذكر القصة..». وهكذا رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤٥٦٤-المطالب العالية) عن وهب ابن جرير عن أبيه سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ به مثله.
ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٢-١٣٩) من طريق أحمد بن عبد الجبار به.
ورواه أبو يعلى [٧١٦٣]، وابن حبان [٦٣٣٥]، والطبراني (٢٤/ ٢١٢-٢١٤/ ٥٤٥)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٨-١٦٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» [٧٥٦٤]، وفي «دلائل النبوة» (١/ ١٥٥-١٥٧) برقم: [٩٤] من طرق أخرى عن ابن إسحاق عن جَهْمِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ، عَنْ عَبْدِ الله ابْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ حَلِيمَةَ..نحوه.
(٢) كذا في النسخة التي اعتمدها المحقق الوليد بن محمد نبيه سيف النصر، الحديث (١٠٢٢/ ٦٠٠)، والصواب: شيبان بن أبي شيبة وهو شيبان بن فروخ، فإن عثمان بن أبي شيبة لم يرو عن حماد بن سلمة لصغره، ولم أجد من ذكر له رواية عنه. وإنما تحرف شيبان إلى عثمان، وقد رواه ابن حبان في «صحيحه» =

جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يلعب مع الصبيان، فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة ثم قال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: كنت أرى أثر المخيط في صدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد؛ فقد عنون المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لهذا الباب بقوله: «**ذكر مولده** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ورضاعه ومنشئه إلى الوقت الذي جاءه الوحي** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»، وأورد في الباب عددًا من الأحاديث: الأول موضوع، راويه كذّاب، وهو عمر بن صبح مشهور في الوضاعين[(٢)]، والوضاعون قد يأتون بكلام كذب محض، وقد يكون فيه خلط بين حق وباطل يأخذه من هنا ومن هنا وهذا ما حصل في هذا الحديث، والتبشير ببعثة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورد به حديث صحيح آخر، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨] إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأن يبعث الله في هذه الأمة التي تأتي من ذرية إبراهيم

= [٦٣٣٦] فقال: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، بإسناده نحوه.

(١) حديث أنس صحيح، رواه مسلم في «الإيمان» حديث (١٦٢/ ٢٦١)، وأحمد في «مسنده» (١/ ١٢١)، وأخرجه غيرهما.

(٢) انظر: «الميزان» للذهبي (٣/ ٢٠٦-٢٠٧).

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإسماعيل فبعث الله محمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن نص أن عيسى بَشَّر بمحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فبَشَّر به وتقدَّم لنا أنه ورد ذكره في التوراة والإنجيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكره ووصفه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما يُتمُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١ - ١١]، فنص على يُتمه وإيوائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له وعنايته به.

ومعروف من التاريخ أنه استرضع في بني سعد، وأنه أرضعته حليمة السعدية، وأن ابنتها أخته من الرضاعة جاءت في يوم حنين وأكرمها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[1]، هذا شيء معروف لا شك، فالراوي يخبط ويحطب من هنا ومن هنا، لكنه كذاب، ونحن نأخذ كما يقال الحق من الأواني والأيادي النظيفة، ما نأخذ من الكذابين، نحن في غنى عن أحاديث الكذابين كما قلنا غير مرة، ونأخذ الحق من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفضائل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخصائصه كثيرة جدًّا ورد بها أحاديث صحيحة.

الحديث الأول- فيه عمر بن صبح وقد تقدم بيان حاله.

والحديث الثاني- فيه عبد الله ابن شبيب، قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث[2] يعني حديثه شديد الضعف لا يقبل ولا يعتبر به ولا يعضد غيره.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٥/ ١٢٧-١٢٨)، و«مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا [٤٠٦]، و«تاريخ الرسل والملوك» للطبري (٢/ ١٧١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ١٩٩-٢٠٠)، وزاد المعاد لابن القيم (٣/ ٤٧٥-الرسالة)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (٣/ ٦٨٩).

(٢) «المغني في الضعفاء» للذهبي (١/ ٣٤٢) رقم: [٣٢١٢]، و«الميزان» (٢/ ٤٣٨-٤٣٩) رقم: [٤٣٧٦] له.

والحديث الثالث. الحديث المنسوب إلى عبد الله بن جعفر فيه عدة علل:

١- إبهام شيخ أبي الجهم. ٢- ابن أبي الجهم مجهول.

٣- أن عبد الله بن جعفر لم يسمعه من حليمة.

٤- أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعيف[١].

ونحن في غنى عن هذه الأحاديث الشديدة الضعف.

ما يتعلق بشق صدره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهذا ثابت كما سيأتي في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وباقي الكلام مما لا يتفق مع الأحاديث الصحيحة لا نأخذ به ولا نحتاج إليه.

حديث أنس رواه المؤلف عن شيخه البغوي أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي من أئمة الإسلام المشهورين قال: حدثنا عبيد الله بن محمد العيشي أبو بكر وهو ثقة وشيبان بن أبي شيبة وهو صدوق يهم، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، - حماد بن سلمة إمام من أئمة الإسلام، ولكنه قد يضعف في غير ثابت البناني، وأما حديثه عن ثابت فهو أثبت الناس فيه ولو خالفه من خالفه في ثابت فتقدم روايته، فهو أثبت الناس في ثابت، هذا من جهة الإسناد، ومن جهة أخرى تابعه سليمان بن المغيرة عن ثابت في «صحيح مسلم»[٢]، وله شاهد من حديث أبي ذر رواه مسلم أيضًا[٣].

«أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يلعب مع الصبيان، فصرعه، فشق عن قلبه»:

ما قال استخرج أمعاءه أولا وبعد ذلك جاء إلى قلبه وكذا وكذا، الصحيح أنه استخرج قلبه فقط.

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ١١٢-١١٣) رقم: [٤٤٣]، و«تهذيب التهذيب» (١/ ٤٤-٤٥) رقم: [٨٨].

(٢) (١/ ١٤٧)، في كتاب: «الإيمان»، باب: «الإسراء»، حديث [١٦٢].

(٣) (١/ ١٤٨-١٤٩)، في كتاب: «الإيمان»، باب: «الإسراء»، حديث [١٦٣].

«فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة ثم قال: هذا حظ الشيطان منك»:

فهذا من عناية الله بالرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه أمر جبريل بشق صدره وغسل قلبه وأخرج حظ الشيطان منه، فلم يبق للشيطان فيه حظ، وهذا من إكرام الله لهذا النبيِّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن ميزاته على سائر الناس.

«ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم»: هذا فيه فضيلة ماء زمزم.

«ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه» -يعني ظئره- الظئر هي المرضعة ويقال لزوج المرضعة ظئر أيضًا فهو أبوه من الرضاعة وهذه أمه من الرضاعة، فيقال لكل منهما ظئر.

«فقالوا: إن محمَّدًا قد قُتِل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون»، وليس كما أخبروا أنه قُتِل بل وجدوه حيًّا وهو منتقع اللون يعني: متغير اللون عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الشاهد منه أن مما أكرم الله به الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه بعث إليه مَلَكًا وهو جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وشق صدره وغسله ونظفه وأذهب منه بإذن الله حظ الشيطان، وهذا من كرامته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

مولده ولد في عام الفيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١). وقصة عبد الرحمن بن عوف مما يدل على شدة ضعفها أنه ليس هو أول من أسلم، وإنما أول من أسلم أبو بكر الصديق أو على القول الراجح أن أول من أسلم من الرجال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن النساء خديجة

---

(١) قال ابن كثير في «الفصول» ص: [٨٠]: «وهو الصحيح، وقد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري وخليفة بن خياط وغيرهما إجماعًا». انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ٣٩٦)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٢٠١-٢٠٣)، و«سبل الهدى والرشاد» للصالحي (١/ ٣٣٤-٣٣٥).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن الصبيان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الموالي زيد بن حارثة[١] وليس عبد الرحمن بن عوف ممن قيل فيه أنه أول من أسلم.

الشاهد: أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن يعطينا تاريخ حياة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبل البعثة، فأورد أحاديث لا يُعتَمد عليها، والذي نعتني به حادثة شق الصدر وخصائص أخرى جاء بها القرآن وجاءت بها السنة على لسان إبراهيم وعيسى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وحادثة شق الصدر حصلت له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين:

الأولى- هذه التي رواها أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والثانية- حصلت له ليلة الإسراء والمعراج، رواها أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيها قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَنَزَلَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ من مَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جاء بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا في صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ**»، رواها مسلم في صحيحه.

وهذا من عناية الله بالرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه أمر بشق صدره في صغره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعندما أسري به إلى السماء، والعقل لا يمنع من حصول ذلك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) «السيرة» لابن كثير (١/ ٤١٤، ٤٣٠).



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن نبيَّنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزل نبيًّا من قبل خلق آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتقلب في أصلاب الأنبياء، وأبناء الأنبياء بالنكاح الصحيح حتى أخرجه الله تَعَالَىٰ من بطن أمه، يحفظه مولاه الكريم ويكلؤه ويحوطه إلى أن بلغ، وبغض الله عَزَّوَجَلَّ إليه أوثان قريش، وما كانوا عليه من الكفر، ولم يعلمه مولاه الشعر، ولا شيئًا من أخلاق الجاهلية، بل ألهمه مولاه عبادته وحده لا شريك له، ليس للشيطان عليه سبيل، يتعبد لمولاه الكريم خالصًا، حتى نزل عليه الوحي، وأمر بالرسالة، وبعث إلى الخلق كافة، إلى الإنس والجن، بعث على رأس أربعين سنة من مولده، أقام بمكة عشرًا يدعوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، يؤذونه فيصبر، ويجهلون عليه فيحلم، ثم أذن الله عَزَّوَجَلَّ له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، فأقام بها عشرًا، وتوفي بعد الستين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٩٦٦] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا محمد ابن يوسف المصيصي قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن قرة بن عبد الرحمن، أن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن حدثه قال: سمعت أنس بن مالك قال: بعث نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة عشرًا، وبالمدينة عشرًا، وتوفي وهو ابن ستين سنة.

....

[٩٦٧] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن رزق الله الكلوذاني قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي قال: حدثنا سليمان بن بلال المدني، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، أنه سمع أنس بن مالك يقول: «بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رأس أربعين سنة، فكان بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رأس الستين، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»(١).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب ذكر مبعثه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن نبينا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يزل نبيًّا من قبل خلق آدم** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **يتقلب في أصلاب الأنبياء، وأبناء الأنبياء بالنكاح الصحيح، حتى أخرجه الله تعالى من بطن أمه، يحفظه مولاه الكريم ويكلؤه ويحوطه إلى أن بلغ».**

قوله: «لم يزل نبيًّا» يحتاج إلى توضيح، يعني أنه كُتب في اللوح المحفوظ وعند خلق آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كُتبت نُبوَّته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أما حقيقة النبوة فما وُصِفَ بها إلا بعد أن بعثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ما وصف بالنبوة إلا بعد أن بعثه الله تبارك وتعالى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أما ذكره وكتابة نبوته فقد قلنا غير مرة أنه بَشَّرَت به الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأخذ الله الميثاق عليهم ليؤمنن به وليَتَبِعُنَّه؛ هذا أمر ثابت بالكتاب والسُّنَّة.

---

(١) حديث أنس هنا أورده الآجري بإسنادين:

الأول منهما- فيه قرة بن عبد الرحمن ضعيف، لكنه يعتضد بما بعده. والإسناد الثاني صحيح. والحديث مما اتفق عليه الشيخان. أخرجه البخاري في «المناقب» حديث (٣٥٤٧، ٣٥٤٨). ومسلم في «الفضائل» حديث [٢٣٤٧]، ونصهما أطول.

وفعلًا هو من سلالة الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأبوه آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم انحدر من ذرية إسماعيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يعني ما نقول أنه كان نبيًّا قبل أن يبعث، إنما كُتِبَتْ نبوَّته وذُكِرَ في الرسالات رسالات الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي كتبهم وذكرنا أنه ممدوح هو وأمته في التوراة والإنجيل؛ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩] يعني ذُكِرَ وصفه ووصف أصحابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في التوراة والإنجيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأما عن النبوة فما نُبِّئ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا حينما جاءه جبريل على رأس الأربعين من عمره الشريف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وسيأتي الحديث عن هذا.

قوله: وتوفي بعد الستين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أحاديث كثيرة على أنه توفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعمره ثلاث وستون سنة.

وقوله: «عاش في مكة عشرًا بعد النبوة»: فالصواب أنه ثلاث عشرة سنة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في روايات كثيرة.

وفي السنة العاشرة من البعثة عُرِجَ به إلى السماء وفُرِضَت عليه وعلى أُمَّتِه الصلاة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم بقي بعد ذلك في مكة إلى أن أذن الله له تَعَالَىٰ بالهجرة -صلوات الله وسلامه عليه-. ويجمع العلماء بين هذا الحديث عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبين الأحاديث الأخرى التي تفيد أن عمره كان ثلاثًا وستين سنة كبعض الروايات، ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ورد عنه رواية: «ثلاثة وستون»[١]. ورواية: «خمسة وستون سنة»[٢]، والأكثر من

(١) أخرجها البخاري في «المناقب» حديث (٣٩٠٢، ٣٩٠٣)، ومسلم في «الفضائل» حديث (٢٣٥٠، ٢٣٥١)، من طرق عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجها مسلم في «صحيحه»، وفي «الفضائل» حديث [٢٣٥٣].

الروايات على أنه: «ثلاث وستون سنة»، ويجمعون بينها أن من يقتصر على الستين يلغي الكسور ومن يذكر الثلاث والستين وما شاكلها يذكر الكسور مع الستين، هذا التوفيق بين الروايات.





[٩٦٨] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يونس بن حبيب الأصبهاني قال: حدثنا أبو داود - يعني الطيالسي - قال: حدثنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أول ما بدىء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحي: الرؤيا الصادقة، قالت: وحُبِّب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخلاء، فكان يمكث الأيام في غار حراء يتعبد، حتى جاءه الوحي.

[٩٦٩] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر و محمد بن عبد الملك بن زنجويه و الحسن بن أبي الربيع و أحمد ابن منصور - واللفظ لابن عسكر - قالوا: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء، وجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لست بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني»

....

فقــال: اقــرأ، فقلت: «ما أنا بقــارئ، فأخذني فغطني الثانية حتــى بلغ مني الجهد»، ثــم أرســلني فقال: اقــرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثــة، حتى بلغ مني الجهد، ثــم أرســلني فقــال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العَلَق: ١] حتــى بلــغ علــم الإنســان مــا لم يعلم فرجــع يرجف فؤاده، حتى دخــل على خديجة، فقــال: زملوني، زملوني، فزملــوه، حتــى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لــي؟ وأخبرها الخبر، فقال: قد خشــيت على نفســي، قالت: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[(١)].

[٩٧٠] حدثنــا أبــو بكــر بــن أبــي داود قــال: حدثنا محمــد بن يحيى بــن فارس وخشــيش بن أصــرم قالا: حدثنا عبد الــرزاق، عن معمر، عن الزهــري قال: أخبرني أبــو ســلمة بن عبــد الرحمن، عن جابر بــن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي فسمعت صوتًا من الســماء، فرفعت رأســي، فإذا أنا بالملك الذي جاءني بحراء جالس على كرســي بــين الســماء والأرض، فجأثــت منه رعبًا، فرجعــت فقلت: زملونــي، زملوني، دثروني دثرونــي»، فأنــزل الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المُدَّثِّر: ١ - ٥]، «وهي الأوثان قبل أن تفرض الصلاة»[(٢)].

---

(١) حديثــا عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صحيحان، وأصلهما في البخــاري في «بدء الوحي» حديث [٣]، ومســلم في «الإيمان» حديث [١٦٠]، ورواهما غيرهما من الأئمة.

(٢) حديــث صحيــح، وأصلــه في البخاري في «التفســير» حديث [٤٩٢٥]، ومســلم في «الإيمان» حديث [١٦١] مــن طريــق عبــد الرزاق بــه نحــوه. ورواه البخاري في «بــدء الخلق» حديــث [٣٢٣٨]، وفي «التفســير» حديــث (٤٩٢٢-٤٩٢٤، ٤٩٢٦)، ومســلم في «الإيمان» حديــث [١٦١] من طرق عن أبي سلمة عن جابر نحوه، ورواه غيرهما.

٩٧١- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عباد قال: حدثنا بكر ابن سليمان، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني وهب بن كيسان -مولى الزبير- قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول لعبيد بن عمير: حدثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فذكر بدو ذلك قال: فقال رسول الله ﷺ: «فخرجت، حتى إذا كنت في وسط الجبل فسمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء لأنظر فإذا جبريل في صورة رجل - صاف قدميه في أفق السماء - يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم ولا أتأخر، وجعلت أصرف وجهي في آفاق السماء، ولا أنظر في ناحية منها، إلا رأيته كذلك، فما زلت كذلك واقفًا حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني، وانصرفت إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فقالت لي: أين كنت؟ فقلت: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أعيذك بالله من ذلك، وماذا يا ابن عم؟ لعلك رأيت شيئًا؟ فقلت: نعم، ثم حدثتها بالحديث، فقالت: أبشر يا ابن عم، فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة»[1].

---

(١) ضعيف مرسل: في إسناده بكر بن سليمان، قال فيه أبو حاتم والذهبي: «مجهول»، وفيه محمد بن عباد، قال فيه الحافظ: «مقبول»، وسكت عنه الذهبي، وفي المتن غرابة.

ورواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٠٠-٣٠٢) عن ابن حميد عن سلمة الأبرش، والفاكهي في أخبار مكة (٤/ ٨٦-٨٩) برقم: [٢٤٢٠]، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٣/ ١١-١٤) كلاهما من طريق زياد البكائي، (سلمة وزياد) كلاهما عن ابن إسحاق بإسناد المصنف ولفظه.

والأثر في «السيرة» لابن إسحاق -مختصر ابن هشام- (١/ ٢٣٥-٢٣٨/ السقا) وليس فيه ذكر الشعر والجنون ولا خبر التردي. وأشار إلى ذلك الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ١٣١-تدمري) و«السير» له (١/ ١٠٦) ونسب الزيادة إلى يونس بن بكير. =

[٩٧٢] وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو أمية عبد الله بن محمد بن خلاد قال: حدثنا يعقوب بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال ورقة - لما ذكرت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنه ذكر لها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: سبوح سبوح، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان؟.

جبريل أمين الله عَزَّوَجَلَّ بينه وبين رسله؟ اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى، فإذا رآه فتحسري، فإن يك من عند الله عَزَّوَجَلَّ، لا يراه، ففعلت، قالت: فلما تحسرت تغيب جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يره، فرجعت وأخبرت ورقة، فقال: إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا تعلمه بنو إسرائيل أبناءهم إلا بثمن، ثم أقام ورقة ينتظر إظهار الدعوة، وقال في ذلك:

لججت وكنت في الذكرى لجوجا ... لِهَمٍّ طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك لو أرى منه خروجا
بأن محمدًا سيسود يومًا ... ويخصم من يكون له حجيجا
يظهر في البلاد ضياء نور ... تقام به البرية أن تعوجا
فيا ليتي إذا ما كان ذاكم ... شهدت، فكنت أولهم ولوجا
ولوجًا للذي كرهت قريش ... ولوعجت بمكتها عجيجا(١)

....

= وما في هذا الأثر مما يستغرب من ذكر الشعر والجنون والتردي الحمل فيه -والله أعلم- على ابن إسحاق، فإنه قد اختلف فيه الأئمة، فوثقه جماعة وضعفه النسائي، وابن معين في قول. كما في «التهذيب» (٦/ ٤١-٤٦).

(١) حديث عائشة من هذا الوجه ضعيف جدًّا، في إسناده عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة، قال فيه أبو حاتم: متروك، ضعيف الحديث جدًّا.

[٩٧٣] وحدثنا أبو علي الحسن بن زكريا السكري قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: حدثنا يونس بن بكير، عن يونس بن عمرو، عن أبيه، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لخديجة: إني إذا خلوت سمعت نداءً، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا، فقالت: معاذ الله، ما كان الله عَزَّوَجَلَّ ليفعل بك ذلك، فوالله، إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وليس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم - ذكرت خديجة حديثه له، وقالت: يا عتيق، اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيده، فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه فقصًا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد، فأنطلق هاربًا في الأرض، فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فثبت، حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلما جاء ناداه: يا محمد، قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١ - ٢] - حتى بلغ - ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قل: لا إله إلا الله، فأتى ورقة، فذكر ذلك له، فقال ورقة: أبشر، ثم أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك لنبي مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، فلما توفي ورقة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني - يعني ورقة -»[1].

....

(١) حديث عمرو بن شرحبيل ضعيف، عمرو بن شرحبيل ثقة عابد مخضرم، لكنه لم يسمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي، وهو مدلس، وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعيف، والمتن فيه غرابة. رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٥٨-١٥٩) من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردي به. وقال: منقطع. =

[٩٧٤] حدثنا أبو علي قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا يونس، عن محمد بن إسحاق، قال: وقد قال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي فيما كانت خديجة ذكرت له من أمر رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فإن يك حقًا، يا خديجة، فاعلمي حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه، وميكال، معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من كان فيها بتوبة ويشقى به العاتي الغوي المضلل
فريقان: منهم فرقة في جنانه وأخرى بألوان الجحيم تغلل
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت مقامع في هاماتهم ثم من عل
فسبحان من تهوي الرياح بأمره ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها وأقضاؤه في خلقه لا تبدل

وقال ورقة بن نوفل في ذلك أيضًا:

يا للرجال لصرف الدهر والقدر وما لشيء قضاه الله من غير
جاءت خديجة تدعوني لأخبرها وما لها بخفي الغيب من خبر
جاءت لتسألني عنه لأخبرها أمرًا أراه سيأتي الناس من أخر
فخبرتني بأمر قد سمعت به فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذي ترجين منجزه لك الإله فرجي الخير وانتظري
وأرسليه إلينا كي نسائله عن أمره وما يرى في النوم والسهر؟

....

= ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٢٩-٣٣٠-الحوت)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٦٤-١٦٥) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به نحوه.

فقال، حين أتانا: منطقًا عجبًا ... يقف منه أعالي الجلد والشعر
إنـي رأيـت أمـين الله واجـهـني ... في صورة أكملت في أهيب الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني ... مما يسلم ما حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري يصدقني؟ ... أن سوف تبعث تتلو منزل السور
فسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم ... مني الجهاد بلا من ولا كدر(١)

تخبرنا عائشة الصديقة زوج رسول الله ﷺ، وهي من أعلم الناس بأحوال رسول الله ﷺ وسيرته وأخلاقه وبداية نبوته.

فتقول رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة من النوم»، وهذه الرؤيا النبوية جزء من نبوته.

وفي رواية أخرى في البخاري ومسلم: «**الرؤيا الصادقة**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «وهي التي ليس فيها ضغث، وبدئ بذلك ليكون تمهيدًا وتوطئة لليقظة، ثم مهد له في اليقظة -أيضًا- رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر»(٣).

(١) في إسناد هذه الأبيات ضعف، إذ بين محمد بن إسحاق وبين ورقة بن نوفل مفاوز، إذ توفي ورقة في أول بعثة النبي ﷺ، ومحمد بن إسحاق من صغار الطبقة الخامسة من التابعين الذين لم يروا من الصحابة إلا الواحد والاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة، فهو من طبقة الأعمش وأمثاله.
والأبيات رواها -أيضًا- البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٤٩-١٥١)، وابن عساكر (٦٣/ ٩-١١) من طريق أحمد بن عبد الجبار به.

(٢) «صحيح البخاري»: في كتاب: «التفسير» حديث [٤٩٥٣] وفي كتاب: «التعبير» حديث [٦٩٨٢]، و«صحيح مسلم» في كتاب: «الإيمان» حديث [١٦٠].

(٣) «فتح الباري» (١/ ٣١).

وصفت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هذه الرؤيا في واقعها وصدقها المتناهي، فقالت عن المرحلة الأولى: «فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»، والمراد بفلق الصبح: ضياؤه الواضح الذي لا شك فيه.

المرحلة الثانية- خلوه بغار حراء للتحنث وهو التعبد الليالي ذوات العدد، والظاهر أن هذا من مقدمات نبوته، إذ هذا التعبد على هذا الوجه لا يعرفه قومه، ولا تلقاه من أحد، بل هو من إلهام الله، حيث كان قومه منهمكين في الشرك وعبادة الأوثان، والتنافس والتقاتل على الدنيا.

المرحلة الثالثة- قولها: «حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء، وجاءه المَلَك فيه فقال: اقرأ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لست بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد**».

حصل له هذا على يدي المَلَك وهو جبريل ثلاث مرات، وفي الثالثة قال له: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العَلَق: ١ - ٥].

قال الحافظ ابن حجر: «﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العَلَق: ١]، أي لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم وغمْز الشيطان في الصغر، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية، ذكره السهيلي»[1].

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٢)

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فرجع يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة، فقال: **زملوني، زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر، فقال: قد خشيت على نفسي**، قالت: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

هذا الذي حصل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر عظيم، فاجأه به مَلَك الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على الصورة التي روتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال متأثرًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**قد خشيت على نفسي**»، وهذا قبل أن يتأكد أن الله قد اختاره للنبوة وأكمل رسالة.

فقالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». قالت هذا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مؤكدة قولها بالحلف بالله بناء على اتصاف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الصفات العظيمة التي تدل على كمال من اجتمعت فيه، يدرك ذلك كل عاقل.

وكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خير عون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشدائد.

وقد بيَّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضائلها، وما أعد الله لها في الجنة، ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان فضلها: «**خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة**»(١).

وهذه الصفات المذكورة، لا سيما الصدق هي من أكمل الصفات التي يستدل بها الشرفاء والعقلاء على شرف صاحبها وخيريته، وقل ما تجتمع في شخص، ولقد عرفت قريش هذا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يجلونه ويحترمونه ويسمونه بالصادق

(١) رواه البخاري في «المناقب» حديث [٣٨١٥]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٣٠].

وبالأمين قبل بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بعثه الله بالرسالة حسده رؤساء قريش، لا سيما أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة، ولم يؤمنوا برسالته استكبارًا وحسدًا، وتبعهم الأكثر، وما آمن به في العهد المكي منهم ومن مواليهم إلا نحو المائة.

وكم آذوه وآذوا الذين آمنوا به واتبعوه، وصبر هو وأصحابه، حتى أذن الله لرسوله وأصحابه بالهجرة بعد أن آمن به عدد من الأنصار، وبايعوه على الإيواء والنصرة، ثم هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، ثم أمره الله بجهاد الدفع ثم بجهاد الطلب، وبدأت المعارك بين رسول الله وبين ألدِّ أعدائه يوم بدر، فنصره الله نصرًا عزيزًا، وقطع الله دابر أعتى أعدائه، وعلى رأسهم فرعون هذه الأمة أبو جهل، ثم واصل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغزوات والسرايا حتى فتح مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النَّصر: ١-٣]، وخيَّر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الدنيا والآخرة، فاختار الرفيق الأعلى، بعد أن أظهره الله وأظهر دينه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وحيث ذكرنا هنا شيئًا من فضائل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلنذكر شيئًا من فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(١).

(١) رواه البخاري في «أحاديث الأنبياء» حديث [٣٤١١]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٣١].

ثـم ذكـرت عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذهاب خديجـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ورقـة بـن نوفـل، وأن ورقة هـذا كان قد تنصر في الجاهلية، وذكرت سـؤاله لرسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسـول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خبر ما رأى، فصدق رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى**».

ويقصـد بالنامـوس المَلَك الذي يـأتي بالوحـي إلى الأنبياء، ومنهم موسـى الكليم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا تصديق منه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال ورقة: «**يا ليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك**»، وهذا تأكيـد منه لإيمانه برسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعـزم منه على نصرتـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لوكان حيًّا وقويًّا حين يخرجه قومه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وورقة هذا واحد من نفر كانوا في الجاهلية على التوحيد.

وثانيهـم- زيـد بن عمرو بـن نفيل، وثالثهم عمرو بن عبسـة السـلمي، كانوا على التوحيـد، ويـرون أن أهل الجاهليـة على ضلال، ويسـتنكرون هذا الضـلال ومنه عبادة الأوثان.

وقد أورد الحافظ ابن حجر اسـم ورقة بن نوفل في «الإصابة» (٦/ ٣١٧-٣١٨)، وذكر أن البغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم عدوه في الصحابة.





٨٧ باب

ذكر صفة النبي ﷺ ونعته في الكتب السالفة من قبله

[٩٧٥] أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية قال: حدثنا عبد الله بن سعد بن إبراهيم قال: حدثنا عمي يعقوب قال: حدثنا أبي، عن الوليد بن كثير، عن ابن حلحلة، عن طلحة بن عبيد الله الخزاعي، أنه سمع أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول: «إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ في بعض الكتب: ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يوقد بالسيئة إذا سمعها، ولكن يطفؤها، بعثته وأعطيته المفاتيح، ليفتح عيونا عميا، ويسمع آذانا وقرا، ويقيم ألسنة معوجة، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله».

[٩٧٦] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن رزق الله الكلوذاني قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال: حدثني أبي، عن الوليد بن كثير المدني، عن محمد بن عمرو بن حلحلة أن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أخبره أنه، سمع أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول: «إنا نجد صفة النبي ﷺ في بعض الكتب اسمه المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يوقد بالسيئة إذا سمعها، ولكن يطفؤها، بعثته

....

وأعطيتـه المفاتيـح، ليفتح الله عَزَّوَجَلَّ به عيونًا عوراء، ويسـمع به آذانًا وقرًا ويحيي به قلوبًا غلفًا، ويقيم به الألسن المعوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»[(١)].

[٩٧٧] وحدثنـا الفريابـي قـال: حدثنا إبراهيـم بن العلاء الزبيـدي الحمصي قـال: حدثنـا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو السـيباني، عن أبي سـلام الدمشـقي، وعمرو بن عبد الله السـيباني، أنهما سمعا أبا أمامة الباهلي: يحدث عن حديـث عمرو بن عبسـة السـلمي قال: رغبت عن آلهة قومـي في الجاهلية ورأيت أنها آلهة باطلة، يعبدون الحجارة ورأيت الحجارة لا تضر ولا تنفع قال: فلقيت رجلا من أهل الكتاب، فسـألته عن أفضل الديـن؟ فقال: يخرج رجل من مكة، ويرغب عن آلهة قومـه، ويدعـو إلى غيرها، وهـو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت بـه فاتبعه، فلم يكن لـي هـم إلا مكة، آتيها أسـأل: هل حدث فيهـا أمر؟ فيقولـون: لا، فأنصرف إلى أهلي وأهلي من الطريق غير جد[(٢)] بعيد فأعترض الركبان خارجين من مكة، فأسـألهم: هل حدث فيها خبر أو أمر؟ فيقولون: لا، فإني لقاعد على الطريق، إذ مر بي راكب فقلت: من أين جئت؟ قال: من مكة، قلت: هل حدث فيها خبر؟ قال: نعم، رجل رغب عـن آلهـة قومه، ودعا إلى غيرهـا، قلت: صاحبي الذي أريد، فشـددت راحلتي، فجئت منزلي الذي كنت أنزل فيه، فسألت عنه؟ فوجدته مستخفيًا شأنه، ووجدت قريشًا عليـه جـرآء، فتلطفت له حتـى دخلت عليه، فسـلمت عليه، ثم قلت: مـا أنت؟ قال:

....

(١) سـاق الآجري حديث أم سـلمة بإسـنادين مدارهما على الوليد بن كثير المخزومي، قال فيه الذهبي في «الكاشـف»: «ثقة»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، عارف بالمغازي»، وفي نفسي منه شيء أخشى أن يكون انتقل ذهنه إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه البخاري في «البيوع» حديث [٢١٢٥]، وفي «التفسير» حديث [٤٨٣٨].

(٢) كذا، ولعل هذه اللفظة معجمة.

«نبي» قلت: وما النبي؟ قال: رسول الله ﷺ: قلت: من أرسلك؟ قال: «الله» قلت: بماذا أرسلك؟ قال: «أن توصل الأرحام، وتحقن الدماء، وتؤمن السبل، وتكسر الأوثان، ويعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» قال: قلت: نعم ما أرسلك به، أشهدك أني قد آمنت بك وصدقت، أفأمكث معك؟ أو ما ترى؟ قال: «قد ترى كراهية الناس لما جئت به، فامكث في أهلك، فإذا سمعت بي خرجت مخرجًا فاتبعني» فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرت حتى قدمت عليه، ثم قلت: يا نبي الله، أتعرفني؟ قال: «نعم أنت السلمي الذي جئتني بمكة، فقلت لك: كذا وكذا، وقلت لي: كذا وكذا»(١) وذكر الحديث.

فقد أورد المصنف هذا الباب في ذكر صفة النبيِّ ﷺ ونعته في الكتب السالفة من قبله، ثم أورد فيه حديث أم سلمة(٢) رضي الله عنها، وحديث أبي أمامة عن عمرو ابن عبسة.

وبالمناسبة نذكر الآيات التي نردِّدها مرارًا من أن ذكر الرسول ﷺ وصفته وصفة أصحابه جاء في الكتب السالفة كما ذكر الله ذلك في آخر سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ هذه صفة رسول الله وأصحابه وذِكرهم في التوراة: ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ أي صفتهم ﴿فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، فهذه صفة محمدٍ ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم في التوراة

---

(١) أصل هذا الحديث في مسلم، وفيه زيادة ونقصان غريبان، راجع صحيح مسلم حديث [٨٣٢] يظهر لك ما قلته.

رواه أحمد (١٧٠١٦-الرسالة)، والطبراني في «مسند الشاميين» [٨٦٣] من طريق ابن عياش به.

(٢) تقدم الكلام قريبًا على حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وفي الإنجيل، يعني وصفهم في التوراة أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم أخلاقهم وتعاملهم فيما بينهم فيها الرحمة -رضوان الله عليهم-، كيف يواجهون الكفار؟ هم أشداء على الكفار رحماء بينهم، كما وصفهم بالركوع والسجود ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، هذا ﴿ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾.

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ يعني في النصرة كانوا في قلَّة وعلى مر الأيام تزايد عددهم حتى صار لهم قوة ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح: ٢٩] **استغلظ:** صار في غاية القوة والتماسك ثم النصرة لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ هذا مثلهم في التوراة والإنجيل.

وفي التوراة أيضًا صفات للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منها ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وحديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ظاهر إسناده الصحة، لكني أخشى أن يكون أحد رجال هذا الإسناد قد وهم فيه؛ لأني أولًا أستبعد أن يكون لأم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عناية بالكتب السابقة، وثانيًا أخشى أن يكون أحد رجال الإسناد قد انتقل ذهنه من عبد الله ابن عمرو إلى أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإن هذا الحديث مشهور عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي كان له عناية بالكتب السابقة، وقد أخرج حديثه البخاري وأحمد وغيرهما[(١)]، وهذا الحديث المنسوب لأم سلمة لا يوجد إلا عند الآجري في هذا الكتاب، وهذا قرينة على وهم أحد رواة هذا الحديث عن أم سلمة ويغلب على ظني أنه الوليد بن كثير، والله أعلم[(٢)].

(١) رواه البخاري في «البيوع»، حديث [٢١٢٥]، وفي «التفسير»، حديث [٤٨٣٨]، وأحمد (٢/ ١٧٤) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٦١-٣٦٢)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ١٦٤-١٦٥رقم١٥٢٢٥-١٥٢٢٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٤٥)، وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٤٧) رقم: [١٤١٠]، وفي «دلائل النبوة» (١/ ٣٧٣-٣٧٥).

(٢) **قلت:** وروى الحديث -أيضًا- أبو إسحاق الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غريب الحديث» (٣/ ١١٣٢) من طريق يعقوب بن إبراهيم عن أبيه به مختصرًا. =

وحديث عمرو بن عبسة أخرجه مسلم وأحمد مع اختلاف في اللفظ والمعنى.

أما حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه»:

«باب: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]؛ قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ونذيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا**».

هذا الحديث أورده البخاري في صحيحه في كتاب البيوع وفي تفسير سورة الفتح بمناسبة هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ [الفتح: ٨]، وكذلك أيضًا ذكر وصف النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ في سورة الأحزاب.

فهذا عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخبرنا أنه وقف على وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة بنص يطابق ما في القرآن ويزيد بعض الصفات.

فقوله تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهد على هذه الأمة في حياته، ويشهد يوم القيامة هو وأمته على

= لكن قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٦/ ٤٧٦) برقم: [٢٦٨٢]: «وَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ حَدِيثٍ؛ رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنِ ابْنِ حَلْحَلَةَ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله بْنِ كُرَيْزٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ تَقُول: - وذكره - قال: قَالَ أَبِي: هَذَا حَدِيثٌ عِنْدِي غَيْرُ مَحْفُوظٍ، وَلا أَحْسَبُ سَمِعَ طَلْحَةُ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ كَلامِ كَعْبٍ».

الأمم التي كذبت رُسلَها، فينكر قومُ نوح أن الله بعث إليهم نوحًا رسولًا، وأنه دعاهم إلى التوحيد، ونبذ الشرك، فاستكبروا وعاندوا وأصروا على الشرك بالله وتكذيب نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيقول الله: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون عليهم، ورسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهد على هذه الأمة ما كان موجودًا فيها؛ كما قال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]، بعض الغلاة يتصوَّرون أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهد على الأمة في هذه الحياة الدنيا وبعد موته وليس الأمر كذلك، والدليل على ما نقول أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكون يوم القيامة واقفًا على حوضه فيأتي قوم فتذودهم الملائكة عن الحوض فيقول: «أصحابي أو يقول أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم قد غيروا وبدلوا بعدك»[1]، فعلم الغيب ليس إلا لله عَزَّوَجَلَّ فرقابته على الناس جميعًا، ثم شهادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته شهادة عامة أنه بلغ، وأنه حصل منهم في حياته كذا وحصل منهم كذا في الجملة، أما الأفراد فهذا ليس إلا لله عَزَّوَجَلَّ، بدليل أنه يخفى عليه بعض المنافقين، قال تَعَالَىٰ في شأنهم: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١] عليه الصلاة والسلام شهد عليهم بالجملة أنه بلغ وأن منهم من كذَّب ومنهم من أسلم وهكذا.

قوله: ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾: مبشرًا المؤمنين بالجنات؛ جنات النعيم والجزاء العظيم والرضوان من رب العالمين.

ونذيرًا للكافرين والمعاندين والمستكبرين؛ ينذرهم بطش الله عَزَّوَجَلَّ بالعذاب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

---

(١) سبق تخريجه.

قولـه: «وَحِـرْزًا لِلأُمِّيِّـينَ»: حصـن يحميهـم بهذه الرسـالة مما يتسـبب في إدخالهم النار ويتسـبب في سـخط الله عليهم وما شاكل ذلك؛ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَـا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَـرَّ مَـا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(١)، فهـذه وظيفة الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنهم يبلغون أمتهم خير ما يعلمونه لهم وينذرونهم شر ما يعلمونه لهم.

وفي الحديث الآخر عن النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُـلٍ اسْـتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الـدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِـذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ**»(٢) أو كما قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فهو يحمي الأمة بقدر ما يستطيع بهديه وتوجيهه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما جاء به الكتاب والسنة مما يعلي درجات العباد عند الله عَزَّوَجَلَّ ويجازي عليه أعظم الجزاء، وكذلك ينذرهم شرَّ المعـاصي والكفـر والذنـوب وما شـاكل ذلك، وكثير مـن الناس يتفلتون والرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسـك بحجزهم بهذا العلم وبهذه الحكمة وبهذه الحجج والبراهين يبين لهم الطريق وينير لهم السَّبيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله: «أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي»: وهذا أعلى وصف للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ العبودية، كل مـا كَمُـل فيها العبـد كان أعلى درجةً عند الله عَزَّوَجَلَّ، أنت عبدي ورسـولي، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] يعنـي هذه أفضل مناسـبة وُصِف فيها رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية، وكلَّما يكون الإنسـان موغـلًا في العبوديـة لله عَزَّوَجَلَّ كلما يكون أقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه عبودية خاصة، الناس

(١) رواه مسلم في «الإمارة» حديث [١٨٤٤].

(٢) رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٤٨٣]، ومسلم في «الفضائل» حديث [٢٢٨٤].

كلهم عبيده كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مَرْيَمَ: ٩٣]، لكن عبودية محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي نوَّه بها هي عبودية خاصة شرَّف الله بها محمدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا يُنوَّه بها عند الوحي وعند الإسراء وفي المنازل والمناقب العالية، هذا مع شرف الرسالة التي ختم بها الرسالات.

قوله: «سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ»: هذا من أسمائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المتوكل على الله المعتمد على الله في قمة التوكل ويُربِّي أُمَّتَه على التوكل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يصبر يتوكل على الله يواجه الأعداء يجاهد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ محتسبًا متوكلًا معتمدًا على الله عَزَّوَجَلَّ واثقًا بما وعده به ربه عَزَّوَجَلَّ من النصر والحماية كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المَائِدَة: ٦٧].

قوله: «لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ»: وهذا كما في القرآن: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩] هذا طبعه الذي خلقه الله عليه وميَّزه به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد يأمره بالشدة والغلظة على المنافقين عند الحاجة وعند الضرورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التَّوْبَة: ٧٣] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأما طبعه الشريف وصفته العظيمة التي جبله الله عليها هي هذا الخلق العظيم الذي شهد الله له به: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القَلَم: ٤] وقوله هنا: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩] فيعني حثه على الشدَّة على الأعداء هذا في ظروف ومناسبات، حتى في مواجهة الأعداء أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر ومقابلة السيِّئة بالتي هي أحسن: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النَّحْل: ١٢٥]، ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤]، فهذا اللجوء إلى الشدَّة والغلظة يعني في مواجهة أقصى ما يكون من الاستكبار والعناد والتحدي.

أما وصفه الثابت فالأخلاق العالية من الصبر والحلم والحكمة والرفق، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يلحقه أحد في هذه الأشياء، فهو أسوتنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فعلينا أن نسلك طريقه وأن نتخلَّق بأخلاقه، ومن عنده ضعف في الأخلاق هذه فليُربِّ نفسه على هذه الأخلاق العالية، فيبتعد عن الفظاظة والغلظة وما شاكل ذلك، ويتحلَّى بمكارم الأخلاق التي حلَّى الله بها رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر هذه الأمة أن تقتدي به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

والشدة مطلوبة عند الضرورة والحاجة على الكفار والمنافقين وأهل البدع المعاندين.

قوله: «وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ»: يعني الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدخل في الأسواق لحاجته، لكن لا يصيح ويسخب فيها، بل هو يتحلى بأكمل الأخلاق، ما يرفع صوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، السخاب رفيع الصوت في الخصومة وما شاكل ذلك، فهذه ليست من الأخلاق الطيبة، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، وهذا في وصية لقمان لابنه، أكثر الناس يتصايحون في الأسواق ويتخاصمون ويتهاترون وقد يتضاربون، فالمسلم يجب عليه أن يربأ بنفسه عنها ويجب عليه أن يتحلى بالأخلاق العالية، وهي صفة رسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وصفه الله بها في التوراة والإنجيل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

واليهود والنصارى يعلمون هذا قاتلهم الله؛ أحبارهم يعرفون هذا ومتأكدون منه حق التأكد؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] كما يعرف الرجل ابنه يعرفون أن هذا محمد بن عبد الله الذي بعثه الله من قلب الجزيرة من مكة ومن بني هاشم ووصفه وصفه وحاله حاله كما في هذه الصفات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومع ذلك

يكذِّبونـه ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ٩]، وكثيرٌ مـن الناس عندهم هذه الصفات يعلم أن عنـد خصمه الحق وأنه على الباطل فيستكبر ويعاند، فهذه والله ليست من صفات المؤمنين، وإنما من صفات اليهود والنصـارى وغيرهم من أعـداء الله، كما قال الله تَعَالَىٰ في عتاة قريش: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] يعرفـون أن محمـدًا صـادق، وأن مـا جاء بـه حـق؛ القرآن الذي أوحي إليه من عند الله، وأنـه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بسـورة من مثله لا يمكنهم أبدًا، ومع ذلك قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣]، والجحـود هـو إنـكار الحق والتكذيب به مـع معرفة الجاحد واستيقانه أنه حق.

«وَلا يَدْفَـعُ السَّـيِّئَةَ بِالسَّـيِّئَةِ»: كما علمه ربُّه علمـه الله في القرآن: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت : ٣٤] ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦]، فالرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصل طريقته ومنهجه أنه لا يدفع السـيئة بالسـيئة، وإنما يدفع السـيئة بالحسـنة، وصفـه الله بها في الكتـب السـابقة، وهذا واقعـه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فكم صـبر على الأذى وكـم وكم صبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن حلمه أنه لما آذته قريش بعد موت خديجـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعمـه أبي طالب ذهب إلى ثقيف يدعوهم إلى الإسـلام ويسـتنصرهم، فخذلوه وسـلَّطوا عليه السـفهاء يرمونه بالحجارة فخرج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلم يسـتفق إلا وهو بقرن الثعالب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلم يسـتفق من شـدة ما لاقى من الأذى والسـخرية عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأرسـل الله إليه جبريل ومَلَك الجبال، قال: «**إن الله أرسـلني إليك وهذا ملك الجبال فمره بما شئت فسلَّم عليه، فبادره مَلَك الجبال بالسَّلام فسلَّم عليه وقال:**

إن الله أمرني أن أطيع أمرك أو كما قال: **فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**»، قال: «**لا إني أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم قومًا يعبدون الله ولا يشركون به شيئًا**»(١) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكم له من المواقف يعفو فيها ويصفح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولما فتح مكة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عفا عن أهلها الذين آذوه وأخرجوه، ولم يستثن إلا أربعة من الناس، ومع ذلك عفا عن بعضهم(٢)، وعن بقية قريش ومنهم صناديدهم الذين آذوه وقاتلوه في بدر وفي أحد وفي الأحزاب وفي غيرها، قال لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما معناه: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» والرواية ضعيفة، لكن -والله أعلم- مواقفه تنطبق عليها هذه الرواية عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) روى أبو داود في «الجهاد» حديث [٢٦٨٣]، والنسائي في «تحريم الدم» حديث [٤٠٦٧] عن سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلاَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ: «**اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ**»: عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ الله بْنُ خَطَلٍ وَمِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ الله بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَأَمَّا عَبْدُ الله بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا - وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ - فَقَتَلَهُ. وَأَمَّا مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا؛ فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَا هُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَالله لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلاَّ الإِخْلاَصُ لاَ يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللهمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا. فَجَاءَ فَأَسْلَمَ. وَأَمَّا عَبْدُ الله بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا رَسُولَ الله بَايِعْ عَبْدَ الله. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاَثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ**». فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ الله مَا فِي نَفْسِكَ هَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ: «**إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ**». واللفظ للنسائي وصححه الألباني؛ انظر: «صحيح النسائي» [٤٠٦٧] و«الصحيحة» [١٧٢٣].

قال لقريش: «ماذا تظنون أني صانع بكم؟» قالوا: «أخ كريم وابن أخ كريم» عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» لكن الرواية ضعيفة(١)، لكن هذا هو الواقع والحال لم تثبت إسنادًا، لكن معناها صحيح.

قوله: «وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»: عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهذا من أخلاقه الكريمة التي شهد الله له بها هذا في التوراة وفي الإنجيل.

«وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ»: كان العرب على الشرك وعبادة الأوثان فأخرجهم الله به من هذه الملة العوجاء المنحرفة من الشرك إلى التوحيد، ومن الأخلاق الذميمة والعادات السيئة والفتن والملاحم والمشاكل بينهم، أخرجهم الله عَزَّوَجَلَّ إلى هذه الحياة الطيبة التي قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهم كانوا في ضلال مبين في كل النواحي عقائديًا وأخلاقيًا وواقعًا، الرجل يئد بنته ولا يرحمها ويئد ابنه، وشرك وضلال، وأخلاق رديئة، ومع هذا أخرج الله منهم خير أمَّة أُخرجت للناس بسبب هذا النبيِّ الكريم وما جاء به من القرآن العظيم والهدى المستقيم.

---

(١) ذكرها ابن إسحاق في «السيرة» - مختصر ابن هشام- (٢/ ٤١٢-السقا) فقال: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام على باب الكعبة فقال: فذكر خطبة مطولة، وفيها قوله: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» إلى آخرها. قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وذكره في «الضعيفة» (٣/ ٣٠٧-٣٠٨) رقم: [١١٦٣] «هذا سند ضعيف مرسل. لأن شيخ ابن إسحاق فيه لم يسم، فهو مجهول. ثم هو ليس صحابيًّا، لأن ابن إسحاق لم يدرك أحدًا من الصحابة، بل هو يروي عن التابعين وأقرانه، فهو مرسل أو معضل».

قولـه: «فَيَفْتَـحَ بِهَا أَعْيُنًـا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّـا وَقُلُوبًا غُلْفًـا»: كانت عندهم آذان لكن لا يسـمعون بهـا الحق ولا يدركون بها الحـق، ففتح الله به القلـوب والآذان، وبصَّر الله به العيون، فعرفت الحق وسمعت الحق واهتدت بالحق وقبلته وأخرج منهم خير أمة أُخرجت للناس كما وصفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فاحفظوا هذا الحديث وطبِّقوه.

البخاري سـاق هذا الحديث في تفسـير سـورة الفتح، وسـاقه في كتـاب البيوع من أجل هذا الوصف «**وَلَا سَـخَّابٍ فِي الْأَسْـوَاقِ**»: يعني البخاري يريد أن يتأدب المسـلمون بهذا الأدب فيتحلون بهذه الصفات التي وصف الله بها رسـوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الكتب السابقة.





باب

ذكر صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة والإنجيل وقد أمروا باتباعه في كتبهم

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: قد تقدم ذكرنا لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الصف: ٦]

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

قد علمت اليهود: أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي، وأنه مرسل، وأنه واجب عليهم اتباعه، وترك دينهم لدينه، وواجب عليهم بيان نبوته لمن لا كتاب عنده من المشركين، وكانوا قبل أن يبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقاتلون العرب، وكانت تهزم اليهود، فتقول اليهود بعضهم لبعض: تعالوا حتى نستفتح قتالنا للعرب بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي نجده مكتوبًا عندنا أنه يخرج نبي من العرب، وكانوا إذا التقوا

....

قالوا: اللهم بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أنك تخرجه إلا نصرتنا عليهم، فأجابهم الله عَزَّوَجَلَّ، فنصر اليهود على العرب، فلما بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفروا به، حسدًا منهم له على علم أنه نبي حق، لا شك به عندهم، فلعنهم الله عَزَّوَجَلَّ، فأنزل الله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

[٩٧٨] أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، وكلما التقوا هرب اليهود فعاد اليهود يومًا في الدنيا، فقالوا: اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أنك تخرجه لنا في آخر الزمان، إلا نصرتنا عليهم، قال: وكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كفروا به، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]»[(١)].

....

(١) هذا الحديث المنسوب إلى ابن عباس ضعيف جدًّا، في إسناده عبد الملك بن هارون عن أبيه، «قال الدارقطني: ضعيف. وقال يحيى بن معين في عبد الملك: كذاب، وقال أبو حاتم: متروك، ذاهب الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث» انظر: «الميزان» (٢/ ٦٦٦)، ومعنى الحديث باطل، لا سيما التوسل.

رواه الحاكم في «المستدرك» [٣٠٤٢]، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٦-٧٧) من طريق عبد الملك بن عنترة به.

وقال الحاكم: «أَدَّتِ الضَّرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهِ فِي «التَّفْسِيرِ» وَهُوَ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِهِ».

فتعقبه الذهبي: «لا ضرورة في ذلك أي لإخراجه؛ فعبد الملك متروك هالك».

[٩٧٩] وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي، قال: «حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود ابن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان بين أبياتنا رجل يهودي، فخرج علينا ذات يوم غداة ضحى، حتى جلس إلى بني عبد الأشهل في ناديهم، وأنا يومئذ غلام شاب، علي بردة لي، مضطجع بفناء أهلي، فأقبل اليهودي، فذكر البعث والقيامة، والجنة والنار، وكان القوم أصحاب وثن لا يرون حياة تكون بعد الموت، فقالوا: ويحك يا فلان، أترى هذا كائنًا: أن الله عَزَّوَجَلَّ يبعث العباد بعد موتهم إذا صاروا ترابًا وعظامًا؟ وأن غير هذه الدار يجزون فيها بحسن أعمالهم وسيئها، ثم يصيرون إلى جنة أو نار؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، وايم الله لوددت أن حظي من تلك النار وأنجو منها: أن يسجر لي تنور في داركم، ثم أجعل فيه، ثم يطبق علي، قالوا له: وما علامة ذلك؟ قال: نبي يبعث الآن، قد أظلكم زمانه، يخرج من هذه البلاد، وأشار إلى مكة، قالوا: ومتى يكون ذلك الزمان؟ قال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فما ذهب الليل والنهار، حتى بعث الله عَزَّوَجَلَّ رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن اليهودي لحيٌّ بين أظهرنا، فآمنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقناه، وكفر به اليهودي، وكذب به، وكنا نقول له: ويلك يا فلان، أين ما كنت تقول؟ فيقول: إنه ليس به؛ بغيًا وحسدًا»[(١)].

---

(١) إسناده حسن: فيه أحمد بن المقدام وصفه الذهبي في «الكاشف» بقوله: «الثقة». وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق». وفيه ابن إسحاق مدلس، لكنه صرّح هنا بالتحديث، فانتفت شبهة التدليس، فهذا الحديث حسن كما قلنا.

الخبر في «السيرة» لابن إسحاق -مختصره- (١/ ٢١٢-السقا) قال: حدثني صالح بن إبراهيم به. =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: فأكثر اليهود كفروا، والقليل منهم آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل عبد الله بن سلام، وبعده كعب الأحبار.

[٩٨٠] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث قال: حدثني أبي، عن جدي، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال عن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام أنه كان يقول: «إنا لنجد صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويتجاوز، لن أقبضه حتى يقيم الله الألسنة المتعوجة، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، يفتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا»(١).

....

= ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ١١/ ١٩٥٥)، والطبراني [٦٣٢٧] عن أحمد بن عبدة الضبي عن وهب بن جرير به مثله.

ورواه أحمد في «المسند» (١٥٨٤١-الرسالة)، والحاكم في «المستدرك» [٥٧٦٤]، والطبراني (٦٣٢٦، ٦٣٢٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٧٤-٧٥) برقم: [٣٤]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٨-٧٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٦٨-٦٩). وصححه الحاكم على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

(١) قول عبد الله بن سلام حسن أو صحيح، فيه سعيد بن أبي هلال.

قال فيه الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٦٢) «ثقة، معروف حديثه في الكتب الستة، قال ابن حزم وحده: ليس بالقوي». وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق، لم أرَ لابن حزم في تضعيفه سلفًا إلا أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط». ويشهد له حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي سبق ذكره، ويؤكد صحته ما نقله المؤلف عن كعب الأحبار.

رواه الدارمي في «دلائل النبوة» حديث [٦]، والطبراني (١٣/ ١٦٥/ ٣٩٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٧٦)، وفي «الاعتقاد» (ص٢٥٦-الكاتب) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال بن أسامة عن عطاء به مثله.

قال عطاء بن يسار: وأخبرني أبو واقد الليثي: أنه سمع كعب الأحبار يقول: ما قال ابن سلام.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما النصارى، فقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على من آمن منهم بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فأثنى عليهم عَزَّوَجَلَّ بأحسن ما يكون من الثناء.

[٩٨١] حدثنا أبو بكر عمرو بن سعد القراطيسي قال: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢] قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكة، يخاف على أصحابه من المشركين، فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعفر بن أبي طالب و عبد الله بن مسعود و عثمان بن مظعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة، فلما بلغ ذلك المشركين، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم، ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي، فقالوا له: إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها، زعم أنه نبي، وأنه بعث إليك رهطًا ليفسدوا عليك قومك، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم، فقال: إن جاؤوني نظرت فيما تقولون، فقدم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتوا إلى باب النجاشي فقالوا: استأذن لأولياء الله، فقال: ائذن لهم، مرحبًا بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال له الرهط من المشركين: ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك، وأنهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيي بها؟ فقال لهم: ما منعكم أن تحيوني بتحيتي؟ فقالوا: حييناك بتحية أهل الجنة، وتحية الملائكة، فقال لهم:

مـا يقـول صاحبكم في عيسـى وأمه؟ قالوا: يقول: هو عبـد الله وكلمة من الله وروح منـه، ألقاهـا إلى مريم، ويقول في مريم: إنها العذراء، الطيبة البتول، فأخذ عودًا من الأرض فقـال: ما زاد عيسـى وأمـه على ما قال صاحبكم فوق هذا العود شـيئًا، فكره المشركون قوله، فتغيرت وجوههم، فقال؟ هل تعرفون شيئًا مما أنزل عليكم؟ فقالوا: نعم، قال: اقرؤوا، فقرؤوا وحوله القسيسـون والرهبان، كلما قرؤوا تحدرت دموعهم ممـا عرفوا من الحـق، قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٣] بمحمد وأمته»[١].

٩٨٢- وأخبرنا إبراهيم بن موسى الخوزي قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا عمرو بن حمران، عن سـعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ إلى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال: «أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يؤمنون به، وينتهون إليـه، فلمـا بعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقوه وآمنوا به، وعرفوا أن الذي جاء به الحق من الله، فأثنى الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بما تسمعون»[٢].

(١) قـول ابن عباس فيه ضعف يحتمل التحسـين؛ لأنه من رواية عـلي بن أبي طلحة وهي صحيفة ظاهرها أنها مرسـلة، لكن تبين أن الواسـطة بينهما ثقة، إما مجاهد وإما سعيد بن جبير، ولأن عبد الله بن صالح ومعاويـة بـن صالـح وإن كان فيهما بعض الضعف قد تـداولا هذه الصحيفة الجيدة التـي أثنى عليها الإمام أحمد واعتمدها البخاري فيما يعلقه عن ابن عباس في «صحيحه».
والأثر رواه الطبري في «تفسـيره» (١٠/ ٤٩٩-٥٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤) من طريق أبي صالح به.

(٢) **أثـر صحيـح**: وإسـناد المصنف لا بـأس به. فيه عمرو بن حمـران، قال أحمد: صالـح الحديث. «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٢٧).
=

[٩٨٣]حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب البصري قال: حدثنا محمد بن عمر الجبيري -من ولد جبير بن مطعم - قال: حدثتني أم عثمان بنت سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيها، عن أبيه قال: سمعت جبير بن مطعم يقول: «لما بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وظهر أمره بمكة، خرجت إلى الشام، فلما كنت ببصرى أتاني جماعة من النصارى، فقالوا: أمن أهل الحرم أنت؟ قلت: نعم، قالوا: أتعرف هذا الرجل الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم، فأدخلوني ديرًا لهم، فيه تماثيل وصور، فقالوا: انظر، هل ترى صورة هذا الذي بعث فيكم؟ فقلت: لا أرى صورته، فأدخلوني ديرًا لهم أعظم من ذلك الدير، فقالوا: هل ترى صورته؟ فرأيت، فقلت: لا أخبركم حتى تخبروني، فإذا أنا بصفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصورته، وصفة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصورته، آخذ بعقب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا لي: هل ترى صورته؟ فقلت: نعم، وقلت: لا أخبركم حتى أعرف ما تقولون، قالوا: أهو هذا؟ قلت: نعم، قالوا: أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم، قالوا: نشهد أن هذا صاحبك، وهذا الخليفة من بعده»[1].

....

= رواه الطبري (١٠/ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد به.

(١) **حديث ضعيف**؛ لأن في إسناده عبد الله بن شبيب الربعي، قال فيه الذهبي: «أخباري علامة، لكنه واهٍ، قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث....، قال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسرقها»، «الميزان» (٢/ ٤٣٨)، وفي الإسناد أم عثمان بنت سعيد: مجهولة.

رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٤٩-٥٠) برقم: [١٢]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٨٤-٣٨٥) من طريق عبد الله بن شبيب به.

ورواه الطبراني في «الأوسط» [٨٢٣١]، وفي «الكبير» [١٥٣٧]، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٤٩-٥٠) برقم: [١٢]، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٨٤-٣٨٥) من طريق مُحَمَّد بْن عُمَر الْجُبَيْرِي به نحوه.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذكرت قصة هرقل ملك الروم، ومساءلته لأبي سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلم أنه حق، وقصة دحية الكلبي لما بعثه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيصر صاحب الروم، ثم أحضر له أسقفًا من عظماء النصارى، فلما وصف دحيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آمن به القس، وعلم أنه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يجدونه في الإنجيل، فقتله النصارى، وعلم قيصر أنه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجزعت نفسه من القتل، فقال لدحية: أبلغ صاحبك أني أعرف أنه نبيٌّ، ولكني لا أترك ملكي، وقد ذكرت قصة سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وخدمته للرهبان، وقصة الراهب الذي عرفه صفة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه يبعث من مكة وأمره أن يتبعه، وكان كذلك ثم أسلم سلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد ذكرت جميع ذلك في فضائله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذكرت تصديق الجن والشياطين، وإخبارهم لأوليائهم من الأنس بمبعث النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن جماعة من العرب، وهجروا الأصنام، وحسن إسلامهم.

هذا الباب عقده الإمام الآجري لبيان أن صفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجودة في التوراة والإنجيل، وساق لبيان ذلك آيتين من كتاب الله، آية الأعراف، وفيها التصريح بأن أهل الكتاب يجدون النبيَّ الأمي مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وفي الآية أن بعض أهل الكتاب يتبعونه، وهم القليل، ومنهم عبد الله بن سلام، الذي كان من اليهود، واتبعه كثير من النصارى ومنهم النجاشي.

وذكر الآجري أن اليهود يعلمون أن محمدًا رسول الله، وأنه واجب عليهم الإيمان به واتباعه، وهذا ما يعتقده كل مسلم، ولكن اليهود رغم معرفتهم الأكيدة بأن محمدًا رسول الله كفروا به وعادوه وأتباعه أشد العداوة، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ

....

عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقد أورد الآجري آثارًا فيها ما هو حسن وفيها ما هو واه شديد الضعف، ومعناه منكر، كالأثر المنسوب إلى ابن عباس الذي في إسناده عبد الملك بن هارون عن أبيه، وقد تقدم الكلام في بيان ضعفهما، لا سيما عبد الملك يرى بعض الأئمة أنه كذاب.

ويتعلق بروايته هذه الخرافيون الذين يجيزون التوسل بالأشخاص كقولهم: اللهم بحق فلان، كما أن لعبد الملك بن هارون حديثًا آخر عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق أتى النبي ﷺ فقال: «إنني أتعلم القرآن ويتفلت مني، فقال له رسول الله ﷺ: قل: «**اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وبإبراهيم خليلك، وبموسى نجيك، وعيسى روحك وكلمتك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد وبكل وحي أوحيته وقضاء قضيته**» وذكر تمام الحديث.

أورده شيخ الإسلام في كتابه «التوسل والوسيلة» ص: [٢١٨] بتحقيقي.

ثم ذكر من رواه من أهل الكتب الذين يروون في كتبهم الأحاديث الموضوعة، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ص: [٢١٩]:

«**قلت:** عبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب.

قال يحيى بن معين: هو كذاب.

وقال السعدي: دجال كذاب.

وقال أبو حاتم ابن حبان: يضع الحديث.

وقال النسائي: متروك.

وقال البخاري: منكر الحديث.

وقال أحمد بن حنبل: ضعيف. وقال ابن عدي: له أحاديث لا يتابعه عليها أحد.

وقال الدارقطني: هو وأبوه ضعيفان.

وقال الحاكم في كتاب المدخل: عبد الملك بن هارون بن عنترة الشيباني روى عن أبيه أحاديث موضوعة».

أقول: وكأن هذا الكذاب مولع بوضع الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكأن الخرافيين مولعون بالتعلق بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويتخذون ما تحويه من الأباطيل دينًا، وفي الوقت نفسه يعرضون عن المنهج الحق في العقيدة والعبادة، وما أكثر ضلالاتهم التي منها تعطيل صفات الله، ومنها ما يصادمون به توحيد عبادة الله وذلك بوقوعهم في الشرك بالله، كدعائهم واستغاثتهم بغير الله، لا سيما في الشدائد، وكذبحهم ونذرهم لغير الله، ومنها التوسل بغير أسماء الله وصفاته.

والمشروع التوسل بأسماء الله وصفاته كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكالتوسل بالعمل الصالح كما في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة سدت عليهم باب الغار، فتوسل كل واحد منهم بعمله الصالح، فاستجاب الله دعاءهم.

وكالتوسل بدعاء الرجل الصالح عند الحاجة إلى ذلك كما كان الصحابة يستشفعون برسول الله صلى الله عليه وسلم فيدعو لهم الله، وكما كان عمر رضي الله عنه يتوسل بدعاء العباس في الاستسقاء، وهذا من التوسل بدعاء الشخص لا بذاته.

وقد ألّف شيخ الإسلام كتابًا بيّن فيه بيانًا شافيًا للتوسل المشروع والتوسل الممنوع بالأدلة والبراهين، فجزاه الله عليه أحسن الجزاء.

والمسلمون لا يحتاجون إلى الروايات الضعيفة لإثبات أن صفة رسول الله ﷺ كانت موجودة في الكتب السابقة، فقد بيّن الله ذلك في كتابه، يعلم ذلك المؤمنون وأهل الكتاب، ومن قرأ كتب أهل الكتاب من المسلمين كعبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



باب ١٩

ذكر كيف كان ينزل الوحي على الأنبياء وعلى محمد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين

[٩٨٤] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى الزمن قال: حدثنا حجاج بن منهال قال: حدثنا عبد الله بن عمر النميري، عن يونس بن يزيد الأيلي قال: سمعت الزهري وسئل عن هذه الآية عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١] قال: «نزلت هذه الآية تعم من أوحي إليه من النبيين، والكلام كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي كلم به موسى، من وراء حجاب، والوحي: ما يوحي الله عَزَّوَجَلَّ إلى النبي من أنبيائه، فيثبت الله عَزَّوَجَلَّ ما أراد من وحيه في قلب النبي، يتكلم به النبي ويبينه، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ ووحيه، ومنه ما يكون بين الله ورسوله، لا يكلم به أحد من الأنبياء أحدا من الناس، ولكنه سر غيب بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين رسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء، ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرون بكتابته، ولكنهم يحدثون به الناس حديثا ويبينون لهم أن الله عَزَّوَجَلَّ أمرهم أن يبينوه للناس ويبلغوهم، ومن الوحي ما يرسل الله تَعَالَىٰ من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته، فيكلمون أنبياءه من الناس، ومن الوحي ما يرسل به من يشاء فيوحون به وحيا في قلوب من يشاء من رسله، وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ أنه يرسل جبريل

....

عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧]، وذكر أنه الروح الأمين قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]»[(١)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا قول الزهري في معنى الآية، وقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هو أبين مما قاله الزهري، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وقد سأله الحارث ابن هشام، كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحيانًا في مثل صلصلة الجرس، فيفصم عني، وقد فهمت ووعيت ما قال، وأحيانا في مثل صورة الرجل فيكلمني، فأعي ما يقول».

وعن ابن عباس، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبيه بهذا.

[٩٨٥] وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سأل الحارث بن هشام النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحيانًا في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد فهمت ووعيت ما قال، وأحيانًا في مثل صورة الرجل، فيكلمني فأعي ما يقول»[(٢)].

---

(١) إسناد كلام الزهري حسن يحتمل الصحة. رجاله ثقات إلا عبد الله بن عمر النميري، قال فيه الحافظ الذهبي: «ثقة». وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق ربما أخطأ».
رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» -الحاشدي-(١/ ٤٩٦-٤٩٧) من طريق ابن المثنى به.

(٢) الحديث بهذا الإسناد حسن، لكن المتن صحيح، متفق عليه.
أخرجه البخاري في «الوحي» حديث [٢]، وفي «بدء الخلق» حديث [٣٢١٥]، ومسلم في «الفضائل» =



[٩٨٦] حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا خالد بن عبد الرحمن قال: حدثنا إبراهيم بن عثمان، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس: عن النبي ﷺ قال: «من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون بذلك نبيا، وكان منهم من ينفث في أذنه وقلبه فيكون بذلك نبيًّا، وإن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتيني فيكلمني كما يكلم أحدكم صاحبه»[1].

٩٨٧- حدثنا أبو أحمد هارون بن يوسف قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: رأيت رسول الله ﷺ واضعًا يده على معرفة فرس قائمًا يكلم دحية الكلبي، قالت: فقلت: يا رسول الله رأيتك واضعًا يدك على معرفة فرس قائمًا تكلم دحية الكلبي قال: «وقد رأيتيه؟» قلت: نعم قال: «فذلك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يقرئك السلام»، فقلت: وعَلَيْهِ السَّلَامُ ورحمة الله وبركاته، جزاه الله خيرًا من صاحب ودخيل، فنعم الصاحب ونعم الدخيل».

٩٨٨- وحدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني عبد الله بن عمر، عن عبد الرحمن بن القاسم،

= حديث [٢٣٣٣] من طرق عن هشام بن عروة به نحوه.

(١) **ضعيف جدًّا** في إسناده إبراهيم بن عثمان أبو شيبة الكوفي: متروك، قال الذهبي في «الكاشف»: ترك حديثه، وقال البخاري: سكتوا عنه»، وقال الحافظ: متروك الحديث.

رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٨٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ١٦٧-١٦٨) من طريق هشام بن عمار به.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٧١) من طريق خالد بن عبد الرحمن به. وقال: «ولخالد هذا أحاديث غير ما ذكرته، وفي بعض أحاديثه إنكار وعامة ما ينكر من حديثه قد ذكرته على أن يَحْيى بن مَعِين قد وثقه، وأرجو أن ما ينكر من حديثه إنما هو وهم منه أو خطأ».

عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: رأيت رجلًا يوم الخندق على صورة دحية الكلبي على دابة، يناجي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليه عمامة سوداء قد أسدلها خلفه، فسألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ذاك جبريل أمرني أن أخرج إلى بني قريظة»(١).

[٩٨٩] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا عباس العنبري قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن عامر، عن حارثة بن النعمان قال: مررت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه رجل جالس يحدثه في المقام، فسلمت عليه ثم

....

(١) حديثا عائشة في إسناد الأول- منهما مجالد بن سعيد، قال فيه الذهبي: «وضعّفه ابن معين، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ثقة»، وقال الحافظ: «ليس بالقوي».

رواه الحميدي في «مسنده» [٢٧٩]، وأحمد في «المسند» (٢٤٤٦٢-الرسالة) وفي «فضائل الصحابة» [١٦٣٥]، والطبراني (٢٣/ ٣٦/ ٩٠) من طريق سفيان به.

ورواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [٣٠١٣]، والطبراني (٢٣/ ٣٨/ ٩٥)، والحاكم في «المستدرك» [٦٧٢٢] من طريق مجالد به نحوه.

والحديث متفق عليه بلفظ مختصر: فرواه مسلم في «الفضائل» حديث [٢٤٤٧] من طريق الشعبي عن أبي سلمة عن عائشة أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «إِنَّ جِبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله.

وبنحو هذا اللفظ أخرجه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢١٧]، ومسلم في «الفضائل» حديث [٢٤٤٧] كلاهما من طريق الزهري عن أبي سلمة به.

وفي الإسناد الثاني- عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري، ضعيف عابد، قاله الحافظ ابن حجر، وقال الذهبي فيه في «الكاشف» قال ابن معين: صويلح، وقال ابن عدي: «لا بأس به صدوق».

ورواه الحاكم في «المستدرك» [٧٤١٢] من طريق ابن وهب به. ورواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [٥٤٨]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٤٦-الرشد) من طريق سعيد بن أبي مريم عن العمري به. وللعمري فيه شيخ آخر، فرواه أحمد (٢٥١٥٤، ٢٥١٨٦)، والطبراني في «الأوسط» [٨٨١٨] والحاكم في «المستدرك» [٤٣٣٢]، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» [٤٣٥] من طريق العمري عن أخيه عن القاسم به نحوه. والحديث حسن لغيره، لتعاضد الإسنادين.

جزت، فلما رجعت انصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: هل رأيت الرجل الذي كان معي؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام»(١).

[٩٩٠] وحدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا عبد الله ابن جعفر الرقي قال: حدثنا عبيد الله يعني ابن عمرو، عن إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله، كلهم عن عائشة قصة حديث الإفك بطوله إلى قولها: فاضطجعت على فراشي، والله يعلم أني بريئة، والله يبرئني ببراءتي، ولكن لم أكن أرجو أن ينزل الله عَزَّوَجَلَّ في شأني وحيا يتلى، لشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عَزَّوَجَلَّ في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يري الله عَزَّوَجَلَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في منامه رؤيا يبرئني الله عَزَّوَجَلَّ بها قالت: فوالله ما رام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي ينزل عليه قالت: فلما سري عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أما الله عَزَّوَجَلَّ فقد برأك» وذكر قصة نزول الآيات في الرد على أهل الإفك وذكر الحديث إلى آخره(٢).

....

(١) حديث صحيح: رواه معمر في «الجامع» (١١/ ٢٨٢-المصنف)، ومن طريقه: أحمد في «المسند» (٢٣٦٧٧-الرسالة)، وفي «فضائل الصحابة» [١٥٠٨]، وعبد بن حميد (٤٤٦-المنتخب)، والطبراني [٣٢٢٦] وغيرهم.

(٢) حديث صحيح، وهو جزء من حديث طويل اتفق عليه البخاري ومسلم.

فأخرجه البخاري في «الشهادات» حديث [٢٦٦١]، وفي «المغازي» حديث [٤١٤١]، وفي «التفسير» [٤٧٥٠]، ومسلم في «التوبة» حديث [٢٧٧٠] من طرق عن الزهري به.

فهذا واحد من الأبواب التي عقدها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فضائل نبينا محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى سائر النبيين وهو كيف كان ينزل الوحي على الأنبياء وعلى نبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين.

ساق هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، وساق الأحاديث في هذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس والله أعلم حيث يجعل رسالته، يختار الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أشرف أنساب أقوامهم عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأعلاهم أخلاقًا وأشرفهم نفوسًا، ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشأ على هذه الصفات العظيمة وغيرها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واصطفاه الله واختاره رحمة للعالمين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي الوحي للأنبياء آيات كثيرة منها ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في سورة النساء وما ذكره في سورة الأنعام وما ذكره في سورة فاطر وما ذكره في غيرها من السور، ذكر الله هؤلاء الأنبياء الذين شرَّفهم الله بالنبوة والرسالة عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذكر قَصَصهم في كثير من السُّوَر قصة نوح وقصة هود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى، فكما ذكر الله ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ففي هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ – ١٦٥]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من رحمته بعث إلى البشر رسلًا يبلِّغونهم رسالات الله يبيِّنون لهم طرق الهدى من طرق الضلال، ويدلونهم على كل خير، ويحذِّرونهم من كل

شر يَعْلَمُونـه لهـم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهم أنصح الناس وكان النبـي منهم، يقول: إني لكم ناصح أمين عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحرص الناس على ما ينفع عباد الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا الرسول يصفه ربه بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] هذه من صفاته الكثيرة العظيمة التي تحلَّى بها وحلاَّه بها ربه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

في هـذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]: يعنـي بـيَّن فيه أنواع الوحي: منها أنه لا يكلِّم الرسـولَ إلا وحيًا وهو النفث في الروع؛ يوحي الله إلى النبيِّ من أنبيائه بدون واسطة ملك يوحي إلى هذا الرسول بما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا نوع.

النوع الثاني- ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] كما كلَّم الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكلَّـم محمـدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلَّم موسـى من وراء حجـاب فسـمع كلام الله عَزَّوَجَلَّ، كما في قولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وفي قولـه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن رؤيـة الله في الدنيا غير واقعة وإن كانت ممكنـة لكنهـا لا تقـع؛ لأن الله أراد هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا اعتبر سـؤال رؤيـة الله من بني إسرائيل جريمة من أكبر الجرائم قالوا أكبر من ذلك ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، فاعتبر عَزَّوَجَلَّ هذا جريمة منهم كبيرة جدًّا صدرت ممن ضلَّ من بني إسرائيل، جعلوا هذه الرؤية شرطًا في إيمانهم بموسـى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولقد طلب موسى من منطلق إيمانه بالله ومحبتـه لـه واعتقاده بإمكان هذه الرؤية، فلما كلَّمه ربـه طمع في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، فقال الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ويراه موسى ويراه الأنبياء ويراه المؤمنون في الآخرة كما تواترت بذلك الأحاديث، ونصَّ عليها الله سُبْحَانَهُ بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

الشاهد: أن النوع الأول- من الوحي أن يوحي الله إلى من يشاء من عباده من رسله الكرام وأنبيائه العظام عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوحي إليهم بدون واسطة مَلَك، وهذا نوع يسمى عند المفسِّرين النفث في الرُّوع.

النوع الثاني- أن يكلِّم الله من شاء من عباده من وراء حجاب كما كلَّم موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكما كلَّم محمدًا ليلة الإسراء.

والنوع الثالث- أن يرسل رسولًا ملكًا من الملائكة والغالب أن يكون جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيوحي بإذن الله إلى هذا النبيِّ الذي أرسل إليه جبريل أو غيره من الملائكة.

هذه ثلاثة أنواع من الوحي. وبعضهم يقول: إن أنواع الوحي بلغت فوق الأربعين. ولكنها ترجع إلى هذه الثلاثة الأنواع، هذه الأنواع الأربعين منها ما يرجع إلى صفة الوحي، ومنها ما يرجع إلى صفة حامل الوحي، فمرة على صورة رجل، ومرة على صورة دحية الكلبي، ومرة على صورة أعرابي، ومرة على صورة أخرى، وهذه صفة حامل الوحي وهو جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومنها ما يرجع إلى صفة الوحي كصلصلة الجرس، والنفخ في الروع، والكلام من وراء حجاب(١).

(١) انظر: «فتح الباري» (١/ ١٩-٢٠).

ثم نقل المؤلف تفسير الزهري ولم يسنده الزهري إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إنما هـذا فهمه، وفيه شيء من الغرابة، ولذا أدرك هذا المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: «وأبين من هذا ما قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حينما سأله الحارث بن هشام المخزومي»، والحارث هذا أخو أبي جهل، ولكنه أسلم وصار من خيار الصحابة، وهو ممن استُشهد في موقعة اليرموك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سأل النبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «**أحيانًا في مثل صلصلة الجرس**».

قالوا: الصلصلة أصلُها وقع الحديد بعضه على بعض مثل صوت حلقات السلسلة يسقط بعضها على بعض تسمع لها صلصلة، ثم استعمل في غير صوت الحديد في كل صوت له طنين كما يقال، وهذا أشد أنواع الوحي على رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيتفصد جبينه من العرق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويثقل عليه جدًّا، ولكن يقول: «**فيُفصم عنِّي وقد وعيت**» أي ينقطع عني، وأصل الفصم القطع ينقطع عني، يعني ينتهي وقد وعيت ما قال، مهما كثر هذا وطال ولو سورة بكاملها يحفظه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«**وأحيانًا في مثل صورة الرجل**» كما جاءه مرة في صورة دحية، ومرة في صورة الأعرابي وغيرها، هذا أحيانًا، رآه الناس في صورة دحية وصورة الأعرابي مرتين تقريبًا، وفي حالات يأتي في صورة رجل ولا يراه أحد، الملائكة نحن لا نراهم، لكن أحيانًا يتنزل مَلَك ويراه الناس حول النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما رئي في صورة دحية وفي صورة أعرابي، ورأته عائشة ورأته أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ورآه غيرهم[1].

---

(١) أثر أم سلمة: في البخاري المناقب، حديث [٣٦٣٤].

ورآه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: روى أحمد في «فضائل الصحابة» [١٨٥٤]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٢٨٨٦] عن الشعبي قَالَ: دَخَلَ الْعَبَّاسُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ عِنْدَهُ أَحَدًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: =

رآه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره لما جاء في صورة الأعرابي لما سأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، فلما ولَّى قال لهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتدرون من السائل؟** قالوا الله ورسوله أعلم، قال: **فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم**»(1).

فرأوه في صورة رجل وما عرفوه ثم بعد ذلك أخبرهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه جبريل أرسله الله ليعلم الناس دينهم.

الشاهد من هذا أنَّ المؤلف يثبت بالأدلة كيف كان يُوحى إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعلى أي صفة يكون الوحي، وكيف يكون من يأتي به على أي صورة وعلى أي حال، وقد رأى النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته التي خلقه الله عليها مرتين(2)؛ رآه له ستمائة جناح سادًّا ما بين الأفق(3)، ورآه على كرسي سدَّ ما بين السماء والأرض(4)؛ هذا خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وممكن أن يكون في الملائكة من هو أعظم منه إسرافيل الذي ينفخ

= لَقَدْ رَأَيْت عِنْدَهُ رَجُلًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله زَعَمَ ابْنُ عَمِّكَ أَنَّهُ رَأَى عِنْدَكَ رَجُلًا، فَقَالَ عَبْدُالله: نَعَمْ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْك الْكِتَابَ. قَالَ: ذَاكَ جِبْرِيلُ.

ورواه الطيالسي [٣٥٣] رقم: [٢٧٠٨]، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٩٣ و٣١٢)، وفي «فضائل الصحابة» [١٨٥٣]، وابنه عبد الله في «الزوائد على الفضائل» [١٨١٧]، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٣٦) رقم: [١٠٥٨٤] من وجه آخر عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه، وفيه زيادة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) كما في الصحيحين: البخاري في «بدء الخلق»، حديث (٣٢٣٤، ٣٢٣٥)، وفي «التفسير» [٤٨٥٥]، ومسلم في «الإيمان» [١٥٩]، عن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) كما في البخاري في «بدء الخلق»، حديث (٣٢٣٢، ٣٢٣٣)، وفي «التفسير» (٤٨٥٦، ٤٨٥٧، ٤٨٥٨)، ومسلم في «الإيمان» [١٧٤]، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كما في البخاري في «بدء الوحي»، حديث [٤]، ومسلم في «الإيمان»، حديث [١٦١]، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

في الصور نفخة واحدة فيُصعق من في السموات ومن في الأرض وينفخ نفخة أخرى فإذا بالناس قيامٌ ينظرون، الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق من خلقه خلقًا عظيمًا، مَلَك لو أُمر بدك الجبال أو زلزلة أو نسف الأرض لحصل ذلك.

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منحه قدرة يفعل هذا، وهذا يدل على عظمة الله عظمة المخلوقات من السموات والأرضين والعرش والكرسي والملائكة والبشر كلُّها تدل على عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقدرته، وكلُّ هذه القوى بالنسبة إلى قوة الله وعظمته تتلاشى أمام عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَزَّوَجَلَّ، إذا كان الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أعظم منه والله أعظم من ذلك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقد ورد في أثر عن ابن عباس: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الله عَزَّوَجَلَّ إلا كخردلة في يد أحدكم»[(١)]، كنملة في يد خالقنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العظيم الجبار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]

الشاهد أن هذه بعض أنواع الوحي إلى نبيِّنا محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذه بعض الصور التي وردت في حديث الحارث بن هشام وهو في البخاري وغيره[(٢)].

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٧٦)، برقم: [١٠٩٠]، وابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢- الرسالة، ط٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (١ / ٥٥٤): مثل ما في «الصحاح» في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]؛ قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ما السماوات السبع ومنفيهن في يد الرحمن؛ إلا كخردلة في يد أحدكم». وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُٱللَّهُ كما في «إبطال التنديد» [١٧٠]: «وهذا الإسناد في نقدي صحيح».

(٢) رواه البخاري في «بدء الوحي»، حديث [٢]، وفي «بدء الخلق»، حديث [٣٢١٥]، ومسلم في =

ومـن الأنـواع مـا ورد في القـرآن كقولـه تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] كما كلم الله موسى ومحمـدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

الرسـول هذا هو الملك يرسـله الله عَزَّوَجَلَّ إلى من شـاء من أنبيائه ورسـله، وكذلك أصناف الوحي تكون للأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما يدل على ذلك عموم الآية.

حديث ابن عباس إسناده ضعيف جدًّا يعني: عن مقسم، عن ابن عباس: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من الأنبياء من يسـمع الصوت فيكون بذلك نبيًّا، وكان منهم من ينفـث في أذنـه وقلبه فيكون بذلـك نبيًّا، وإن جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **يأتيـني فيكلمني كما يكلم أحدكم صاحبه**».

فالحديث ضعيف فيه إبراهيم بن عثمان جد ابْنَيْ أبي شيبة: أبي بكر عبد الله بن محمد ابـن إبراهيـم بـن أبي شـيبة وعثمان أخيـه، فهو جـد أبي بكر وجـد عثمان ابني أبي شـيبة، وأبو بكر من أئمة الإسـلام ومن الحفاظ الكبار، وعثمان أخوه كذلك، وجدُّهم ضعيف! ليس هناك مجاملات عند أهل الحديث لحماية دين الله.

يكـون الرجـل من أهل البيت؛ من بيت أبي بكر، من بيـت عمر فيبينون حاله؛ لأنَّ هـذا دين، هـذه أمانة فلابـد من الحفاظ على هـذا الديـن، وعملهم هذا تنفيـذ لوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فـما يقولـون هـذا جـد ابني

=

«الفضائل»، حديث [٢٣٣٣]، ومالك في «الموطأ كتاب القرآن»، حديث [٤٧٥]، وأحمد في «المسند» (٦/ ١٥٨، ١٦٣، ٢٥٦، ٢٥٧)، والنسـائي في «الصـلاة»، حديـث (٩٣٣، ٩٣٤)، والترمـذي في «المناقب»، حديث [٣٦٣٤].

أبي شيبة الإمامين العظيمين الجليلين، قد بينوا حاله فقالوا إنه متروك ضعيف شديد الضعف[(١)] وبيَّنوا حاله.

علي بن المديني سألوه عن أبيه، قال: اسألوا غيري، قالوا: نريد أن تخبرنا أنت، قال: هذا دين الله، أبي ضعيف[(٢)]، علي بن المديني من كبار الحفاظ يقرن بأحمد بن حنبل في الحفظ والفقه والعلم وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، سئل عن أبيه، فقال: أبي ضعيف؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، فطبَّقُوا هذه الآية على أنفسهم وعلى أبنائهم وآبائهم وعلى كل من يروي الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن كان ثقة بيَّنوا حاله ثقة حافظ متقن، قالوا: ثقة، قالوا: حجة، بيَّنُوا حاله سواء كان من العجم أو من العرب من الموالي أو من غيرهم، إذا كان الله أعطاه حفظًا وفقهًا بيَّنوا حاله، وإذا كان من قريش أو من بني هاشم أو من غيرهم وفيه ضعف بيَّنوا حاله، أمناء على هذا الدين حفاظ لهذا الدين وحماة لهذا الدين رضوان الله عليهم.

فهذا الكلام بمناسبة هذا الحديث أنه جاء من طريق إبراهيم بن أبي شيبة المتروك عند أهل الحديث.

الحديث الذي بعده: «عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضعًا يده على معرفة فرس قائمًا يكلم دحية الكلبي..».

---

(١) قال الذهبي في «المغني» في «الضعفاء» (٢/ ٧٩٠) رقم: [٧٥٣٠] «ساقط». وقال ابن حجر في «التقريب» ت: [٢١٥]: «متروك الحديث». وانظر: «الميزان» للذهبي (١/ ٤٧-٤٨) رقم: [١٤٥]، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (١/ ١٢٥-١٢٦) رقم: [٢٥٧].

(٢) انظر: «المجروحين» لابن حبان (٢/ ١٥)، و«تاريخ الذهبي» (١١/ ٢٠١)، و«تهذيب التهذيب» (٥/ ١٥٣).

معْرَفَة الفرس: هذا الشعر الممتد على عنقه، يقال له: عرف.

في نظرها أن هذا دحية وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال: «**وقد رأيتيه؟**»[1] قالت: نعم؛ قال: «**فذلك جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وهو يقرئك السلام**»، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، جزاه الله خيرًا من صاحب ودخيل، فنعم الصاحب ونعم الدخيل.

الشاهد من الحديث: أنها رأت رجلا يُكلِّم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظنت أنه دحية الكلبي، فأخبرت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فقال ذلك جبريل وهو يقرئك السلام لها منزلة عند الله عَزَّ وَجَلَّ وعند الملائكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولعنة الله على من يطعن فيها، الروافض يطعنون في عرضها في عرض رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما يقصد الخبثاء بهذا إلا الطعن في رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهم وُرَّاث عبد الله ابن أبي الذي قذف هذه الصحابية زوجة رسول الله الطهور والصديقة بنت الصديق، قذفها هذا المجرم وورثه في ذلك الروافض، -والله- إن فيهم زنادقة الذي يطعن في عائشة يُكذِّب القرآن، الله برَّأها في آيات أربعة عشر آية من سورة النور نزلت في براءتها، نزل ببراءتها جبريل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُجِّلت في القرآن يتلى إلى يوم القيامة براءة لها وتنزيهًا لعرض رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مما لوثه به المنافقون عليهم لعائن الله.

الشاهد أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بلغ عائشة السَّلام جبريل جاء إلى النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صورة دحية الكلبي وكلَّمه، وهذا الكلام يكون تبليغًا من الله ليس كلامًا عاديًا كلام يبلِّغه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمَّة.

(١) كذا، والصواب: وقد رأيْتِه؟.

كذلك كرَّر هذا الحديث أنه رأى جبريل في صورة دحية.

وحديثًا أيضًا ساقه: عن عبد الله بن عامر عن حارثة بن النعمان قال: مررت على النبيِّ ﷺ ومعه رجل جالس يحدثه في مقام فسلَّمت عليه ثم جزت، فلما رجعت انصرف النبي ﷺ، فقال: «**هل رأيت الرجل الذي كان معي؟**» قال: نعم يا رسول الله، قال: «**فإنه جبريل وقد رد عليك السلام**».

وهذه أحاديث عن عائشة وعن الحارث بن هشام وعن حارثة بن النعمان، تفيد أنهم رأوا جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صورة رجل، وأخبر رسول الله ﷺ الحارثَ ابن هشام أنه يأتيه أحيانًا على صورة رجل وهذه من صور أو حالات حامل الوحي.

وأما كيفية الوحي فهو إما أن يكون من وراء حجاب، وإما أن يكون نفثًا في الرُّوع، وإما أن يرسل رسولًا فيوحي بإذن الله ما يشاء.

والطعن في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من المنافقين إنما هو من كيدهم للإسلام؛ لأن هذا من مكايدهم وقصدهم إسقاط محمد ﷺ وما جاء به، وهكذا اليهود والنصارى والملاحدة والزنادقة يسعون في تشويه الإسلام وفي تشويه صورة رسول الإسلام ﷺ من ذلك العهد إلى يومنا هذا، وما زاد الله نبيَّه إلا رفعة ومنزلة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعند المؤمنين، وعند كثيرٍ من الكافرين يعرفون مكانته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويقول أحدهم: لو أن محمدًا يعيش في هذا العصر لحلَّ مشاكل العالم وهو يحتسي فنجان الشاي[1]، درس عن محمدٍ ﷺ وعرف عظمته وما متَّعه الله به من شرع وعقل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: لو أن محمدًا في هذا العصر لحل مشاكله، يعني أكثر ما يكون من

(١) صاحب هذه المقولة هو «برنارد شو» المفكر والفيلسوف الإنجليزي (١٨٥٦-١٩٥٢م). عن كتاب: «القرآن والسنة والعلوم الحديثة» ص: [٧١]، لمحمد أحمد مدني، مطابع خالد للأوفست، الرياض.

المشاكل في هذا العصر حياة مُعقَّدة تعقيدًا شديدًا، زادها الفجار والزنادقة زادوا حياة الناس تعقيدًا، فالناس يعيشون في جحيم وفي حروب طاحنة وفي مشاكل عظيمة، قال هذا الرجل وهو يفكر في هذه المشاكل: لو أن محمدًا عاش هذا العصر لاستطاع أن يحل مشاكله وهو يحتسي فنجان الشاي، تقديرًا لمحمدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشاهد أن الحارث بن النعمان رأى جبريل أو رأى رجلًا يُكلِّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند المقام، فسلَّم على الرسول ومن معه، ولما مضى قال له الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هل رأيت الرجل الذي كان معي؟**» قال: نعم يا رسول الله، قال: «**إنه جبريل، وقد رد عليك السلام**» فالملائكة مكلَّفون مثلهم مثل المسلمين، وإن كانت التكاليف تختلف، لكن منها ردُّ السَّلام، فلما سلَّم الحارث ردَّ عليه السَّلام، والله يقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦] فيرد السَّلام إذا سُلِّم عليه ويُقرئ كما أقرأ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أقرأها السَّلام، رأته وهو في صورة دحية فقال للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أقرئها مني السَّلام، فقالت له: وعليه السلام.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: من المعلوم أن الوحي قد انقطع بموت النبيِّ ﷺ فما حكم القول: حدثني قلبي عن ربي؟

جواب: هذا أسلوب صوفي؛ الصوفية عندهم ما نقول عند الجميع، لكن عند كثير من رؤوسهم عندهم زندقة وإلحاد، ويرون أن الولي أفضل من النبيِّ، ويقولون: إن الأنبياء يأتيهم الوحي بواسطة، ونحن نأخذ الوحي مباشرة من الله عَزَّوَجَلَّ، ولعل قائل هذه العبارة يقصد هذا؛ أنه يأخذ من الله مباشرة: حدثني قلبي عن ربي، يعني أن محمدًا والأنبياء يأتيهم الوحي بواسطة، أما هو فلا واسطة بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه زندقة -والعياذ بالله-، قال النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنه كان فيمن كان قبلكم مُحدَّثون فإن يكن في هذه الأمة فعمر**»[1]، وكان عمر محدَّثًا وكان يرى الرأي فيأتي الوحي بموافقته، لكنه لا يقول: حدثني قلبي عن ربي، وقد يخطئ وليس بمعصوم، فيعارضه الصحابة ويناقشونه في خطئه فيرجع، وكان وقَّافًا عند كتاب الله، كان يجتهد في بعض الأمور مع أنه مُحدَّث يقع في خطأ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطأ المجتهدين فهو لا يريد إلا الحق، وهذه تحصل لكنها قليلة في تأريخه الناصع وفي فقهه العظيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رأى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ناسًا وعليهم قمص منهم من يبلغ قميصه إلى ثدييه ومنهم إلى ركبته وعمر يجرُّ قميصه، قيل: ما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: العلم[2]؛ عمر عالم عظيم، وأبو بكر أعلم منه، وكان عمر محدَّثًا، قال للرسول ﷺ: «لو حجبت نساءك يا رسول الله، فأنزل الله آية الحجاب»[3]، ولما صلَّ على عبد الله بن أبي، قال: يا رسول الله كيف تصلي عليه وهو

---

(١) رواه البخاري في «المناقب» حديث [٣٩٨٩]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٣٩٨].

(٢) الحديث رواه البخاري في «المناقب» حديث [٣٩٩١]، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٣٩٠].

(٣) الحديث رواه البخاري في «العلم» حديث [١٤٦]، وفي مواضع أخرى ومسلم في «الآداب» حديث [٢١٧٠].

منافق والله نهاك عن الصلاة عليهم، قال الرسول الكريم الرؤوف الرحيم، قال: إن الله خيَّرني، قال: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠]، وسأزيده على السبعين وصلَّى عليه، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤][(١)] جاءت الموافقة لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وله مواقف يتجاوب معه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها وينزل أحيانًا الوحي بما يؤيد مواقفه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في أسرى بدر؛ تشاور الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أبي بكر وعمر وبعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الأسرى: أنأخذ منهم الفداء أو نقتلهم؟ فقال: أبو بكر يا رسول عشيرتنا وأهلنا نأخذ منهم الفداء لعل الله يهديهم فيسلمون، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسول هؤلاء صناديد قريش اقتلهم واستأصل شأفتهم وأرح الناس من شرِّهم أو كما قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما جاء الحديث في «صحيح مسلم»[(٢)] من طريق أبي زميل عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «فجئت اليوم الثاني ورسول الله وأبو بكر يبكيان قلت ما يبكيكما يا رسول الله قال: من الذي عرضه علي أصحابك والله لقد عُرِضَ عليَّ العذاب دون هذه الشجرة يعني في الفداء لما أخذوا الفداء»، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل آيات في عتابهم ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ثم أباح الله لهم الغنيمة.

لكن الشاهد أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يرى قتل هؤلاء الأسرى، ولا يرى أخذ الفداء، وجاء القرآن بموافقته، وجاءت السنة بموافقته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومع هذا ما يقول: حدثني قلبي عن ربي، كان يستشير ويجمع أهل بدر في القضية ما يقول: أنا مُحدَّث مُلهم يكفيني

---

(١) رواه البخاري في «التفسير» حديث (٤٦٧٠-٤٦٧٢)، ومسلم في «فضائل الصحابة» حديث [٢٤٠٠].

(٢) «صحيح مسلم»، «الجهاد والسير» حديث [١٧٦٣].

حدثني قلبي عن ربي، بل يستشيرهم ويأخذ بآرائهم، وكان من مستشاريه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والقصص كثيرة في الاستشارة.

أما هؤلاء فيرون أنفسهم أفضل من الأنبياء وأن الوحي يأتيهم مباشرة بدون واسطة جبريل ولا غيره، فهم في اعتقادهم الباطل أفضل من الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يقول قائلهم:

مقام النبوة في برزخ — فويق الرسول ودون الولي

يعني عندهم النبي أفضل من الرسول، يعاكسون الإسلام تمامًا معاكسة تمامًا.

الرسل أفضل من الأنبياء، هم يجعلون الأنبياء أفضل من الرسل، والأولياء أفضل من الرسل ومن الأنبياء.

باسم الأولياء الصالحين وهم أولياء الشيطان ليسوا بأولياء لله عَزَّوَجَلَّ إنما هم أعداؤه وفيهم زندقة -والعياذ بالله- وقد يقلدهم بعض الجهلة الأغبياء وقد يثق فيهم بعض الأغبياء يقولون فيهم: إنهم أولياء الله، وهذا من كراماتهم.

بالإجماع انقطع الوحي، ليس هناك وحي بعد محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء.

لهذا قال عمر المُحدَّث الملهم قال: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»(١) نيته بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، ليس لنا إلا الظاهر؛ لأن الوحي قد انقطع، ما قال إني محدَّث وإني ملهم، أما تعلمون أن رسول الله قال: إن عمر محدَّث وملهم، وما يأخذ الناس بما تحدثه به نفسه،

---

(١) رواه البخاري في «الشهادات» حديث [٢٦٤١].

ثم هو يعرض ما يخطر على باله على كتاب الله وعلى سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن وافقها أخذ به، وإن لم يوافقها تركه، وقد يعرض هذا على الصحابة فيخالفونه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا واقع المحدَّث الملهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ما حكم عوام الروافض وكيف يتعامل معهم؟

جواب: السائل يُفرِّق بين العوام وغير العوام وهذه خطوة جيِّدة، العوام الذين لا يطعنون في زوجات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يكفِّرون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا يعتقدون في القرآن أنه محرَّف وعندهم شيء من الرفض؛ شيء من البغض للصحابة دون تكفيرهم وما شاكل ذلك، فهؤلاء ضُلاَّل مبتدعون لا نكفرهم، ومن كان يشارك ملاحدتهم في تكفير أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الطعن في زوجات رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفي العقيدة الخبيثة أنالقرآن محرَّف وزيد فيه ونقص، فهذا كافر مثل كفار اليهود وكفار النصارى، لا فرق بين عوامهم وبين علمائهم.

سؤال: والتعامل معهم كيف يكون؟

جواب: التعامل إن كان في أمر الدنيا تجارة وما شاكل ذلك يجوز التجارة مع اليهودي والنصراني والرافضي، أما التعاون في أمور الدين فلا أبدًا ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، بل يهجر علماؤهم ودعاتهم ويحذر منهم.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: ما الفرق بين الإجماع والاتفاق؟

جواب: المعنى متقارب أو هو واحد، ولكن كأن بعض الناس يتهيَّب من حكاية الإجماع، فيقول اتفاق بدل الإجماع -والله أعلم-.

سؤال: يقول السائل: مدَّعٍ لم يأت ببينة ولا شهود، فحلف المنكِر، فقضى القاضي على المنكر باليمين، ثم وجد المدَّعي البينة أو الشـهود، فهل للقاضي أن ينقض الحكم الأول؟

جواب: إذا ثبت له عدالة الشهود فعليه أن ينقض حكمه؛ لأن القضاء إذا خالف الحق وخالف السنة والقرآن أو القرآن يُنقَض.

سؤال: حفظكم الله؛ يقول السائل: هل يجوز طبخ أكل معين في عاشوراء؟

جواب: إذا كان هذا العمل عن عقيدة يذهب يطبخ في عاشـوراء الرز الهندي أو الحلـوى الفلانيـة أو كذا وكذا ويعتبرها من القرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه بدعة، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.



فهرس الموضوعات

بحوزيد بلقاسم

سوزيد يانئسر